

جمع وترتيب

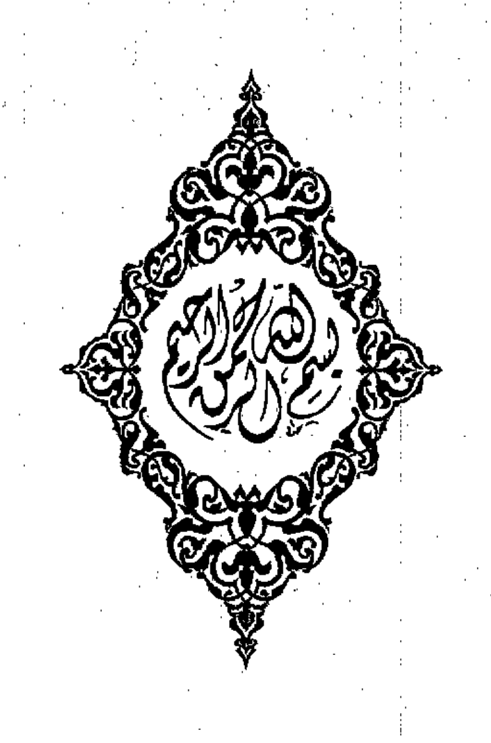
الدكتور سيد بن حسين العفاني

الجزء السادس

الناشر

دار العفاني

القاهرة: ٣ درب الأتراك - الدور الثاني - خلف الجامع الأزهر
ت: ٥١٠٨٢٥٧ / ٠١٠٥٢٤٦٤٢٠
بني سويف: برج الزعيم - بجوار مجمع المحاكم
ت: ٠٨٢٢٣١٧٣٤٤ / ٠١٠١٧٥٦٢٩٦


بسم الله الرحمن الرحيم

* الأستاذ العملاق.. والفارس اليقظ.. القمة الشامخة الفاضحة لروّاد التبعية للغرب والتبشير والغزو الفكري الأستاذ أنور الجندي ـ رحمه الله ـ:

❑ هو خير من يحمي حمى الإسلام ضد التغريب والغزو الفكري، ولندع الشيخ يحدثنا عن نفسه(١) :

اسمي أحمد أنور سيد أحمد الجندي.. ولدت في الخامس من ربيع الأول من العام خمسة وثلاثين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة، في مدينة ديروط من مديرية أسيوط بمصر، ولقد نشأت في بيت علم ودين، وتفتحت عيناي منه على كتب التراث الجميلة مكتوبة بالمداد الشيني الأسود، وقد ميِّزَتْ عنواناتها باللون الأحمر، مما ترك في نفسي هوى خاصًا لهذا النوع من كتب التراث.

وكان والدي ـ رحمه الله ـ إلى جانب عنايته بتلك الأسفار متابعًا للحديث من مقالات المعاصرين التي تنشرها الصحف والكتب الجديدة.

فكان من إيحاء ذلك الجو أن بدأت اتصالي بالكتب عن طريق مقدمة ابن خلدون ودائرة معارف فريد وجدي وما إليهما من مؤلفات بعضها في مكتبة الوالد، وأستعير بعضها من الآخرين.. فكنت أقرأ ما يتيسر من هذه الكتب دون الإحاطة الكاملة بما تحتويه، وكان لذلك أثره البعيد في تكويني الإنشائي والفكري، حتى لقد أقدمت على إلقاء محاضرة عن الأدب العربي الحديث أثناء دراستي الابتدائية، كان لها ردود فعل غريبة، إذ تعذر على مستمعيها أن تكون من عملي، ولذلك عمد بعضهم إلى إجراء البحث عن مصادر هذه المحاضرة، وقد علمت ذلك من أوضاع الغرفة التي أسكنها، إذ

---

(١) من خلال ترجمته في كتاب الأستاذ محمد المجذوب «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢/ ٤٥ ـ ٥٩).

عدت ذاتَ يوم فوجدت آثارهم على درجي وأوراقي. فقد قدروا أن المحاضرة منقولة لا محالة؛ لأن أسلوبها الأدبي فوق طاقة تلميذ من تلك المرحلة، فأرادوا التيقن من ذلك..».

❑ ويتابع الأستاذ الجندي حديثه عن نشأته وعوامل تكوينه الفكري قائلاً:

«كانت صلتي وثيقة بأئمة المساجد في بلدنا، وهي التي ساعدت على اتجاهي في اختيار نوعية الأصدقاء الذين تركوا آثارهم عميقة في سلوكي الشخصي.. ففي ذاكرتي صور لا تنسى عن ذلك الوسط الطيب يتمثل في أجواء المساجد وهيئات المصلين ومواسم العبادات.. وما زلت أتذكر مجلسًا للعلم في مسجد ديروط الكبير بين العصر والمغرب من كل يوم، وألمح من وراء السنين ذلك الشيخ الوقور الذي يمس بإشراق وجهه وملامحه أعمق المشاعر..، وأستعيد ذكرى والدي وأنا أصاحبه إلى حلق الذكر، وأستشف تلك النشوة الروحية التي كانت تغمرنا نحن الصغار إذ نتنادى للخروج إلى المسجد، قبيل الفجر، فنرافق المؤذنين إلى المنائر، ونُدير السواقي القائمة على البئر لنستخرج المياه للمتوضئين».

❑ يقول الأستاذ محمد المجذوب في كتابه «علماء ومفكرون عرفتهم» عن الأستاذ أنور الجندي:

«وسألنا الصديق عن أكثر الشخصيات تأثيرًا في تكوينه الفكري، وعن أهم الأحداث التي ساعدت على هذا التكوين.. فأجاب بما خلاصته:

لقد قابلت عشرات من أعلام الفكر والكفاح أثناء رحلاتي في البلاد العربية، وتابعت دراسة الكثيرين من أعلام الإسلام المعاصرين، أمثال شيخ العروبة أحمد زكي باشا، وأحمد تيمور، وشكيب أرسلان، ومصطفى صادق الرافعي، وحسن البنا، وعبدالعزيز الثعالبي، وعبدالعزيز جاويش، وأمين

الرافعي، ومحمد فريد وجدي، ومن لا أحصي من طبقتهم، فكان لرحلاتي ومقابلاتي ودراساتي لأعمال هؤلاء الأفذاذ آثارها العميقة في كياني كله..

ويتابع: في مرحلة تكوني عرفت رجلاً جليلاً هو الشيخ فخر الدين، وكانت معرفتي إياه عاملاً أساسيًا في إعطائي الاتجاه الفكري لونه الأصيل ومنهجه الصحيح، وبخاصة في الإنتاج الذي كنت أنشره في الصحافة العامة، ثم في الصحافة الإسلامية التي أواصل الكتابة فيها..

أما من هو الشيخ فخر الدين.. فما نعلم عنه إلا اسمه هذا..

❑ وعن مجالات هذا الاتجاه الأصيل يقول الأستاذ الجندي:

لقد تعددت أنحاء هذا الاتجاه ولكن الإطار الذي يضمها جميعًا هو الأدب والصحافة ثم الدراسات الإسلامية:

ويحدد أهم منتجاته في الموسوعات التالية:

١ ـ معالم الأدب المعاصر، وقد بلغت حتى الآن سبعة عشر مجلداً.

٢ ـ تراجم الأعلام في ثلاثة مجلدات.

٣ ـ مقدمات العلوم والمناهج في أربعين جزءاً يقدر لها عشرة مجلدات.

٤ ـ مَعْلَمَة الإسلام، وقد ظهر منها حتى تاريخ هذا الاستطلاع خمسون جزءاً.

❑ ويقول الصديق معقبًا على ما تقدم: إن هذا العطاء، عطاء القلم الذي أقسم اللَّه تبارك اسمه به، قد بدأت بواكيره منذ السنوات الأولى من حياتي الفكرية، ثم أخذ سمته نحو التكامل والعمق، ثم شاء اللَّه أن يخلصه لوجهه الكريم ودعوته المنقذة..

وأهم التحديات التي واجهتُها خلال هذه المراحل هي قضية الغزو

الفكري الهادف إلى تغريب التصورات والمناهج والصبغة الاجتماعية، بالتشويش عليها أولاً، ثم باستبعادها عن المرتكزات الإسلامية في النهاية وقد استخرت اللَّه، فوهبت نفسي لمقارعة هذا الغزو بالحجة والمناقشة وتعرية الأهداف المبيتة من خلفه، وهكذا يكاد ينحصر جهدي في معالجة قضايا الاستشراق والتبشير، والتهجمات الموجهة إلى الإسلام في نطاق الشريعة والاقتصاد والسياسة والتربية جميعًا.

◻ ويقول أبو غسان ـ المسجل لهذا الاستطلاع ـ إن القارئ المتتبع لإنتاج الأستاذ أنور الجندي لا تفوته رؤية هذه الملامح في سائر ما يطالعه من آثاره سواء في مقالاته المتلاحقة بمختلف الصحف الإسلامية، أو كتبه على اختلاف أحجامها، بل إنه ليشعر أن أجوبته على أسئلتنا كانت مسرفة في الإيجاز، وكان بمقدوره أن يتوسع في بسط بعض النقاط أكثر مما فعل، ولعله آثر هذا الإيجاز استحياء من إطالة الحديث عن نفسه أو اكتفاءً بما يحمله إنتاجه القلمي من موضوعات تغني عن المزيد من التفصيل.

والحق أن قارئ الأستاذ الجندي ليشعر بقوة أنه تلقاء كاتب شديد الإحساس بمسئوليته تجاه الأصالة الإسلامية في كل ما يتناوله من بحوث.. وكأنه حارس على ثغرة لا يملح شبحًا ولا حركة إلا تناولها بالتحليل والتصوير والاستنباط والتحذير..

وهذه العناية الدقيقة بمتابعة الوافدات الدخيلة قد أفرغت على الأستاذ الجندي طابعه المميز، الذي يصلك بملامحه الشخصية من خلال أي مقال يكتبه، أو رأي يعرضه في أي مشكلة..

إن في طبيعة هذا الكاتب الإسلامي خصائص المحلل الكيميائي، الذي لا يكتفي بالنظر إلى ظواهر المادة، حتى يتغلغل إلى أعماقها، فيفصل بين جزئياتها، فيعين لكل منها نسبتها ووظيفتها وأثرها.. وبهذه الخاصة التحليلية

تنفرد بحوثه بطابع الطرافة والجدة، وتنفرد شخصيته بالملامح التي تميزها فلا يختلط بغيره من حَمَلةِ الأقلام.

«وقد امتحنت في العمل الصحفي بمحنة العمل مع الماركسيين، واستطعت بعون اللّٰه أن أتجاوز إغراءاتهم، وأن أحصر نفسي في حيز قليل مضحيًا بكل أسباب الكسب والترقي، حتى أني أمضيت عشر سنوات كاملة دون أن أحصل على مكافأة واحدة، وكان عزائي في ذلك عملي الفكري الذي كنت أعده وأتفرغ له.

لقد ولدت في خضم الأحداث فعام مولدي ١٩١٧ كان عام وعد بلفور، وفي مطالع الشباب ١٩٢٤ سقطت الخلافة الإسلامية، ثم كان وصل الماركسيين في مصر إلى السيطرة على الإعلام عام ١٩٦٢ ثم كانت نكسة ١٩٦٧ التي ضاعت بها القدس عاملاً خطيرًا في ظهور دعوة العودة إلى اللّٰه وبوادر الصحوة الإسلامية التي تحتاج إلى الترشيد والتوجيه في الانتقال بالأجيال المسلمة الجديدة إلى الأصالة والرشد الفكري، وكان هذا من أهم مشاغلي.. ولا ريب كانت أخطر الأزمات النفسية التي أصبت بها هي أزمة سيطرة الماركسيين على الصحافة والإعلام والمسرح والثقافة في مصر.. فقد أحدثت لدي حالة من أشد الحالات خطورة، غير أن اللّٰه تبارك وتعالى وجهني إلى العمل لإعادة بعث التاريخ الإسلامي على نحو جديد، وتجديد الثقافة الإسلامية ومواجهة التحديات.

ولقد كنت في الحقيقة قد اكتشفت نفسي منذ الثلاثينات عندما رفع الغطاء عن خطة «التغريب» التي يجري العمل بها في البلاد الإسلامية بترجمة كتاب «وجهة الإسلام» للمستشرق جيب، والهدف منه دراسة ما وصل إليه «تغريب البلاد الإسلامية» والخطط التي سيتم العمل بها حتى يتم هذا التغريب وواضح أن هذه الخطة كان قد رسمها لويس التاسع بعد هزيمته

واعتقاله في المنصورة، فقد دعا إلى ما سماه «حرب الكلمة» بعد هزيمة حرب السيف في الحروب الصليبية، وكان ذلك مبدأ العمل الخطير الذي تم تحت أسماء التبشير والاستشراق والغزو الفكري ومحاولة إثارة الشبهات والسموم حول الإسلام عقيدته وقرآنه ونبيّه وتاريخه ولغته، ومنذ ذلك الوقت الباكر توجه قلمي إلى هذا العمل، ومعنى هذا أنني بعون اللَّه قد أمضيت الآن أكثر من أربعين عامًا في الكشف عن هذه الخطط والرد عليها في عديد من الدراسات، التي نشرتها في الصحف أو قدمتها في مؤلفات أو ألقيتها في مؤتمرات عالمية امتدت من إندونيسيا إلى الجزائر..

❑ كانت خطة التغريب التي هي بمثابة التحدي الفكري لشاب في السابعة عشرة هي مفتاح حياتي الفكرية الحقيقي غير أنني لم أصل إلى الفهم الحقيقي لذلك إلا عندما استوعبت مفهوم الإسلام الجامع بكونه دينًا ودولة وعبادة ومنهج حياة، ومن هنا اكتشفت خطورة المؤامرة التي قادها التغريب عن طريق: «التبشير والاستشراق الغربي والصهيوني والماركسي» التي ترمي إلى تفريغ الإسلام من محتواه كدعوة عالمية، ومن منهجه لبناء المجتمع، ومن أصالته وذاتيته القادرة على حفظ بيضته، وبناء أجياله على مفهوم الجهاد والمرابطة والإعداد في مواجهة الخطر الخارجي المتربص الذي واجهته القارة الإسلامية منذ فجر الإسلام، والممتد إلى أن يرث اللَّه الأرض ومن عليها، وهذه الحقائق لا بد أن نربي عليها أبناءنا وأجيالنا الجديدة، حتى لا تستسلم للتحلل والخضوع لأي قوة مهما كانت..».

❑ وشكر اللَّه للأخ الفاضل إضافته النفيسة هذه إذ أمدتنا بما لا ينبغي أن تغفله ترجمة من حياة صاحبها تأثيرًا وتأثرًا، فليس بالشيء اليسير تلك الفترة المزعجة التي قضاها في جو الصحافة يسيطر على توجيهها عناصر مدخولة لا تقيم للقيم الإسلامية التي نشأ عليها وزنًا، وهو جو من الحدة والشدة بحيث

لا يتوقع أن يسلم من فاعليته معايش له، ولو تصورنا أن ذلك المعايش أقل حصانة روحية من فتانا ـ الجندي ـ لابتلعه التيار المركّز دون أن يجد فرصة للنجاة من قبضته، ولكن شاء اللّه أن يكون موقفه كموقف الجسم المنيع من هجوم الوباء يتلقاه ميكروبًا فيحيله غذاءً.. وشيء آخر لا ينفصل من حيث الأثر عن ذلك الجو وهو ما أتاحه له من فرص الاطلاع على خفايا العوامل المؤثرة في كيان المجتمع المصري، ما كان له أن يعلم عنها الكثير لولا وجوده هناك.. ومن هنا برزت اهتماماته بتتبع تلك المؤثرات وبخاصة في تضاعيف المؤلفات التي جعلت تغزو رءوس الجيل العربي عن طريق مؤلفيها من مدرسي الجامعات ودعايات أشياعهم لها ولهم..

◻ وحسبك من ذلك عنايته بآثار أبي كلود ـ الدكتور طه حسين ـ حتى ليكاد يحيط بها جميعًا كتبًا ومقالات وخطبًا ومحاورات ومحاضرات، وخصائص ومميزات وما إليها.. ولسنا بحاجة إلى تذكير القارئ بأهمية هذا التتبع لآثار رجل لم يُقَدَّر لواحد من معاصريه أن يبلغ ما بلغه في تفكير ذلك الجيل، ولم يبلغ كاتب من الغموض ما بلغه من تقديره، حتى أصبح ركيزة المولعين بالتجديد يطوفون حولها، ويقدسون موحياتها، ويذودون عن سمعتها بكل ما أوتوا من بلاغة وقوة، على الرغم من كل البينات الشاهدة عليه..

◻ في كتاب «طه حسين: حياته وفكره في ميزان الإسلام» يحشد الأستاذ الجندي خلاصة مركزة عن نشأة ذلك «العميد» الساحر واعترافاته وأفكاره وتناقضاته وأقوال خصومه وأنصاره، وخلفيات كل هؤلاء وأولئك.. وقد وفق إلى إزالة الستور التي طالما خدعت ولا تزال تخدع الكثيرين من «الدكاترة» والمأخوذين برقى ذلك الساحر الساخر، تلك الستور التي غلف بها كتبه ذات الطابع الإسلامي حتى حجب أغراضه الحقة عن الأعين الكليلة،

فاتخذها المخدوعون والمعجبون دليلاً لا يرد على إسلامية كاتبها، فإذا هي ـ كما قدرها العارفون في وقتها ـ سموم مغشاة بالعسل، تريد الإجهاز على مصداقية السيرة النبوية وإثارة الشك في براءة الرعيل الأول من خير أمة أخرجت للناس، وإذا مؤلفها لا يزيد على كونه حربًا دُسَّتْ على جماع الإسلام قرآنًا ونبيًا وسيرة وتاريخًا، لغرض واحد هو بعث الريبة وتكثيفها في كل هذه الحقائق.. وبدافع واحد هو تنفيذ المخطط الذي وضعته اليهودية والصليبية، وقامت على تعهده عن طريق المبشرين والمستشرقين وأذناب هؤلاء وأولئك من أبناء المسلمين.. ويا لها من حرباء لا أقدرَ منها على تغيير صبغتها وفق تغير الأحوال، حتى لم تدع حزبًا سياسيًّا دون أن تنضوي إليه فتملأ الصحف بمدحه ثم تتسلل منه إلى خصومه فتدبج الروائع في إطرائه وتعظيمه.. وليس في صدرها ذرة حب أو إخلاص لهؤلاء أو أولئك، وإنما هو الاحتيال للوصول إلى طريقة أنجح لتنفيذ ما هي مكلفة به من قبل أعداء الإسلام..

وأنا حين أشير إلى مضمون هذا الكتاب القيم، الذي جمع في صفحاته المئتين والخمسين ما لا غنى لباحث عن معرفته من حياة طه حسين، فقدم له بذلك خدمة تغنيه عن مراجعة العشرات بل المئات من الكتب والصحف، ولا أنسى أن أضم إليه كتابه الآخر الذي لا يزال تحت الطبع بعنوان «محاكمات طه حسين»، وبهذا أو ذاك تنقطع حجة كل من يتصدى للدفاع عن أبي كلود من أصحاب النوايا الصالحة.. أما أولئك المواطئون له في أهدافه بل أهداف مصطنعيه الهدامة فليس لهم عندنا وعند الأستاذ الجندي سوى أن ندعو لهم بالهداية إلى التي هي أقوم..

□ والآن ونحن في صدد التقييم لميزات هذا المفكر الإسلامي يحسن بنا أن نختم هذه الصفحات ببعض النماذج من إنتاجه لنرى إلى أي مدى تتراءى

خصائصه الأسلوبية والفكرية والمنهجية من خلاله وليكن هذا الأنموذج مما تقع عليه اليد دون بحث ولا استقصاء ولا انتقاء.

□ يقول الأستاذ الجندي في مقالة له نشرتها مجلة الدعوة الصادرة بالرياض في العدد ٨٨٩ تحت عنوان «خطران»:

«عملان خطيران قذف بهما التغريب في وجه الأمة الإسلامية فأفقدها قوة التماسك بإزاء ذاتيتها الخاصة المتميزة: القانون الوضعي في وجه الشريعة الإسلامية، ومبدأ القوميات في وجه الوحدة الإسلامية، وقد ولدت القومية في أحضان الإرساليات التبشيرية، واتخذت وسيلة لهدم الخلافة، وليس كذلك العروبة التي لجأ إليها العرب بعد سقوط الخلافة، وكانت في تقديرهم حلقة تالية للوحدة الإسلامية بعد الوطنية والإقليمية التي فرضها تمزيق العالم الإسلامي، وصولاً إلى الوحدة الإسلامية مرة أخرى، ولكن العروبة بمفهومها الإسلامي وانتمائها الأصيل كان مكروهًا عند التغريب الذي حاول أن يطرح مفهوم القومية بالمفهوم الغربي، وهو يعني الانسلاخ عن الإسلام تحت شعارات ومسميات شتى، وبأساليب وأفكار ترمي إلى هدم التراث والأصول التي قام عليها البناء الاجتماعي، وتهدف إلى الفصل بين العرب والمسلمين وبين العروبة والإسلام، وإقامة حاجز من الحقد والكراهية بدلاً من بناء جسر للأخوة الإسلامية بين العرب والأمم التي تقول لا إله إلا اللَّه، ولقد تساءل كثير من الباحثين المخلصين، لماذا ركز الفكر الغربي على مفهوم القوميات والإقليميات في البلاد الإسلامية؟. وكانت الإجابة واضحة: إنها من أجل إسقاط الجامعة الإسلامية، ومن أجل إقامة القومية اليهودية، وفي نفس الوقت للدعوة إلى إنشاء دولة علمانية للقضاء على الذاتية الإسلامية الخاصة التي شكلها الإسلام، ومن أجل صهر وحدة المسلمين الفكرية في أتون الأممية العالمية.

□ وقد أدّى ذلك التركيز الخطير على الإقليمية والقومية إلى بعثرة وحدة الأمة الإسلامية إلى سبعين جنسية معزولة عن الأخرى ومحبوسة وراء أسوار، وعروبة مقطوعة عن الإسلام فكرًا وعن المسلمين جغرافيًا. وحاولت الدعوة إلى القومية أن تصبغ كل شيء بلونها كأنها أيديولوچية مستقلة حتى بالنسبة للقيم العامة، التربية العربية، القانون العربي، المجتمع العربي..

حتى في دراسات التاريخ.. فهناك الفقه المصري والفقه الشامي والفقه العراقي، وهناك في التراث إقليمية وقومية، دور مصر في النحو ودور الشام في الصرف ودور العراق في البلاغة، وتراوحت القضايا بين الإقليمية والعروبة، وأخذ كل قطر يفخر بنفسه، وكلها دعوات حول الأجناس والدماء والعناصر، وفصل اللغة عن الإسلام كفصل التاريخ عن الإسلام، والهدف هو إخفاء صوت الإسلام بالادعاء أن التاريخ عربي، والحضارة عربية، والثقافة عربية، والجامعة عربية، باستهداف التركيز على القوميات الضيقة، وإعلاء التاريخ القديم الذي أهدره الإسلام، وقال المؤرخون: بأن هناك انقطاعًا حضاريًا بين الإسلام وما قبله، فظهرت دعوات الفرعونية والفينيقية والقول بأن العربية لغة العرب وحدهم، وتمصير القانون والأدب واللغة، أو مغربته والإشادة بالمؤرخين الوطنيين وحدهم في كل قطر على حدة، وإعادة تفسير التاريخ الإسلامي على أنه تاريخ مناطق وأقاليم وأنه تاريخ قومي، والبحث عن سبيل لوضع صيغة القومية العازلة فيه منذ أولى عصوره، وقبل أن تعرف كلمة القومية أو مدلولها، قال أحدهم: العروبة دين عبر القوميين؛ لأنها وجدت قبل الإسلام وقبل المسيحية في هذه الحياة الدنيا، وإن كان لكل نبوته المقدسة، فإن القومية العربية هي نبوة هذا العصر في محفلها العربي، وأن الوحدة العربية تنزل من قلوب العرب أينما كانوا منزل وحدة اللَّه من

قلوب قوم مؤمنين»، وهذا الكلام يعني إقامة القومية كدين ينافس الإسلام، وقد تعالت هذه الصيحات ثم انهارت وليس لها إلا بقايا قليلة لا بد أن تنهار.

◻ لقد تعالت صيحة القومية بين اليهود لتفسح مجالاً للصهيونية ولتحقيق البقاء لإسرائيل، وقد أقيمت جهود سنوات طويلة لبناء القومية العربية الوافدة، ولكنها فشلت لأنها عارضت الفطرة والعقل والعلم وتراث أربعة عشر قرنًا من الإيمان بالله. نعم إن العالم الإسلامي المركب من أجناس شتى يقدر للعرب دورهم الرائد في حمل رسالة الإسلام إلى العالمين، ويقدس لغتهم لأنه بها نزل القرآن، ويعلم أن العرب دماغ الإسلام وقلبه ما دام القرآن عربيًّا والنبي عربيًّا، ولكن هذا لا يعطي العرب امتيازًا خاصًا يجعلهم جنسًا فوق الأجناس.

◻ والمعتقد أن مرحلة القومية العربية التي جاءت بعد الحرب العالمية الثانية قد انطوت، وأن المسلمين والعرب اليوم يواجهون مرحلة أخرى تختلف عن المراحل السابقة، وهي مرحلة التماس مفهوم إسلامي لإقامة المجتمع الرباني، وآية ذلك ما قاله المستشرقون الغربيون أنفسهم، وفي مقدمتهم (ويلفرد كايتول سميث) حيث قال: إن تاريخ الشرق الأدنى الحديث يدل على أن القومية المجردة ليست القاعدة الملائمة للنهوض والبناء، وما لم يكن المثل الأعلى إسلاميًّا على وجه من الوجوه لن تثمر الجهود ألبتة، وفي هذا المعنى ما قاله (جارودي): من أن كل حركات الجهاد الوطنية والقومية التي قامت من أجل تحرير البلاد الإسلامية، كانت في الأصل إسلامية الجذور. ولقد استخدمت كل الوسائل السياسية لإعلاء شأن القومية ولكن المجتمع الإسلامي لم يقبلها على هذه الصورة الوافدة التي دعا إليها (ساطع الحصري) وغيره، والتي استمدها من مفهوم القومية التركية في البلقان وغيره، وسيظل

المسلمون قادرين على الأصالة وعلى رفض كل المذاهب والأيدلوچيات الوافدة، وسيجعلون مفهومهم في العروبة الأصل المستمد من الإسلام والقائم على الوحدة والإخاء الإنساني وعلى التجميع دون التفريق، وعلى الالتقاء الجامع لكل المسلمين، هو الأساس الحقيقي.. ومن هنا كانت قضية القومية إحدى التحديات التي حاولت تحطيم الكيان الإسلامي».

فمن خلال المقالة الصغيرة التي نقلناها لك كاملة، دون تنقيب ولا مفاضلة ولا سابق علم بها، تتضح لعينيك ملامح هذا المفكر الإسلامي مميزة بارزة بكل خصائصها.. فهو يحدثنا عن جانب من الغزو الفكري والنفسي يمثل في الواقع اثنين من أهم الأخطار التي تثيرها حركة التغريب.

❏ فالقوانين الوضعية التي فرضها الاستعمار لتكون البديل لشريعة اللَّه، قد أحدثت ثغرة هائلة في حصن المجتمع الإسلامي، إذ جرته بالقسر إلى الاحتكام لغير المبادئ التي ميز اللَّه بها أمة القرآن، وما هي سوى خطوة بعد خطوة حتى ألفت هذا الانحراف، وجاء حكامها الجدد من تلاميذ ذلك الاستعمار، فكانوا به أشد تشبثًا من الذين فرضوه، وكان لذلك التحول آثاره البعيدة في تغيير الصبغة الربانية الخاصة بأهل الإسلام. والويل لكل من يتصدى للمطالبة بالتحرر من تلك القوانين الهدامة؛ لأن أمامه ألوان البلاء التي بعضها. ولعل أهونها الموت..

وليس من باب الصدف أن يرافق قوانين الجاهلية ذيوع الدعوة إلى الاتحاد القومي، الذي بدأ على أساس الجنسية العربية، ثم ما لبث أن تحول إلى أنواع من الروابط الفرعية، فرعونية وفينيقية وإقليمية فقُطْرية، ومن ثم إلى فرق محلية تبعث موات العصبيات البلدية والقبلية في تقاليع من (الفولكلور) والعادات التي عفى عليها الإسلام..

❏ وهكذا تلاقى الخطران القانوني والعصبي على تفكيك وحدة العالم

الإسلامي، ليسهل القضاء على طاقاته كلاً على حدة، ولينفسح المجال أمام القومية اليهودية، التي ما كان لها أن تقوم لو بقي للعالم الإسلامي، - وفي قلبه الشعوب العربية - تماسكه الذي فرضه الإسلام منذ حدد اللّه هويته بقوله الحكيم في القرآن العظيم ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾..

ومن هنا انطلقت سيول الأفكار الهدامة على ديار الإسلام، وزاد طغيانها إلقاء المسلمين أفلاذ أكبادهم إلى أيدي الصليبية والصهيونية والماركسية تصنع منها الركائز التي تدعم حضورها في صميم وجودهم.

وسرعان ما تفجرت هذه الألغام مولدة ما لا حصر له من الشعارات المعمِّقة للفرقة، والمتناولة لكل شيء من حياة المسملين، حتى لتضع لكل إقليم من عالم الإسلام، بل من الأقطار العربية نفسها، مصطلحاتها الخاصة المتمايزة، في التعليم والقانون والتاريخ والتربية، وما إلى ذلك من شئون لا غاية لها في النهايات البعيدة سوى القضاء التام على وشائج القربى في عالم الإسلام..

ويلاحظ القارئ أن الأستاذ الجندي لا يلقي الكلام على عواهنه، بل يقدم أفكاره واستنباطه في إطار من الوقائع المنظورة، ومؤيدة بشهادات المنصفين من المستشرقين الذي هُدوا إلى الحقيقة المحررة.. فنشعر أنه موضوعي الرؤية، وأنه على اتصال بحركة الفكر العالمي..

وما أشك أن هذه الخاصة الواعية الواسعة هي التي دعت المفكر الإسلام المغربي الأستاذ عبداللّه كنون إلى ترشيح الأستاذ أنور الجندي لجائزة الملك فيصل الإسلامية.

ولعمري إنه لحقيق بهذه الجائزة التي وضعت لتكريم الفكر الإسلامي المجاهد لإعلاء كلمة اللّه» اهـ.

* **أنور الجندي في مواجهة «حرب الكلمة»:**

في كتابه «المدرسة الإسلامية على طريق اللَّه ومنهج القرآن» تكلم الأستاذ أنور الجندي عن الرواد، وتكلم عن تجربته وعن معركته «حرب الكلمة» التي دافع فيها عن دينه وكان رائداً، فقال ـ رحمه اللَّه ـ:

«بدأت أواجه الخطر في السابعة عشرة عندما ترجم الدكتور عبدالهادي أبوريده كتاب «وجهة الإسلام» الذي ألفه المستشرقون الخمسة (هاملتون جب) وزملاؤه عام ١٩٣٤ حين لخصه الدكتور محمد حسين هيكل في السياسة الأسبوعية وأنا غض الإهاب أتطلع إلى فهم حركة الفكر الإسلامي فهز نفسي هزاً أن وجدت هؤلاء الجماعة يكشفون للمرة الأولى عن هدف مبيت ضد الشرق والإسلام هو تغريب هذه الأمة، وقد قالوا: إنهم إنما يريدون أن يعرفوا إلى أي حد وصلوا في عملية التغريب وما هي الخطط التي تمكنهم من إتمام هذه المؤامرة الخطيرة؟ وقد أخذوا يدرسون العالم الإسلامي من أندونيسا، إلى الهند، إلى البلاد العربية من العراق إلى المغرب، هزني هذا السر الخطير الذي تفجر مرة أخرى بين يدي شاب يخطو خطواته الأولى في مجال الأدب والكتابة والصحافة، وقد ظل السؤال معلقًا في نفسي عشر سنوات كاملة حتى لقيت الرجل الذي أجابني ودلني على الطريق لمواجهة هذا المخطط، كانت رسالة صغيرة ألفها الأستاذ الإمام حسن البنا تحت عنوان «بين الأمس واليوم» أعتقد أنها هي مفتاح هذا العمل كله الذي وجهت إليه نفسي منذ ذلك اليوم إلى اليوم: أربعون عامًا كاملة.

❑ إنها مؤامرة استيعابنا نحن المسلمين في إطار الغرب واحتوائنا في دائرته، فالغرب يريد أن يبسط نفوذه وسلطانه ليتمكن من السيطرة الدائمة على هذه المنطقة التي وصفها نابليون بأنها (القارة الوسطى) هذه التي تبدأ من المغرب وتنتهي في أندونيسيا، وهي متكاملة فأهلها لا يحتاجون إلى شيء من

خارجها، البترول في ناحية والأرض الطيبة في ناحية والمنجنيز في ناحية، والخبرات هنا وهناك وبدأ الاستعمار التجربة الأولى في الحروب الصليبية التي امتدت قرنين كاملين ورغم ذلك فلم يتمكن الغرب من فرض سيطرته على بلاد المسلمين؛ لأن الإسلام كان قويًا وكان المسلمون يؤمنون بالجهاد في سبيل اللَّه، ولكن عندما جاء لويس في الحملة السابعة، كانت الحملة ضد مصر وهزم وأسر في دار ابن لقمان بالمنصورة، فقد درس التجربة أثناء فترة الأسر وقبل أن يفتدي نفسه بالمال ووصل إلى اقتناع كامل بفشل تجربة الحرب العسكرية وإنه لابد من إعلان حرب جديدة هي (حرب الكلمة) التي تستهدف تفريغ نفوذ المسلمين من الإيمان بالجهاد والمقاومة والدفاع عن الذات.

□ لقد وصل لويس إلى أربع نقاط تكون أساسًا للحرب الجديدة وهي:

١ ـ أن تسبق الجيوش التبشيرية الجيوش العسكرية وذلك لزعزعة العقيدة الإسلامية.

٢ ـ الاعتماد على أقليات الشرق في احتلال البلاد الإسلامية.

٣ ـ إقامة دولة أجنبية في قلب المنطقة العربية وهي قديمًا الدول الصليبية والآن الدولة الإسرائيلية.

٤ ـ ضرب الإسلام من الداخل وذلك بضرب المسلمين بعضهم ببعض.

هذه هي النقاط الأربع التي وضعها لويس التاسع أصبحت تحكم علاقة الغرب بالشرق، وفي حرب الكلمة بدءوا بما يسمونه (الاستشراق) وقد بدأ المستشرقون يقرءون القرآن ويترجموه ويدرسون الأحاديث النبوية والتاريخ الإسلامي في محاولة لإيجاد ما يمكن إثارة الشبهات من خلاله، وقد ظهرت من هذا المنطق دعوات البهائية والقاديانية تدعو إلى إنكار الجهاد في سبيل اللَّه وتعتبره جهاد النفس فقط كان هذا في مجال النقطة الأولى التي أعدها لويس، وفي سبيل تحقيق النقطة الثانية وأقصد بها خلق دولة أجنبية في قلب

المنطقة العربية فقد ألف المؤرخ البريطاني (جيبون) كتابه «سقوط الإمبراطورية الرومانية» وحذر بريطانيا أن تقع في نفس تجربة الإمبراطورية الرومانية، وكانت بريطانيا في ذلك الوقت الدولة التي لا تغيب عنها الشمس، فاستمع رئيس الوزراء (بنرمان) إلى هذه النصيحة.

❑ وجمع خمسين مؤرخًا وطلب منهم دراسة هذا الموضوع وكان رأيهم أن الحضارة الغربية تنهار وأن الوارث لهذه الحضارة هو المجتمع الذي يعيش بين آسيا وأفريقيا وهو المجتمع العربي الإسلامي وكان البحث حول العوامل التي تمكن الغرب من تأخر هذه النكبة وكانت الإجابة: «إيجاد حاجز بشري من جنس آخر في المنطقة الفاصلة بين آسيا وأفريقيا» وجاء اليهود وقالوا: نحن هذا الحاجز.

كان هدفهم بهذا الحاجز تأخير النهضة الإسلامية وليس القضاء عليها فالنهضة الإسلامية لن تموت. وكانت خطتهم هي القضاء على الذاتية الإسلامية.

❑ وتكفلت حركة التغريب بهذه المهمة: وكيف استطاعت القوى الغربية أن تعزل هذه الأمة عن منهجها الأصيل. فالإسلام كما أذاعوا دين عبادة يعني أن المساجد مفتوحة أما عند الحديث عن الاقتصاد فيقال: هذا شيء عالمي لا علاقة له بالإسلام وعندما وقعنا تحت سيطرة الاستعمار حطم اقتصادنا الإسلامي وفرض علينا النظام الربوي. وحطم التعليم الإسلامي وأقام بدلاً منه المنهج الغربي العلماني وحطم النظام السياسي: وأقام بدلاً منه النظام الليبرالي، نحن لم تقدم لنا هذه المناهج لنختار منها، ولكنها فرضت علينا فرضًا وحجبت شخصيتنا الإسلامية.

❑ في مصر مثلاً كان (كرومر) قد بقي فيها خمسًا وعشرين سنة، والتجربة في العالم الإسلامي تبدأ من مصر، كرومر هذا قال: لن أخرج من

مصر إلا بعد أن أكون جيلاً مغربًا، وكانوا يسمونه (متفرنجًا) يقبل بنا ويعمل لنا، عقل أجنبي ويد مصرية، وظل كرومر حتى كون هذا الجيل، وكان التعليم هو الخنجر المسموم الذي طُعِنَ به المسلمون، والصحافة هي الخنجر الآخر، وقد بدأ استخدام خنجر التعليم عندما جاءت الإرساليات التبشيرية إلى لبنان بدأت تنشئ نظامين من التعليم: نظام فرنسي ونظام أمريكي. نظام تابع للكاثوليكية ونظام تابع للبروتستانتية، وبدءوا يدعون أولاد المسلمين في المنطقة كلها لدخول الجامعات والمدارس ومنهم بدأت القيادات في العالم الإسلامي كله، وقد نقلت هذه المناهج التي وضعها المبشرون في هذه المدارس بعد ذلك إلى المدارس الوطنية في مصر وفي سوريا وفي العراق وفي المغرب، كان هناك دنلوب في المغرب وكان هناك دنلوب آخر في العراق وهكذا تمضي التجربة متكاملة.

□ هذا التعليم هو الذي بدأ في إعداد التغريب والغزو الفكري الذي جاء بديلاً لعملية الغزو السياسي فهي حرب: الاستشراق هو المصنع ومجموعة المستشرقين جيب وماسنيون، كلها أسماد بدأت في أحضان الكنيسة وكانوا يبحثون عن الشبهات.

يأتون بالنص فيأخذون بالنص فيأخذون نصفه؛ لأنه ينفعهم ويتركون الباقي، والمستشرق دائمًا يبدأ برأي مسبق حتى يهدم فكرة معينة. فيحجب عن النصوص التي تحقق هذه الفكرة، والكتب الإسلامية مليئة بالمتناقضات؛ لأنها كتبت في عصور مختلفة والخير فيها قليل جداً والكثير كتب في عهود الباطنية والشعوبيين والفلاسفة، والتبشير مرتبط بالتعليم فهو المكان الذي يبيع ما يصنعه المستشرقون وقد بدأ المستشرقون بالبحث في الفكر الوثني القديم، سواء الفكر الغنوصي الشرقي أو الفكر الهندي أو الفارسي المجوسي بالإضافة إلى الفكر اليوناني وبدءوا يجمعون هذه الأشياء ويعيدونها مرة أخرى،

يأخذون الشبهات من كتاب العقد الفريد ويتركون ردوده التي دحضها بها، يأتي مثلاً ماسنيون فيعيش أربعين سنة ليجمع تراث الحلاج حتى يطرحوه مرة أخرى بما يهدم مفهوم التوحيد الخالص عند المسلمين ـ يأتون بعمر الخيام مثلاً ـ رجل له عدة قصائد إسلامية وفي مدح اللّه تبارك وتعالى فينسبون إليه الشعر الوثني الخاص بالخمر والموجود في الأدب الفارسي قبل الإسلام. يأتي (فيتز جيرالد) المستشرق الإنجليزي فيجمع هذه القصائد كلها ويطبعها وينسبها إلى عمر الخيام، وكلهم يعرفون أن عمر الخيام كان عالمًا فلكيًّا ضخمًا ولكنهم وضعوه في خانة تحسين الخمر وجمعوا لها كل أعلام الشعر ليترجموه إلى العربية: والصافي النجعي، الزهادي، أحمد.

﴿ ٢ ﴾

◻ يعيش الغرب بالنسبة للإسلام مؤامرة اسمها (مؤامرة الصمت) ذلك أننا نحن الذين قدمنا لهم المنهج التجريبي الذي بنى الحضارة الحديثة، وكانوا من قبل موغلون في الرهبانية، ومنهج اليونان التأملي الذي لم يعرف الاستقراء.

فالاستقراء هو عمل المسلمين. نحن الذين أنشأنا هذا المنهج من القرآن الكريم ﴿**قل هاتوا برهانكم**﴾ البرهان مبدأ التجربة والعالم كله كان يعيش قبل الإسلام على مفهوم نظري، ولكن الإسلام هو الذي نقل البشرية إلى المنهج التجريبي والعلم والحضارة. الرجل الأبيض يستعلي وينكر فضل المسلمين ويدعي أنه هو صانع الحضارة.

◻ إن موقفنا من الرجل الأبيض هو نفس موقفنا من المسيحية واليهودية موقف كريم. لا يهاجم ولا يدمر ولا يحطم، ونحن لا نستعمل نفس الأساليب التي يستعملونها. إنما نحن نكشف بوضوح لبني قومنا ولأهلنا عن حقيقة الأمور، عن تاريخنا ومنهجنا في الحياة. نحن أنشأنا حضارة كبرى ولنا

تراث وعندما نعرف حقيقة أنفسنا يزول الوهم الموجود في بعض النفوس بعظمة الرجل الأبيض، والغريب أن المناهج الدراسية في المدارس على طول العالم الإسلامي وعرضه لا تدرس بطولاتنا ولكنها تدرس نابليون وبسمارك. الطبيب عندنا في كلية الطب هل تعرف أن عبدالكريم الزهراوي كان يجري الجراحات في المخ منذ سبعمائة سنة. لا نعرف ولكن نظن أن جراحات المخ حديثة صنعها الغربيون. البنج كان اسمه المرقد عرفه المسلمون وكانوا يستعملونه.

هل يعرف الطبيب الشاب المسلم أن أجداده هم الذين وضعوا علم الطب الحديث ووصلوا فيه إلى هذا الحد. إلى سنوات قليلة كان كتاب الشفاء لابن سينا لا يزال يدرس في جامعات أوربا. هل يعرف أبناؤنا في كليات التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية أن ابن خلدون هو الذي وضع هذا المنهج مثلاً. هل يعرف أبناؤنا في الفلك وفي الجغرافيا أن ٨٠ في المائة من أسماء النجوم لا تزال عربية في قواميس الغربيين، وأن العرب هم الذين سموها هذه الأسماء. هل يعرف أبناؤنا أن أحمد بن ماجد هو الذي وضع أساس علم البحار وهو من أبناء الخليج.

كل هذا موجود وكل هذا من عملنا نحن، ولكن أبناءنا لا يعرفونه فلماذا يرتفع شأن الرجل الأبيض في نظر أبنائنا.

﴿ ٣ ﴾

□ نحن منبهرون بالغرب. هذه قضية حقيقية، ولكن كيف بدأت. المؤكد أنها بدأت من التعليم والصحافة. التعليم هو الذي حجب أمجادنا وأظهر لنا أسماء الغرب، فالعلوم كلها مناهجها بدأت إسلامية وأبناؤنا لا يعرفون شيئًا عن الطابق الأول الذي قامت عله بناء الحضارة وقد ظهرت أصوات الآن كجارودي وغيره يعترف لنا بهذا الفضل، غير أننا بصفة عامة

موضوعين كتلاميذ للفكر الغربي في هذه المجالات فلا بد من تصحيح ذلك. وهذه الخطوة هي المنطلق الوحيد لكسر عملية الانبهار بالغرب وكسر التصور بأن الرجل الغربي أو الرجل الأبيض هو صانع الحضارة مطلوب أن يقدم لنا التعليم (مقدمات المناهج) لماذا لا تقدم الدراسات الجامعية والمدرسية أصول العلوم الحديثة والدور الذي قام به المسلمون والعرب ونحن نعترف بأن الغرب أخذ منا أمورًا بسيطة وزاد فيها وعليها لكنه أخذ الفكر وترك العقائد. أي أنه لم يأخذ منهجنا كاملاً. إنما أخذ العلوم وحركها في داخل دائرته: الدائرة الغربية التي تقوم على ثلاثة عناصر:

◘ الفكر اليوناني الوثني والقانون الروماني والمسيحية الغربية، وليست المسيحية المنزلة؛ ولذلك اتجهت الحضارة الغربية اتجاهًا آخر فلو أخذت بمفهوم الإسلام لاستمرت على الطريق الصحيح، ولكن الحضارة الغربية كما يقول جارودي فقدت البعد الإلهي، وهذا هو سر انحرافها الآن، لابد أن نكشف لأبنائنا هاتين الحقيقتين: حقيقة أن لنا دورًا أساسيًّا في هذه العلوم التي تدرس الآن في الجامعات، والثاني هو أن الغرب عندما أخذ حضارتنا أخذ العلوم وترك الثقافات.

◘ المسألة الثالثة: أنه في كل قضية يقال الفكر الغربي قال كذا والفكر الماركسي قال كذا ولكن أين الفكر الإسلامي، ألسنا بلاد المسلمين، لماذا تثار في بلادنا المناهج والمفاهيم الغربية والماركسية وتختفي الوجهة الأصلية: يجب على الأقل إن لم يكن الفكر الإسلامي هو السائد المسيطر في هذه المرحلة، أن يكون له صوت بجوار الأصوات ولا بد أن يكون الفكر الإسلامي هو الأصل، فالفكر الغربي فكر مادي والفكر الماركسي فكر اقتصادي ومنكر للَّه تبارك وتعالى، أما الفكر الإسلامي ففكر متكامل رباني الوجهة وواسع الأفق، مرن الأطر، قادر على الجمع بين الروح والمادة فلا بد أن تكون نظرته أصدق

وأمتن وأعمق.

☐ نريد أن نربي الثقة في شبابنا بالإيمان بهذه الأمة وبقيم هذه الأمة وبعظمة تاريخ هذه الأمة، إنهم يستهدفون تاريخنا وعقائدنا وتراثنا لنظل هكذا خاضعين للمثل الأعلى الغربية.

☐ الغزو الفكري عندما بدأ اصطنع أناسًا من بني جلدتنا ويتسمون بأسمائنا ليقوموا بهذا الدور وأخطر ما في ذلك عملية الابتعاث التي تسافر إلى الغرب، هذه البعثات محكمة الحلقات إلا ما عصم اللَّه، مثل أساتذتنا الكبار الذين سافروا وكانوا على خلفية إسلامية قوية فلم يستطع الغرب أن يغربهم (عبدالعزيز جاويش ويحيى الدرويري ومالك بن نبي)، ولكن عندما يكون أبناؤنا في حالة ضعف إسلامي ويذهبون إلى الغرب، هناك يسهل التغرير بهم تحت اسم التقدم ومعطيات البريق، والأماني الواسعة، ومن ثم يصنعون جيلاً مغربًا في داخل بلادنا، هذه العملية تحتاج إلى وقفة ويجب أن يكشف عنها بصراحة وقوة؛ لأن الاستشراق اليوم اختفى وراء هؤلاء، إن بني جلدتنا اليوم هم الذين يحاربوننا، ولكنا نحن نعرف أنهم غلمان المستشرقين وتلاميذهم والمخطط أكبر منهم وهم أدوات فيه، هذا يدعونا إلى أن نتيقظ إلى ما يراد بنا ونواجه ذلك.

☐ لقد بدأنا نستيقظ ونعرف المؤامرة المحيطة بنا وربما كل ما نقوله الآن لم تكن الأجيال التي سبقتنا في الثلاثينات تعرف عنه شيئًا فمثلاً بعد قيام إسرائيل ظهرت حقائق كثيرة مخبأة، وأصبح مسموحًا بالحديث عنها، مخططات بروتوكولات صهيون مثلاً أول من كتب عنها بعد هزيمتنا في فلسطين، ولكن البروتوكولات وضعت ١٩٢٠ كان هناك تكتم شديد حتى لا يعرف العرب والمسلمون عنها شيئًا إلا بعد أن انتهت الغزوة الصهيونية إلى احتلال فلسطين، لقد اتضحت حقائق كثيرة، وعرف المسلمون الآن من أين

يضربون وهذه مقدمة للمرحلة التي نتطلع إليها لأننا نمر الآن بمرحلة إعداد المنهج الإسلامي وتقنين الشريعة الإسلامية بحيث تصبح لها صفة القانون بعد أن كانت مادة عامة في الكتب الإسلامية»[١] اهـ.

*** أنور الجندي يعيد تقييم الرجال وفق ميزان الإسلام:**

رحم اللَّه أنور الجندي البطل الفذّ فقد تصدى للمحافظة على الهوية الإسلامية في زمننا هذا وجيلنا هذا.. جيل المدارس المفرّغ من كل أصول ثقافة أمته، وانتصب لوصف هذا التدمير الذي يشترك في جريمته مثقفون كثيرون أو متعالمون في الأدب وفي الاجتماع وفي الفلسفة.. كل منهم ينفث السم ويفسد العقول ويمسخ في نفوس الناس كل قيم الإسلام.

يقول ـ رحمه اللَّه ـ: «ومن ثم فإن (العودة إلى المنابع) هي صلب دعوة مدرسة الأصالة منذ أحمد بن حنبل حتى صاغها ابن تيمية وابن القيم في منهج أصيل، هذا المنهج لم يتوقف عن أن يحمله المجاهدون الأبرار جيلاً بعد جيل فلم يخل منه جيل»[٢].

لقد سقطت كل المسلمات الباطلة التي جاهد التغريبيون في طرحها في أفق الإسلام وعاشوا حياتهم يبثونها ويرددونها ويخدعون الناس بها، فقد تكشّف باطلهم وزيفهم وعرف المسلمون أنهم كانوا مضللين وأن هؤلاء القادة الرواد الشوامخ كانوا غاشين لأمتهم خادعين لها لا يقولون لها الحق ولا يدلونها على الخير»[٣].

---

(١) «المدرسة الإسلامية على طريق اللَّه ومنهج القرآن» لأنور الجندي (ص٢٥٦ ـ ٢٦٣) ـ دار الاعتصام.

(٢) «جيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام» لأنور الجندي (ص٢٦) ـ دار الاعتصام.

(٣) المصدر السابق (ص٢٨).

◻ لقد كان لكل منهم مهمة في هدم هذه الأمة، نعم حمل أتباع التغريب وغلمان المستشرقين لواء تزييف الفكر في كل مجال من مجالاته، حيث سيطر لطفي السيد على الدعوى العامية، أو قاسم أمين لإخراج المرأة من بيتها، أم سعد زغلول لدعوة تعليم اللغة الإنجليزية على حساب العربية، أم طه حسين للدعوة للأدب الفرنسي، أم سلامة موسى للدعوة إلى دارون وفرويد وماركس، أم حسين فوزي للدعوة إلى الموسيقى الصاخبة أم لويس عوض للدعوة إلى الفرعونية أم ساطع الحصري للدعوة إلى القومية العربية أم علي عبدالرازق للدعوة إلى العلمانية.

وزكي نجيب محمود للمادية، وأنيس منصور للوجودية، وإحسان عبدالقدوس للجنس، ويوسف إدريس للماركسية، وتوفيق الحكيم للفكر التلمودي، وصلاح جاهين للعامية، وبهاء وكامل زهيري للمنتوجات الخادعة، والشرقاوي لتزييف تاريخ الإسلام، أم الدعوة إلى التصوف الفلسفي وإحياء الفرق الباطنية كصلاح عبدالصبور.

فكشف زيفهم الأستاذ أنور الجندي وعرّى خبثهم ووضعهم في مكانهم الصحيح حتى لا تُخدع بهم الأمة[1] .

ومن هؤلاء وأبرزهم سعد زغلول وطه حسين.

*** هذا هو سعد زغلول، وهذا قدره:**

◻ قال الأستاذ أنور الجندي:

«دعوة صريحة إلى الكتاب المؤرخين:

انشروا مذكرات سعد زغلول المخطوطة لتكشفوا حقيقة هذه الشخصية الخادعة ولتضعوه في مكانه الصحيح من تاريخ مصر.

---

(١) انظر المصدر السابق (ص٢٧، ٢٨).

إن الحقائق تكشف عن دور سعد زغلول:

أولاً: تجميد اللغة العربية وإتاحة الفرصة للغة الإنجليزية بوزارة المعارف.

ثانيًا: بعث قانون كرومر للمطبوعات لمحاكمة الصحفيين والكتاب والوطنيين.

ثالثًا: التعاون مع الأجانب لإدخال الحضارة الغربية إلى مصر الإسلامية.

*** سعد زغلول:**

كان من أهم الأسئلة في ندوة الاعتصام ما قدمه عدد من الشبان استفساراً عن صحة ما نشر عن تاريخ سعد زغلول من فصول في إحدى الصحف اليومية ومدى تطابق هذا مع واقع التاريخ ومن خلال نظرة إسلامية صحيحة.

ولا ريب أن شخصية سعد زغلول هي واحدة من أكثر شخصيات العمل الوطني في مصر بعد الحرب العالمية الأولى، ولكنه لا يمكن دراستها، ألا يفهم الإطار السياسي الذي بدأ منذ أن احتلت بريطانيا مصر وواجهت الحركة الوطنية التي قاومت النفوذ الأجنبي بقيادة مصطفى كامل ومحمد فريد وعدد من المجاهدين الذين عملت القوة البريطانية على تصفيتهم وتقديم جيل جديد من أصحاب الولاء للنفوذ البريطاني وفي مقدمة هؤلاء أحمد لطفي السيد وسعد زغلول وعبدالعزيز فهمي.

هذه المرحلة السابقة لظهور هيئة الوفد المصري التي قادها سعد زغلول لها أهميتها في الكشف عن الدور الذي قام به سعد زغلول في معارضة الحركة الوطنية وكبح جماحها، وتقديم رجالها للمحاكمة كما فعل مع قديس

الوطنية محمد فريد إبان توليه منصب وزير الحقانية، وكذلك دور في تجميد اللغة العربية وهو وزير للمعارف وإتاحة الفرصة للغة الإنجليزية، وكذلك دوره في إعادة بعث قانون المطبوعات القديم الذي كان كرومر قد أجازه، ثم أوقفه وذلك لمحاكمة الكتاب والصحفيين الوطنين والحكم بأقسى العقوبات، هذه الصفحة لسعد زغلول يجب أن تعرف قبل أن يقدم على المسرح كزعيم وطني بعد الحرب العالمية الأولى.

ولقد اختلفت حول سعد زغلول كتابات المؤرخين والباحثين، فوضعه كتاب الوفد وأصحاب الولاء لحزبه موضع القداسة (وفي مقدمة هؤلاء الأستاذ العقاد) وكشف عن حقيقته مؤرخو الحزب الوطني (وفي مقدمة هؤلاء الأستاذ عبدالرحمن الرافعي) وجاءت كتابات كثيرة بعد ذلك لتصنع سعد زغلول في حجمه الصحيح، وكان في مقدمة ذلك تلك الدعوة الصريحة الموجهة إلى المؤرخين والكتاب والباحثين أن ينشروا مذكرات سعد زغلول التي كتبها بخط يده فإنها هي وحدها القادرة على أن تقدم للناس بغير ولاء ولا خصومة حقائق هذه الشخصية ودورها وعملها وحقيقتها من خلال كتابات صاحب المذكرات نفسه، تلك التي كتبها بكل حريته وإرادته خلال فترة تزيد على ثلاثين عامًا من أكتوبر ١٨٩٧ إلى ١٩٢٦، وتضم مراحل عضوية الجمعية التشريعية أو توليه الوزارة وفترة المنفى وفترة رئاسة الوزارة وتضم ثلاثًا وخمسين كراسة فقد كان يسجل الأحداث يومًا بعد يوم عقب وقوعها مباشرة.

*** تكشف هذه المذكرات عن أشياء كثيرة أهمها:**

أولاً: علاقة سعد بالإنجليز:

☐ يقول عن اللورد كرومر: «كان يجلس معي الساعة والساعتين ويحدثني في مسائل شتى كي تنور منها في حياتي السياسية (مذكرات سعد

زغلول كراس ٢٨ ص١٥١٦) والمعروف أن كرومر في تقاريره السنوية كان حريصًا على أن يذكر أنه يعد جيلاً جديدًا من الشباب المصري المتفرنج الذي يعجب بالغرب ويحرص على التفاهم مع الاستعمار البريطاني وقبول العمل معهم.

□ ومن هنا كان صلة كرومر بسعد زغلول عن طريق صهره (مصطفى فهمي) الذي كان أول رئيس وزراء بعد الاحتلال، والذي قضى في الحكم ثلاثة عشر عامًا، وكان أثير الإنجليز محبوبًا عندهم، وقد أصهر إليه سعد زغلول فأعد نفسه ليكون أول وزير مصري. ولعل من الحقائق العجيبة أن اللورد كرومر عام ١٩٠٧ أعلن أنه يترك مصر مستريحًا؛ لأنه أقام فعلاً القاعدة الأساسية لاستدامة الاحتلال وكان في هذا العام قد ألف حزب الأمة، وأصبح لطفي السيد هو حامل لواء (الجريدة) وسعد ناظرًا للمعارف، وقد سخر كرومر في خطبة الوداع التي أقامها له رجال حزب الأمة من أولياء النفوذ الأجنبي من المصريين جميعًا، ولم يمدح في خطابه إلا رجلاً واحدًا: هو سعد زغلول.

□ ومن هنا نجد سعد زغلول يكتب في مذكراته أثر استعفاء كرومر من منصبه في ١٩٠٧/٤/١١ وكان يجلس معه كل من حسن باشا عاصم ومحمود شكري عندم تلقوا خبر الاستعفاء فقال: أما أنا فكنت كمن تقع ضربة شديدة على رأسه أو كمن وخز بآلة حادة فلم يشعر بألمها لشدة هولها (كراس ٦ص٢٤٠). وكتب في موضع آخر يقول: «قد امتلأ رأسي أوهامًا وقلبي خفقانًا وصدري ضيقًا» (كراس ٦/ ٢٤٦).

□ ويقول لورد كرومر في تقريره السنوي عن تعيين سعد زغلول ناظرًا للمعارف «لم يكن السبب الرئيسي في تعيينه كما يظن أحيانًا أنه استثناء من الحالة التي كانت تسير عليها مصلحة المعارف العمومية فلا زالت قاصرة في

أن توفر أية بادرة لتغير جذري في السياسة التعليمية، إنه يرجع أساسًا إلى الرغبة في ضم رجل قادر ومصري مستنير من تلك الطائفة الخاصة من المجتمع المعنية بالإصلاح في مصر».

□ وقال كرومر: «كما أن سعد من تلاميذ محمد عبده وأتباعه الذين أطلق عليهم (جيروند) الحركة الوطنية المصرية، والذي كان برنامجهم تشجيع التعاون مع الأجانب لادخال الحضارة الغربية إلى مصر، الأمل الذي جعل كرومر يحصر فيهم أمله الوحيد في قيام الوطنية المصرية.

وكان سعد في مقدمة الداعين لإقامة حفل لتوديع اللورد كرومر وكتب في مذكراته يعلن ضيقه بالذين انتقدوا كرومر عقب استعفائه وقال: إن صفاته قد اتفق الكل على كمالها (كراس٦/ ٢٤٥) وأشار إلى علاقة غورست خليفة كرومر به وأنه لما زاره قام فأوصله إلى باب حديقة دار الوكالة البريطانية.

ثانيًا: أخلاقيات سعد:

سعد زغلول زعيم مصر المقامر وكم ذا بمصر من المبكيات:

وتكشف المذكرات أخلاقيات سعد ومواقفه المتعددة من الحياة الاجتماعية: وأبرز هذه الجوانب علاقته بالقمار وقد كتب فيها طويلاً فقال في (كراس ٢٦ ـ ص٢٩٠) «كنت أتردد بعد عودتي من أوربا على الكلوب (أي نادي محمد علي) إلى لعب الورق، ويظهر أن هذا الميل كان بداية المرض فإني لم أقدر بعد ذلك أن أمنع نفسي من التردد على النادي ومن اللعب وبعد أن كان بقليل أصبح بكثير من النقود وخسرت فيه مبلغًا طائلاً.

وقد بدأ ذلك حوالي ١٩٠١ فقد كتب في أبريل ١٩١٣ يقول: كنت قبل ١٢ سنة أكره القمار وأحتقر المقامرين وأرى أن اللهو من سفه الأحلام واللاعبين من المجانين ثم رأيت نفسي لعبت وتهورت في اللعب وأتى عليَّ زمان لم أشتغل إلا به ولم أفكر إلا فيه ولم أعمل إلا له ولم أعاشر إلا أهله

حتى خسرت فيه صحة وقوة ومالاً وثروة (مذكرات سعد ـ كراس ٣/ ١٢٩).

☐ وكتب خلال زيارته لأوربا صيف ١٩٠٨ (أفطر مع الست والباشا (أي مصطفى فهمي) وحسين (ابن محمود صدقي) في الساعة تسعة وبعد أن نتمشى مع الباشا قليلاً نعود إلى البيت لنلعب البوكر مع الست وحسين إلى الساعة ثمانية ونتمشى قليلاً، ثم لنلعب البوكر إلى الساعة ١١ مساء وقد أنفعل أثناء اللعب عند الخسارة وصادف أن الزهر كان يعاكس وكان زهر حسين سعيدًا ولكن مع ذلك كسبت ولم أخسر غير أن خسارتي كانت من طريقين: طريقي وطريق الست (كراس ١٣٠٠ ـ ١٣٠١ ص٢٤).

☐ ويتساءل سعد عن الأسباب التي دفعته إلى المقامرة فيكتب ما يلي:

أريد أن أعرف ما أريد حتى أتمكن من معالجة نفسي من هذا الداء، هل أريد بسطة في الرزق، إنه يقبضه في الكثير الغالب، هل أريد سعة الجاه، إنه يضيقه بما يخط من القدر في نفوس الناس هل أريد تناسي آلام تتردد على النفس عند خلوها من الشغل وهو كثير، لا أشعر بهذه الآلام، ويقول: ما كنت أصغي لنصائح زوجتي ولا أرق لتألمها من حالتي ولا أرعوي عن نفسي، وأشار إلى توباته المتعددة، وعودته عنها فيقول: وقد يخيل لي أن كتابة هذه الخواطر وتسجيل هذه الواردات مما يساعد على الاستمرار في ارتكاب هذا الإثم، كأن النفس تجسد في هذه الاعترافات المكتوبة والاشمئزازات المرسومة، فضيلة تكفها عن الإنصاف بها وعن الإقلاع عن نفس الرذيلة أو أن الاعتراف كفارة عن الذنب والجريمة المرتكبة ترجيحًا.

ويقول: إني أوصي كل من يعيش بعدي ممن لهم شأن في شأني أني إذا مت من غير أن أترك اللعب أن لا يحتفلوا بجنازتي ولا يحدوا علي ولا يجلسوا لقبول تعزية ولا يدفنوني بين أهلي وأقاربي وأصهاري، بل بعيدًا عنهم وأن ينشروا على الناس ما كتبته في اللعب حتى يروا حالة من تمكنت

في نفسه هذه الرذيلة وبئست العاقبة. الكراسة ٢٨ ص١٥٧١):

وتفيض مذكرات سعد زغلول بالتفاصيل المسهبة التي تبين مدى سيطرة هذه الغواية عليه ومحاولة الإقلاع عنها وللتخلص منها وعودته إليها المرة بعد المرة فقد وردت تفاصيل إضافية في الكراسات ٣ و٢٨ و٢٩ و٣٠ في اثني عشر موضعًا من هذه الكراسات.

وقد أشارت المذكرات بوضوح إلى أثر القمار في حياة سعد وخاصة حياته الاقتصادية كما يشير إلى ذلك الدكتور (عبدالخالق لاشين) فقد وقع سعد الذي اقتنى الضياع الواسعة تحت طائلة ديون كثيرة مما دفعه عام ١٩١٠ إلى أن يبيع الضيعة التي اشتراها بناحية قرطسا (بحيرة) لقاء اثني عشر ألف جنيه يقول: «بعت هذه الأطيان وذهب كل ثمنها أدراج الرياح فلم أستفد منه فائدة»، كما باع الضيعة الأخرى بدسونس ومطوبس عام ١٩١٨ بمبلغ ١٦ ألف جنيه وضاعت كل إيرادت سعد في مدة عامين وكانت ٢٠٠٠ جنيه مرتب الناظر (الوزير) و١٥٠٠ جنيه إيجارات باقي أطيانه وأصبح مدينًا بمبلغ ٦٥٥٠ جنيهًا وبذلك بدد سعد الكثير من ممتلكاته، يقول في مذكراته (٢٥ مارس ١٩١٢):

أصبحت منقبض الصدر، ضائق الذرع، ولم أنم ليلي بل بت طوله ساهرًا تساورني الهموم والأحزان وأتنفس الصعداء على فرط مني من اللعب وضياع الأموال التي جمعتها بكد العمل وعرق الجبين وسيرورتي إلى حال سيئة.

وهكذا أجهز القمار على ثروته التي كونها من المحاماة وكانت لا تقل عن ٤٠٠ فدان و١٨ ألف جنيه فضلاً عما ورثه من صهره مصطفى فهمي: الذي كان يملك ٦٤٨ فدانًا و٨٦٠٠ جنيه وألف أردب قمح وألفي جنيه مواشي وكانت صفية زغلول التي أطلق عليها أم المصريين واحدة من ثلاث

بنات خلفها مصطفى فهمي جلاد شعب مصر ثلاثة عشر عامًا.

❑ وبعد فهل هذا وحده ما تكشفه مذكرات سعد زغلول التي نطالب بطبعها وإذاعتها لترسم صورة حقيقية لهذه الزعامة التي اختلف فيها الرأي فرفعها بالهوى والصداقة والولاء السياسي إلى مكان آخر، وما نريد أن نظلم أحدًا ولكنا نطالب بالكشف عن الحقائق عن طريق الوثائق وما يمكن أن توجد وثيقة أشد صدقًا من مذكرات كتبها الرجل عن نفسه.

ومن خلال المذكرات سوف تتكشف أشياء كثيرة خطيرة ومثيرة[1].

* **سعد زغلول رأس المدرسة الحزبية في مصر:**

«ظل الناس وقتًا طويلاً يظنون أن سعد زغلول زعيم وطني، وذلك تحت تأثير التهريج السياسي. والأوهام التي صنعتها الصحف الحزبية وأيدها تجار الوطنية منذ عام ١٩٢٠ حتى اليوم. فلما انقسمت الحزبية وأخذت تتصارع وفقدت عند الناس مظهرها وأمطر الزعماء على بعضهم البعض وابلاً من الاتهامات تكشفت الحقائق.

كان الناس يظنون أن سعدًا قديس وقد كذبتهم حقائق التاريخ فسعد رأس المدرسة التي جاءت بعد ثورة ١٩١٩، هو الثمرة الأولى لحزب الأمة الذي صنعه اللورد كرومر عام ١٩٠٨ ليحارب بها الحركة الوطنية التي كانت ممثله إذ ذاك في جهاد الحزب الوطني مصطفى كامل ومحمد فريد وقد أعلن حزب الأمة منذ اليوم الأول أنه يقبل الالتقاء بالإنجليز في منتصف الطريق.

وليس صحيحًا ما يقال من أن سعد وشعراوي وعبدالعزيز فهمي هم الذين وضعوا بذور الثورة. فلم يكن من المعقول أن لقاء هؤلاء بالمندوب البريطاني هو العامل الرئيسي في اندلاع ثورة ضخمة جليلة الخطر كالثورة

(١) المصدر السابق (ص١٠٧ ـ ١١٢).

المصرية عام ١٩١٩ ولا تقوم الثورات نتيجة لمثل هذه المقابلات، وإنما تقوم نتيجة لتوجيه دائب طويل المدى يتغلغل في نفوس الأمة زمنًا طويلاً حتى يأتي اليوم الذي ينفثئ فيه هذا الشعور وينفجر بصرف النظر عن الأشخاص.

▫ وقد سمي ذلك اليوم المهين الذي قابل فيه الزعماء الثلاثة المندوب البريطاني بعيد الجهاد (١٣ نوفمبر ١٩١٨) ولو أننا قرأنا المضبطة الرسمية للحديث الذي دار في ذلك لخجلنا حتى من مجرد ذكره».

▫ في ذلك اليوم قال سعد للمندوب البريطاني هذه العبارات بالنص: «متى ساعدتنا إنجلترا على استقلالنا التام فإننا نعطيها ضمانة معقولة على عدم تمكن أين دولة من استقلالنا والمساس بمصلحة إنجلترا. فنعطيها ضمانًا في طريقها للهند. هي قناة السويس بأن نجعل لها دون غيرها حق احتلالها على الاقتضاء. بل نحالفها ونقدم لها ما تستلزمه المحالفه من الجنود».

وفي حديث سعد ثلاث هنات: تسليم قناة السويس. وقبول الاحتلال. والموافقة على الدفاع المشترك.

وإذا كان ما قيل من أن كرومر خلال وجوده في مصر كان يهدف إلى إعداد مصريين ليحكموا مصر باسم بريطانيا فهذا يعني أن هذا الهدف قد تحقق إلى أبعد مدى في اختيار سعد زغلول.

ونستطيع أن نرجع إلى تاريخ سعد زغلول قبل ثورة ١٩١٩ وقبل الحرب العالمية الأولى فنراه واضحًا لا غموض فيه فقد عاصر حركة عرابي وهي أكبر حركة شعبية في عصره فلم يعرف له فيها دور واضح. وعندما قام مصطفى كامل بحركته وقف في صفوف حزب الأمة وحارب الحزب الوطني الفتي. وعندما صاهر مصطفى فهمي صديق الإنجليز الوحيد في مصر، والوزير الذي حكم مصر اثني عشر عامًا متوالية كان إنما يريد أن يؤهل نفسه لمناصب الوزراء.

□ تولى مصطفى فهمي وزارة الاستسلام المطلق للإنجليز من نوفمبر ١٨٨٥ إلى نوفمبر ١٩٠٨ وفي خلال حكمه باع البواخر المصرية بأبخس الأثمان إلى شركة (ألن والدرسن) وعددها ١١ باخرة قدرت بمبلغ ثلاثة ملايين جنيه ونصف مليون وقد باعها الوزير الشريف بمبلغ ١٥٠ ألف جنيه.

□ وقال مصطفى فهمي: إننا مدينون لإنجلترا بثروتنا وسعادتنا وهنائنا.

وفي عهده وقعت اتفاقية السودان. وأنشئ حزب الأمة. واحتفل بوداع كرومر.

وقد عين مصطفى فهمي صهره سعد زغلول وزيرًا فماذا فعل سعد زغلول؟ انسحب من لجنة مشروع الجامعة عقب هذا التعيين وكان نائبًا للرئيس وتبين أن انسحابه كان تحقيقًا لرغبة الاحتلال لكي يحبط المشروع. وقد أصاب المشروع الفتور فعلاً بعد أن تركه سعد.

□ قال مصطفى كامل: كيف يهتم سعد المستشار بالاستئناف بمشروع علمي ثم ينسحب منه بعد أن يصبح وزيراً للمعارف.

واتجه سعد إلى إنشاء الكتاتيب بعد أن جمد مشروع الجامعة. وطلبت الجمعية العمومية جعل التعليم في المدارس الأميرية باللغة العربية فاعترض وزير المعارف على هذا الاقتراح وقال بالنص:

«إننا إذا فعلنا ذلك أسأنا إلى بلادنا وإلى أنفسنا إساءة كبرى».

وقد كانت صدمة زغلول أن رفضت الجمعية العمومية اقتراحاته وأقرت المشروع بالأغلبية العظمى ودافع سعد مع الأسف عن سياسه الاحتلال في التعليم.

□ كتب مصطفى كامل يقول: إن الناس قد فهموا الآن بأوضح مما كانوا يفهمون من قبل لماذا اختار لورد كرومر لوزارة المعارف صهر رئيس الوزارة الأمين على وحيه، الخادم لسياسته.

☐ وعندما احتفل بتوديع كرومر طعن المصريين ولم يعلن تقديره إلا لسعد وقالوا: إن سعد زغلول قاوم دنلوب وقيل في الرد على ذلك: أنه فعل ذلك ليكون أشد على مصر من دنلوب وأخلص منه لرغبات الإنجليز.

وإن كان سعد قد اصطدم بدنلوب ـ وهو ما لم يحدث ـ فإنما فعل ذلك لاعتداده بشخصيته وليس لمصلحة مصر. ولم يعرف عنه أنه اختلف معه في أمر من أمور الوطن.

وعندما قام فريد بالدعوة إلى المطالبة بالدستور وأجمعت الأمة عليه، صرح سعد زغلول بأن مصر لا تصلح للحكم النيابي.

وعندما عين وزيراً للعدل سن قانونًا بإحالة تهم الصحافة إلى محاكم الجنايات وفي عهده ١٩١١ حوكم محمد فريد بإيعاز منه وحكم عليه بالحبس ستة شهور كما حوكم عبدالعزيز جاويش. وأغلقت صحف الحزب الوطني واحدة بعد أخرى.

وقد اشترك في وزارات مصطفى فهمي وبطرس غالي ووافق على اتفاقية السودان.

☐ نفى الإنجليز جميع زعماء الحزب الوطني إلى الخارج واندلعت الحرب، وأعلنت الحماية على مصر، فكان سعد زغلول أول من استقبل مندوب الحماية وأدلى إلى «المقطم» الأغرّ! بحديث قال فيه: أنه استبشر خيراً بمقدمه.

وتولى سعد زعامة الأمة اعتباطًا»[1] .

☐ سعد زغلول هو صاحب المطالبة بمد عقد امتياز شركة قناة السويس للقنال أربعين عامًا بعد موعد نهاية عقدها أي من ١٩٦٨ إلى عام ٢٠٠٨م

(١) المصدر السابق (ص١١٢ ـ ١١٦).

وذلك عندما وقف في الجمعية التشريعية يوم ٩ فبراير سنة ١٩١٠ يطالب بذلك وهو وزير في وزارة بطرس غالي باشا الذي كان يوافق سعد على ذلك واغتيل بطرس وقال التحقيق إن تأييد المشروع هو سر اغتياله. وفي ٤ أبريل ١٩١٠ عاود الوزير سعد تأييد المشروع ولكن أغلب النواب رفضوا المشروع، وخرجت مظاهرة من خمسة عشر ألفًا من المصريين طافت بشوارع القاهرة رافضة المشروع. ثم أصبح هذا الوزير زعيم مصر بعد ذلك.

❑ يقول جورج لويد في كتابه «مصر منذ عهد كرومر» يصور سعد زغلول «بفضل مجهود اللورد كرومر أُنشئ في مصر في أكتوبر ١٩٠٧ حزب جديد هو حزب الأمة وصحيفة الجريدة.

ثم أكثر أعضاء هذا بعثًا للأمل رجل أصبح اسمه فيما بعد أهم الأسماء في تاريخ مصر الحديثة. ذلك هو سعد زغلول».

تسلم سعد آمال الشعب في وقت خلا فيه عرين الأسد، والأسد هنا بالطبع هو قديس الوطنية والعروبة محمد فريد، تسلم هذه الآمال التي ربّاها مصطفى كامل ومحمد فريد وضحيا في سبيلها بحياتهما وما يملكان، وضعت هذه الآمال الغالية بين يديْ الرجل الذي كان خصم الحركة الوطنية وجلاّدها[1].

❑ سعد زغلول هذا هو الذي ذهب الطلاب إليه في باريس يعلنوه بأن محمد فريد مريض في برلين وفي حاجة إلى الدواء وطلبوا إليه من مال المصريين الذي أرسل إليه ما يعين الزعيم البطل، رفض سعد بشدة وقال: أنه لا يعطي لمجنون[2].

(١) المصدر السابق (ص١١٨).
(٢) المصدر السابق (ص١٢٢).

❑ سعد زغلول هو القائل: «وددت لو أن أجعلها دولة زغلولية لحمًا ودمًا.. مبررًا بذلك تصرفاته في تعيين أهله وأقاربه، وبالرغم من أزهريته، تنكر للدين ودافع عن القوانين الأوروبية[١].

❑ سعد زغلول الذي فصل قضية السودان وجمّدها، ولم يلبث أن صرّح هذا التصريح الخطير «الإنجليز خصوم شرفاء معقولون»[٢].

*** سعد زغلول واللغة العربية:**

لقد دافع سعد زغلول عن التعليم باللغة الإنجليزية وجعلها اللغة الأساسية على أن تصبح اللغة العربية لغة ثانوية.. دافع عن ذلك وهو وزير للمعارف.

وهبّت الجمعية العمومية في مارس ١٩٠٧ مطالبة بالدعوة إلى التعليم باللغة العربية، ودافع الشيخ علي يوسف وألقى خطابًا ضافيًا في هذا الموضوع أمام الجمعية العمومية، وكانت هذه هي وجهة نظر جميع الوطنيين الغيورين، غير أن سعد زغلول ناظر المعارف رد عليهم معارضًا إليهم وكان مما قاله:

إذا فرضنا أن نجعل التعليم من الآن باللغة العربية فإننا نكون قد أسأنا إلى بلادنا وإلى أنفسنا إساءة كبرى؛ لأنه لا يمكن الذين يتعلمون على هذا النحو أن يتوظفوا في الجمارك والبريد والمحاكم المختلطة والمصالح العديدة التابعة للحكومات والشركات والبنوك، وإذا قطعت النظر عن هذا كله صادفتنا صعوبة مادية هي قلة المعلمين الأكفاء الذين يمكنهم تعليم الفنون المختلفة باللغة الوليدة ويستحيل مع وجود هذه الصعوبة الشروع الآن في التعليم باللغة العربية وإذا كنتم مع ذلك توافقون على الاقتراح المقدم لكم عن (تعلم

(١) المصدر السابق (ص١٢٠ ـ ١٢١).
(٢) المصدر السابق (ص١١٩).

العلوم باللغة العربية) كنتم كمن يحاول الصعود إلى السماء بغير سلم!» اهـ.

◻ هذا هي وجهة نظر زعيم الأمة في اللغة العربية فهو يرفض تعلمها ويصر على إيفاد اللغة الإنجليزية هي لغة التعليم في مختلف العلوم (ما عدا اللغة العربية نفسها) وقد رد الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد على افتراءات سعد زغلول فقال:

◻ إن ما فعلته نظارة المعارف من نسخ التعليم باللغة العربية وجعله باللغات الأجنبية لم يكن لحاجة البلاد وليس سببه إقبال الأمة على المدارس التي كانت تعلم باللغات الأجنبية كما تقول ناظر المعارف بل الأولى أن تعلن أن إقبالها على مثل مدارس الجزويت والفرير كان منشؤه ضعف التعليم من حيث هو في مدارس الحكومة، وقد قال ناظر المعارف: إن التعليم في مدارس الحكومة ضعف إلى حد أننا نلتجئ إلى إرسال أبنائنا إلى المدارس الأجنبية.

◻ هذا وقد وافق المجلس على التعليم باللغة العربية، غير أن ناظر المعارف وضع عبارة مآلها إنه لا يمكن تنفيذ المشروع الآن للصعوبات الموجودة ومتى زالت الصعوبات أمكن تنفيذه.

ومما يذكر أن أحمد حشمت عندما تولى وزارة المعارف جعل التعليم في أكثر المدارس باللغة العربية.

هذا وقد هاجمت كبريات الصحف الوطنية سعداً واتجاهه ولم تدافع عنه إلا جريدة الأخبار لصاحبها يوسف الخازن التي كانت تسير في فلك الاستعمار تحت عنوان «اللغة العربية وسعد زغلول» في ١٠ مارس ١٩٠٧.

◻ ويقتضينا الموقف هنا أن نتحدث عن موقف سعد من دنلوب، فقد أثار العقاد وبعض أنصاره أنه عارض دنلوب، وكان يتجاهله وتلك أكذوبه لها طابع زائف، فكيف يمكن أن يعارض سعد دنلوب والذي هو وزير المعارف

الحقيقي وقد اختير سعد عن ولائه للإنجليز الذي هو مصدر الثقة فيه، وإذا كان سعد قد اتخذ موقفًا ما من دنلوب، فإن هذا من المسرحيات الاستعمارية التي تريد أن تعطي أول وزير مصري اختاره كرومر من تلاميذه صورة البطولة والوطنية الكاذبة، وهل من المعقول أنه جاء وزيرًا على غير رغبة المستشار الإنجليزي وأصحاب السلطة الفعلية في البلاد[1].

* **مواقف سعد:**

□ قال الأستاذ أنور الجندي:

«ونستطيع أن نلخص مواقف سعد على النحو التالي:

أولاً: موقفه من المعتمد البريطاني في مقابلة ١٣ نوفمبر وعبارته معروفة (متى ساعدتنا إنجلترا على استقلالنا التام فإننا نعطيها ضمانة معقولة على عدم تمكين أي دولة من استقلالنا والمساس بمصلحة إنجلترا، فنعطيها ضمانة في طريقها إلى الهند وهي قناة السويس ونجعل لها دون غيرها حق احتلالها عند الاقتضاء بل ونحالفها على غيرها ونقدم لها ما تستلزمه هذه المحالفة من الجنود.

وقال سعد: لا نلتجئ لسواك هنا ولا في الخارج إلا لرجال الدولة الإنجليزية.

ثانيًا: موقفه من اللغة العربية في التعليم وهي واضحة تمامًا حتى بعد أن صدر قرار الجمعية العمومية بالموافقة فقد وضع سعد زغلول العقبات دون تنفيذه، وقد هدد سعد المصريين في خطابه بقوله: أن عدم تعلمهم باللغة الإنجليزية سيحول بينهم وبين التوظف في الجمارك والبريد والمحاكم المختلطة وقد أغضب هذا التصريح الوطنيين وحمل عليه الشيخ عبدالعزيز جاويش

---

(١) المصدر السابق (ص١٢٤ ـ ١٢٧).

حملة قاسية تحت عنوان: (ظلموك يا سعد).

ثالثًا: موقفه من تجديد امتياز قناة السويس، وقد كان معروفًا أنه في صف الاستعمار وأن الأمة كلها خرجت تهاجم القرار وتأييد سعد له بل إن الجمعية العمومية رفضته أيضًا.

رابعًا: موقفه من زعيم الأمة محمد فريد، حين رفض معونته وهو في أزمة مرضية في برلين وكانت البلاد قد جمعت لسعد زغلول قبل سفره إلى أوربا بضعة ألوف من الجنيهات.

خامسًا: القائد الحقيقي لثورة ١٩١٩ هو عبدالرحمن فهمي وهي ثورة جاءت وليدة الحركة الوطنية التي قادها مصطفى كامل ومحمد فريد. وقامت بعد سفر سعد زغلول وقد دهش لها حين علم بها.

سادسًا: عين سعد زغلول وزيرًا للمعارف ثمنًا لموقف شقيقه (فتحي زغلول) الذي كان رئيسًا لمحكمة دنشواي، وما كاد يلي وزارة المعارف حتى استقال من عضوية لجنة إنشاء الجامعة الأهلية معتذرًا بأن أعماله ومشاغله تحول بينه وبين استمراره في عضوية اللجنة بينما كانت اللجنة هنا أدخل في عمله كوزير للتعليم منها في عمله كمستشار يفصل في قضايا الناس.

❑ وقد قال مصطفى كامل:

كان سعد زغلول أول وزير رحب المصريون بدخوله الوزارة وكان قد اختير رئيسًا للهيئة التي تألفت لإنشاء الجامعة المصرية الأهلية، وكان لورد كرومر يرى في إنشاء هذه الجامعة ما لا يتفق مع سياسته في أن الغرض من التعليم في مصر هو تخريج موظفين للحكومة لكنه لم يكن يستطيع التصريح بهذه المعارضة من غير أن يجد مسوغًا لتحويل التيار إلى ناحية أخرى لذلك بدأت أبواقه تذيع أن نشر التعليم الأولي بين فئات الشعب أجدى على البلاد

من إنشاء الجامعة وأخذت الحكومة تشجع إنشاء الكتاتيب فلما عين سعد وزيراً للمعارف قيل أن الغرض من تعيينه أن يترك رئاسة مجلس الجامعة إضعافًا لهذا المشروع.

□ وقال عبدالرحمن الرافعي في كتابه «مصطفى كامل» (ص١٠٤): «وقد تبين أن انسحاب «سعد زغلول» من رئاسة اللجنة كان تحقيقًا لرغبة الاحتلال لكي يحبط المشروع وقد أصابه الركود فعلاً بعد انسحابه من اللجنة وخاصة لأن الحكومة خلقت في هذا الحين بإيعاز من الاحتلال حركة إنشاء الكتاتيب».

أما ما ذكره العقاد من أن سعد كان مع حركة اللغة العربية وإنشاء الجامعة فهو دفاع غير مؤيد بسند حقيقي.

سادسًا: انتماء سعد إلى الماسونية:

نشرت المصور (٢٣ سبتمبر سنة ١٩٢٧) تحت عنوان: «الأمة والحكومة تشيعان الفقيد العظيم»: أشارت إلى وفد البنائين الأحرار الماسون في تشييع جنازة الزعيم فقد كان ـ رحمه اللّه ـ قطبًا من أقطاب الماسونية وقالت جريدة المقطم: الجمعة ٢٦ أغسطس ١٩٢٧ في الصفحة الأولى ما يلي:

*** حداد الماسونية على فقيد البلاد الأعظم:**

فقدت الماسونية المصرية بفقد سعد العظيم الخالد عضواً كبيراً وفضلاً كثيرًا وزخرًا وفيراً كانت تعتز بفضله وستقام حفلة جناز ماسونية للفقيد الأعظم يعلن عن موعدها فيما بعد.

وقالت المقطم: إن درجة سعد زغلول في الماسونية ورواد صالون نازلي فاضل في التنظيم الماسوني يفسر لنا نوع الصداقة مع قاسم أمين ويوضح الخط الفكري الذي سار فيه رائد تحرير المرأة وإهدائه كتاب المرأة الجديدة إلى

سعد زغلول.

ونشر المحفل الأكبر الوطني المصري (المقطم ٢٥ أغسطس ١٩٢٧) بيانًا إلى الإخوان الماسون جاء فيه:

لقد ريعت البناية الحرة من الفاجعة الأليمة التي أصابت عشيرة البنائين الأحرار خاصة والأمة المصرية عامة بموت زعيم مصر وواحدها المرحوم المغفور له سعد باشا زغلول الأستاذ الأعظم الفخري إلخ إلخ..

❑ وأشارت المقطم إلى تاريخ سعد زغلول فقالت:

كان سعد زغلول من المتأثرين بتأثير الشيخ محمد عبده، وكان الشيخ أول من لفت نظر اللورد كرومر إليه، وقال: إنه يتفاءل بأن يكون من خير دعاة الإصلاح والتجديد المصريين، وأنه مستعد لأن يعمل مع إنجلترا ولما خطب اللورد كرومر خطبة الوداع في القاهرة ١٩٠٨ قال: «إن زغلول رجل نزيه مقتدر شجاع وأن مجال التقدم أمامه متسع وقد دافع زغلول باشا عن الاقتراح الذي اقترحته بريطانيا لإطالة مدة امتياز قناة السويس فلقي معارضة شديدة دبرها الخديو السابق غير أن زغلول أدى المهمة التي عهد إليه بها بشجاعة وبلاغة».

❑ وقالت المقطم في ١٨ مايو ١٩٢٤: تحت عنوان «أول دليل ماسوني»: شرع داود تغمياس أفندي من واضعي الدليل المصري الكبير بموافقة المحفل الأكبر الوطني المصري بإصدار دليل مفيد يجمع بين دفتيه كل ما يهم الإخوان الماسون وغيرهم معرفته مصدراً برسم ذي الرئاستين الأخ الكلي الاحترام صاحب الدولة سعد باشا زغلول المهدى له الدليل بصفته الرئيس الفخري الأعظم علاوة على رسوم زعماء العشيرة.. إلخ»[1] اهـ.

---

(١) «جيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام» لأنور الجندي (ص١٢٨ ـ ١٣١).

*** الأستاذ أنور الجندي يكشف زيف عميد التغريبيين طه حسين في كتبه «طه حسين: حياته وفكره في ميزان الإسلام» و«محاكمة فكر طه حسين» و(الوجه الآخر لطه حسين.. من مذكرات السيدة سوزان «معك») :**

ولو لم يكن لأنور الجندي من فضل إلا كشفه لزيف المسمى بعميد الأدب العربي (طه حسين) لكفاه. ولقد أحدث كتاب الشيخ أنور الجندي «طه حسين: حياته وفكره في ميزان الإسلام» دويًا عظيمًا في أرجاء الحياة الفكرية والأدبية المعاصرة، وهدم كثيراً من المسلمات التي ألحّ البعض عليها لتقديس طه حسين ووضعه في وضعٍ يستعصي على النقد والتقويم. وجاء كتاب الأستاذ أنور الجندي ليبدّد الهالة التي أحيط بها طه حسين منذ خمسين عامًا، ويكشف حقيقة الدور الذي قام به في مجال التغريب والغزو الثقافي **﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾**.

كشف هذا الكتاب عن رحلة طه حسين إلى أوربا وآثارها، وعنه في أحضان الاستشراق والتبعية للفكر الغربي وولائه للسياسة الغربية، وتكلم عن دورة في الجامعة وتكلم عنه حين كان وزيراً للمعارف، وتكلم عن طه حسين والأزهر، والصحافة والسياسة الحزبية، ودوره في المجمع والجامعة العربي وعن محاضراته والمؤتمرات التي شارك فيها.

❑ وفي الباب الثالث عرض لآراء طه حسين وصراعه مع أهل جيله، وتناقضه[1].

❑ وأتت مذكرات السيدة سوزان طه حسين عن حياتها مع زوجها طه حسين في مجلة «أكتوبر» المصرية فتحس «بذلك الجو الكنائسي المليء بالتراتيل والمزامير والقداس الذي أضفته السيدة سوزان على حياتهما الاجتماعية، وهذا

(١) «طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام» لأنور الجندي ـ دار الاعتصام.

الاحتفال المتصل بأعياد العنصرة وعيد القيامة، وكيف كان طه حسين يستمتع بهذه الأخفال. وهؤلاء الكردينالات والقسس والآباء الذين يملأون هذه الحياة. وذلك الاهتمام بأجراس حين سمى (كلود) الذي هو مؤنس[1] ديوانه باسمها.

وذلك الهتاف الذي سجلته السيدة لابنها حين يصبح يوم الأحد «يا صباح أحدي الجميل»[2].

◻ وتكلم الأستاذ أنور الجندي عما قالته السيدة سوزان عن زيارته لإيطاليا واشتراكه في مؤتمر المستشرقين ـ تقول: «كان المطران تيسيران ـ ولم يكن قد أصبح كاردينالاً بعد ـ يعرف طه حسين معرفة جيدة، فأخذه من ذراعه وقال له مبتسمًا: «لا تقلقي سوف أعيده إليك». وكان المطران تيسيران هو الذي قدّم طه إلى البابا بيوس الحادي عشر وكان بيوس الحادي عشر مستشرقًا وكان قد أراد استقبال مؤتمر المستشرقين وقد وجّه لطه كلمات في منتهى الرقة كما وجّه إلي أيضًا مثلها.

◻ وبعد الجلسة الأولى تنازل (نلينو) عن رئاسة القسم لطه، ونحن نعرف معنى هذا كله وتقدير هؤلاء جميعًا والكنيسة الكاثوليكية كلها لأفضال طه، ونعرف معنى أن يضعوه على رأس مؤتمر الاستشراق. نقول: «ولم يسبق أن حدث هذا الأمر إطلاقًا ونحن نعرف أن طه تميّز عن جميع الذين اصطنعهم الاستشراق[3].

◻ يقول الأستاذ أنور الجندي عن سوزان: «ظل بيتها سجنًا رهيبًا للغة الفرنسية فلم يكن أحد فيه يتكلم العربية حتى ابن عميد الأدب لم يعرف

---

(١) ابن طه حسين.

(٢) الوجه الآخر لطه حسين من مذكرات السيدة سوزان «معك» لأنور الجندي (ص٨ ـ ٩) ـ دار الاعتصام.

(٣) المصدر السابق (ص١٤).

العربية»[١] .

«وكانت تصور بإعجاب موقف طه حسين وهو يرثي كبار رجال الاستشراق باسم الجامعة المصرية، وكيف زار الجامعة العبرية بالقدس، وكيف وقف برلي بول دومير (مؤسس الكوليج دي فرانس) وما أدراك ما الكوليج دي فرانس إنه المهد الذي يخرج قادة التغريب في بلاد المسلمين»[٢] .

❑ وتتحدث عن شيء آخر جد خطير، فتقول عن طه حسين: «إنه هاجم القصر، لا لكي يدافع عن الحكومة، وإنما لأن القصر يريد الحدّ من حرية المعتقدات، فالأديان المعترف بها هي التي ستكون مسموحًا بها في مصر، والملحد لا يستطيع أن يعلن نفسه ملحدًا فهل يسع الإنسان الذي دافع عن كل الحريات وفي المقام الأول حرية الضمير أن يبقى لا مباليًا!».

وتقول: «نعم فقد كان يريد طه أن يبقى الباب مفتوحًا لكل الأديان والنحل والمذاهب»[٣] .

❑ أما الكتاب الثالث: «محاكمة فكر طه حسين» فهو يشكف عن السموم والأخطار والمطروحات المضللة الخطيرة التي قدّمها خلال خمسين سنة في مجالات ثلاثة:

- مجال الأدب العربي واللغة العربية.
- ومجال تاريخ الإسلام والسيرة النبوية.
- ومجال الفكر الإسلامي وقضايا المجتمع وفي أكثر من أربعين قضية كبرى.. يقدم الأستاذ أنور الجندي الإجابات الصحيحة ويدحض الاتهامات

(١) المصدر السابق (ص١٥).
(٢) المصدر السابق (ص٢٤).
(٣) المصدر السابق (ص١٨ ـ ١٩).

الخطيرة ويرد على الأكاذيب التي ظل الدكتور طه يطرحها في سنوات عمره ويرددها. اتهامات محددة ما تزال تزخر بها كتبه التي تتوالى طبعاتها رد عليه فيها وفي نقضها أكثر من أربعين عالمًا على مدار خمسين عامًا جمعها الشيخ أنور الجندي في كتابه القيم «محاكمة فكر طه حسين».

*** الاتهامات المقدمة لفكر طه حسين أمام محكمة الرأي العام:**

أولاً: القول ببشرية القرآن وإنكار القراءات.

ثانيًا: التناقض بين نصوص الكتب الدينية وما وصل إليه العلم وقوله:

إن الدين لم ينزل من السماء، وإنما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها.

ثالثًا: إثارة الشبهات حول ما أسماه القرآن المكي والقرآن المدني، وهي نظرية أعلنها اليهودي: جولد زيهر.

رابعًا: تأييد القائلين بتحريق العرب الفاتحين لمكتبة الإسكندرية.

خامسًا: انتقاص صحابة رسول اللَّه ﷺ ووصفهم بأنهم من الساسة المحترفين.

سادسًا: هدم الفصحى من ناحية الإملاء ومن ناحية النحو ومن ناحية هدم البلاغة العربية.

سابعًا: الحملة على الإسلام من خلال الأزهر وإهانته والدعوة إلى إلغائه.

ثامنًا: الترويج للفكر الوثني اليوناني والادعاء كذبًا بأن المسلمين قبلوه وشكلوا عليه فكرهم.

تاسعًا: إشاعة الأسطورة في سيرة الرسول بعد أن نقّاها المفكرون المسلمون منها والتزيّد في هذه الإسرائيليات في كتابه «على هامش السيرة».

عاشرًا: تدمير بطولات العرب والإسلام وإعلاء بطولات اليونان والرومان.

حادي عشر: اعتماد المصادر المشبوهة: كالأغاني ورسائل إخوان الصفا.

ثاني عشر: إقرار مفاهيم كنسية حول الإسلام ووصفه بأنه دين التراتيل الوجدانية.

ثالث عشر: إحياء التراث الزائف: تراث الباطنية والشك الفلسفي.

رابع عشر: معارضة مادة الإسلام دين الدولة في الدستور المصري.

خامس عشر: الدعوة إلى الأدب المكشوف والإباحي بإحياء شعراء الغلمة وترجمه القصص المكشوف.

سادس عشر: الدعوة إلى الفرعونية والتركيز على إقليمية مصر.

سابع عشر: الدعوة إلى حضارة البحر الأبيض المتوسط لحساب بعض القوى الأجنبية والادعاء بأن المصريين غربيو العقل والثقافة.

ثامن عشر: دعوى فصل الأدب عن الفكر الإسلامي واللغة عن الفكر الإسلامي والأدب العربي.

تاسع عشر: الدعوة إلى فصل الدين عن المجتمع والتربية.

عشرون: انتقاص الحكومة الإسلامية الأولى وخلافة الراشدين.

واحد وعشرون: اتهام القرن الثاني الهجري بأنه عصر شك ومجون في كتابه «حديث الأربعاء».

ثاني وعشرون: كسر قاعدة ترابط الأدب العربي والفكر الإسلامي

كمقدمة لدفع الأدب العربي إلى ساحة الإباحيات والشك وغيرها.

ثالث وعشرون: الدعوة إلى اقتباس الحضارة الغربية (حلوها ومرها وما يُحمد منها وما يُعاب) في كتابه «مستقبل الثقافة».

رابع وعشرون: الولاء للفكر الفرنسي ثم الفكر الأمريكي.

خامس وعشرون: محاولة إعطاء اليهود في الأدب العربي مكانة وهمية وغير حقيقية.

سادس وعشرون: إنكار شخصية عبدالله بن سبأ اليهودي وتبرئته مما أورده الطبري ومؤرخو الإسلام من دور ضخم في فتنة مقتل عثمان «الفتنة الكبرى».

سابع وعشرون: إذاعة مذهب الشك الفلسفي والادعاء على ديكارت.

ثامن وعشرون: إفساد مناهج التربية والتعليم في وزارة التعليم والجامعات.

تاسع وعشرون: الادعاء بأن الشاعر العربي المتنبي (لقيط) هادمًا بطولته ومكانته.

ثلاثون: اتهامه الخطير لابن خلدون بالسذاجة والقصور وفساد المنهج وهو ما نقله عن أستاذه اليهودي «دور كايم».

إحدى وثلاثون: إنكار وجود سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل وإنكار رحلتهما إلى الجزيرة العربية وإعادة بناء الكعبة على نفس مفاهيم الصهيونية.

هذه أبرز الشبهات التي أوردتها كتب الدكتور طه حسين وكتاباته وقد واجهتها أقلام الكتاب في عصره مواجهة حاسمة وكشفت زيف هذه الادعاءات. ولم يرجع الدكتور طه حسين عن رأي واحد منها ولا تزال هذه السموم باقية ومؤلفاته وكتبه متداولة. ولقد هزم هذا الفكر الاستشراقي

التبشيري هزيمة منكرة وطه حسين ما يزال على قيد الحياة، ولقد وُوجه طه حسين بالرفض والمخاصمة والانتقاض في فكره، وحُرقت كتبه في بعض العواصم العربية، وأرسل إليه كثير من المفكرين بما يكشف عن زيفه وجاءت مؤتمرات تكريم ابن خلدون وكتابات تكريم المتنبي لتكشف فساد رأيه فيهما وزيفه وضلاله»(١) .

*** لله در الأستاذ أنور الجندي وما أعظم مؤلفاته:**

✍ جزى اللَّه خيرًا هذا العملاق بما قدّم للمكتبة الإسلامية وبما ذب عن دينه:

خلاف ما قدمنا من كتب للشيخ أنور الجندي تأتي مجلداته العشرة القيمة «مقدمات العلوم والمناهج» تسد ثغرة كبيرة أعوز الناس سدها، وله «موسوعة العلوم الإسلامية» وله «كسر طوق الحصار عن الإسلام» و«الصحافة والأقلام المسمومة» و«المدرسة الإسلامية» و«اليقظة الإسلامية في مواجهة التغريب» و«جيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام»، و«سلسلة في دائرة الضوء» منها «تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث» و«أخطاء الفلسفة المادية» و«تصحيح المفاهيم الإسلامية» و«مصححو المفاهيم: الغزالي. ابن تيمية. ابن حزم. ابن خلدون» و«سقوط نظرية دارون» و«تحديات في وجه المجتمع الإسلامي».

✍ رحمك اللَّه أستاذنا الكبير فأنت قمة شامخة في جيلنا المعاصر.

*** الدين النصيحة:**

يُؤخذ على الأستاذ أنور الجندي ـ غفر اللَّه له ـ مدحه ودفاعه وثناؤه على الأفغاني والشيخ محمد عبده.

---

(١) «محاكمة فكر طه حسين» لأنور الجندي (ص١٤ ـ ١٦) ـ دار الاعتصام.

*** علم السنّة وإمامها.. رمز الهويّة الإسلامية والسلفية.. شيخ المحدّثين.. مجدِّد العصر.. ومحدّث ديار الشام.. فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:**

إن للَّه رجالاً مؤمنين يحفظ اللَّه بهم الأرض، بواطنهم كظواهرهم بل أجلى، وسرائرهم كعلانيتهم بل أحلى، وهممهم عند الثريا بل أعلى، تحبُّهم بقاعُ الأرض، وتفرح بهم أملاكُ السماء.

□ قال الشيخ ابن باز يومًا في الشيخ: «ما رأيت تحت أديم السماء عالمًا بالحديث في العصر الحديث مثل العلامة محمد ناصر الدين الألباني»[1].

□ وبعث إليه الشيخ محمد الغزالي في رسالة: «بسم اللَّه الرحمن الرحيم.. الأخ الكريم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته، نذكركم على البعد؛ فنذكُر الرقابة الدقيقة على السُّنَّة المطهَّرة، والغيرة المحمودة على معالم الإسلام الحنيف، والجهاد العلمي الموصول في ميدان قلَّ فيه الرجال، واحتاج إلى أُولي النجدة والنضال. فجزاكم اللَّه عن دينه خير الجزاء، وآنسكم في هجراتكم المتابعة من قطر إلى قطر، وأنت خبير بأن أنصار اللَّه في هذا العصر لا يستقرُّون على حال، وأنهم عُرضة للمتاعب الثِّقال..».

□ وقال الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق شيخ علماء الكويت: «كان ناصر الدين ـ وما زال ـ كالمطر لا يُبالي على أي أرض سقط.. عالم من علماء المسلمين، وعَلَمٌ من أعلام الدعوة إلى اللَّه، وشيخ المحدِّثين وإمامهم في العصر الراهن.. ألا وهو أُستاذي محمد ناصر الدين الألباني ـ حفظه اللَّه

(١) «الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه» لمحمد بن إبراهيم الشيباني (ص٦٥ ـ ٦٦)، الدار السلفية بالكويت.

وبارك في عمره.

ناصر الدين الذي لا يكاد يجهله مسلم يهتم بأمر الدعوة إلى اللَّه في العصر الحاضر، ولا يستطيع أن يستغني عن مؤلَّفاته وتحقيقاته طالب علم معاصر؛ فمعظم الكتب العلمية التي يتداولها الناس الآن مصدَّرة بتحقيقاته وتخريجه لأحاديثها، وطُلاب العلم الذين نقلوا علمه، وتتلمذوا على يديه، وتربّوا في حلقاته وصُحْبته، لا يُحصون كثرة، وهم منتشرون في العالم الإسلامي أجمع على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم.

وقد قام ناصر الدين بنشر العلم الشرعي بكل طاقته في كل اتجاه.

❑ ويرى الشيخ ناصر الدين أن المنهج السلفي لفهم الدين، هو المنهج الكفيل بعودة المسلمين إلى الدين الحق؛ عقيدة وعبادة ومعاملة وأخلاقًا. وناصر الدين لا يهمّه أن يحمل هذا المنهج السلفي أي أناس تسمَّوا بأي اسم، كلُّ هَمِّه أن يُفهم هذا الدين فهمًا صحيحًا، وأن يُطبَّق تطبيقًا سليمًا، وأن يكون سير الناس مبنيًا على الكتاب والسنة الصحيحة. والشيخ ينهى عن التَّحَزُّب والعصبية بأي لونٍ وأي شكلٍ ويرى أن نهضة المسلمين منوطة بتعاونهم جميعًا، وتضافُر جهودهم، وتوجُّهها في كل اتجاه نحو بناء العقيدة أو تصحيح العمل أو مقارعة الباطل.

❑ وأخذ ناصر الدين نفسه بقول كلمة الحق حيثما قدر على ذلك، وقام بنقد الآراء الإسلامية التي يراها مُجانبة للصواب والحق وتصحيحها.. لا يُجامل في ذلك أحدًا حتى نفسه، ولا أخلص محبِّيه وأصدقائه وإخوانه، ولا أقرانه في العلم من العلماء السلفيِّين؛ فلا يسمع حديثًا يرى أنه ضعيف إلا بيَّن ضعفه عنده، ولا يسمع رأيًا مخالفًا للحق إلا كتب عنه، ونبَّه عليه؛ نُصْحًا للعامَّة، وتنبيهًا للخاصَّة.

❑ وقد أنشأ بذلك حركة عظيمة للوعي الديني وتحرِّي الحق فيما يُكتب

ويُقال، لا عند طائفة خاصّة فقط، بل عند عامة العلماء الذين يُؤخذ عنهم أو يتتلمذ الناس على أيديهم؛ ولهذا قدَّمت طائفة كبيرة منهم كتبهم له لنقدها وتصحيح أحاديثها، وبذلك استفاد من هذا المنهج عموم المسلمين، فقلَّ استخدام الحديث الضعيف، وعظُم تحري الناس للحق، وابتدأ الناس فَهْم الدين بطريقة علمية مبنية على الدليل والبرهان، بعد أن كان أخذ الدين وتلقِّيه سائراً بطريق التقليد والعشوائية، وضمٍّ الصحيح إلى الضعيف، والشرك إلى التوحيد، وجمْع الهدى مع الضلالة والبدعة مع السنة.

◘ ولكن هذا المنهج النقدي العلمي الذي أخذ الشيخ نفسه به، أوجد لناصر الدين مجموعات كبيرة من الحاسدين، فمُجرَّد أن يرى أحدُ المتعالين أنه نُقِد في رأي له، أو استدلال خاطئ؛ إذا به ينقلب على الشيخ تجريحًا. وهكذا وُجِد الذين يقدِّمون آراءهم على قول اللَّه وقول رسوله.

◘ ولا شك أن هذه هي سنة اللَّه فيمن يصدع بالحق، والعجب أن ناصر الدين لا يأبه لذلك، فقد لازمتُه ثلاث سنوات؛ فوجدتُ أن مدْح الناس له ومذمَّتهم عنده سواء!! إنه فقط يرى أنه حامل دعوة، وصاحب حق يريد إبلاغه.. ولا نُزَكِّيه على اللَّه ونحسبُه في ذلك كلِّه مخلصًا دينه للَّه، واللَّه أعلم بالسرائر».

◘ وللَّه در شيخ حلب: الشيخ محمد نسيب الرفاعي ـ رحمه اللَّه ـ حين يقول عن دُرَّة السنة وتاج الأثر ـ الألباني ـ: «الشيخ ناصر: أنفاسه أنفاس رسول اللَّه ﷺ، وهو صاحب فضل عليَّ». وإذا قال له معترض أو متلجلج: إن الشيخ ناصر يُحَسِّن ـ أو يصحِّح ـ اليوم ما يكون ضعَّفه بالأمس، والعكس. فيُجيب ـ رحمه اللَّه ـ مُخرسًا له ـ: «هذا من مناقب الشيخ ناصر وحسناته». رحمك اللَّه يا شيخ نسيب، لقد كنتَ ـ والذي

أماتك وأحياك ـ وقَّافًا عند أدب النبوة، «ويعرف لعالِمنَا حقَّه»[١] .

* لله در أم أوْحَدَتْ بناصر الدين الألباني :

❑ قال الشيخ محمد إبراهيم شقرة: لو أن شهادات أهل العصر في شيوخ السنة وأعلام الحديث والأثر اجتمعت، ثم وضعت على منضدة تاريخ العلماء؛ فإني أحسب أن تكون شهادة صادقة في عَلَم الحديث الأوحد، أستاذ العلماء، وشيخ الفقهاء، ورأس المجتهدين في هذا الزمان: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، أكرمه الله في الدارين.

❑ كانت ساحةُ علم الحديث والسنة النبوية قد أجدبت، وصوَّح نَبْتُها، وجفَّت أغصانها واسَّاقطت أوراقها، وانقطع ثمرها، والناس من فوقها ينظرون يَمنةً ويَسرةً، علَّهم يرون فيها رجلاً يخلُف الأولين الغابرين، ممن أعلى الله بهم منارة السنة النبوية، فتعود أبصارهم إليهم كليلةً حاسرةً، ليجدوا أمامهم ما خلَّف أولئك من كتبٍ مسطورةٍ لمن وراءهم، أو لمن جاء من بعده، بذلوا فيها جهدًا ضخمًا في جمع الآثار والسنن والأحاديث، وترتيبها ترتيبًا حسنًا يُسهِّل على القارئ ـ العالم وطالب العلم ـ النظر إليها، والرجوع إليها عند الحاجة، على ما في بعض هذه الكتب من صعوبة في استخراج الآثار والأحاديث منها، وهذا أمرٌ لا يجهله طالب العلم، فضلاً عن العالم الباحث، والناظر المدقِّق.

❑ وكُتُب السُّنَّة، من صحاحٍ، وسنن، ومسانيد، وجوامع، ومصنَّفات، وأجزاء، على كثرتها وغزارة الجهد الذي بُذِل في تأليفها وتصنيفها وجمعها

---

(١) الشيخ محمد نسيب الرفاعي صفحة دعوية طُويت. لمحمد إبراهيم شقرة ـ مقال في مجلة الأصالة العدد الثالث (ص٢٨)، والمذكور قطعة من حديث حسن. رواه الحاكم وأحمد عن عبادة.

وتحقيقها، والاستدراك عليها، والزيادة على أصولها على مَرِّ العصور والأجيال ـ فقد ظلّت بحاجة إلى تحقيقٍ دقيق، وإحاطة أشمل وأوسع بأسانيد الآثار والسنن والأحاديث التي حُشِدت فيها؛ كي تصيرَ إلى حالٍ من الصحة، ويطمئن إليها الباحثُ وطالب العلم والعالم أكثر وأكثر.

◘ ولا ريب أن مثل هذا العمل ينوء بالعصبة أولي القوة والجلادة من أهل العلم، فأن يقيِّض اللَّه له رجلاً واحداً، يجمع اللَّه به كل شاذَّةٍ وفاذَّة من فنون علم السنة؛ لنعمةٌ جليلة، ليس على الشيخ ناصر وحده، بل على الأمة كلها، فهنيئًا لأمَّةٍ أنبت اللَّه فيها هذا الشيخ الذي ألان اللَّه له الحديث كما ألان لداود الحديدَ، ومُهِّدت له أكتاف السنة من جديد.

◘ ولعلَّ بعض من ابتُلي بشيءٍ من شهادات العصر من الجامعات والمعاهد، يردِّد مع القائلين قولهم: ما ترك السابقون للاحقين شيئًا، أو: ما ترك الأوَّلون للآخرين شيئًا.

قولوا ما شئتم؛ ولكن ماذا كان يُراد بهذا العلم العظيم ـ علم السنة ـ لو أنه ظل أمانة عند هؤلاء ـ وما أضيعها إذًا من أمانة ـ ولم يجد في عقل الشيخ ناصر وقلبه وقوة نفسه وثبات صبره واحتمال مثابرته ما وجد؟!

وكثيرٌ هم أولئك الذين يجعلون من الشيخ ـ أعزَّه اللَّه ـ غرضًا لسهام حسدهم وحقدهم، وتراهم يحومون حول مائدته حَوم المريب المفزع الذي يخشى أن يُبصر به من هو على شاكلته، يصنعون صنيع النفر من قريش، حين اتفقوا على أن يتفرَّقوا عن النبي ﷺ، وأن لا يُصغوا لقراءته من الليل، فلمَّا جنَّ الليل خرج كل منهم متسللاً، لائذًا بلباس الظلام، وهو يظن أن الآخرين لا يعرفونه.

◘ وحسبُ طالب العلم أن يُلِمَّ بأي كتاب من كتب الشيخ؛ ليرى رسوخ قدمه، وطول باعه، وسعة اطلاعه وكثرة استدراكه، ودِقَّة استقصائه،

وحُسن ترتيبه ونظمه، وتلاحُق حججه، وعُلو برهانه، وحضور ذهنه، وقوة عارضته، ونفاذ بصره، ووضوح بصيرته، وشدَّة تمكُّنه. ولكن كما يُقال: المعاصرة حرمان. غير أنها كلمة إن صَدقت في غير الشيخ، فهي قد نبت عنه ونأت، فأي حرمانٍ هذا الذي أراده إليه الشانئون الجاهلون، ومدرستُه قد امتدَّت أروقتُها حتى شملت آفاق الأرض، وصارت كتُبه في صَمتٍ مهيبٍ تحرِّرُ العقول من الخرافة والأساطير، والقلوب من الوهم والرِّيب، والنفوس من الغلِّ والكبرياء والحسد؛ في حكمةٍ بالغة، وبرهانٍ منير، وموعظةٍ تبلغ من النفوس مبلغًا يرفع عنها غشاواتِ الجهالة، ويردُّها إلى القرون الثلاثة المفضَّلة، ويشدُّها إلى وثاق الهدي النبوي الأمين.

ومن نظر في حياة الشيخ، وعرفه عن قرب؛ عَرف أنه من أولئك الأفذاذ. الذين قلما يجودُ الزمان بمثله[1] .

*** كلمة للشيخ مقبل بن هادي الوادعي:**

◻ قال الشيخ مقبل عن الشيخ ناصر: «إن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ حفظه اللَّه تعالى ـ لا يُوجَد له نظير في علم الحديث، وقد نفع اللَّه بعلمه وكتبه أضعاف ما يقوم به أُولئك المتحمِّسُون للإسلام على جهلٍ. . أصحاب الثورات والانقلابات.

◻ والذي أعتقده وأدين اللَّه به، أن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ حفظه اللَّه ـ من المجدِّدين، الذين يصدُق عليهم قول الرسول ﷺ: «**إن اللَّه يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدِّد لها أمر دينها**». رواه أبو داود، وصحَّحه العراقي وغيره.

◻ ولا يستغني طالب علم في هذا الزمن عن الاستفادة من كتب الشيخ

(١) «الألباني حياته وآثاره» (٢/٥٤٩ ـ ٥٥٢).

الألباني ـ حفظه اللَّه ـ وإني أنصح كلَّ طالب علم باقتنائها والاستفادة منها، فقد جمع الشيخ ـ حفظه اللَّه ـ فيها ما لا يُستطاع الوقوف على كلِّه، وتيسَّر له الاطلاع على كتب لم يطَّلع عليها كثير من طلبة العلم»[1].

*** إلى شانئي الشيخ غير المنصفين:**

ألم يُعِد الشيخ ناصر إلى الأذهان حُجِّيَّة السُّنَّة وفقهها، ووجوب الرجوع إليها، بعد أن نُبذت دهوراً؟!

ألم يخدم السنة خدمة تفوق خدمة مجامع البحوث العلمية مجتمعة وجمهرة من العلماء لو اشتغلوا؟!

ألم يحقِّق عدداً من المخطوطات النافعة، التي تلزم الأمة في نهضتها، بل تلزمها أولاً في عقيدتها ودينها؟!

ألم يوفِّق جميع المسلمين لمعرفة أحاديث الأحكام خاصَّةً، ودرجة الوثوق بكل حديث، وكيف يمكن الاحتجاج به؛ وطريقة الاحتجاج؟!

ألم يذبَّ عن السنة بجمع الأحاديث الموضوعة والضعيفة في ثلاثة عشر مجلداً؛ كي يتجنَّبها العلماء الذين لم يعترفوا به، وجُلُّهم ممن لا يُميِّز بين غثٍّ وسمين؟!!

ثم أليس للشيخ ناصر أنصاره وأتباعه في كل العالم الإسلامي؟ وهل يدَّعي طالب علم أنه يستغني عن كتبه إلا إن كان أحمق أو مغروراً؟!

أليس الرجل يدعو إلى عقيدة السلف، ويشرح ويُفصِّل ما أجمله البنا ـ رحمه اللَّه ـ من أن دعوته سلفية.

ثم إن الرجل يقول: إن الجهاد فرض عين، وإن المسلمين كلهم آثمون. على خلاف ما يُشاع من أنه يحارب الفكر الجهادي.

---

(١) «الألباني حياته وآثاره» (٢/ ٥٥٥ ـ ٥٥٦).

* **سنن أحياها الألباني:**

١ ـ صلاة العيد في المصلَّى خارج البلد، هي السنة.

٢ ـ خطبة الحاجة، التي كان رسول اللَّه ﷺ يعلّمها أصحابه.

٣ ـ آداب الزفاف في السنة المطهرة.

٤ ـ أحكام الجنائز وبدعها.

٥ ـ صحيح الكَلِم الطَّيب، والتعبُّد بالأدعية، والأذكار الصحيحة فقط.

٦ ـ وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والردّ على شُبَه المخالفين.

٧ ـ كيفية أداء الصلاة كما أدَّاها رسول اللَّه ﷺ.

٨ ـ سنة «السلام على النبي في التشهُّد»، وصيغ التشهد.

* **الألباني ودعوته:**

تُوضع دائمًا في كتب الشيخ ورسائله القواعد الخمس لدعوته:

١ ـ الرجوع إلى الكتاب الكريم والسنة الصحيحة، وفهمها على النهج الذي كان عليه السلف الصالح ﷺ.

٢ ـ تعريف المسلمين بدينهم الحق، ودعوتهم إلى العمل بتعاليمه وأحكامه، والتَّحلِّي بفضائله وآدابه التي تكفُل لهم رضوان اللَّه، وتحقِّق لهم السعادة والمجد.

٣ ـ تحذير المسلمين من الشرك على اختلاف مظاهره، ومن البدع والأفكار الدخيلة، أو الأحاديث المنكرة والموضوعة؛ التي شوهت جمال الإسلام وحالت دون تقدُّم المسلمين.

٤ ـ إحياء التفكير الإسلامي الحر في حدود القواعد الإسلامية، وإزالة الجمود الفكري الذي ران على عقول كثير من المسلمين، وأبعدهم عن منهل

الإسلام الصافي.

٥ ـ السعي نحو استئناف حياة إسلامية، وإنشاء مجتمع إسلامي، وتطبيق حكم اللَّه في الأرض.

* الشيخ الألباني رائد التصفية والتربية؛ الطريق الرشيد لبناء الكيان الإسلامي:

◻ يقول الشيخ الألباني: «أقول وأخصُّ به المسلمين الثقات، المتمثِّلين في الشباب الواعي، الذي عرف أولاً مأساة المسلمين، واهتمَّ ثانيًا بالبحث الصادق عن الخلاص وبكل ما أُوتيه من قوة.. بينما الملايين من المسلمين مسلمون بحكم الواقع الجغرافي أو في تذكرة النفوس[1] .. فهؤلاء لا أعنيهم بالحديث، أعود فأقول: إن الخلاص على أيدي هؤلاء الشباب يتمثَّل في أمرين لا ثالث لهما؛ التصفية والتربية.

التصفية: وأعني بالتصفية: تقديم الإسلام إلى الشباب المسلم مصفًّى من كل ما دخل فيه على مرِّ هذه القرون والسنين الطوال؛ من العقائد ومن الخرافات ومن البدع والضلالات، ومن ذلك ما دخل فيه من أحاديث غير صحيحة قد تكون موضوعة، فلا بد من تحقيق هذه التصفية؛ لأنه بغيرها لا مجال أبدًا لتحقيق أمنية هؤلاء المسلمين، الذين نعتبرهم من المصطفين المختارين في العالم الإسلامي الواسع.

◻ فالتصفية هذه إنما يُراد بها تقديم العلاج الذي هو الإسلام، الذي عالج ما يشبه هذه المشكلة، حينما كان العرب أذلاء وكانوا يُستعبدون من فارس والروم والحبشة من جهة، وكانوا يعبدون غير اللَّه تبارك وتعالى من

---

(١) الجنسية أبو البطاقة أو شهادة الميلاد.

جهة أخرى.

◘ نحن نخالف كل الجماعات الإسلامية في هذه القضية، ونرى أنه لا بد من البدء بالتصفية والتربية معًا، أما أن نبدأ بالأمور السياسية، والذين يشتغلون بالسياسة قد تكون عقائدهم خرابًا يبابًا، وقد يكون سلوكهم من الناحية الإسلامية بعيدًا عن الشريعة، والذين يشتغلون بتكتيل الناس وتجميعهم على كلمة «الإسلام» عامة، ليس لهم مفاهيم واضحة في أذهان هؤلاء المتكتِّلين حول أولئك الدعاة، ومن ثَمَّ ليس لهذا الإسلام أي أثر في منطلقهم في حياتهم، ولهذا تجد كثيرًا من هؤلاء وهؤلاء لا يحقِّقون الإسلام في ذوات أنفسهم، فيما يمكنُهم أن يطبِّقوه بكل سهولة. وفي الوقت نفسه يرفع هؤلاء أصواتهم بأنه لا حكم إلا للَّه، ولا بد أن يكون الحكم بما أنزل اللَّه؛ وهذه كلمة حقٍّ، ولكن فاقد الشيء لا يعطيه.

◘ العلة الأولى الكبرى: بُعْدهم عن فهْم الإسلام فهمًا صحيحًا، كيف لا وفي الدعاة اليوم من يعتبر السلفيين بأنهم يضيِّعون عمرهم في التوحيد، ويا سبحان اللَّه، ما أشد إغراق من يقول مثل هذا الكلام في الجهل؛ لأنه يتغافل ـ إن لم يكن غافلاً حقًّا ـ عن أن دعوة الأنبياء والرسل الكرام كانت ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾. بل إن نوحًا عليه الصلاة والسلام أقام ألف سنة إلا خمسين عامًا، لا يصلح ولا يشرع، ولا يقيم سياسة، بل: يا قوم اعبدوا اللَّه واجتنبوا الطاغوت.

هل كان هناك إصلاح؟ هل هناك تشريع؟! هل هناك سياسة؟ لا شيء، تعالوا يا قوم اعبدوا اللَّه واجتنبوا الطاغوت، فهذا أول رسول ـ بنص الحديث الصحيح ـ أرسل إلى الأرض، استمرَّ في الدعوة ألف سنة إلا خمسين عامًا لا يدعو إلا إلى التوحيد، وهو شغل السلفيين الشاغل، فكيف يُسفُّ كثير من الدعاة الإسلاميين وينحطُّوا إلى درجة أن ينكروا ذلك على السلفيين.

التربية: والشطر الثاني من هذه الكلمة يعني أنه لا بد من تربية المسلمين اليوم، تربية على أساس ألا يُفتنوا كما فُتِن الذين من قبلهم بالدنيا. ويقول الرسول ﷺ: «**ما الفقرَ أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تُفتح عليكم زهرة الحياة الدنيا، فتهلككم كما أهلكت الذين من قبلكم**».

ولهذا نرى أنه قلَّ من يتنبه لهذا المرض فيربي الشباب، لا سيما الشباب الذين فتح اللَّه عليهم كنوز الأرض، وأغرقهم في خيراته ـ تبارك وتعالى ـ وفي بركات الأرض، قلَّما يُنَبَّه إلى هذا. مرض يجب على المسلمين أن يتحصَّنوا منه، وأن لا يصل إلى قلوبهم «حب الدنيا وكراهة الموت»، إذًا فهذا مرض لا بد من معالجته، وتربية الناس على أن يَتخلصوا منه.

● الحل وارد في ختام حديث الرسول ﷺ: «**حتى ترجعوا إلى دينكم**». الحل يتمثَّل في العودة الصحيحة إلى الإسلام، الإسلام بالمفهوم الصحيح الذي كان عليه رسول اللَّه ﷺ وصحابته.

* قال تعالى: ﴿**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ**﴾ [محمد: ٧]، وهي التي أجمع المفسرون على أنَّ معنى نصر اللَّه: إنما هو بالعمل بأحكامه، فإذا كان نصر اللَّه لا يتحقق إلا بإقامة أحكامه، فكيف يمكننا أن ندخل في الجهاد عمليًّا ونحن لم ننصر اللَّه؛ عقيدتنا خراب يباب، وأخلاقنا تتماشى مع الفساد، لا بد إذًا قبل الشروع بالجهاد من تصحيح العقيدة وتربية النفس، وعلى محاربة كل غفلةٍ أو تغافُل، وكلٍّ خلافٍ أو تنازع؛ ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾ [الانفال: ٤٦]، وحين نقضي على هذا التنازع وعلى هذه الغفلة، ونُحلُّ محلهما الصحوة والائتلاف والاتفاق؛ نتجه إلى تحقيق القوة المادية ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ**﴾ [الانفال: ٦٠].

أخلاق المسلمين في التربية خراب يباب، أخطاء قاتلة، ولا بد من

التصفية والتربية والعودة الصحيحة إلى الإسلام، وكم يعجبني في هذا المقام قول أحد الدعاة الإسلاميين ـ من غير السلفيين، ولكن أصحابه لا يعملون بهذا القول ـ: «أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم دولته في أرضكم».. إن أكثر الدعاة المسلمين يخطئون حين يغفلون مبدأنا هذا، وحين يقولون: إن الوقت ليس وقت التصفية والتربية، وإنما هو وقت التكتُّل والتجمُّع.. إذ كيف يتحقَّق التكتُّل والخلاف قائم في الأصول والفروع.. إنه الضعف والتخلُّف الذي استشرى في المسلمين.. ودواؤه الوحيد يتلخَّص فيما أسلفتُ في العودة السليمة إلى الإسلام الصحيح، أو في تطبيق منهجنا في التصفية والتربية، ولعلَّ في هذا القدر كفاية. والحمد للَّه رب العالمين»[1].

● **«إنما الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة»**[2]:

هذا الحديث تصوير صحيح لواقعنا المر.. الذي نهدت فيه رغائب الأمة في شعاب التفرُّق والأهواء، واستطالت فيه آراء العقول من غير هدًى ولا كتاب منير، واعتسفت فيه مائدات السوء بالناس إلى سرابٍ بِقيعَةٍ، فصاروا إلى ضياعٍ في الحق، وإقلالٍ في الورع، وتكاثرٍ من الباطل، فأضحوا كما قال عليه الصلاة والسلام: **«كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة»**.

□ والشيخ الألباني ـ حفظه اللَّه ـ في زماننا هذا ـ راحلة علم عالية السَّنَام، تامّة الخلق، متماسكة البناء، تغدو إليها رواحل العلم خِفافًا خماصًا، وتروح عنها ثقالاً بطانًا؛ فقد أنعم اللَّه عليه بعلم أوثَقَه إلى القرون الأولى، وأقامه على جادتها، وأراه فيها من آيات العلم الكبرى، وما نيل من الشيخ إلا بسبب الحسد.

---

(١) «الألباني حياته وآثاره» (١/ ٣٧٧ ـ ٣٩١).

(٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر.

لم ير أشياخ العصر فسطاط علم الشيخ يمتدُّ كلَّ يوم، ويأوي إليه الألوف من المسلمين، الذين استنارت بصائرهم بنور الحق وهُدوا إلى سواء القصد، حين ألهموا أن ينهلوا من علم الشيخ في كتبه ورسائله وتسجيلاته من بعيد ومن قريب. في حين أن «المشايخ» و«الأشياخ» و«الشيخة» و«المشيوخاء» يُصرُّون على عداوته، والطعن عليه، وتجريحه، والقول فيه ما لم يقله أهل الجاهلية الأولى! وإنها ـ واللَّه ـ الفتنة؛ فتنة النفس الأمارة، القرَّارة، الجرَّارة، البوّارة، الموَّارة!!

إنها أمشاج العلم تتهارش في ردخة خلائف التعصب من بعد المنارات التي علت في سماء القرون وضوأت آفاق الحياة، وأقبلت إليها ركائب طلاب المعرفة من كل الأقطار، تنهل من معينها الثر الصافي.

نسأل المشيوخاء والدكاتير: هل أحسنوا صنعًا في أنفسهم حين هاجت هائجتهم، وخرخرت أصواتهم، وتسعرت لهواتهم، ورقصت قلوبهم، وكتبوا في الصحف التي لا تزيد أعلاها أن تكون أقل من «خضراء الدمن» تحمل لواء الولاء لكل صاحب بلاء كحاطب الليلة الظلماء.

نسأل كل من تدثر بخيالات الأطفال السذج، بسوء أدب، وكزوزة وجه، وبلادة حس، وقماءة رجولة، وركاكة دين، وفهاهة لسان، وخيلاء مجانين، وكبرياء صاغرين، وحقارة حاسدين: ما تنقمون على من يضع على منكبيه رداء علوم السنة، فيكون الإمام المقدم في عصر أجدبت فيه الأرض من مثله وأبت ـ حتى على نفسها بإذن ربها ـ أن يكون له ند إلا نفسه؟! فما رأت عيون المنصفين في عصره مثله، وإن كره الشانئون، وخارت أصواتهم، وبرمت بهم نفوسهم، من غل أثقلها ومن حسدٍ أقعدها، ومن روغانٍ عن الحق أبعدها.

لقد أعاد حفظه اللَّه عيبة العلم ملأى بصدق رغبته، وجلادة نفسه،

وثقوب بصره، وطول معاناته، وعزمه أن تعود سنة الرسول ﷺ إلى الظهور من جديد في الأمة؛ لتكون موئل العلماء وطلاب العلم، ومربد العقول، ومزدحم العزائم، ودارة الحق والهدى.

لقد ـ واللَّه ـ أذكر علم الشيخ بعلم السابقين، ولو كان في زمانهم لعرفوا له قدره.

ويكفي الشيخ نصرة من ربه، أن نصبه لنشر راية سنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وكسر شوكة البدعة، والكشف عن زيوف دهاقنة العجم، وفضح خروج المعتزلة، والإبانة عن عورات أنصار العقائد الفاسدة، وجهالات سمان الإفك والضلالة.

ويكفي الشيخ نُصرة من ربه، أنه إذا ذكر الكتاب والسنة؛ فقد أعلى اللَّه في الأرض ذكره، وصيّره أمينًا حافظًا لأسانيد الأخبار ومتون السنن، ومكّنه من فقهها ما لم يمكن إلا للقلائل في عصره، وآتاه من علومها ما لم يؤتِ أحدًا.

*** إمام العصر.. شيخ الفقهاء.. إمام أهل السنة.. الذاب عن عقيدة السلف فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه اللَّه ـ:**

□ للَّه در الدكتور الزهراني وهو يشدو ببازيته في بعض فضائل سيدنا الشيخ ابن باز ـ رحمه اللَّه ـ:

يا من رأى مثله أو من يضارعه ... فليأت بين الملا يزري بأقوالي
يا رائد العلم في هذا الزمان ويا ... مجدد العصر في علم وأعمال
وحاتم في عطاياه وجودته ... في بحركم لا يساوي عشر مثقال
في الجود مدرسة، في البذل مملكة ... في العلم نابغة، أستاذ أجيال

الحق مذهبه، والنصح يعجبه ... والذكر يطربه يحيا به سالي
العلم مؤنسه، واللّه يحرسه ... ما كان مجلسه للقيل والقال
بالنص فتواه، بالرفق ممشاه ... من فيض تقواه مخشوشن الحال
لم ينتقص أحداً، لم يمتلئ حسداً ... لم يفتتن أبداً بالمنصب العالي
العين دامعة، والكف ضارعة ... والنفس خاشعة من خشية الوالي
المال ينفقه، والوعد يصدقه ... والشهد منطقه مستعذب حال
يا درة العصر يا بحر العلوم فما ... رأت لك العين من ند وأمثال
حقًا فقد عرف التاريخ كوكبة ... مضيئة من صناديد وأبطال
مثل ابن حنبل أو مثل ابن تيمية ... أو البخاري في إسناده العالي
لكننا يا حبيب القلب نبصرهم ... كأنما مثلوا في شخصك الغالي
يا مشرق الوجه عيني حين تبصركم ... أحب من خير أصناف العطايا لي
وقد ألام على هذا الثناء وقد ... يقول بعض أناس مسرف غال
يا لائمي لا تلمني لم سماحته ... سبا فؤادي واستولى على بالي
دعني أتيه على الدنيا برائعة ... بازية الوجه زهرانية الشال
دعني فقد فتنت نفسي بروعته ... وحبه رغم حساد وعذال
باز تصيد قلبي ثم طار به ... إلى سماء الهوى فلترحموا حالي
بئس البيان الذي لم يكتس حللاً ... من مدح شيخ عظيم القدر مفضال
لو ناب أمر معاذ اللّه أو خطر ... أفدي سماحته بالنفس والمال
لو أن لي حيلة أهديته مقلي ... فليس شيء على شيخ الهدى غالي
لكن عينيه في الميزان راجحة ... تزري بمليون من أبصار أمثالي
لم تبصر العين لكن الفؤاد يرى ... بنور خالقه من بعد أميال

أنت الكفيف ولكن أبصرت أم بغيض علم نقي منك سلسال
رفعت للعلم أبراجًا مشيدة تجلو صداه وتحيي رسمه البالي
كم قلعة للهدى والعلم شامخة يطل منها سناكم خير إطلال
مرت ثمانون عامًا كلها عمل ودعوة في شموخ دون إدلال
وأنت لا زلت تمضي دونما ملل في همة تبلغ الجوزا وإقبال
يا رائدًا في ركاب النور متقدًا تطيب فيه تراتيلي وأقوالي
سر بارك اللّه في علم وفي عمل واللّه يرعاك في حل وترحال
قم يا إمام الهدى حي القلوب بما آتاك مولاك من علم وأفضال
قم يا ربيب التقى عطر مسامعنا فالكل في قربكم مستأنس سال
قم وازرع الهمة العلياء في أمم غاصت بأقدامها في عمق أوحال
وناد في أمة الإسلام إن لها مجدًا تليدًا مضى في دهرها الخالي[1]

◻ وهذه أزاهير من بستان شيخنا ابن باز من كتاب الدكتور ناصر الزهراني في ترجمة الشيخ ابن باز المسماة «إمام العصر»:

أما عن سعة علمه وقوة حافظته فحدث عن ذلك ولا حرج، فهو العجب العجاب، وهبة الوهاب، كنت أقرأ على سماحته في درس العصر أو العشاء، فأخطئ في كلمة أو أخرم لفظة من الحديث فيوقفني الشيخ ـ ويقول: أعد. فإن أعدت الكلام تامًا صحيحًا سكت، وإن أعدته مع الخطأ بين لي الصواب، ولقد جلست إليه مع عدد من أهل العلم والمعرفة بالفقه والحديث، فيورد أحدهم أسئلة شائكة ومسائل دقيقة، أو يسأل عن صحة حديث أو متنه أو سنده فإذا بالجواب حاضرٌ كأنما يقرأه الشيخ من كتاب.

(١) من قصيدة بازية الدهر من كتاب إمام العصر الإمام العلاّمة عبدالعزيز بن عبداللّه بن باز للدكتور ناصر بن مسفر الزهراني (ص١٩٥ ـ ١٩٦) ـ مؤسسة الجريسي.

وعلمك كان متصلاً عميمًا ... تلذ له القلوب وتستفيد
تتابعت المواكب في اشتياق ... لمنهله، وطاب لها الورود
وأينعت الأطايب في عبير ... له الريحان أورق والورود
وأيسرت النفوس على ثراء ... هو الورقان.. والدر النضيد
ورفرفت السعادة في ابتهاج ... فمن عرف الإله هو السعيد
كذاك العلم إن خلصت قلوب ... لغايته، وجانبها كنود
ووليت القضاء فما استرابت ... خصوم فيك، أو ريبت شهود
ولم يعدم أخو حق نصيرًا ... ولم يظفر بباطله مريد
تقيم العدل والقسطاس فيهم ... وتردع من يجور ومن يكيد
وتفتح للمودة كل باب ... فيعدل عن خصومته اللدود
والفتيا أنرت بكل درب ... سراجًا، فهو من حكم وقيد
فكم من حائر أرشدت حتى ... أرحت وكان جانَبَه الرقود
وكم من جاهل علمت حتى ... تعلم ما يضر ما يفيد
وكم من سائل بَصَّرت حتى ... تبينت الضوابط والقيود
كذلك كنت في الفتيا بيانًا ... دليلك - كلما سألوا - عتيد
وأحببناك إذ تدعو وتحنو ... وسعي حفاتنا فينا وتيد
عفيفًا في المقالة ذا جنان ... رءوفٍ ليس يرهقه الحسود
عفيفًا في الحوائج ذا معاش ... خفيفٍ ليس يثقله الرغيد
بصيرًا والبصيرة قد تُهدِّي ... ويعمى في الضحى البصر الحديد[1]

---

(١) للدكتور سعد الغامدي.

□ يقول أحد تلاميذه وهو الدكتور أحمد الكبيسي: «كان يوم وداعه للجامعة بعد أن أسندت إليه رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، كان وداعًا مشهودًا، حزنًا وأسى، بكاء ونحيبًا، بكاء كبكاء الثكلى، ونحيبًا كنحيب اليتامى، حيث فقدوا من يحنو عليهم كحنو الآباء على أبنائهم، فبيته كان بيتًا لمن لا بيت له، ومأوى لمن لا مأوى له، يسعى في حل مشاكلهم، ويبذل وقته في توجيههم ونصحهم، ويفتح صدره وقلبه لاستقبالهم ومشاركته لهم في همومهم، وما ينزل بهم، فكانت الجامعة في عهده البيت الواسع، والمأوى والحب لعربيهم وعجميهم، أبيضهم وأسودهم، فالكل يلهج بابن باز، فقد أحبته القلوب، وتعلقت به النفوس وقد ربى أجيالاً وخرج أفواجًا من طلبة العلم، عمرت بهم المعمورة، وانتشروا في بقاع الأرض، ينشرون دين اللَّه عقيدة وشريعة، وكان لهم بعد ذلك معينًا وناصرًا وداعمًا ومؤيدًا، مما جعله يتبوأ هذه المنزلة الغالية في بلاد المسلمين، ويكسبه هذه الشهرة المنقطعة النظير في زماننا المعاصر».

□ يقول أحد تلاميذ الشيخ ـ الشيخ فهد البكران ـ في مجلة الدعوة العدد (١٦٩٣): «قدم مندوب أحد المؤسسات الإلكترونية وبرفقتهم جهاز حاسب آلي شخصي وقد تم تخزين كتب الحديث داخل هذا الجهاز، وأرادوا من سماحته الاطلاع عليه والاستئناس برأيه قبل نزوله للأسواق فقال سماحته: فلنختبر جهازكم، واختار سماحته ـ رحمه اللَّه ـ أحد الأحاديث كعينة عشوائية لاختبار قدرة هذا الجهاز العجيب فقام المسئول عن تشغيل الجهاز بإدخال مفردات هذا الحديث للبحث عنه وتخريجه إلا أن الجهاز لم يستطع الوصول إلى المطلوب، وإن كان قد وصل لبعض الأحاديث التي تعطي نفس المعنى، فقال سماحته: «إذن ابحثوا عن راوي الحديث، فتم إدخال البيانات المعطاة باسم الراوي للبحث عن الحديث، ولكن لا نتيجة.

◻ فقال سماحته ـ رحمه اللَّه ـ: إن ابن حجر لم يخطئ فعليكم البحث مرة أخرى، وبعد بحث ومحاولات استغرقت أكثر من ١٥ دقيقة بعدها توصل الإخوة مشغلو الجهاز إلى الحديث المطلوب وبالراوي نفسه حيث تبين أن خطأ في إدخال بيانات الراوي وتصحيفًا تعرض له اسمه جعل من الصعوبة الوصول إلى المطلوب».

وقصصه ـ رحمه اللَّه ـ في هذا الميدان أعجب من العجب، وأشبه بالخيال، يقول الشيخ عطية محمد سالم في مقاله المدرج ضمن هذا الكتاب: «وذات مرة حصلت قضية من الشيخ أدهشت كل الحاضرين لإحدى المحاضرات الاجتماعية في الجامعة والتي حضرها سماحته وجاء المحاضر ليلقي محاضرته ومعه سبورة وكتب عليها اسم المحاضرة والنقاط الخاصة بها والجزئيات المتعددة لهذه النقاط، ثم أخذ يشرحها مفصلة بجزئياتها في ساعة ونصف وبعد المحاضرة طلب من الشيخ ابن باز أن يعلق عليها فذكر سماحته نقاط المحاضرة الست وجزئياتها وعلق على كل نقطة بالتفصيل، ولم يترك شيئًا منها وهي كما ذكرت لك محاضرة اجتماعية وليست فقهية. واندهش الجميع من ذاكرة سماحته القوية وذكائه في استيعاب المحاضرة فلو أننا كنا موجودين لما استطعنا أن نعلق على أي نقطة دون النظر إلى السبورة وتذكر النقاط».

◻ ولعله من المناسب هنا أن نضيف كلامًا لأحد تلاميذ الشيخ وهو الدكتور عبداللَّه المجلي عن ناحية من نواحي العلم عند سماحته، وهي الفتوى ومنهجه فيها يقول: «الحديث عن موضوع الفتوى يتم عن طريق محاور كثيرة منها:

الأول: أن الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ يفتي الناس في كل وقت في بيته ومسجده وطريقه ومكتبه، فليس له وقت خاص بالفتوى.

الثاني: أن الشيخ يفتي عبر كل وسيلة: يفتي كتابة، ويفتي مشافهة، ويفتي عبر الصحف والمجلات وعبر الإذاعة، وكان من آخر ما وافق عليه الصحف والمجلات وعبر الإذاعة، وكان من آخر ما وافق عليه ارتباطه بالناس بواسطة الإنترنت ـ رحمه اللَّه ـ والبقية موزعة على أصحاب الفضيلة الآخرين المفتين فيه.

الثالث: أن الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ يفتي في جميع مجالات الحياة وفروع العلم الشرعي المتنوعة في العبادات والمعاملات والأخلاق والسلوك وغير ذلك.

الرابع: تتميز فتوى الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ بالإيجاز غير المخل وسهولة عبارتها ودقتها.

الخامس: لا تخلو فتوى من فتاويه ـ رحمه اللَّه ـ من الدليل الشرعي من الكتاب والسنة وقلما يتطرق إلى خلاف العلماء وبخاصة في الفتاوى الموجهة للعامة.

السادس: قد جعل اللَّه تعالى لفتاوى سماحته القبول عند الناس كبيرهم وصغيرهم، عالمهم وجاهلهم في داخل المملكة وخارجها.

ولذلك تسمع دائمًا سؤال الناس عن رأي الشيخ ابن باز في هذه المسألة أو تلك، وإذا ذكرت لأحد ـ إلا ما ندر جدًّا ـ فتوى للشيخ أو قول أو رأي لا يتردد في القبول به والتسليم.

فقوله معتمد ورأيه مقدم وفتواه مقبولة دون مراجعة، وهذا من فضل اللَّه وحده عليه ومن نعمه عليه والأسباب في ذلك ظاهرة جلية».

❑ ويقول الشيخ عايض بن فدغوش الحارثي: «إن الشيخ ابن باز ـ رحمة اللَّه عليه ـ على منهج السلف الصالح ـ كما هو معروف ـ لا يفتي إلا

بدليل من الكتاب والسنة أو الإجماع أو أقوال الصحابة أو القياس، ونحو ذلك من الأدلة الشرعية، وإذا لم يعلم قال: لا أدري، اللَّه أعلم، أو قال: سأبحث المسألة، وهو مجتهد في المذهب الحنبلي، ولكنه يتبع الدليل ويرجع إلى الحق، ولا يتمسك بالمشهور في المذهب الحنبلي إذا رأى أنه قول مرجوح، وظهر له الدليل مع رأي آخر في المذهب أو غيره.

وهو أيضًا ليس نسخة من شيخ الإسلام ابن تيمية، ولا من شيخه سماحة الشيخ ابن إبراهيم رحمة اللَّه على الجميع.

١ - فهو يرى أن لمس المرأة لا ينقض الوضوء مطلقًا سواء كان بشهوة أو بغير شهوة؛ لأن النبي ﷺ قبل بعض نسائه ثم صلى ولم يتوضأ، خلافًا للمشهور في المذهب.

٢ - وهو يرى أنه إذا جاء المسبوق، والناس في التشهد الأخير فإنه يدخل معهم ولا ينتظر جماعة أخرى، ولو كان يرجوها، هذا هو الأفضل، لقوله ﷺ : «**إذا أتيتم الصلاة فأتوها وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا**»، ولقوله ﷺ : «**إذا أتيتم والإمام على حال فاصنعوا كما يصنع الإمام**»، خلافًا لشيخه «ابن إبراهيم».

٣ - وهو يرى عدم صحة صلاة المنفرد خلف الصف مطلقًا، سواء عجز عن المصافة أو لم يعجز، وفاقًا للمشهور عند الحنابلة، وخلافًا لشيخه ولابن تيمية؛ لقوله ﷺ : «**لا صلاة لمنفرد خلف الصف**»؛ ولأنه ﷺ أمر من صلى خلف الصف وحده أن يعيد الصلاة ولم يسأله هل وجد فرجة أم لا؟

٤ - وهو يرى أن المغمى عليه لا يقضي الصلاة إلا إذا كان إغماؤه أقل من ثلاثة أيام، خلافًا للمشهور عند الحنابلة؛ لأن جماعة من الصحابة ﷺ أصيبوا ببعض الإغماء لمدة أقل من ثلاثة أيام فقضوا وقياسًا على النوم، فإن من نام عن صلاة أو نسيها صلاها متى ذكرها، وأما إن كانت المدة أكثر من

ذلك فلا قضاء على المغمى عليه؛ لأنه يشبه المجنون بجامع زوال العقل.

٥ ـ وهو يرى أنه إذا أقيمت الصلاة فإن المصلي يقطع النافلة، ولو شرع فيها ما لم يأت بالركعة الثانية، فإن أتى بها أتمها خفيفة، وإلا فإنه يقطعها خلافًا للمشهور عند الحنابلة، ولشيخه ابن إبراهيم، لقوله ﷺ: «**إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة**»؛ ولأنه ﷺ قال هذا الكلام لما رأى رجلاً يصلي والمؤذن يقيم الصلاة، فإن أتى بالركعة الثانية أتمها خفيفة؛ لأن الصلاة قد انتهت، ولم يبق منها إلا أقل من ركعة.

٦ ـ وهو يرى وجوب قراءة الفاتحة على المأموم، ولو في الصلاة الجهرية خلافًا للمشهور من المذهب ولشيخه ولشيخ الإسلام، لقوله ﷺ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»، ولقوله ﷺ: «**لعلكم تقرءون خلف إمامكم؟**» قلنا: نعم، قال: «**لا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب، فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها**»، والمشروع أن يقرأ بها في سكتات الإمام، فإن لم يكن له سكتة قرأ بها ولو كان الإمام يقرأ ثم أنصت.

٧ ـ وهو يرى أنه إذا طهرت المرأة من الحيض أو النفاس في وقت العصر وجب عليها أن تصلي الظهر والعصر جميعًا، وإذا طهرت وقت العشاء وجب عليها أن تصلي المغرب والعشاء جميعًا، وفاقًا للمشهور عند الحنابلة؛ لأن وقتهما واحد في حق المعذور كالمريض والمسافر، وهي معذورة بسبب تأخر طهرها، وقد أفتى بذلك جماعة من الصحابة ﭫ.

٨ ـ وهو يرى أن المسافر إذا نوى الإقامة في بلد أكثر من أربعة أيام، فإنه لا يترخص برخص السفر، وفاقًا للمشهور في المذهب ولشيخه، وخلافًا لابن تيمية؛ لأن الأصل في حق المقيم هو الإتمام، وإنما شرع له القصر إذا باشر السفر، وقد ثبت عن النبي ﷺ: «**أنه أقام في حجة الوداع أربعة أيام يقصر الصلاة، ثم ارتحل إلى منى وعرفات**» فدل ذلك على جواز القصر لمن

عزم على الإقامة أربعة أيام أو أقل، أما إقامته ﷺ تسعة عشر يومًا عام الفتح، وعشرين يومًا في تبوك، وهو يقصر الصلاة فقد حملها جمهور أهل العلم على أنه لم يزمع الإقامة، وإنما أقام بسبب لا يدري متى يزول.

٩ ـ وهو يرى مشروعية الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأول في الثلاثية والرباعية، وفاقًا للشافعي وخلافًا للمذهب ولشيخه.

١٠ ـ وهو يرى استحباب جلسة الاستراحة في الصلاة وفاقًا للشافعي وخلافًا للمذهب ولشيخه، لحديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه «أن النبي ﷺ كان إذا كان في الركعة الأولى والثالثة لم ينهض حتى يستوي قاعدًا».

١١ ـ وهو يرى انعقاد الجمعة بثلاثة: الإمام واثنين معه وفاقًا لابن تيمية وخلافًا للمشهور عن الحنابلة الذين اشترطوا الأربعين، وخلافًا لشيخه، فإن شيخه لم يرخص للثمانية في إقامتها، بل نص على أنه إذا اجتمع عدد كثير، وإن نقصوا عن الأربعين فإنهم يقيمونها جمعة وحجة الشيخ ابن باز قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾، فاسعوا: صيغة جمع، وأقل الجمع ثلاثة، ولقوله ﷺ: «**إذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم**»، وهو عام في الجمعة والجماعة، والحديث الوارد في اشتراط الأربعين ضعيف.

١٢ ـ وهو يرى أن الحلي فيه الزكاة مطلقًا، ولو كان يلبس أو يعار خلافًا للمشهور في المذهب ولشيخه ولابن تيمية، لعموم الأدلة الدالة على وجوب الزكاة، ولحديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: أن امرأة دخلت على النبي ﷺ وفي يد ابنتها مسكتان من ذهب فقال: «**أتعطين زكاة هذا؟**» فقالت: لا، قال: «**أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار**»، فألقتهما وقالت: هما لله ورسوله، ولحديث أم سلمة رضي الله عنها: أنها كانت تلبس أوضاحًا من ذهب فقالت: يا رسول الله أكنز هو؟ فقال ﷺ: «**ما بلغ أن يزكى**

فزكي فليس بكنز»، ولم يقل لها: ليس في الحلي زكاة وما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليس في الحلي زكاة**» فهو ضعيف.

١٣ ـ وهو يرى جواز رمي الجمرات ليلاً، خلافًا للمشهور عند الحنابلة ولشيخه.

١٤ ـ وهو يرى أن الطلاق بالثلاث بلفظ واحد يعتبر طلقة واحدة، وفاقًا لابن تيمية، وخلافًا للمشهور من المذهب ولشيخه.

١٥ ـ وهو يرى أن الطلاق بالثلاث إذا كان بألفاظ متفرقة فهو ثلاث إذا لم يرد تأكيدًا وتفهيمًا، وفاقًا للمشهور من المذهب ولشيخه، وخلافًا لابن تيمية.

١٦ ـ وهو يرى أن الطلاق البدعي لا يقع وفاقًا لابن تيمية وخلافًا للمشهور من المذهب ولشيخه، والطلاق البدعي: هو الطلاق في الحيض أو في النفاس أو في طهر جامعها فيه إذا لم تكن حاملاً ولا من الآيسات من المحيض.

◘ وبالجملة فالشيخ ابن باز ـ رحمه اللَّه ـ موفق في فتواه، ملهم في جوابه، مسدد في رأيه، ترى نور الكتاب والسنة من خلال ما يفتي به، فهو في المسائل المتقدمة وغيرها آخذ بما ظهر له من الدليل، وليس بالهوى أو التقليد، بل بما أداه إليه اجتهاده، وهو في ذلك أهل للاجتهاد، والمجتهد بين أجرين إن أصاب، أو أجر إن أخطأ على اجتهاده، وخطؤه مغفور، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ، والشيخ ـ رحمه اللَّه ـ لا يتسرع في الفتوى، وإذا أفتاك وضع النقاط على الحروف، مختصرًا فتواه، مستدلاً لها من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة.

وكثيرًا ما كان يجعل الفتوى مشتركة بالتشاور مع إخوانه العلماء في هيئة كبار العلماء، أو لجنة الإفتاء.

وسماحته ـ رحمه اللَّه ـ ربما أجاب السائل بأكثر مما سأل عنه إذا كان له علاقة بسؤاله اقتداء بالنبي ﷺ لما سئل عن الوضوء بماء البحر قال: «**هو الطهور ماؤه، الحل ميتته**».

وكان لا يجيب حتى يفهم السؤال، فإذا أشكل عليه السؤال قال: أعد، وكان يرجع عن الفتوى إذا ظهر له أن الدليل على خلافها».

◻ ويقول سماحة الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ عن نفسه: «مذهبي في الفقه هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه اللَّه ـ وليس على سبيل التقليد، ولكن على سبيل الاتباع في الأصول التي سار عليها، أما في مسائل الخلاف فمنهجي فيها هو ترجيح ما يقضي الدليل ترجيحه، والفتوى بذلك، سواء وافق مذهب الحنابلة أم خالفه؛ لأن الحق أحق بالاتباع، وقد قال اللَّه ـ عز وجل ـ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾.

◻ أما عن منهج سماحته في التعامل مع المخالفين، فيقول الدكتور عبداللَّه بن عبدالعزيز الزايدي: «تميز الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ بالتزام منهج سلف الأمة الصالح في فهم الدين والعمل به، ذلك المنهج السلفي الذي يجمع بين العلم والعمل والاعتدال والرفق.

فكان ـ رحمه اللَّه ـ يزن الناس بميزان الحق ويتعامل معهم بالرفق فهو لا يترك التنبيه على المخطئ كي لا يتمادى في كبريائه وخطئه. والمخالف للحق قسمان:

١ ـ قسم يخالف مخالفة صريحة للكتاب أو السنة أو الإجماع فهذا القسم مع خطئه الكبير نجد الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ يرد عليه بأسلوب رفيع مع بيان الأدلة وبعبارات تنم عن عظيم خلق كقوله: هداه اللَّه، عفا اللَّه عنه.

٢ ـ قسم خالف في مسألة من مسائل الاجتهاد فهذا لا يرد عليه الشيخ وإنما يذكر القول الذي يرى رجحانه ويضعف أدلة القول الآخر ـ إن وجدت ـ ولا يأتي الشيخ بأي عبارة فيها تعنيف أو تشنيع وكان ـ رحمه اللَّه ـ لا يتساهل في مسائل الابتداع والشرك بل يبين ما هو بدعة وما هو شرك لكنه ـ رحمه اللَّه ـ لم يكن متساهلاً بإطلاق عبارات الشرك أو البدعة على كل صغيرة أو كبيرة بل إنه لينبه على الصغيرة والكبيرة ويضع كل شيء موضعه ومن أحدث ما سمعت منه ـ رحمه اللَّه ـ جواب لسؤال حول الاستعاذة من الشيطان عقيب التثاؤب هل هي من البدع حيث لم يرد نص عن النبي ﷺ في مشروعية ذلك وسنيته. . فأجاب الشيخ بأن المشروع هو وضع اليد على الفم عند التثاؤب أو كظمه ولم ترد الاستعاذة،لكن من استعاذ متذكرًا أن التثاؤب من الشيطان فلا يعد فاعلاً لبدعة.

❑ وكان الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ في موقفه من الاتجاهات والجماعات الإسلامية المعاصرة مثال القائم بالحق الملتزم به عند الاختلاف والفتن حيث كان ينصح من خالف الحق ويدعو بالهداية ويبين بعض الجوانب الإيجابية لدى هذه الاتجاهات ويشجعها، ويدعو لتوجيهها الوجهة المناسبة، ويؤكد على تلك الاتجاهات بضرورة سلوك منهج السلف في فهم الدين والعمل به.

❑ كما كانت علاقته ببعض قيادات تلك الجماعات صلة التناصح والمحبة في اللَّه فكان يوجه لهم الخطابات التي يوضح فيها وجهة نظره فيما يراه خطأ وقع فيه بعضهم وكان أسلوبه في النصح غاية في الرفق والرغبة في إيضاح الحق للمخالف، ولم يكن يلجأ ـ رحمه اللَّه ـ للتحذير العام إلا في حالات قليلة من أهمها الحالات التي ينتشر فيها الخطأ بين الناس، مثل الكتابات الصحفية التي تتضمن خطأ ظاهرًا يناقض أصول الدين أو فروعه فإنه ينشر التحذير والتنبيه في الصحيفة نفسها أو في صحيفة أخرى أو في

مجلة البحوث الإسلامية ومن أمثلة ذلك: رده ـ رحمه اللَّه ـ على خبر عن إقامة صلاة الجمعة بمسجد قرطبة في أسبانيا نشرته جريدة عكاظ وعلقت الصحيفة على الخبر بالقول إن الاحتفال بذلك يعد تأكيدًا لعلاقات الأخوة والمحبة بين أبناء الديانتين الإسلامية والمسيحية.. فقد نبه ـ رحمه اللَّه ـ إلى مصادمة هذا الكلام والأدلة الشرعية الدالة على أنه لا أخوة ولا محبة بين المسلمين والكافرين.

كما بين ـ رحمه اللَّه ـ خطأ عدد من الشعراء الذين نشروا قصائدهم في بعض الصحف السعودية وتضمنت غلوًا في حق النبي ﷺ فقد نبه الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ إلى ذلك وذكر اسم الشاعر ودعا له بالهداية والصلاح».

◻ ويقول الشيخ محمد سليمان الصبيحي عن منهج الشيخ العلمي: «ومن أبرز ما تميز به منهجه العلمي مما ندعو به إخواننا إلى الاستفادة منه ما ملخصه:

١ ـ أرسى منهج الأخذ بالدليل الشرعي خلافًا لقول المذهب ـ إذا لم يدل عليه دليل.

٢ ـ بعد النظر والعالمية في الهموم والتعامل مع كل المسلمين.

٣ ـ الجمع بين العلم والدعوة فإذا أفتى قرن فتواه بنصيحة.

٤ ـ استثمار ذاكرته فيما ينفع وفي التعرف على هموم المسلمين والمشاركة في التخفيف عنهم ومتابعة أخبارهم.

٥ ـ بعد نظره في معرفة مرامي السائلين والمستفتين فيجيبهم بحيطة وحذر بما لا يعطي فرصة للنقل الخاطئ أو الادعاء الكاذب.

٦ ـ الرفق بحال المخالفين وحتى الخصوم والمعاندين.

٧ ـ النشاط الدائم والعمل الدءوب فهو لا يعرف الراحة أبدًا فقد بذل وقته في محاضرات وندوات ودروس ورد على الهاتف وإجابة للسائلين

واستضافة للقادم ومسامرة للأهل وعبادة وقيام ليل».

□ ويقول الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان ـ عضو هيئة كبار العلماء ـ: «يتأنى ـ رحمه اللَّه ـ في الأحكام، يعطي الفرصة الكافية لكل صاحب رأي أن يعرضه ويقرره دون تضييق أو مضايقة، يمد الوقت أكثر فأكثر مداولة ونقاشًا حتى يتمخض المجلس عن رأي سديد يحقق المصلحة. ولا يطمئن حتى لا يبقي للمداولة والنقاش مجال وهو في أثناء ذلك وقبل ذلك وبعده، يذكر نفسه وأعضاء المجلس في صوت متهدج ممتلئ خوفًا ورهبة من المولى عز وجل. يذكر بمراقبته تعالى والإخلاص والتجرد والنصح للعامة وولاة الأمر، ومن ثم الدعاء بالصلاح والرجوع إلى اللَّه ـ عز وجل ـ لا يفتأ يكرر هذا بداية وانتهاء».

*** علامة الجزيرة وفقيد الأمة .. الشيخ عبدالعزيز بن باز:**

بقلم فضيلة الشيخ الدكتور: يوسف القرضاوي:

ودعت الأمة الإسلامية علمًا من أعلامها الأفذاذ، ونجمًا من نجومها الساطعة في سماء العلم، علامة الجزيرة الشيخ عبدالعزيز بن عبداللَّه بن باز، الذي كان جبلاً من جبال العلم، وبحرًا من بحور الفقه، وإمامًا من أئمة الهدى، ولسانًا من ألسنة التوحيد، وعمادًا من أعمدة الدين وركنًا من أركان الأمة، طالما استفاد من علمه المسلمون في الجزيرة والخليج وفي شتى بقاع الأرض، عن طريق اللقاء والمشافهة، أو الكتاب والمراسلة، أو الهواتف والإذاعة، أو الكتابة والصحافة، أو الرسائل والكتب، أو الشريط المسموع.

□ عاش الشيخ عمره المبارك للعلم والدين، يعلّم ويدرس، ويجيب ويفتي، وينصح ويدعو، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، مع حكمة بالغة ورفق وبصيرة، فإنه اللَّه يحب الرفق في الأمر كله، وما دخل الرفق في شيء

إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه.

□ كان أكبر همٍّ الشيخ الدعوة إلى التوحيد الخالص، وتصفية العقيدة من الشرك أكبره وأصغره، جليه وخفيه، والوقوف في وجه القبوريين والخرافيين، واتباع ما جاء عن السلف في وصفه اللَّه تعالى بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وكان لا يدع فرصة ولا مناسبة إلا أكد فيها هذه المعاني، لا يمالئ ولا يجامل.

□ وكان الشيخ في الفقه حنبليًّا، ولكنه لم يكن مقلدًا يأخذ القول في مذهبه ولو كان ضعيف الحجة، بل كان ـ رحمه اللَّه ـ يعتمد الدليل ويستند إلى الكتاب والسنة، ويعرض عن مذهبه إذا كان الحق مع غيره، لا يخشى لومة لائم، وقد كان فوق أن يلومه أحد، ولذا رأيناه يكتفي بآراء شيخ الإسلام ابن تيمية في الطلاق، وإن كان علماء المملكة لا يفتون بها، وإنما يأخذون بالمعتمد في المذهب.

□ كان الشيخ يرأس إدارة الفتوى والبحوث والدعوة، ويرأس هيئة كبار العلماء، ويرأس المجلس التأسيسي لرابطة العلم الإسلامي، ويرأس المجلس العالمي الأعلى للمساجد، ويرأس مجلس المجمع الفقهي للرابطة وظل سنين رئيسًا للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فلم يضعه ذلك في برج عاجي أو في صومعه منعزلة، بل ظل بيته مفتوحًا، ومكتبه مفتوحًا وقلبه مفتوحًا لكل ذي حاجة من أبناء المسلمين، مادية أو علمية، لا يغلق بابه في وجه أحد ولا يضيق صدره بلقاء أحد، ولا يدخر جهده في مساعدة أحد.

□ لم يكن العلم الغزير وحده الذي ميّز ابن باز، بل ميزه كذلك قوة إيمانه، وغيرته على دينه، واهتمامه بأمر أمته، وتحرقه على مآسي المسلمين وحسن خلقه في معاملة الناس، ورحمته بالصغير، وتوقيره للكبير، ومعرفته

بحق أهل العلم من إخوانه وإن اختلفوا معه.

❑ اتصل حبل الود بيني وبين العلامة ابن باز في مناسبات كثيرة، في مؤتمرات رابطة العالم الإسلامي، وفي المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنور، وكنت عضوًا فيه، وكان الشيخ نائبًا لرئيسه إذ كان رئيسه هو ولي عهد المملكة الأمير فهد بن عبدالعزيز ـ حفظه اللَّه ـ في ذلك الوقت، وفي مجلس المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي الذي أتشرف بعضويته ويرأسه الشيخ، وفي المؤتمرات العلمية والدعوية العالمية التي أقيمت في المملكة، مثل المؤتمر العالمي للاقتصاد الإسلامي في مكة المكرمة، والمؤتمر العالمي للدعوة والدعاة في المدينة المنورة، ومؤتمر مكافحة المسكرات والمخدرات والتدخين في المدينة المنورة أيضًا.

❑ أبى الشيخ على نفسه أن يغادر المملكة، وكم دُعي من أقطار وجهات شتى، ولكنه اعتذر، وعندما أقيم المؤتمر العالمي للسنة والسيرة في دولة قطر في افتتاح القرن الخامس عشر الهجري وجهنا إليه الدعوة وألححنا عليه، ولكنه قال: إنه كان يود الاستجابة للدعوة، ولكن هذا سيفتح عليه أبوابًا لا يستطيع سدها، وأصر على موقفه ونهجه في الاعتذار.

❑ لم أر مثل الشيخ ابن باز في وده وحفاوته بإخوانه من أهل العلم، ولا في حبه وإكرامه لأبنائه من طلبة العلم، ولا في لطفه ورفقه بطالبي الحاجات من أبناء وطنه، أو أبناء المسلمين عمومًا، فقد كان من أحاسن الناس أخلاقًا، الموطئين أكنافًا الذي يألفون ويؤلفون.

ولقد رأيته في المجمع الفقهي يستمع وينصت إلى الآراء كلها، ما يوافقه منها وما يخالفه ويتلقاها جميعًا باهتمام، ويعلق بأدب جم، ويعارض ما يعارض منها برفق وسماحة دون استعلاء ولا تطاول على أحد، متأدبًا بأدب النبوة، ومتخلقًا بأخلاق القرآن.

◻ لا أعرف أحدًا يكره الشيخ ابن باز من أبناء الإسلام، إلا أن يكون مدخولاً في دينه أو مطعونًا في عقيدته، أو ملبوسًا عليه، فقد كان الرجل من الصادقين الذي يعلمون فيعملون، ويعملون فيخلصون، ويخلصون فيصدقون، أحسبه كذلك والله حسيبه، ولا أزكيه على الله تعالى.

◻ الحديث عن العلامة ابن باز ذو شجون، ومجال القول ذو سعة، ولا نستطيع أن نوفي الشيخ ما يستحقه في هذه العجالة، إنما هي كلمات كتبتها على عجل أودع بها الشيخ الجليل، وفاءً لبعض حقه، ومعرفة بقدره وتقديراً لمكانته وفضله.

◻ إن موت العلماء الأفذاذ مصيبة كبيرة، فإن الأمة تفقد بفقدهم الدليل الذي يهدي، والنور الذي يضيء الطريق، يقول علي ـ كرم الله وجهه ـ: إذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه.

◻ وقال ابن عمر ﷺ: ما قبض الله عالمًا إلا كان ثغرة في الإسلام لا تسد، يؤكد هذا حديث عبدالله بن عمرو المتفق عليه: «**إن الله لا يقبض العلم ينتزعه انتزاعًا من صدور الناس، ولكنه يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رءوسًا جُهّالاً فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**»[1].

*** لماذا كان أمة وحدة؟!**

والدعاوى ما لم يقيموا عليها بينات أصحابها أدعياء

◻ خلاصة الأمر عن هذا الإمام ـ رحمه الله ـ أنه: «**كان أمة وحده**». إنها ليست عواطفَ مجردةً عن الحقائق، وليست ادعاءات خالية من البراهين

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية العدد ١٣٥١.

إنها الإمامة في أبهى مظاهرها، والعظمة في أجمل مناظرها.

□ قل لي بربك هل تحتاج الشمس الساطعة إلى دليل، وهل يفتقد البدر المنير إلى شهود، إن صفات هذا العالم ومناقبه شمس أشرقت على الدنيا. ونجومٌ تألقت في سماء الكون، وإن مكارمه وفضائله وعلمه، بدورٌ مزهرةٌ في الأفق الواسع.

كيف يطوي كونَ المعالي ضريحٌ ... والمعالي لا يحتويها مكان؟
من نُعَزّي..؟ سيل الفجيعة طام ... كل قلب يجتاحه طوفان؟
أنت حيٌّ في كل ذرة رمل ... من بلادي ما مرك النسيان
فكتاب الخلود سفر مضيءٌ ... أنت فيه الختام والعنوان
وإلى رحمةٍ وطيب مقام ... في جنان تُرابها زعفران

□ لك أن تتامل تأملاً سريعًا بعض المعالم البارزة في هذا العمر المديد والزمن المبارك، هذه المعالم التي ستبقى شاهد صدق وعدل على مدى التاريخ:

* نور الإيمان:

□ كُفَّ بصره بعد أن كان ينعم بنوره، ويسعد بضيائه، فلم ينطو على نفسه، يتحسر على بصره أو يبكي حظه، بل ازداد نورًا إلى نوره وبصرًا إلى بصره، وهمة إلى همته.

إن يأخذ اللّه من عينيّ نورهما ... ففي فؤادي وقلبي منهما نور
قلبي ذكيٌّ وعقلي غير ذي دخلٍ ... وفي فمي صارم كالسيف مأثور

□ وكأن حكمة اللّه تعالى اقتضت أن يتمحض هذا القلب المؤمن الخاضع الصادق يتمحض له وحده سبحانه، فإن العين رسول القلب، ولو ترك هذا الرسول يتعامل مع أشياء الحياة الدنيا ومباهجها، فلربما يُحدث

تشويشًا على قلب امتلأ بجلال اللَّه، وفاض بحبه والإيمان به، فلا داعي إذن لهذا البصر، تنزع ملكيته، ويعوض صاحبه بنور في قلبه يملأ حياته أنسًا وسرورًا وإيمانًا ويقينًا، فلا يرى إلا نور خالقه، ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

وانظر لباز التقى والعلم تبصره ... بدون عينين قد أربى على البشر
عبدالعزيز الذي تهفو النفوس له ... وتشتري نظرة في وجهه النضر
كالبحر في علمه السامي وذو خلق ... كالمسك كالعنبر الفواح كالزهر

❑ انطلق الشيخ في حياته بهمّة تتحدى الصعاب، وإيمانٍ يعانق السحاب فهو يحفظ القرآن فلما أتمّ حفظه، ووعاه بقلبه، يمّم بوجهه شطر السنة المباركة في نَهَمٍ شديد، يحفظ متونها، ويدرس أسانيدها، ويدرس العربية والفرائض والفقه والتفسير، بدأت مخايل النبوغ والولاية والكرم من وقت مبكر في حياته، كان يلمسها فيه من رافقه في طلب العلم وتحصيل المعرفة.

وعيّرني الأعداء والعيبُ فيهمو ... فليس بعار أن يقال ضرير
إذا أبصر المرء المروءة والتُّقى ... فإن عمى العينين ليس يضيرُ
رأيتُ العمى أجرًا، وذُخْرًا وعِصْمَةً ... وإني إلى تلك الثلاثِ فقيرُ

*** القاضي المعلم:**

❑ تبدأ حياته بالقضاء فيمكث فيه أربعة عشر عامًا، لم يكن قاضيًا يؤدي دوامه الرسمي، يقبض راتبه آخر الشهر، فيصرفه على نفسه وأهله، وانتهت مهمته بذلك، بل كان القاضي، والمعلم، والمربي، والإمام،

والمرشد، والمصلح، والكريم، محكمته بيته، وبيته محكمته ذاع صيتهُ، ولمع اسمه، وتسابق إليه طلاب العلم، ينهلون من علم هذا الشاب المبارك المتدفق حيويةً وعلمًا ونشاطًا، والمتوقد ذكاءً وعبقرية وسناءً، وهكذا سالت أوديةٌ بقدرها من العلم والخير والدعوة إلى اللَّه تعالى.

*** مخايل الذكاء:**

❑ ثم حينما أدرك أهل العلم والفضل أن بين ظهرانيهم كنزًا عظيمًا، وغنيمة باردة، وسراجًا مزهرًا، ونورًا متلألأً، وغيثًا هنيئًا، قرروا أن يعم الجميعَ خيرهُ، ويُنشر لطلبة العلم علمهُ، فنُقِل إلى المعاهد العلمية بمدينة الرياض، ثم كلية الشريعة، ودرّس الفقه، والتوحيد، والحديث، واتصل هذا العطاء المبارك ما يقارب عشر سنوات (١٣٧١ ـ ١٣٨٠هـ)، كانت زاخرة بالعطاء المتألق، والعلم المتدفق، وتعددت قنوات هذا النهر الزاخر إلى كثير من البقاع والأراضي الهامدة، فذهبت غبرتُها، ورويت تربتها، فاهتزت وربتْ وأنبتت من كل زوج بهيج.

*** من المحلية إلى العالمية:**

❑ ثم عين نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وامتد عطاؤه الدءوب لمدة تسع سنوات (١٣٨١ ـ ١٣٩٠هـ).

فلما بلغ القمة في العلم والحلم والفضل والتقى، وتوجهت الأنظار إليه، وتطلعت النفوس إليه، وأضحى ملء السمع والبصر، أسندت إليه رئاسة الجامعة الإسلامية، فلم يمكث في هذا المنصب إلا خمس سنوات ولكنها تعدل خمسين عامًا، وقد كان جهد الشيخ وعلمه وفضله فيما مضى من عمره قبل هذا المنصب، كان جهدًا محليًا إلى حد كبير، أمّا الآن فقد انداحت دائرة هذا الجهد المبارك، والعطاء المميز لتشمل العالم الإسلامي كله، ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾، ففتح أبواب الجامعة لأبناء المسلمين من أنحاء

الدنيا، فنهلوا من علمه، ونهلوا من علم الجامعة التي حوت أفاضل العلماء، وأساطين الدعاة، ولقد كان الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ على عادته في بذل كامل وقته وجهده وماله للمسلمين، كان جامعة متنقلة اسمع ما يقوله أحد الطلاب الذين تخرجوا على يديه من تلك الجامعة، يقول: «ولذلك كان يوم وداعه للجامعة بعد أن أسندت إليه رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، كان وداعًا مشهودًا حزنًا وأسى، بكاءً ونحيبًا، بكاء كبكاء الثكلى، ونحيبًا كنحيب اليتامى، حيث فقدوا من يحنو عليهم كحنو الآباء على أبنائهم، فبيته كان بيتًا لمن لا بيت له، ومأوى لمن لا مأوى له، يسعى في حل مشاكلهم، ويبذل وقته في توجيههم ونصحهم ويفتح صدره وقلبه لاستقبالهم ومشاركته لهم في همومهم، وما ينزل بهم فكانت الجامعة في عهده البيت الواسع، والمأوى الرحب لعربيهم وعجميهم أبيضهم وأسودهم، فالكل يلهج بابن باز، فقد أحبته القلوب، وتعلقت به النفوس، وقد ربى أجيالاً وخرّج أفواجًا من طلبة العلم، عُمرت بهم المعمورة، وانتشروا في بقاع الأرض، ينشرون دين اللَّه عقيدة وشريعة، وكان لهم بعد ذلك معينًا وناصراً وداعمًا ومؤيدًا مما جعله يتبوأ هذه المنزلة الغالية في بلاد المسلمين، ويكسبه هذه الشهرة المنقطعة النظير في زماننا المعاصر» اهـ.

*** إمـــام العلمـاء:**

◘ انتقل الشيخ الأجل ـ رحمه اللَّه ـ ليكون على رأس هرم العلم والمعرفة، وعلى قمة عَلَم الفكر والهدى، ويصدر الأمر الملكي بتعيينه في منصب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد برتبة «وزير»، ويا اللَّه كم فتح اللَّه على يديه في هذا المنصب من أبواب الخير، وكم يسر من سبل الهدى، ومهد من طرق المعرفة، وبث من نور العلم، ما ظنك برجل قلبه ونفسه وحبه وهوى نفسه وسلوة روحه وقرة عينه: الدعوة

إلى الله، وتعليم الناس الخير؟ ما ظنك به إذا أصبح زمام الأمور بيده، والناس تصدر عن رأيه. جنَّد كل ما لديه من طاقات، وبذل الغالي من الأموال والأوقات، اختار العلماء الناصحين، ومكّن للدعاة الصادقين، وحث الجميع على العمل، وشجعهم على الدعوة، وشدّ من أزرهم، ورفع من قدرهم، وضرب لهم المثل الأعلى بنفسه، فما كان يدعوهم إلى أمر إلا وهو أسبقهم إليه ولا يحضهم على شيء إلا وقد تمثل فيه فازدهرت الأرض بالعلم، وآتت الجهود ثمارها، فشهدت البلاد علمًا ونورًا وصلاحًا ودعوة ودروسًا، حتى أصبحت مجالس الناس ومنتدياتهم وحفلاتهم ولقاءاتهم ومدارسهم وأنديتهم ودوائرهم، بل ومطاراتهم وقطاراتهم وسياراتهم، أصبحت جميعًا تعج بالعلم وأهله، وتعمر بالخير وذويه، وتعطر بالقرآن ومعانيه، وتُنوّر بالإسلام ومراميه، وقد وجد من الحكومة ما يشد من أزره، ويقوي من مكانته، ويسمع لرأيه، ويستجيب لندائه، ولم يكن هذا الجهد المبارك، والخير العميم، حكرًا على هذه البلاد بل امتد ليشمل أنحاء الدنيا، فاهتم الشيخ ـ رحمه الله ـ بالدعوة إلى الله وتنوير المسلمين، والشد من أزرهم، والوقوف ضد التيارات التي تريد اجتثاثهم، فجند جنودًا، وأقام مراكز، وأرسل دعاة وجهز هداةً لأغلب بلدان العالم. كانوا يستنيرون برأيه، ويمضون بتوجيهه، وإذا بالجماعات الإسلامية، والمراكز الدينية في أنحاء الدنيا إذا ما أشكل عليها شيء من الدين، أو خفي عليها باب من العلم، لجأت ـ بعد الله ـ إلى سماحة الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ فإذا قال فالمعتمد لديهم قوله، وإن أفتى فالفتوى محبوبةٌ مقبولة، وأي لجنةٍ تنشأ أو جماعةٍ تقوم، أو مشروع يقترح من العالم فإن الأساس لنجاحه وفلاحه بعد الله تعالى أن يحظى بتزكية من سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ، فَتُجعل تاج المشروع ووجهه وروحه.

- ولقد كنت أرى من محبة الشيخ ـ رحمه الله ـ من أبناء العالم

الإسلامي ما يسر النفس، ويسعد الخاطر، كنت أراهم في الحج، وفي رمضان، حينما يكون سماحته في مكة تجد سيارات الأجرة ذاهبة آيبة بالذين يأتون من أنحاء العالم، فيقبلون في رغبةٍ جامحة لرؤية ابن باز والسلام عليه، والنهل من علمه، وسؤاله عمّا يشكل عليهم، تغص الشوارع، ويكتظ الحي، ويمتلئ مجلسه بهؤلاء المسلمين من أنحاء الدنيا، وكنت حينما اقرأ الأسئلة على سماحته في مسجده بمكة أجد أمرًا عجبًا، هذا السائل يسئل: يا سماحة الوالد أنا ابنكم من أمريكا وأسأل عن كذا، وثانٍ: يا سماحة نحن من مسلمي فرنسا، ولدينا كذا وكذا، فكيف نتعامل مع ذلك، وثالث: يا سماحة الشيخ أنا قادم من جزر القمر، وأريد أن تدعو لي. . ، ورابع: يا سماحة الشيخ نحن من أبنائكم المسلمين من ألمانيا، أو بريطانيا، أو الصين. . إلخ، وهكذا تجد هذه الأسئلة العالمية التي تنبئك بعالمية هذا الإمام، وسعة علمه، ورفعة شأنه في أنحاء الدنيا.

□ ولقد استمر دعم سماحته للدعوة والدعاة في أنحاء العالم إلى وفاته ـ رحمه اللَّه ـ حيث توفي ولا زال تحت رعايته أكثر من ألفي داعية حول العالم، تصرف مرتباتهم عن طريق سماحته.

□ مضى شيخنا ـ رحمه اللَّه ـ في هذا المنصب منذ عام ١٣٩٥هـ إلى عام ١٤١٤هـ، حيث صدر الأمر الملكي بإنشاء وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وصدر الأمر بتعيين سماحته ـ رحمه اللَّه ـ مفتيًا عامًا للمملكة ورئيسًا لهيئة كبار العلماء، وبقي في هذا المنصب إلى أن توفاه اللَّه عز وجل في فجر الخميس السادس والعشرين من شهر محرم لعام عشرين وأربعمائة وألف من الهجرة بمدينة الطائف، وصلي عليه بالمسجد الحرام بعد صلاة الجمعة، ودفن بمقبرة العدل بمكة المكرمة ـ رحمه اللَّه رحمة واسعة ـ هذه المناصب الرئيسية في حياة الشيخ.

* المناصب الشامخة:

□ ولكن مع هذه المناصب الشامخة، ومع هذا الكم الهائل من البذل والتضحية، لم يكن ذلك هو كل ما في حياة إمامنا ـ رحمه اللَّه ـ بل كان يجمع إلى ذلك رئاسة عددٍ من المناصب، كل منها يتطلب رجالاً عدّة لإدارته، والقيام به، ومع ذلك فقد قام على رئاستها جميعًا إلى جانب نهجه العامر المعهود في حياته طيلة ليله ونهاره، كما يقول الدكتور يوسف القرضاوي ـ وفقه اللَّه ـ: «كان الشيخ يرأس إدارة الفتوى والبحوث والدعوة، ويرأس هيئة كبار العلماء، ويرأس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، ويرأس المجلس العالمي الأعلى للمساجد، ويرأس مجلس المجمع الفقهي للرابطة وظل سنين رئيسًا للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فلم يضعه ذلك في برج عاجي أو في صومعة منعزلة، بل ظل بيته مفتوحًا، ومكتبه مفتوحًا وقلبه مفتوحًا لكل ذي حاجة من أبناء المسلمين، مادية أو علمية، لا يغلق بابه في وجه أحد ولا يضيق صدره بلقاء أحد، ولا يدخر جهده في مساعدة أحد».

قام على رئاسة هذه المهام، فأثراها بعلمه، وتوّجها بفعله، وأسعدها بفقهه.

* رئيس هيئة كبار العلماء:

□ كان يرأس هيئة كبار العلماء، وهي هيئة عظيمة الشأن رفيعة القدر، عالية المكانة. ليست الهيئة مجرّد مجموعة من العلماء يجتمعون لإصدار بعض الفتاوى الفقهية فحسب، بل هذه الهيئة كانت ذات صبغةٍ علمية اجتماعية سياسية، تهتم بأهم القضايا الشرعية، والمسائل الاجتماعية، والمصالح السياسية، فيما يتعلق بالمملكة العربية السعودية على وجه الخصوص، وفيما يتعلق بالعالم الإسلامي على وجه العموم، فهي بمفردها

قلعة من قلاع العلم والمعرفة، لها أهميتها البالغة ولما تصدره من فتاوى وتوصيات. وإدارتها والقيام عليها، والنجاح في قيادتها، ليس بالأمر الهين ومع ذلك فقد تمكن الشيخ من القيام عليها بقوة واقتدار، وكان حسن السياسة، حكيم القيادة، بديع الريادة، لم توجد ذرّةٌ من جفوةٍ أو شقاق بينه وبين إخوانه وأبنائه العلماء.

كريمٌ يغض الطرف فضل حيائه ويدنو وأطراف الرماح دوان
وكالسيف إن لاينته لان مَسُّه وحدَّاه إن خاشنتهُ خشنان

□ يقول لي أحد الأعضاء: كانت تطرح المسألة من المسائل، فيبدأ النقاش فيها، فهذا يدلي برأيه، والآخر يبدي وجهة نظره، وذاك يقول وهذا يلاحظ، وقد يحتدم النقاش، وأنت تنظر إلى الشيخ وهو في غايةٍ من الإنصات والأدب والتواضع، حتى إن الذي يراه وهو لا يعرفه، يقول هذا من عامة الناس، فإذا ما بدأ سماحة الشيخ قائلاً: الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره، ثم اندفع كالسيل المتدفق، وتفجر بالعلم كالبحر الهادر، وجاد بالحكمة كاللؤلؤ والمرجان، وأورد الآراء، وناقش الوجهات، ثم نفذ بفكره الثاقب إلى أعماق المسألة، فجاء فيها بنبأ عظيم، ورأي حكيم، فيأتي رأيه مثل فلق الصبح، ويلقى من الجميع القبول والربح، فإذا بالجمع منذ أن يبدأ كلامه في غاية من الإنصات والاستماع والإجلال والإعجاب والإكبار.

ومُخرّق عنه القميص تخالُه بين الرجال من الحياء سقيما
حتى إذا رفع اللواء رأيتَهُ تحت اللواء على الخميس زعيما

□ يقول الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان ـ عضو هيئة كبار العلماء ـ في مقاله المدرج في هذا الكتاب: «إذا التقى مجلس هيئة كبار العلماء فأول ما يبتدر سماحته الحديث بالسؤال عن شئون الأمة الإسلامية، يستكشف أخبارها في جميع أقطارها، يتلمس أنباءها إن كانت خيراً حمد اللَّه وأثنى عليه، وإن

كانت غير ذلك أحزنه أمرها، ودعا اللَّه أن يكشف الغمة عنها، وسعى ما استطاع من قول وعمل وجهد لما يرفع عنها الشدة، ويزيل عنها البأس.

□ يتأنى - رحمه اللَّه - في الأحكام، يعطي الفرصة الكافية لكل صاحب رأي أن يعرضه ويقرره دون تضييق أو مضايقة، يمد الوقت أكثر فأكثر مداولة ونقاشًا حتى يتمخض المجلس عن رأي سديد يحقق المصلحة. ولا يطمئن حتى لا يبقى للمداولة والنقاش مجال وهو في أثناء ذلك وقبل ذلك وبعده، يذكر نفسه وأعضاء المجلس في صوت متهدج ممتلئ خوفًا ورهبة من المولى عز وجل، يذكر بمراقبته تعالى والإخلاص والتجرد والنصح للعامة وولاة الأمر، ومن ثم الدعاء بالصلاح والرجوع إلى اللَّه عز وجل لا يفتأ يكرر هذا بداية وانتهاء» اهـ.

□ وإنني على يقين أن الهيئة الموقرة - متّعنا اللَّه بعلمائها - ستقوم بواجبها تجاه إمامها العظيم، وشيخها الكريم، وستجلّي للدنيا حقائق ووثائق من جهده النافع، وعطائه الناصع.

*** رئيس مجلس الرابطة:**

□ وكان سماحته - يرحمه اللَّه - يرأس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وهي أيضًا هيئة لها مكانة عالمية بعيدة المدى، عميقة الأثر، واسعة النشاط، ونشاطها على مستوى العالم الإسلامي، وقد قام بهذه المهمة خير قيام، وحقق نجاحًا باهرًا، وسمعة شامخة، وإكبارًا وإجلالاً من العالم بأسره.

*** رئيس المجلس الأعلى:**

وكان - رحمه اللَّه - يرأس المجلس الأعلى العالمي للمساجد، وهذا أيضًا من المجالس ذات الأهمية البالغة، فهو مجلس عالمي، وليس وطنيًّا أو

إقليميًا، وقد ظهرت بركة الشيخ، وصلاح نيته، ظهرت آثارها واضحة جلية على هذا المجلس، وما قام به من مهام على مستوى العالم الإسلامي.

* رئيس المجمع الفقهي:

❑ وكان يرأس المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، التابع لرابطة العالم الإسلامي.

❑ وهذا المجمع من أعظم وأجل وأنفع المجامع، إنه قلعة شامخة من قلاع العلم، إنه منارات إشعاع تسطع أنوارها في أنحاء العالم الإسلامي إنه عطر يفوح بعبير الشريعة الربانية، ويعبق بشذى الفقه الإسلامي، أنشئ ليقوم بمهمة عظيمة، ويؤدي رسالة خالدة.

❑ ولهذا المجمع الفقهي مجلس يضم نخبةً ممتازة من فقهاء العصر ومفكريه، متخصصين في مختلف المجالات والعلوم الإسلامية.

❑ وقد أنشئ في عام ١٣٩٦هـ، هذا المجمع الذي شَرُف برئاسة سماحة الشيخ له، وصل في التوفيق إلى مداه، وبلغ في المجد والسبق والفضل إلى منتهاه، وكانت إدارة الشيخ له وقيامه بمهامّه محط إعجاب وإكبار من الجميع، واسمع بعض أعضاء المجمع ماذا يقول عن الشيخ: «ولقد رأيته في المجمع الفقهي يستمع وينصت إلى الآراء كلها، ما يوافقه منها وما يخالفه ويتلقاها جميعًا باهتمام، ويعلق بأدب جم، ويعارض ما يعارض منها برفق وسماحة دون استعلاء ولا تطاول على أحد، متأدبًا بأدب النبوة، ومتخلقًا بأخلاق القرآن».

❑ وإنك بنظرة واحدةٍ إلى الموضوعات والمسائل التي طرحت ودرست في هذا المجمع، ترى الأهمية الكبرى لوجوده وتعرف المنزلة العظمى له.

لقد عالج كثيراً من القضايا، ودرس عدداً هائلاً من المسائل الشائكة

التي تعترض المسلمين في شتّى أنحاء الدنيا.

وأعلم يقينًا أن المسئولين في الرابطة عمومًا، والمجمع الفقهي خصوصًا ـ وفقهم اللَّه وبارك فيهم ـ سيقومون بالكتابة عن جهود الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ وأثره وإثرائه لهذه القلاع العملاقة.

* **عطاء بلا حـدود:**

❑ وقد كان سماحه الشيخ إضافة إلى ما سبق ذِكْره، عضواً هامًا بارًا راشدًا لكثير من اللجان والهيئات، ومع كل ما رأيت من جهود عملاقة، ومناصب شامخة، وأعمالٍ جادّة عظيمة كبيرة كثيرة، فإن هذا كلّه في كفّة وما تركه من تراث العلم وبركة الهدى، وروائع الفتيا في كفّة.

❑ وفتاوى اللجنة الدائمة التي كان يرأسها ـ رحمه اللَّه ـ من الأعمال العملاقة التي ستظل على مر القرون تنطق بفضله، وتشهد بعظمته، وتُبين عن سعة علمه، وقد بلغ المجموع والمطبوع منها عشرات المجلدات.

❑ أفلا يكون من قام بهذه الجهود الجبارة، ومن أفعمت حياته بهذه الأعمال العملاقة، التي عمّ نفعها الأرض، ووصل خيرها إلى أنحاء الدنيا، إضافة إلى ما مرّ من صفاته وسماته وجهوده ودعوته وبذله وكرمه ودروسه وعلمه، أفلا يكون مثل هذا الرجل: «أمّــةً وحــده»؟!!.

❑ اللَّهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده، واغفر لنا وله،،،

* * *

بعض صفاته كما رواها طلابه

● صفات الشيخ عديدة، ومناقبه جمة، ومزاياه نهر فيّاض، وبحر متدفق، وإضافة لما سبق ذكره نورد بعضًا من صفات الشيخ ومناقبه كما يرويها بعض طلابه ومحبيه:

❑ يقول الشيخ الدكتور عبداللَّه المجلي: «حياة الشيخ كلها عطاء، ولكنها خير، وكلها مواقف إيجابية وأحداثها ذات دلالة وأبعاد تربوية ودعوية، ومن الجوانب المهمة في حياته ـ رحمه اللَّه ـ ما يلي:

١ ـ عدم الملل من القراءة والبحث والمطالعة فيمكن أن يجلس ساعات دون ملل أو ضجر في حين أن من حوله يملون ويضجرون ولقد استمر الشيخ في البحث والقراءة ومطالعة الكتب من سنوات عمره الأولى حتى ساعاته الأخيرة ـ رحمه اللَّه.

٢ ـ الشيخ يحضر لدروسه جيدًا ويقرأ كثيرًا قبل الدرس بوقت كاف.

٣ ـ الشيخ متابع جيد وبدرجة كبيرة للأحداث السياسية من خلال وسائل الإعلام المتنوعة والنشرات الخاصة.

٤ ـ يحب ـ رحمه اللَّه تعالى ـ الأخبار الطريفة والغريبة التي تنشر عبر وسائل الإعلام ويتعجب منها، وكنت أحرص على إحضارها إليه لإدخال السرور على نفسه ـ رحمه اللَّه ـ وهو مسرور دائمًا.

٥ ـ لا يبخل الشيخ بجاهه في أي مجال من مجالات الحياة ولا يتردد في بذل المعروف لأي أحد.

٦ ـ لم يكن الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ متساهلاً في أمور الشفاعة، فالشفاعة الحسنة عنده أولاً قربة وطاعة للَّه تعالى، ثم هو لا يشفع الا لمن يُزَكَّى عنده من عدد من الثقات المعروفين لديه بخلاف ما يظنه بعض الناس عنه في هذا الأمر.

٧ ـ للشيخ قدس اللَّه روحه تعامل فريد مع الأطفال فحينما يسلم عليه الصبيان فإنه غالبًا ما يسأل عن الاسم ومستوى الدراسة ثم يسأله من ربك وما دينك ومن نبيك ولأي شيء خلقت وما الدليل، وأحيانًا ماذا تحفظ من القرآن.

٨ ـ أعمال الشيخ الخيرية والدعوية كثيرة جدًّا، فهناك آلاف المساجد بنيت بواسطته في الداخل والخارج، وهناك المدارس وحلقات القرآن الكريم وحفر الآبار وشق الطرق وإعانات الزواج وغيرها كثير جدًّا ولا يوجد فيما أعلم عمل خير إلا وكان للشيخ فيه نصيب وافر رحمة اللَّه عليه.

٩ ـ من شدة كرمه وترحيبه بضيوفه أنه إذا انتهى من الأكل على العشاء أو الغداء لا يبادر بالقيام إلا بعد أن يتأكد من أن الجميع قد انتهى، وإذا قام قبل ذلك فإنه يردد عبارته المشهورة «كل باختياره كل باختياره» بمعنى أتموا أكلكم ـ رحمة اللَّه تعالى عليه.

وإذا دعا له الضيف بعد الأكل فإنه يرد عليه بقوله: فيه العافية.

١٠ ـ إذا سمع من أحد كلامًا لا يعجبه أو تدخل فيما لا يعنيه فإنه يقول له (سبح سبح) لا يزيد على ذلك.

١١ ـ من دعواته التي كان يرددها (اللَّهم اهدنا فيمن هديت) و(اللَّه يحسن العاقبة) و(اللَّه يطيب قلوب الجميع) حينما يذكر أحد عنده بسوء.

١٢ ـ حينما يخرج من عائلته ويستقبله أحد كُتَّابه أو أحد طلابه أو أحد حراسه فإنه يبدأ بالمصافحة قبل الشخص الآخر ويسأل عن أحوال أهله وهكذا من كريم خلقه وعظيم تواضعه.

١٣ ـ لا توجد قضية من قضايا المسلمين في حياة الشيخ إلا وكان له رأي فيها ودور بارز في معالجتها. (مجلة الدعوة العدد: ١٦٩٣).

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز العقل معددًا بعض مناقب

الشيخ في مقالة له عن سماحته: «ولعلي في هذه العجالة أشير إلى بعض هذه الفضائل والخصائص التي وجدتها فيه من خلال دروسه وجلساته ومن كتبه وأشرطته:

١ ـ التقوى والخشية للَّه تعالى.

٢ ـ الإخلاص والصدق مع اللَّه والنية الصالحة.

٣ ـ كثرة تعلقه باللَّه تعالى وقوة التوكل والاعتماد عليه سبحانه ويقينه العظيم باللَّه تعالى.

٤ ـ كثرة تذكر الآخرة ونعيم الجنة وما أعده اللَّه لأهلها وعذاب النار وما أعده اللَّه لأهلها.

٥ ـ خشوعه وبكاؤه الكثير من خشية اللَّه.

٦ ـ زهده في هذه الدنيا وتجافيه عنها وعن كل حطامها.

٧ ـ ورعه العظيم في أقواله وفتاويه رغم ما رزقه اللَّه من علم غزير فقد سمعته عشرات المرات يقول إذا سئل: «اللَّه أعلم» في مسائل يفتي بها سائر الناس فضلاً عن طلبة العلم.

٨ ـ قوته في العبادة وجمعه بين أنواعها من صيام وصدقة وقيام ليل وكثرة ذكر واستغفار وغيرها.

٩ ـ غزارة علمه وموسوعيته المتكاملة وإلمامه بفنون الشريعة وعلومها، وجمعه المتين بين الفقه والحديث.

١٠ ـ فهمه العميق لمقاصد الشريعة وإحاطته بنصوصها مع سعة الأفق وبعد النظر ودقة الفقه.

١١ ـ إدراكه الواسع لقواعد المصالح والمفاسد وقدرته الفذة على التوفيق بينهما ومعرفة الأصلح في هذا الباب الذي تزل فيه الأقدام.

١٢ ـ حرصه الشديد على اتباع السنة والدليل واقتفاء أثر النبي ﷺ في كل شيء.

١٣ ـ جلده وصبره وجده في العلم فلقد كان يجلس لبعض دروسه ما يقارب من ثلاث ساعات جلسة واحدة ويقرأ عليه فيها أكثر من عشرة كتب رغم تقدم سنه وتردي صحته ـ رحمه اللَّه ـ.

١٤ ـ ما حباه اللَّه ومنَّ به عليه من قوة الحافظة والذاكرة التي متعه اللَّه بها إلى آخر حياته.

١٥ ـ حرصه ـ رحمه اللَّه ـ على كسب القلوب وتقارب الآراء وجمع الكلمة وتوحيد الصف.

١٦ ـ أدبه الرفيع مع المخالفين وعدم تجريحهم والتغليظ عليهم، وهذه منقبة عظيمة لا يتصف بها إلا أعاظم الرجال.

١٧ ـ تصديه للبدع والرد على المبتدعة وجهاده الطويل في هذا المضمار.

١٨ ـ صدعه بالحق ووقوفه ـ رحمه اللَّه ـ في وجوه الفتن واجتهاده العظيم في رد المنكرات وقمع الفساد وثباته الواضح أمام أمواج الفتن.

١٩ ـ مواقفه الجبارة في الإصلاح والدعوة ونشر الخير والعلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢٠ ـ عالميته الواسعة وتجاوزه هموم بلده ووقوفه مع المسلمين في أقطار الأرض والإحساس بهمومهم ومتابعة أخبارهم ودعمهم المعنوي والمادي.

٢١ ـ صدق شفقته على الأمة ودوام مناصحة المسلمين عامتهم وخاصتهم، واجتهاده ـ رحمه اللَّه ـ في ذلك.

٢٢ ـ تواضعه الجم ووقوفه مع الفقراء والمساكين والأرامل في كل بلد وفتح بابه لكل أحد، وسماعه لمشاكل الناس جميعًا والاجتهاد في معالجتها،

والسعي في قضاء حوائج الناس، والشفاعة لهم.

٢٣ ـ سماحة نفسه ـ رحمه اللَّه ـ وسعة خلقه ولطفه ولين عريكته مع جميع الناس.

٢٤ ـ كرمه العميم وسخاؤه الذي لا يشق له غبار.

٢٥ ـ حلمه وعفوه وصفحه ـ رحمه اللَّه ـ على من أغلظ عليه أو آذاه.

٢٦ ـ سمته ووقاره ـ رحمه اللَّه ـ والسكينة التي لا تفارقه أبدًا.

٢٧ ـ بشاشته وطلاقة وجهه وحسن منطقه ـ رحمه اللَّه تعالى. فللَّه دره كيف جمع بين هذه كلها. وهذه الصفات التي ذكرت في هذا الإمام المجدد إنما هي غيض من فيض سقتها كي يُقتدى به فيها (وله في كل واحدة مما ذكرت قصص وأخبار ومواقف عظيمة تستحق التأمل وتثير العجب تكتب بالمجلدات) فهو قدوة ومثال يُقدم لشباب الإسلام وطلبة العلم بل والعلماء عسى أن نسير مسيره ونرتسم خطاه ونتأسى به في هذه الخلال العظيمة التي منّ اللَّه عليه بها جميعًا، نسأل اللَّه أن يرفع قدره ويعلي في العالمين ذكره، ويسكنه فردوسه الأعلى، كما نسأله أن يأجرنا بفراقه ويخلفنا مثله، ويجبر قلوبنا بفاجعة موته ـ رحمه اللَّه رحمة واسعة، وصلى اللَّه على نبينا محمد»[1].

*** الولي.. العابد المتهجد.. البكّاء.. الذاكر.. المخلص.. الزاهد:**

◘ لقد اقتدى سماحة الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ بالنبي ﷺ فهو عابد من العباد، ولي من الأولياء، قدوة للأتقياء كثير العبادة، دائم التسبيح، غزير الدمعة، رقيق القلب، خاشع النفس.

(١) جريدة الرياض ـ العدد ١١٢٨٩.

تتجافى جنوبهم عن وطيء المضاجعِ
كُلّهم بين خائفٍ مستجيرٍ وطامعِ
تركوا لذة الكرى للعيون الهواجعِ
ورعوا أنجم الدجى طالعًا بعد طالعِ
واستهلت عيونهم فائضات المدامعِ
ودعوا يا مليكنا يا جميل الصنائعِ
اعف عنا ذنوبنا للعيون الدوامعِ
اعف عنا ذنوبنا للوجوه الخواشعِ
أنت إن لم يكن لنا شافع خير شافعِ

❑ قال لي أحد الملازمين لسماحته في سر توفيق الشيخ ونجاحه، وبصيرته الثاقبة في كثير من المعاملات والآراء والمواقف، قال: ما ظنك برجل يبيت يناجي ربه ويدعو ويرجو ويهتف ويبكي، ثم إذا ارتفع النداء بادر إلى المسجد ثم صلى الفجر في خشوع وخضوع، ثم أتى بكامل الأوراد ثم أُتي له بالأوراق كلها، ثم يبدأ بقراءة المعاملات، والنظر في حاجات الناس، ثم قراءة بعض مسائل العلم، ثم قبل أن يخرج من بيته وهو في كامل طهره ووضوئه، متطهرًا متطيبًا متسوكًا، يتجه إلى اللَّه تعالى ويدعوه أن يحفظه وأن يعينه وأن لا يكله إلى نفسه طرفة عين، أليس مثل هذا حريًا بأن يكون التوفيق حليفه، والنصر ربيبه، وأجزم أن الشيخ لو علم أنه سيموت في اليوم المحدد والوقت المحدد، ما زاد في عمله شيء، فكل وقته للَّه، وباللَّه، وفي اللَّه، ومع اللَّه.

❑ يقول أحد تلاميذه: «أما صلابة الشيخ ونشاطه في العبادة فالمواقف فيه كثيرة جداً حدثني أحد الدعاة أن الشيخ سافر برًّا من الرياض إلى مكة أو العكس فلما جاءت الساعة الثانية عشرة من منتصف الليل قال الشيخ: ما

رأيكم لو نمنا هنا، ثم في الصباح نكمل السفر فوافق كل من كان معه حيث غلبهم النوم، ويريدون أن يستريحوا فلما نزلوا من السيارة كل منهم ذهب إلى ناحية فنام فيها أما الشيخ فإنه لما نزل طلب ماء وتوضا ثم شرع يصلي ما شاء اللَّه له، ثم نام ولما قاموا لصلاة الفجر وجدوا الشيخ قد سبقهم للقيام ووجدوه يصلي!! فتعجبوا منه ومن جلده على العبادة، حيث كان هو آخر من نام وأول من قام فسبحان الذي أعطاه هذه القوة والعزيمة».

❏ ويحدثني الشيخ محمد الموسى بقوله: «في يوم من الأيام ونحن بمكة المكرمة دعي الشيخ من أحد الأعزاء لديه للمساهمة في أحد الاحتفالات الدعوية بجدة، وألحّ على سماحته بالحضور بعد صلاة المغرب مباشرة، فقال له الشيخ: خيراً إن اللَّه اللَّه، وحينما صلّى الشيخ المغرب عزَّ عليه أن يترك مجلسه المعهود مع الناس من المغرب إلى العشاء، فقال: لن نذهب الآن ونترك الناس لا بد أن أجلس لهم إلى صلاة العشاء، وننظر في حاجاتهم ومتطلباتهم، فجلس ثم أذَّن المؤذن للعشاء، فذهب إلى المسجد، فألقى درسه المعتاد قبل صلاة العشاء، وأجاب عن الأسئلة، ثم صلى العشاء واتجه إلى جدة، وكان في غاية السرور والانشراح؛ لأنه جلس إلى الناس ولم يذهب ويتركهم وراءه، فاستمع إلى شرح تفصيلي عن المشروع ونشاطاته، ثم دخل قاعة المحاضرات المكتظة بالناس فاستمع إلى كل الكلمات والقصائد، ثم ألقى كلمة، ثم بعد ذلك تناول طعام العشاء، وعاد إلى مكة، وفي أثناء ذهابه وعودته وأنا والدكتور الشويعر والأخ صلاح نتناوب القراءة عليه لم يفوّت دقيقة واحدة، فما وصلنا إلى منزله في مكة إلا الساعة الثانية ليلاً يقول: والشيخ من عادته أن يقوم للتهجد في حوالي الساعة الثالثة ليلاً، وكان ينبهني أنا والشيخ عبدالعزيز بن ناصر دائمًا، ينبهنا معه إذا قام يتهجد لكي نأخذ حظنا من الليل، قال: فجزمنا أنه لن يقوم في تلك الليلة، وأنه سينام ويتركنا نائم قال: فما جاء الوقت المحدد لقيامه إلا وهو ينبهنا ويوقظنا للقيام، ثم بقي

فانطلقنا إلى المسجد ـ مسجد القطان المجاور لنا، وهذا قبل بناء مسجد سماحته ـ يقول: فتأخّر الإمام فصلى بنا الفجر في صوت لا تسمع بأندى ولا أخشع منه، فلما سلم، استقبل الناس بوجهه، وحمد اللَّه وأثنى عليه، ثم ألقى فيهم كلمة، فلما فرغ عاد إلى البيت، فقلنا الشيخ مرهق وسهران، ربما لا يجلس اليوم بعد الفجر قال: فأتى إلى مجلسه، ورمى الغترة والطاقية جانبًا، وجلس، ثم قال: باسم اللَّه: ماذا عندكم؟ قال: فأخذت أقرأ عليه المعاملات، وأنا أرى فيه من الانشراح والنشاط والسرور ما يبعث العجب، قال: فبقيت أقرأ عليه حتى الساعة السابعة والثلث تقريبًا، قال: فظننت أنه سينام بعدها نومة طويلة، فإذا به يقول لي: رتّب الساعة على ثمانية وثلث، قال: فأيقظناه الساعة الثامنة والثلث، فانطلق إلى رابطة العالم الإسلامي لحضور الندوات والاجتماعات المطولة، ولم يرجع إلى منزله إلا في وقته المعلوم، الساعة الثانية والنصف بعد الظهر، ونحن جميعًا نكاد نسقط على وجوهنا من التعب والإرهاق ولم نلاحظ عليه شيئًا من ذلك ـ رحمه اللَّه تعالى ـ.

☐ لقد كان ـ رحمه اللَّه ـ آية في التقوى، أعجوبة في الزهد والمراقبة والخوف من اللَّه ـ جل وعلا ـ كان من الذين يتقون اللَّه حق تقاته وماتوا وهم مسلمون، كان من المتقين الذي اهتدوا بكتاب اللَّه تعالى، وآمنوا بما أنزل على رسوله، لقد كانت التقوى ديدنه في حياته، ووصيته لجلسائه ﴿**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ**﴾ [النساء: ١٣١]، فامتثل الشيخ وصية ربه التي أوصى الناس جميعًا بها، فقال:

﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾ [النساء: ١].

ووصى المؤمنين بالتقوى، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

ووصى نبيه وهو أتقى الناس بالتقوى، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ [الأحزاب: ١].

*** محافظته على الصف الأول في الصلاة:**

◘ ومن صور التقوى عنده ـ رحمه اللَّه ـ المحافظة على الصلوات وإقامتها بخشوعها وركوعها وسجودها وأذكارها ودوام المحافظة على قيام الليل وكذلك السنن الرواتب وسنة الضحى وغيرها، وكذلك المحافظة على الأذكار والأوراد الشرعية: أذكار الصباح والمساء، دعاء الخروج من المنزل ودعاء ركوب السيارة وإجابة المؤذن حتى لو كان في أهم عمل فإنه يتركه ويجيب المؤذن، وإذا كان في السيارة وحان وقت الأذان طلب فتح المذياع ليستمع إلى الأذان ويتابع المؤذن، ويذكر الدعاء المشروع بعد الأذان.

◘ ومن صور التقوى في حياته عدم الكلام في غير طاعة، أو الحديث فيما لا ينفع.

ومن صورها الخشوع والخضوع والبكاء من خشية اللَّه.

ومن صورها الحرص التام على القول السديد، فأصلح اللَّه أعماله وبارك أحواله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

ومن صورها الامتثال الكامل لأخلاق القرآن، وآدابه وأوامره ونواهيه، والاقتداء الأمثل بسنة النبي ﷺ في كل صغيرة وكبيرة من حياته.

◘ هذا الإمام العابد لا أعرف أنني في يوم من الأيام رأيته في الصف

الثاني أو الثالث، فضلاً عن رؤيته وهو يأتي بركعة أو ركعتين فاتته من الصلاة، كما هو حال كثير منا اليوم، بل كان دائمًا في الصف الأول وراء الإمام مباشرة، سواء في الصلوات الخمس أو الجمع أو الأعياد.. أو غير ذلك لا أعرف في حياتي أنني رأيته في غير هذا المقام الأسبق، وهذا سر من أسرار توفيق اللَّه له، وسبب من أسباب البركة العظيمة في عمره ووقته وعلمه ودعوته وجهده ورزقه، كيف يوفق العالم أو الداعية أو المسلم أيًّا كان، كيف يوفق توفيقًا بينًا ويرتقي ويتقدم وهو من المتأخرين عن داعي اللَّه، المتهاونين بالمسابقة إلى نيل رضاه؟

◻ يقول الدكتور عبداللَّه الحكمي: «أذكر وصيته يوم جئت أقرأ ورقة فور انتهاء المؤذن من الأذان، فسأل: لم أسمع الأذان، هل أذن؟ فقلت: نعم الآن أذن. فقال: أتعمل وقد أذن؟ الصلاة الصلاة؟

الصلاة قوة للنفس، وسعادة للقلب، وانشراح للصدر، وطمأنينة للروح، الصلاة هي لحظات الارتقاء الروحي التي يقف المرء فيها بين يدي ربه ـ جل وعلا ـ يثني عليه،ويدعوه ويرجوه، ويستمد العون منه، ولذلك جعل اللَّه تعالى الصلاة سلاحًا للمؤمن، وعونًا له في معركة الحياة وأوصاب الدنيا فقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة: ١٥٣].

والنبي ﷺ جعلت قرة عينه في الصلاة، ومن عرف محافظة الشيخ العظيمة واهتمامه البالغ بالصلاة، عرف سرًّا من أسرار القوة والعزيمة والفلاح والنجاح في حياته ـ رحمه اللَّه ـ.

◻ هنا قصة طريفة حدثت لسماحته، وهي تدل على حرصه الشديد ـ رحمه اللَّه ـ على الصلاة، وتعلق قلبه بها، ولقد كنت أرمقه في صلاته، فلا واللَّه ما رأت عيني، ولا سمعت أذني، أكمل ولا أجمل، ولا أفضل، ولا أتم من صلاته، فيمن رأيت من الناس في زماني.

القصة يحدث بها سماحته أحد الموظفين لديه، والمقربين إليه، وهو الشيخ محمد الموسى، وحدثني بها بعد وفاة الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ يقول: هذه القصة ذكرها لي سماحته قبل حوالي عامين، ويقول سماحته ـ رحمه اللَّه ـ قصة حدثت لي لا أزال متأثرًا بها إلى اليوم حدثت أيام شبابي، فقد كنت من المحافظين على الصف الأول في الصلاة، وفي يوم من الأيام تأخّرت عن الحضور مبكرًا بسبب القراءة في بعض الكتب لبعض المسائل الهامة التي شغلتني عن الصلاة، فلم أدرك الصف الأول، وفاتني بعض الشيء من الصلاة، وحينما سلم الإمام، وهو قاضي الرياض الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، وكان أحد مشايخي ـ رحمه اللَّه ـ حينما رآني أصلي في طرف الصف، وقد فاتني شيء من الصلاة، تأثّر لذلك كثيرًا، فحمد اللَّه وأثنى عليه، ثم بدأ يتكلم وقال: بعض الناس يجلس في سواليف ومشاغل حتى تفوته الصلاة، يقول سماحته: فعرفت أنه يعنيني بذلك الكلام، فلم أتأخر بعدها أبدًا، وذلك الموقف الذي حصل لي ما أنساه أبدًا!!.

إن هذه القصة وغيرها من القصص الكثيرة التي رويناها والتي سوف يرويها غيرنا إنها بمجموعها تجعل المرء يقف على السرّ الحقيقي في رفعة هذا الإمام وعلوّ همّته، وذياع صيته ـ رحمه اللَّه رحمة واسعة ـ.

أروح وقد ختمت على فؤادي ... بحبك أن يحل به سواكا
فلو أني استطعت غضضت طرفي ... فلم أبصر به حتى أراكا
إذا اشتبكت دموع في خدودٍ ... تبين من بكى ممن تباكى

*** المداوم على ذكر اللَّه:**

□ لقد كان الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ لاهجًا بذكر اللَّه، مترنمًا بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، لا يفتر لسانه أبدًا، بل لقد كنت أرمقه وهو يرد

على المتصلين فأراه في أثناء إنصاته لحديث المتصل يلهج بالذكر، ولقد كنت أنظر إليه بعد انتهاء الصلوات فإذا به لا يقوم من مصلاه إلا وقد أتى بالأذكار كلها، وأطول مدة كان يجلسها في الصلوات هي بعد صلاة الفجر وبعد صلاة المغرب، بعد الفجر لأنه يأتي بأذكار الصلاة، ثم يأتي بأوراد الصباح، فيقول: «لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» مائة مرة، ويقول: «سبحان اللَّه وبحمده، سبحان اللَّه العظيم» مائة مرة.. إلى غير ذلك، وكذلك الحال بعد صلاة المغرب.

◘ لقد كانت محبة اللَّه وعظمته، والتعلق به ظاهرة جلية ينطق بها لسانُه، ويخفق بها جنانُه، ويسطرها بنانُه، وهذا سرٌّ من أسرار التوفيق في حياته، والبركة في عمره وعلمه ـ رحمه اللَّه ـ.

* إخلاص الشيخ الإمام:

◘ لم يكن الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ باحثًا عن سمعة، أو لاهثًا وراء المديح، أو متطلعًا للثناء، بل كان في كل ما يعمل وما يذر يقصد وجه اللَّه تعالى، كما نحسبه واللَّه حسيبه، وكما علمنا ذلك من واقع المعايشة والمتابعة لم يكن الشيخ ممن يحب التصدر أو الظهور، لقد بسطت جميع الوسائل المسموعة والمقروءة والمرئية، أذرعتها لاحتضان الشيخ، وأشرعت أبوابها لاستقباله، وارتمى كثير منها عند قدمه، فلم تظفر منه بشيء من ذلك، يهرب من الأضواء، ويكره الضجيج، ويبتعد عن مواطن الشبه، مهما أوّلت له التأويلات، وذكرت له المبررات.

◘ كان ـ رحمه اللَّه ـ لا يسمح لأحد من الشعراء والأدباء بإنشاء الشعر في إطرائه أو مديحه، وإذا تجرأ بعضهم على شيء من ذلك فإنه يوقفه في أثناء القصيدة، ولا يدعه يكملها، وقد حدث ذلك أمامي مرّات كثيرة[1].

---

(١) «إمام العصر» (ص٦٨).

* زهد الإمام ابن باز في الدنيا:

◘ ما كان سماحة الشيخ ابن باز يلقي للدنيا بالاً، ولا يقيم لها شأنًا، ولا يحسب لها حسابًا، أعرض عنها مستعليًا عليها فأقبلت إليه وهي راغمة، إن هذا الشيخ ليس له من صفات أهل الدنيا إلا أنه يعيش بينهم وإلا فأنت واللَّه ترى رجلاً من أهل الآخرة قلبه هناك، وفؤاده هناك يجلس إلى الناس وقلبه في الملأ الأعلى، ويتحدث معك وروحه مع خالقه.

إذا كان حب الهائمين من الورى ... بليلى وسلمى يسلب اللب والعقلا
فماذا عسى أن يفعل الهائم الذي ... سرى قلبه شوقًا إلى الملأ الأعلى

سُئل الشيخ عبدالرحمن بن عتيق المسئول المالي لسماحته: هل سألك الشيخ في يوم ما عن الراتب متى يأتي، أو متى يصرف، أو شيء من هذا، وهل سألك في يوم ما قدر الراتب، كم هو؟ فقال: واللَّه ما سأل عن ذلك أبدًا وإنما كان يسأل عن رواتب الناس ويحض على عدم تأخيرها.

◘ إن أمر هذا الشيخ كان عجبًا، ولولا أنها حقائق رأيناها وعشناها لقلنا: إنها من عالم الخيال.

أتيته في يوم من الأيام فأخذت أتوسل إليه، وأترجاه وأحاول معه أن يوافق لي على السعي في شراء هذا المنزل الذي يسكنه بمكة فهو ليس له بل هو مستأجر، فحاولت إقناعه وقلت له: لا أريد منك إلا الموافقة والباقي عليّ، فقال لي: اصرف النظر عن هذا الأمر، أي شيء تحتاجه مني في مساعدة أو شفاعة للمسلمين فلا تتردد، أما لي أنا فلا.

◘ ولم تكن هذه حادثة فريدة، أو قصة وحيدة لسماحته، فإن سجل حياته قد ضمخ بعبقٍ من هذه المواقف الماجدة، انظر إلى قصة حصوله على جائزة الملك فيصل ـ رحمه اللَّه، تلك الجائزة التي لها مكانتها الدولية وثقلها العالمي، لم يكن في باله وهو يتسلمها أن يفرح بهذا المبلغ المغري الذي جاءه

من غير تطلعٍ أو استشراف نفس، لم يفرح به ليطور به بعض الضروريات الحياتية لأهله وأبنائه ومنزله أو يشتري به أرضًا أو يقيم به سكنًا، بل انطلق لاستلامه وهويحمل هموم الأمة الإسلامية في كل مكان، ومن ضمن ذلك دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة التي وقفت على خدمة السنة، ودراسة الهدي النبوي، وتحوي بين جنباتها عددًا هائلاً من أبناء العالم الإسلامي، الذين ينهلون من علمها، ويستنيرون بنورها، ولكن أوضاعها المادية متردية، وميزانيتها ضئيلة، إنها بحاجة إلى يد خيرة تشد من أزرها، وتدفع عجلتها، ومَنْ إذًا إن لم يكن عبدالعزيز بن باز ـ رحمه اللَّه ـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

براءة جائز الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام

❑ إن هيئة جائزة الملك فيصل العالمية بعد اطلاعها على نظام جائزة الملك فيصل العالمية المصادق عليه من مجلس أمناء مؤسسة الملك فيصل الخيرية بالقرار رقم ١١/٦٦/٩٨ وتاريخ ١٠/٨/١٣٩٨هـ وعلى محضر لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام بتاريخ ١٦ ربيع الأول ١٤٠٢هـ تقرر منح صاحب السماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبداللَّه بن باز جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام هذا العام ١٤٠٢هـ وذلك لخدماته الجليلة المتمثلة فيما يأتي:

١ ـ تنوع نشاطاته في ميادين الدعوة إلى اللَّه، ومثابرته على الجهاد والنضال والعمل الصالح في هذا العصر.

٢ ـ التزامه بالإسلام التزامًا عمليًّا في فكره وسلوكه، ومنهجه في الحياة ودعوته إلى ذلك.

٣ ـ إسهاماته القيمة في مجالات البحوث والدراسات، وفي حقل التعليم الإسلامي، ونشر الكتاب الإسلامي بجميع أنواعه، وتعميم توزيعه

في أطراف العالم، حتى غدا علمًا بارزًا من أعلام الثقافة الإسلامية.

٤ ـ حرصه على إيجاد الحلول المناسبة لقضايا الإسلام والمسلمين في الديار والأصقاع المختلفة.

٥ ـ دعمه للجهاد الإسلامي في كل بقاع العالم.

٦ ـ مساندته المشاريع الإسلامية، وحث العلماء والأشخاص والهيئات على مساعدتها والمشاركة بها.

وإن هيئة الجائزة إذ تمنحه ذلك، تسأل اللَّه أن يبارك في جهوده الخيرة وأن يمده بعنايته وجميل رعايته، حتى يواصل عمله في خدمة الإسلام والمسلمين.

والله ولي التوفيق

خالد الفيصل بن عبدالعزيز

رئيس هيئة الجائزة

◘ وقال الشيخ في هذا اليوم وهذا الحفل: «أسأل اللَّه أن يعيننا على ما يجب علينا من خدمة الإسلام والمسلمين وأن يكلل الجهود بالنجاح والصلاح، وأن يعفو عنا ما قصرنا فيه فإن التقصير كثير، لكن نسأل اللَّه أن ينفعنا لتقديم الخير وأن يعفو عنا وعن إخواننا جميعًا فيما قصرنا فيه، وأن يمنحنا جميعًا النشاط والقوة في ميدان الحق ونفع المسلمين في كل مكان قولاً وعملاً.

◘ وبناء على هذا وأني حصلت عليها بسبب تقدير إخواننا في الهيئة طبعًا تقديرًا على الخدمة الإسلامية فإني أبذلها أيضًا وأهديها أيضًا إلى دار الحديث الخيرية الأهلية المكية معونة لها على ما تقوم به للخدمة الإسلامية، فإن دار الحديث الخيرية الأهلية بمكة تخدم المسلمين أيضًا وتخدم أبناءهم في سائر أرجاء المعمورة من أفريقيا وآسيا وغيرهما.

* خدمة المسلمين ولين الجانب :

◻ يقول الدكتور ناصر الزهراني في كتابه «إمام العصر» (ص١١٧ - ١١٩): «بعض الناس قد يطبق السنة، ولكن ما راق له منها فقط، وما وافق هواه، وتمشى مع واقعه، أما الشيخ فلم يدع منها شيئًا، تمثلها روحًا وواقعًا فمن تشعبت به السبل، وبارت الحيل، لجأ بعد اللَّه إلى هذا الشيخ، لينفس كربه، ويفرّج همه، ويحل مشكلته، إما بمساعدة، وإما بخطاب شفاعة، وإما بنصيحة، وكلُّ ذلك بصدرٍ رحب، وأدب جم، ولا يلحقه منًّا ولا أذى، وأجزم لو جمعت خطابات الشيخ في الشفاعات فقط لجاوزت الملايين، أين ذلك من أناس أعطاهم اللَّه جاهًا ومكانًا، ومع ذلك لا يطمع المكروب في تنفيسهم لكربته، ولا المهموم في تفريجهم لهمه، ولا المستشفع في نيل شفاعتهم، وربما لو شفع الواحد منهم شفاعة واحدة في الأسبوع لرآها أمرًا عظيمًا، ومبادرة كبيرة، ولعدّها من أهم المواقف في حياته!!.

وانظر إلى مواقف سماحة الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ بذلت شفاعته للبعيد قبل القريب، وللغريب قبل المقيم، أما لنفسه فليس له من ذلك نصيب أبداً.

لقد كنت وأنا واحدٌ من آلاف المتعاملين معه، والمستعينين به بعد اللَّه في حل مشاكل الناس، وتنفيس كرباتهم، كنت واللَّه أذوب خجلاً وأقطر حياء من الشيخ من كثرة ما أكتب له.

فأتيته في يوم من الأيام فقبّلت جبينه الطاهر، وجلست عند قدميه، وقلت له: يا سماحة الوالد أنا أتيت معتذراً منك لكثرة خطاباتي إليك، وشفاعاتي عندك، وأنا في غاية الحرج، الناس يؤمّلون فيَّ الخير، وأنا وهم أملنا بعد اللَّه تعالى فيك، فأرجو أن لا يضيق صدرك بهذا، فإن كان في الأمر مشقة عليك، فسوف أختصر الكتابات، فابتسم، وقال: «هداك اللَّه.. هداك اللَّه، اشفعوا تؤجروا، اشفعوا تؤجروا، جعلكم اللَّه مفاتيح للخير،

جعلكم اللَّه مفاتيح للخير». فازددت نشاطًا إلى نشاطي، وحماسًا إلى حماسي، وكنت كلما بردت همّتي، أو كلّت عزيمتي، سرت إلى سماحته، وبادرت بزيارته، فأجلس إليه ساعةً أو جزءًا منها فأنظر إلى صبره وجهاده وحلمه وعطفه وبرّه وعزيمته، وهو في هذا العمر الكبير، والسن المتقدمة ثم أنظر إلى نفسي، وأنا الشاب الجلد الذي منّ اللَّه عليه بالصحة والعافية، فأقول ماذا قدّمت أنا لأمة الإسلام، فأخرج من عنده وقد امتلأت نفسي حيويةً ونشاطًا، وإيمانًا ويقينًا.

*** الشمولية في الحياة:**

◻ إن الأبواب المتعددة، والأنواع الكثيرة، من أعمال البر، والخير والإحسان والعلم والتعليم، كانت بأنواعها متمثلةً في سماحة إمامنا وعالمنا ـ رحمه اللَّه ـ.

فلم يكن الشيخ عالمًا فقط، فالعلم لا شك رتبة رفيعة، ومنزل منيف، ولكن الإنسان بالعلم وحده لا يمكن أن يصل إلى ما وصل إليه الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ والشيخ ليس بدعًا من الأمر ولا شيئًا خارقًا للعادة في حياة البشر، بل وصل إلى ما وصل إليه بالتزامه الكامل بالهدي النبوي فقد كانت هذه الشمولية متمثلة أجمل تمثيل، واضحة أحسن الوضوح في حياة النبي ﷺ، كان العالم والمعلم والأب والأخ والناصح والمعين والكريم والجواد والعطوف والمحسن والجواد والحليم والرفيق بذل وقته لربه ولكتابه ولأمته.

◻ إن هنالك كثيرًا من العلماء يعلمون الناس ويدرسونهم أخلاق النبي وصفاته وحسن تعامله، ولكن البشرية محرومة من عطفهم ورفقهم ومخالطتهم، والسعي في حوائجهم، وكسب قلوبهم، وإطعام جائعهم وتنفيس كربهم، وتفريج همومهم، ونصرة مستضعفهم، فأنى للناس أن تحبهم، وتسكنهم في حنايا قلوبهم.

إن كثيرًا من العلماء والمشايخ لا يطمع الناس في رؤيته إلا على شاشة

التلفاز، أو في صلاة العيد أو الجمعة ـ لمن لم يكن من أهل الحي ـ أو في مشهد عام، أو على كرسي التعليم، ولكن بعد ذلك يضرب بينهم بسور باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، لا تطمع منه في زيارة، لا تحلم منه بشفاعة، لا تؤمل في تنفيس كربة، لا ترجو بذلاً أو عطاءً أو غداءً أو عشاءً.

◻ أما سماحة الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ فقد بذل نفسه ووقته وماله وجاهه في سبيل اللَّه، كنت أتأمل بعض أعماله فأرى ما يبهر النفس ويبهج القلب ويسر الخاطر، فألجأ إلى اللَّه تعالى شاكرًا حامدًا على أنه أوجد في أمة محمد أمثال هذا الرجل الهمام، أعطيك مثالاً واحدًا يفعله الشيخ في وقت واحد فقط، وهو بعد صلاة الفجر، دعك من بقية اليوم، يصلي الشيخ الفجر، ثم يأتي بالأوراد كاملة، بما في ذلك قول: «لا إلا اللَّه وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» مائة مرة، وقول: «سبحان اللَّه وبحمده» مائة مرة، يفرغ من ذلك ثم يجيب على أسئلة بعض طلبة العلم والمستفتين الذين يلتفون حوله بعد الصلاة، ثم ينطلق إلى بيته فيؤتى له بالتمر، وكان ـ رحمه اللَّه ـ يحب التمر كثيرًا، ثم تدور القهوة، وفي أيامه الأخيرة ـ رحمه اللَّه ـ كان يشرب الحليب بعد الفجر، وكان تقريبًا هو غذاؤه طيلة يومه ـ في أيام مرضه ـ وحين ابتداء جلسته يكون المشايخ العاملون معه قد جلسوا عن يمينه وعن يساره، فيبدأ بالذي عن يمينه ثم ينتهي منه، وينتقل إلى الذي عن يساره، وقد يكونون ثلاثة أو أربعة أحيانًا، الشاهد من هذا كله وما أريد التذكير به هو هذه الشمولية، فتبدأ المعاملات:

الأولى: نحن أهالي القرية الفلانية لدينا مقبرة قد وطئتها الأنعام وتهدم بناؤها وسقطت حيطانها فنرجو من سماحتكم مساعدتنا في تسويتها، فيكتب الشيخ لهم بالإيجاب، ويسعى في تحقيق أمرهم.

الثانية: نحن إخوانكم من المسلمين أهل السنة والجماعة في البلد الفلاني ونحتاج إلى مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم اللغة العربية.. فيستجيب لطلبهم ويكلف من يبحث موضوعهم.

الثالثة: أنا امرأة أرملة فقيرة مات زوجي وترك لي أطفالاً صغاراً، وليس لي مصدر دخل، فآمل من اللَّه ثم منكم مساعدتي، فإذا تأكد الشيخ من صدقها، وفحص أوراقها، أمر لها براتب شهري لا يقل عن ألف ريال.

الرابعة: نحن من إخوانكم المسلمين في أمريكا ولدينا أرض نريد شراءَها لتعمير مسجد عليها، فنأمل من اللَّه ثم منكم مساعدتنا والشفاعة لنا لدى أهل الخير لشراء هذه الأرض، فيجد الأمر غاية الترحيب منه ـ رحمه اللَّه ـ ويكتب لمن يراه من أهل الخير.

الخامسة: سماحة الوالد لقد وقع بيني وبين زوجتي خلاف شديد مما أدى إلى غضبي وتلفظي بالطلاق.. وإنني في حيرة من أمري آمل منكم إفتائي في هذا الأمر، فيطلب الشيخ منه الحضور مع الزوجة والولي إلى منزله، ويكون ذلك في الغالب بعد العشاء ـ وهو أمر شبه يومي ـ فيظل وقتًا طويلاً معهم ويسمع أقوالهم ويفتي لهم، وكم من أسرة التمَّ شملها بفضل اللَّه تعالى ثم بفضله، وفهمه، وعلمه، وفتواه.

السادسة: نحن جماعة من أهل الكتاب والسنة في البلد الفلاني، ونحتاج إلى عدد من المراجع المفيدة في العقيدة والتفسير وغيرها، فيستجيب لطلبهم، ويبعث لهم بعدد من الكتب والمراجع القيمة، ويدعو لهم بالفلاح والنجاح، والثبات على الحق.

السابعة: نحن أبناؤكم في البلد الفلاني، ولدينا جماعة تسمى كذا، فما رأي سماحتكم في السير معهم والاستماع إلى كلامهم، وما هو معتقد

أهل السنة والجماعة الصحيح الذي تنصحوننا بالسير عليه فيأتي الجواب شافيًا كافيًا يفيض علمًا وحلمًا وطهرًا ورفقًا ورحمة.

◻ وهكذا ينطلق بهذه النظرة الشاملة والنفع العام والخير الأتم، ومن يطيق مثل هذا العمل الشاق المتعدد الموارد والأشكال والأحوال بصورة يومية بل يمتد هذا الجهد من الفجر إلى منتصف الليل أحيانًا.

◻ قبل وفاته ـ رحمه اللَّه بأيام أرسل لي بمعاملة كنت بعثت بها إليه لبناء مسكن لأرملة فقيرة تهدم منزلها، وأبدى موافقته على ذلك، وبعد وفاته أتتني بعض المعاملات التي بعثت بها إليه قبل وفاته ـ رحمه اللَّه ـ بأيام من ضمنها ثلاثة طرود من الكتب النافعة لكي أرسلها إلى الهند لجميعة إسلامية هناك، كتبوا لسماحته يطلبون كتبًا في العقيدة والتفسير، وجاءني شيك بمبلغ من المال مساعدة لرجل تحمل حمالة، فكنت أقرأ خطابات سماحته ـ رحمه اللَّه ـ التي وصلتني بعد موته، وأنثر دموعي عليها، وأقول: رحمك اللَّه، رحمك اللَّه، رحمك اللَّه ولقد جاءني خطاب موقّعٌ من سماحته في آخر يومٍ من أيام حياته يوم الأربعاء ٢٦/ ١/ ١٤٢٠هـ.

◻ وأذكر هنا قصة رواها الدكتور محمد الشويعر تدل على الآفاق الخيّرة التي بلغها سماحته ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «ذهب وفد سعودي في إحدى المهمات إلى غابات أفريقيا، فجاءت عجوز عند هذا الوفد، وقالت لأحد رجال الوفد: أنتم من السعودية؟ فقال: نعم، فقالت: أبلغ سلامي على الشيخ ابن باز، فقال:كيف عرفتيه؟ فقالت: لقد كنت أنا وزوجي عائلة نصرانية وأسلمنا، ولكن طاردنا أقاربنا، وضاقت بنا الدنيا، فسألت عن مساعد بعد اللَّه، فقالوا: ليس لك بعد اللَّه إلا ابن باز، فكتبت إليه، وكنت لا أتوقع وصول الرسالة، ولكن فجأة إذا بالسفارة السعودية تتصل بي وتطلبني بمراجعتها وإذا بسماحته قد أرسل لها بمساعدة عشرة آلاف ريال،

فهذا الرجل كان له فضل بعد اللَّه في ذلك بعدما عرف أننا في بلاء ونحن مسلمون.

لقد كانت جهوده عظيمة، وفيوضه كبيرة، وعطاءاته دائمة لا يكل من فعل الخير ولا يمل.

◘ رأيته في الأشهر الأخيرة من حياته ذهب في يوم من الأيام من مكة إلى جده ليشارك في مؤتمر هناك، ثم تناول معهم طعام الغداء، فعاد إلى مكة، فصلى العصر وألقى الدرس بعد العصر، ثم ارتاح قليلاً ثم صلى المغرب وجلس قليلاً للناس، ثم ذهب إلى جدة لإلقاء محاضرة بعد العشاء، ثم بعد المحاضرة استضافه أحد الفضلاء، فذهب إليه، وألقى محاضرة، وأجاب على الأسئلة، وتناول طعام العشاء، وعاد ومرافقه يقرأ عليه عدداً من المعاملات والكتب من جدة إلى مكه، ثم كان أول الحاضرين في صلاة الفجر، وقس على ذلك كثيراً، وهذا غيض من فيض من الجهد الجبار، والنفع المتصل، والعطاء المبارك، مما يجل عن الوصف، ويصعب على الحصر.

◘ واستمع إلى هذه الحادثة التي هي أغرب من الغرائب، وأعجب العجائب، وقد حدثني بها الشيخ محمد الموسى ـ حفظه اللَّه ـ يقول: «في مرض الشيخ الأخير كنا في الرياض في شهر شوال لعام ١٤١٩هـ، قال في يوم من الأيام، وكان يوم الجمعة اشتد المرض بالشيخ وتعب تعبًا شديداً في ذلك اليوم، وكان طوال يومه يعاني ويتقيأ، فلم يستطع أن يصلي مع الناس لا الجمعة ولا العصر ولا المغرب ولا العشاء، فقرّروا نقله إلى المستشفى وجاءه بعض المحبين له يطمئنون على صحته وكان من بينهم سماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ نائبه ـ المفتي حاليًا ـ، وقد قال مُطمْئنًا لهم: أُبشِّركم الأمر سهل والحمد للَّه، تأثر خفيف، وسأذهب إلى المستشفى ونعود إليكم إن

شاء اللَّه.

❑ قال فذهبوا به إلى المستشفى وهو في حالة من التعب والمرض والإرهاق فعملوا له منظارًا وأعطوه بعض المغذيات والمهدئات فاستقرّت حالته نوعًا ما.

يقول: فاتصلت على الإخوان الذين مع الشيخ، وقلت لهم: بشّروا كيف حال الشيخ الآن، فقالوا: بخير والحمد للَّه، ولكنه يحب أن يقرأ عليه أحد، فقام أحد المرافقين وقرأ عليه قدرًا لا بأس به، ثم ناموا فإذا بالشيخ يقوم في وقته المعلوم لصلاة التهجد فيصلي ما شاء اللَّه له، ثم يقرأ القرآن، ثم يصلي بمن معه من المرافقين والأقارب والعساكر، صلى بهم الفجر، ثم استقبلهم بوجهه وألقى فيهم موعظة مؤثرة، ثم قرأ الأذكار والأوراد كاملة، فسأل الأخ صلاح عثمان: ماذا معك يا صلاح، قال: معي فتح الباري، وفتح المجيد، قال: باسم اللَّه اقرأ، فقرأ عليه إلى حوالي الساعة السابعة، قال: فذهبت إلى المستشفى لأطمئن على الشيخ، وكانت الساعة السابعة والنصف، وفي تمام الساعة الثامنة والنصف دخلت على الشيخ، وكنت أظنه نائمًا، فإذا به جالس على كرسيه يقرأ القرآن الكريم، فسلمت عليه فبادرني بقوله: هات إيش معك، فقلت: يا شيخ معي معاملات كثيرة، ومعي فتاوى اللجنة الدائمة الجزء الثاني عشر صدر من المطابع، ولكني تركتها بالسيارة وأتيت أطمئن عليك، قال: اذهب وأت بها، قال: فذهبت، وأتيت بالمعاملات، فقرأت عليه معاملة طويلة تتكوّن من اثنتي عشرة صفحة، ثم بدأت بكتاب الفتاوى، فقرأت عليه أربعين صفحة، فجاء ابنه عبداللَّه، فبدأ يكمل القراءة عليه إلى الصفحة الخمسين، ثم جاء الممرضون والأطباء ليطمئنوا على الشيخ، وينظروا إلى نتائج الفحوصات، فقالوا للشيخ: تحسنت حالتك والحمد للَّه، فقال لهم: ما بقي لكم عندنا شيء، ولم يبق لكم فيَّ

حاجة فهل تأذنون لي بالذهاب، فقالوا له: لا بأس فخرجنا من المستشفى، ونحن نظنُّه يريد الذهاب إلى البيت، فقال له ابنه أحمد: سنتجه إلى البيت إن شاء اللَّه، فقال له: لا، اتجهوا إلى المكتب، فذهب إلى مكتبه، فقال له ابنه أحمد: إذًا ننتظرك في البيت بعد صلاة الظهر مباشرة ـ إن شاء اللَّه ـ قال له لا سآتيكم في الموعد المعروف (الثانية والنصف) ـ إن شاء اللَّه ـ».

□ يقول الشيخ إبراهيم بن عبدالعزيز الشثري ـ أحد تلامذته ـ: «وكلما دخلت عليه في مجلسه إذا بالناس ملتفون حوله كل منهم يريد القرب من الشيخ وهم من بلاد شتى فهذا رئيس مركز إسلامي وذلك أمين جمعية إسلامية وآخر داعية في بلد كذا وكذا من بلاد الغرب والشيخ يعرفهم بأسمائهم ويسألهم عن الدعاة في بلادهم وعن الجهود التي يقومون بها هناك وعن أحوال المسلمين ومدى انتشار الإسلام والعوامل التي تحول بينه وبين الانتشار وعن المرأة المسلمة وما تواجهه في تلك البلاد، فيوصي هؤلاء الدعاة ويوجه المسلمين في بلادهم بالتمسك بالإسلام وتقوى اللَّه عز وجل واللين والرفق في الدعوة والتركيز في الدعوة على العقيدة الصحيحة وتبيينها للناس كما يوصيهم بسماع إذاعة القرآن الكريم التي تبث من المملكة وخصوصًا برنامج نور على الدرب، فيكرر هذه الوصية دائمًا لما وجد من استفادة الناس من هذه الإذاعة المباركة عبر ما يصله من رسائل من أقطار العالم ومما يذكر في هذا رسالة وصلت إلى سماحته من أحد مستمعي برنامج نور على الدرب وهو مقيم في سجن في إحدى الدول الغربية يقول فيها إنه يسمع برنامج نور على الدرب وقد استفاد منه كثيرًا ويطلب عرض رسالته على سماحة الشيخ ليعلم سماحته مدى استفادة الناس من علمه حتى الذين في السجون.

أما الرسائل التي تأتي إليه في منزله أو عمله من أناس خارج المملكة يطلبون كتبًا في العقيدة وأحكام الدين فإن سماحته يوصي بإرسال الكتب

المفيدة لأصحابها لكي يستفيدوا منها وبالفعل يتم إرسال الكتب والرسائل الصغيرة لهؤلاء الإخوة المسلمين المتعطشين لهذه الكتب ولأمثالهم لكي تنير لهم الطريق بتوفيق من اللَّه ـ جلا وعلا ـ فكم وكم أرسل سماحته من الكتب والرسائل المفيدة للإخوة الذين يطلبونها، فجزاه اللَّه خيرًا وجعل هذه الأعمال في موازين حسناته يوم القيامة»[1] .

❑ وإن من أعظم الأعمال في حياته ـ رحمه اللَّه ـ فتاواه في مسائل الطلاق على وجه الخصوص، كم جمع اللَّه على يديه من الأسر، وكم أقام من كيان تحطّم، ومنزل تهدم، وجمع اللَّه به قلوبًا تفرّقت، وبيوتًا تشتّتت، وأسرًا تمزّقت، عشرات الآلاف من المطلقين الذين كان لسماحته الفضل بعد اللَّه تعالى في إعادة حبل الود بينهم، ورأب صدع نفوسهم، ولسوف يبكي الناس على فقده دمًا، فإنه لا يكاد يمرّ يوم لم تأته فيه مسألة طلاق إلى آخر يوم من حياته ـ رحمه اللَّه ـ.

❑ في الليلة التي توفي فيها أفتى في مسألة طلاق، وقبل وفاته ببضعة أيام جاءني رجل من مسافة بعيدة يشكي ويبكي، طلّق زوجته ولديه ثمانية أبناء، وسبق له أن طلّقها قبل ذلك، جاءني وقلبه ممزق، دامع العين كاسف البال، ومكدّر الخاطر، وكان يخشى أن يفتي له الشيخ بعدم جواز مراجعته لامرأته، وكان ذلك في حرّ الظهيرة الحارق، قلت له: أين الزوجة، قال: موجودة في السيارة ومعها وليُّها، قلت: ائتني بهم إلى المكتب، فأخذت أقوالهم كاملة، وكتبتُ ما جرى بينهم، وكانت مشكلة كبيرة ملأت صفحتين كاملتين، فقلت له: انطلق الآن إلى سماحة الشيخ في الطائف، وصلّ المغرب، ثم اعرض أمرك عليه، وقل له: إنني قادم من سفر بعيد لكي ينهي أمرك في الحال، وقبل صلاة العشاء، وإذا بالرجل يهاتفني على الجوال ويكاد

(١) مجلة الدعوة ـ العدد ١٦٩٣.

يطير من الفرح، تلعثم لسانه، وارتبك كلامه من الفرح وأخذ يدعو لي ويدعو للشيخ بدعاءٍ طويل، ويقول: أبشرك الشيخ أفتى برجوع زوجتي إلى عصمتي.

◘ وكم من القصص التي كنا نراها عند سماحته ـ رحمه اللَّه ـ يأتي أصحابها ينثرون دموع الحزن، ويبكون لوعة المصيبة، فيخرجون من عند سماحته بدموع تذرف، ولكن من نوع آخر، إنها دموع الفرح والسرور والغبطة بفتواه التي أعادت الأمل، وزرعت الرضا.

طفح السرور عليّ حتى ... من عِظْم ما قد سرّني أبكاني

*** حُسن ظنه بالناس:**

من أعظم وأجمل ما ترى في هذا الشيخ: حسن الظن بالمسلمين، فالأصل عنده حسن الظن، ولا يحب التشكيك في أحد من المسلمين أو تخوينه، أو الكلام فيه بما لا يرضي حتى ولو بلغه أنه أخطأ عليه شخصيًّا أو نال منه، بل ذلك أدعى لجعله لا يهتم للأمر أصلاً، جاءه بعض طلبة العلم فشكوا إليه أحد الناس، وبينوا أخطاءه وبعض المخالفات عنده، فبدأ الشيخ يملي كتابًا لتوبيخه ونصحه وتوجيهه، وفي أثناء الكتابة، قال أحدهم: وإنه يا شيخ يتكلم فيك، وينال منك فقال الشيخ للكاتب: قف، وترك الكتابة خشية أن يقال إن الشيخ ينتقم لنفسه.

*** القيام بالمسئولية، والصدق في حمل الأمانة:**

* وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [الانفال: ٢٧].

* وقال تعالى: ﴿**والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**﴾ [المعارج: ٣٢].

● ويقول ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كَذَبَ، وإذا وعدَ أخلف وإذا ائتُمن خان» (متفق عليه).

◻ ولذلك كان سماحة الشيخ من أبعد الناس عن هذه الصفات، وهو - رحمه اللَّه - يعرف المنزلة العظمى لمن أدى الأمانة، وقام بالواجب، ونصح للأمة، ويعرف قوله ﷺ: «أربعٌ إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: صدقُ الحديث، وحفظُ الأمانة، وحُسن الخلق، وعِفّة مطعم»(١).

والشيخ - رحمه اللَّه - يعلم أنه مسلم، وأن عليه أمانة عظيمة، ثم هو عالم، وعليه أمانة عظيمة، ثم هو موظف مسئول يتقاضى أجره فعليه أمانة عظيمة، فأتى بما طلب منه، وأضعاف أضعافه، وقت الدوام الرسمي لا يخرم منه دقيقة، كان إذا كان في اجتماع، أو عمل خارج إدارته، ففرغ منه يسأل عن الساعة، فإذا بقي ولو نصف ساعة على نهاية الدوام يعود إلى مكتبه، ويكمل بقية دوامه، وهذا واللَّه رأيته أنا عدة مرات، ومع ذلك فوقت الشيخ كله دوام، ويومه وليلته في خدمة المسلمين.

◻ إن صاحب الحاجة لا يتعب في الوصول إلى الشيخ، يأتي الإنسان لديه مشكلة أسرية، أو قضية شخصية، أو فتوى شرعية، فإن لم يجد الشيخ في العمل، ذهب إلى بيته، فتغدى معه، وعرض عليه أمره، فإن لم يكن قابله في العصر، وقضى له حاجته، أتى إليه من المغرب إلى العشاء في بيته، فإن لم يمكنه أتى إليه بعد العشاء، فتعشى معه، وعرض قضيته، فإن لم يمكنه أتى إليه بعد الفجر، فهو يجلس إلى الساعة الثامنة تقريبًا.

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عمر، والطبراني في «الكبير» عن ابن عمرو، ورواه ابن عدي وابن عساكر عن ابن عباس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٨٧٣)، و«الأحاديث الصحيحة» رقم (٧٣٣).

◻ لقد رأيته ـ رحمه اللَّه ـ في الأيام الأخيرة من حياته، وهو على عمله الدءوب، وصبره العظيم، بل يزيد ولا ينقص، في ليلة من الليالي صلى المغرب ثم ألقى درسًا، ثم صلى العشاء، ثم عاد إلى البيت ليستقبل عددًا من حالات الطلاق، استنفدت من وقته أكثر من ساعة، ثم قام لموعد مع عدد من الأطباء بالجامعة لديهم أسئلة واستفسارات، ثم انتهى منهم، وألقى محاضرة في مدينة أخرى عن طريق الهاتف، كل هذا الجهد والعمل فقط من المغرب إلى ما قبل النوم دعك من بقية النهار، وهو مريض منهك، المرض يفتك بجسمه، والوباء يلتهم أحشاءه، ولم يبق منه إلا جلد على عظم، وفي الليلة التي تُوفِّي فيها ـ رحمه اللَّه ـ كان جالسًا للناس من المغرب للعشاء، وأفتى في بعض المسائل بعد العشاء، وجلس إلى أهله وأبنائه، ثم في الثلث الأخير من الليل وهو في مصلاه يذكر ربه ويسبحه ويحمده ويمجده، سافرت الروح إلى بارئها، وغادرت الروح الطاهرة هذه الدنيا بأتعابها وأوصابها، سافرت في ليلة الخميس؛ لأنه كان يستحب السفر كل اثنين وخميس فسافر إلى مولاه، وأجاب ربًّا دعاه ـ رحمه اللَّه، رحمه اللَّه، رحمه اللَّه ـ»[1] ا. هـ.

هل ما روينا وما يُروى لنا صور ... من الحقائق أم ضرب من الحُلُم
نعم، فكل معاني الفضل ماثلة ... فيكم وكل سمات النيل والشيم

◻ يقول الشيخ ناصر الزهراني تلميذ الشيخ وإمام مسجده: «الشيخ هو الصورة المشرقة للإسلام وأنا أعي وأعني ما أقول، إذا أردت أن تنظر إلى الإسلام واضحًا نقيًا، بيّنا جليًّا، فانظر إلى حياة هذا الشيخ وسيرته بمعنى أن الخصال المحمودة، والمثل الطيبة التي أمر بها الإسلام خير من يطبقها في هذا

(١) «إمام العصر» باختصار (ص٥٥ ـ ١٧٥).

الزمن، وخير من تمثلت في حياته ممن رأينا هو سماحة الشيخ ـ رحمه اللَّه، كان رسول اللَّه ﷺ قرآنًا يمشي بين الناس، وأفعاله وأقواله سنة للناس، فجاء الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ فكان قرآنًا يمشي بين الناس، وتمثل سنة المصطفى ﷺ فأصبح قرآنًا وسنة يمشي بين الناس، فواللَّه ما رأيته في يوم من الأيام متلبسًا بأمر معيب، أو ماضيًا في تصرف مشين، أو مخالفًا لسنة، بل كان شديد الحرص على تطبيق السنة بحذافيرها، في كل أموره كبيرها وصغيرها، دقيقها وجليلها»[١] .

*** أقوال في الثناء على إمام أهل السنة والجماعة في عصرنا وقرننا سماحة الإمام الشيخ ابن باز:**

❑ قال عنه الدكتور محمود بن محمد سفر وزير الحج:

«لقد سُئل العرب: كيف ساد فيكم فلان؟ قالوا: احتجنا لعلمه واستغنى عن دنيانا. وعندما يسألنا العرب والمسلمون كيف ساد فيكم ابن باز؟ نقول لهم: احتجنا لعلمه واستغنى عن دنيانا»[٢] .

*** ولسوف يذكرك الزمان:**

«الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.. وبعد.

ففي فجر يوم الخميس السابع والعشرين من شهر اللَّه المحرم من عام عشرين وأربعمائة وألف، فارق الدنيا وانتقل إلى رحمة اللَّه ورضوانه بإذنه سبحانه علم من أعلام الأمة، وبحر من بحارها، وحبر من أحبارها إمام أهل

---

(١) «إمام العصر» (ص١٧٤).

(٢) «جريدة الشرق الأوسط» ـ العدد ٧٤٧٧.

السنة، وحامي عقيدة السلف، حجة هذا العصر، شيخنا ووالدنا سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.

◘ ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإننا على هذا الفراق لمحزونون، نسأل اللّه العلي القدير ألا يحرمنا أجره، ولا يفتننا بعده، وأن يغفر لنا وله، اللّهم اغفر له، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين.

◘ لقد طويت صفحة من صفحات تاريخ الإسلام، صفحة من صفحات العلم والفضل، التقوى والورع، والزهد والعفة. لقد قال عنه الكثير كثيرون، ولسوف يقولون ثم يقولون، وإن مؤلفاته وآثاره تقول أكثر وأكثر.

◘ لقد دفنت في مقابر العدل بمكة المكرمة الطاهرة مرجعية من مراجع الفقه والفتوى، وعلم من أعلام الحديث والسنة، ونموذج شامخ من نماذج التقوى والصلاح، برحيله ـ رحمه اللّه ـ حدثت بأهل الإسلام ثلمة واسعة وفتحت ثغرة عميقة، يدرك المتأمل غورها إذا تذكر غزارة علم الفقيد، ويهوله عمقها حين يتأمل اقتران العلم بالعمل اقترانًا أتعب فيه الفقيد من بعده. لم يتوقف يومًا عن طلب العلم والاستزادة منه، ولم يتوقف عن تعليمه وبذله، ثم لم يتوقف فيما رأينا وعلمنا لحظة عن الممارسة العملية في لحظه ولفظه، قوله وفعله، في البيت والمسجد، والمكتب والمركب، والحضر والسفر، فهو في كل أحواله يربي ويوجه، ويعظ ويرشد، ويعلم ويفتي، ويدعو ويفقه.

◘ جانب من جوانب عبقرية الشيخ وتميزه يتمثل في الحياة الزاهدة

---

(١) للشيخ صالح بن عبداللّه بن حميد ـ جريدة المدينة العدد ١٣١٩٨.

الورعة التي أخذ بها نفسه، لك أن تتخيل رجلاً يعيش فيما عهد من حياته أكثر من سبعين عامًا ـ لم يحسب من ذلك سنوات الطفولة والصبا ـ على حال واحدة لا تتغير من هذا التماسك العجيب والتمسك المتين، والموقف الحازم الصارم من الدنيا، لم يرفعه في أعين الناس إلا صغر الدنيا في عينه، هذه الدنيا التي لا تذكر في مجلسه قط فكل مجلسه قال اللَّه عز شأنه.. وقال رسوله محمد ﷺ، وقال أهل العلم، قراءة وتحديثًا شرحًا وبسطًا ووعظًا وتوجيهًا واشتغالاً بهموم المسلمين العامة والخاصة ، يحل مشكلاتهم، ويسعى في حوائجهم، ويشفع فيما لا يستطيعه بنفسه. تتجلى عبقرية هذا الإمام في الحياة التي عاشها في منزله بين المساكين والغرباء، والتي لم تعهد لأحد مثله في هذا العصر، يستقبلهم، ويحتفي بهم ويدنيهم ويتفهم مشكلاتهم، ثم يسعى في حلها مهما كان نوعها، ثم يلتفت كل من حضر حول مائدة الشيخ ليلتقي على هذه المائدة المستديرة الغني والفقير والوجيه والوضيع، والكبير والصغير.

❑ كما تتجلى عبقرية الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ في هذا الاحترام الكبير والود العظيم الذي احتفظ به مع الموافق والمخالف. لم يعرف عنه كلمة نابية ولم يعهد عنه لفظ جارح مع كثرة رسائله ومخاطباته ومكاتباته ومقابلاته فهو راد ومردود عليه، متصد لبيان الحق لا يسكت على باطل، ولكنه كان محافظًا على سمته ووقاره وعفته وأدبه في قلمه ولسانه؛ لأنه يقرن العلم بالعمل فعنده ورع حاجز، وتقوى حافظة، ولا نزكيه على اللَّه، لقد أبقى اللَّه له الحب والود في قلوب الناس في احترام يندر أن يكون له مثيل، وما ذلك بعد توفيق اللَّه، إلا لصحة المعتقد، والسلامة من الهوى، والحرص الشديد على تحري الحق مع ما انضوت عليه نفسه من حب الخير للجميع، بل حب إصابة الحق للجميع.

☐ تتجلى عبقرية الفقيد ـ رحمه اللَّه ـ فيما رسمه وطبقه من علاقة متينة حكيمة وقورة بين العلماء والدولة، والراعي والرعية، الدولة وفقها اللَّه وسددها تعرف علمه وفضله وغايته وحكمته، وهو يعرف وظيفته ومنزلته، هبت عواصف، وهدرت بحار، وهاجت أمواج، فكان هو بإذن اللَّه الصاري الممسك بشراع السفينة، نحسب أن اللَّه قد وفقه وألهمه لما علم من صلاح نيته وصحة مسلكه وصدق نصيحته ونفاذ بصيرته.

☐ تتجلى شخصية الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ بالنظر فيما يتعرض له العالم الإسلامي وغير الإسلامي من غزو فكري، ومحاولات اختراق أدت في بعض صورها إلى حالات من الغلو والتشدد أو حالات من التسيب والتحلل مع اختراق لإضعاف الولاء للدين والانتماء للعقيدة الحقة.

☐ إن مواجهة هذه الحملات ضعفت في كثير من الجبهات في مواقع من العالم الإسلامي تحت تأثير الزخم الإعلامي أو الضغط السياسي، فتجلت بفضل اللَّه مدرسة الشيخ المتمسكة بدينها بقوة لتستبقي ملامح الأمة وقسماتها بعيدًا عن الانهيار والانبهار والتأثر بمد الغزو الثقافي والفكر الغربي العلماني، لا تأخذه في هذا الباب لومة لائم، لا يبالي أن يقع الأمر والنهي موقع الرضا والقبول أو موقع الكراهية والاعتراض، ومن أجل هذا لم تكن له ـ رحمه اللَّه ـ جناية على الدين أو الأمة أو الحكام.

☐ توازن عجيب في فهم القضايا واستيعابها، وإعطاء الحلول لها في فهم لدرجاتها وأهميتها في الشئون العامة والخاصة في السياسة والحكم والعقيدة والفقه والدعوة والشئون الاجتماعية. لقد كان ـ رحمه اللَّه ـ مدرسة في حكمته وتعامله الرصين والإيجابي مع هذه القضايا الكبرى منها والصغرى. هو نموذج لما تحظى به هذه البلاد المباركة من علماء مخلصين ناصحين يقدمون النصيحة للَّه ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم،

فتركوا علمًا نافعًا وأثرًا طيبًا، وقدوة حسنة ـ ولله الحمد ـ هو نموذج لما يوليه ولاة الأمور في بلاد الحرمين الشريفين من محبة لأهل العلم واحتفاء بهم وبنصحهم ودعوتهم ووعظهم، لقد سعدت بهم وسعدوا بها فارتقت هذه البلاد في موقعها المتميز في البلاد الإسلامية بمثل هذه السيرة والانسجام والتوافق الذي نهنأ به، ويتناقله القاصي والداني بين العلماء والحكام.

❐ في هذه البلاد ارتقى شأن العلماء واستقر الحكم، وطبقت الشريعة في أرض الله على عباد الله، ففتحت الأمة صدرها لمحبة حكامها، وبذلت لهم الطاعة لأنهم ساسوا الناس بسياسة الشرع، وبمثل هذا الانسجام والالتزام والمحافظة أصبح المجتمع مسلمًا في دولة مسلمة متمسكًا بإسلامه معتزًا بدينه عصيًا على الذوبان، محميًا بإذن الله من الضياع والتحلل والانهيار، إن غياب شيخنا ـ رحمه الله ـ يخلي ساحة المرجعية الإسلامية في العالم الإسلامي من مثل هذه الشخصية الفذة، ويتأكد هذا الغياب ويعظم حجمه في النفوس كلما تذكرنا غزارة هذا العلم الذي دفن، والصلاح الذي اختفى والورع الذي توارى، والصدر الواسع الممتلئ بالحب والنصح والصدق والشفقة على الأمة كلها، كل ذلك واريناه في مقابر العدل في مكة المكرمة الطاهرة، ولكن حسن عزائنا بربنا وبما هدانا إليه سبحانه من الدين الحق والرضا بمر القضاء، فكل نفس ذائقة الموت، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ويخف الأسى، ويحسن العزاء، إذا ما نظرنا إلى ما تركه ـ رحمه الله ـ من تراث وخلفه من علم، وربّى من تلاميذ، ومن حسن العزاء ما نعيشه في هذه البلاد المباركة في حكم بشرع الله، وسياسة الناس بدين الله، والذي انبثق منها هذه المنزلة المحفوظة لأهل العلم فهي التي أكرمت ابن باز حيًا وميتًا، وكرّمت إخوانه وسلفه وخلفه من أهل العلم وطلبته..»[1].

---

(١) جريدة المدينة ـ العدد ١٣١٩١.

* **الإمام العلامة:**

❑ بقلم الشيخ الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد:

«الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد،،،

❑ فإن الأجيال في كل عصر بعامة، وفي هذا العصر بخاصة محتاجة حاجة ماسّة إلى التعرف على الشخصيات البارزة في مجتمعهم، المعاشة في واقعهم، الشخصيات التي يقوم عليها - بإذن الله - البناء ويرتسم بسيرتها المنهج.

يحتاج النشء إلى التعرف عن قرب على هؤلاء الرجال الذين يحملون المسئولية بقوة واقتدار، وكفاءة واصطبار، يحملون على عواتقهم أمانة الحفاظ على دين الله وتربية عباد الله في جمع عجيب بين الحب لهم والغيرة عليهم.

❑ منطلقهم في ذلك الدين بكل شموله الإيماني والفكري والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والسياسي، دين الدنيا والآخرة جميعًا، الإيمان والعمل الصالح معًا، إنهم علماء المساجد والمنابر وشيوخ الميادين والعامة.

❑ وصاحب السماحة الإمام العالم العلامة الحبر والبحر والدنا وشيخنا الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز - رحمه الله رحمة واسعة ورفع درجاته أعلى منزلة أنموذج من هؤلاء، علم يتسنم الذروة في الرجال ويعلو القمة في الأفذاذ دينًا وورعًا وعلمًا وفضلاً وكرمًا وجودًا، ولا أزكي على الله أحدًا وما شهدنا إلا بما علمنا وعلم البواطن موكول إلى الله وحده فهو أعلم بمن اتقى، وهو أعلم بمن هو أهدى سبيلاً.

❑ لقد عاش الشيخ - رحمه الله - حياة علمية دعوية متوازنة يتوافق فيها الفكر مع العمل ويقترن فيها العمل بالسلوك حياة تجلى في توازنها الفكر

الثاقب، والعطاء النير، والإسهام العميق، والمدد الغزير في ميادين الحياة كافة. امتداد في العلم والدعوة والتربية والتوجيه شمل أصقاعًا عريضة من العالم الفسيح من خلال أثره الفكري المقروء والمسموع ومشاركاته الميدانية في المؤتمرات والمجامع والحلقات والمنابر والمجالس واللجان، رئاسة وأستاذية وعضوية، إنه رجل شاء اللَّه أن يقع على كاهله أعباء جسام في الدعوة والإرشاد والبحث العلمي والإفتاء وخدمة قضايا المسلمين كافة.

إن العطاء والتوازن والثبات في حياة الشيخ وسيرته ـ علمًا وتعليمًا ودعوة ـ جلي بارز من خلال الرصد للقنوات التي صبغت عطاء الشيخ وأَطَّرتْ أثره في إطار متميز، ولعل ذلك يتبين من هذه القنوات الثلاث الكبرى:

الأولى: الإيمان العميق والعقيدة الراسخة في اللَّه ورسوله وكتابه ودين الإسلام وأثر ذلك في سيرته ومسيرته سلوكًا حسنًا وورعًا وزهدًا وصدقًا في اللهجة وحبًا للناس وثقة متبادلة وعطفًا ورقة وكرمًا وبذلاً.

الثانية: التأصيل العلمي المبني على أصلي الدين: الكتاب والسنة، فالشيخ يحفظ القرآن كله ويتدبره، ويحفظ الكثير من السنة ويفقهها، فهو دائم التلاوة للقرآن بتدبر، قدير في الاستحضار للسنة بتفهم، سريع الاستشهاد بهما، ملتزم للاسترشاد بنورهما مع دعوته الظاهرة في كل مجلس وناد للأخذ بهما والرجوع إليهما والحث عن مداومة قراءتهما ومطالعتهما، وحفظ المتيسر منهما.

الثالثة: روح الاجتهاد والاستنباط المنبثقة من الفقه المتين والدراسة الواعية والفهم العميق والفكر المستنير مع الإحاطة البينة بمقاصد الشريعة وأصولها وقواعدها وضوابطها.

□ ومن يسبر ذلك ويرصده في حياة هذا الإمام يدرك وضوح الطريق

عنده وانسجامه مع نفسه، ومن حوله في توافق سوي وسيرة معتدلة ونهج قويم.

❑ هذا هو الشيخ الذي يزكو شكره، ويعلو عند أهل العصر ذكره، ويعني الأمة أمره.

❑ الصنيعة عنده واقعة موقعها والفضيلة إليه سالكة طريقها، إن أوجز في الموعظة كان شافيًا، وإن أطنب كان مذكرًا، وإن نبه إلى ملاحظة فهو المؤدِّب المؤدَّب، وإن أسهم في التوجيه فهو المفهم، واضح البيان، صادق الخبر، بحر العلوم، نزهة المتوسمين، خصيم الباطل، نصير الحق، سراج يستضيء به السالكون، لين العريكة، أليف مألوف، يرفعه في أعين الناس صغر الدنيا في عينه، لا يتطلع إلى ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد، متحكم في سلطان شهوته لا تدعوه ريبة ولا يستخفه هوى خارج من سلطان لسانه، لا يتكلم بما لا يعلم ولا يماري فيما يعلم خارج من سلطان الجهالة، لا يقدم إلا على غلبة ظن في منفعة، لا يرى إلا متواضعًا، وإذا جد الجد فهو القوي الغيور، لا يشارك في مراء، ولا يلوم إذا وجد للعذر سبيلاً، لم ير متبرمًا، ولا متسخطًا، ولا شاكيًا، ولا متشهيًا، لا يخص نفسه باهتمام دون إخوانه، واسع الشفاعة طويل يد العون. هذه إلماحات في سيرته وإشارات إلى ظاهر حاله واللَّه ربنا وربه هو حسبنا وحسبه. فعليك أيها النبيل بالأخذ بمجامع المحاسن إن أطقت وإن عجزت، فأخذ القليل خير من ترك الجميع، ولله الحجة على خلقه أجمعين رحم اللَّه الشيخ رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وجمعنا به في جنات الخلد إنه سميع مجيب الدعاء»[1].

---

(١) «إمام العصر» (ص٢٨٢ ـ ٢٨٥).

* **إمام في علمه قدوة في سلوكه:**

◻ قال الشيخ الدكتور عبدالوهاب بن إبراهيم آل سليمان:

اختار المولى جل وعلا إلى جواره الكريم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبداللَّه بن باز وقد كان ـ رحمه اللَّه ـ عالمًا فذًا، ومثلاً رفيعًا في العلم والسلوك، تتابعت مآثره ونمت فضائله، اعترف له الجميع بالإمامة في العلم والقدوة في السلوك. يوم الخميس ٢٧/١/١٤٢٠هـ فخيم على الأمة الإسلامية سحابة حزن وألم عميق.

وصلى عليه جموع المسلمين في المسجد الحرام الذي شهد جمعًا من المصلين وكأنه يوم من أيام الحج، امتلأت ردهاته وازدحمت ساحاته بالمصلين يلهجون بالدعاء والرحمة لإمام فقدوه لم يأل جهدًا في بذل النصح والحب والشفقة عليهم طوال عقود من السنين ينفذ نصحه وكلماته إلى مسامعهم وقلوبهم في رفق ولين، وحب وعطف.

◻ ووُري جثمانه الطاهر بمقبرة العدل بمكة المكرمة في يوم مبارك يوم الجمعة ٢٨/١/١٤٢٠هـ تحمله القلوب لا الأكتاف، ازدحمت في تشييعه مسالك مكة وفجاجها في منظر وجمع عظيم من الأمة يعلوهم الحزن وتكسوهم الكآبة»[١].

◻ جاهد ـ رحمه اللَّه ـ لإصلاح حال الأمة ومصلحتها والسعي الحثيث لرأب الصدع بين الأفراد بالرفق واللين، وبما يقرب بين القلوب المتباعدة، والنفوس المتنافرة ما وسعه منطقه، ينتصر للحق، ويوصي به في لهجة هي الحب والإخلاص، والغيرة على محارم اللَّه وحدوده، فأصبح ما يقوله وينصح به مقبولاً لدى الحاكم والمحكوم الكبير قبل الصغير، القوي قبل الضعيف.

---

(١) المصدر السابق (ص٢٩١).

◘ منح ـ رحمه اللَّه ـ حبه وعطفه وشفقته ونصحه للأمة دون تمييز.

شئون الأمة الإسلامية هاجسه، تمتلك عليه مشاعره وهمومه إذا التقى مجلس هيئة كبار العلماء فأول ما يبتدر الحديث سؤاله عن شئون الأمة الإسلامية، يستكشف أخبارها في جميع أقطارها، يتلمس أبناءها إن كانت خيرًا حمد اللَّه وأثنى عليه وإن كانت غير ذلك أحزنه أمرها، ودعا اللَّه أن يكشف الغمة عنها، وسعى ما استطاع من قول وعمل وجهد لما يرفع عنها الشدة، ويزيل عنها البأس.

انصرف عن الدنيا ومباهجها، ورغب في التقليل منها في وقت يحرص غيره على التكالب عليها، والتكاثر منها فمنحه المولى جل وعلا القبول لهدى عباده، يطرق حديثه القلوب، وتتجاوب لمقالته النفوس الراغبة في الخير، وصدق الأخ الأديب الدكتور سعيد السريحي:

«غابت الدنيا عن عينيه، وحضرت الآخرة في قلبه»[1].

*** وبكى العلماء أمام تواضعه:**

◘ قال الدكتور محمد بن سعد الشويعر مستشار سماحة الشيخ ابن باز:

«إن فقدان الشيخ فقدان لأمور كثيرة تعلمناها منه وآداب رفيعة أخذناها عنه تطبعًا وحسن توجيه، فهو مع علمه الجم. مدرسة بأخلاقه، ومدرسة بحماسه للدعوة إلى دين اللَّه، ومدرسة بحب الخير والمساعدة للقاصي والداني، في كل شئونهم بدون تمييز ومدرسة بالتواضع النادر مثله في هذا الزمان، يبين هذا عندما تأتي وفود من الخارج يريدون السلام عليه وبعد السلام والجلوس يسألني بعضهم: أين الشيخ ومتى يأتي حتى نسلم عليه ونشرح له قضايانا.. ولما أجيبهم بأنه هذا الجالس الذي سلّم عليهم وبمجلسه

(١) جريدة عكاظ ـ العدد ـ ١١٩٥٢.

المليء فئات من البشر من آفاق الدنيا بدون تفريق.. هذا الشيخ الذي وهبه اللَّه خصالاً هي من سمو الإسلام ومثالياته.

ولقد بكت أمامي أكثر من شخصية إسلامية كبيرة بعد إخبارهم ليقولوا: «تعودنا حتى من علماء بلادنا التعاظم والمواعيد المسبقة.. إن هذا لا نظير له إلا فيما نقرأ في الكتب عن علماء السلف الصالح».

أما الكرم فناهيك بهذه الخصلة التي تتمثل في أكثر مما سمعنا عن كرماء العرب، فالسخاء والبذل والوجه البشوش سجايا تطبع بها منذ حداثته، وهو لا يملك من حطام الدنيا شيئًا فلما قدر سخره للضعفاء، ولذوي الحاجات.. إذ راحته في كثرة الضيوف.. وتوافر أصحاب الحاجات وإدخال السرور عليهم.

❏ المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، عندما يختلفون في أمر وتكثر أمامهم الآراء يلجأون بالهاتف من أي منطقة لسماحة الشيخ عبدالعزيز فيصدرون عن رأيه، ويرضون بما يوجههم إليه.

❏ والجاليات الإسلامية في أنحاء المعمورة رغم أنه لم يغادر المملكة طول عمره لا يحل قضاياهم ولا يريح قلوبهم من أي أمر يريدون، ولا يبذل الجاه لبناء مساجدهم ومراكزهم، أو يمدهم بالكتب إلا الشيخ عبدالعزيز بن باز.

ومع هذا فمن واقع معايشتي معه: فهو لا يصدر في أموره عن رأي شخصي، ولا من عاطفة ذاتية، ولكنها حمية الإسلام، والتوثق من الدليل الشرعي: آية أو حديثًا.. ثم استخارة اللَّه سبحانه بعد ركعتين يدعو اللَّه فيهما فإن ارتاح قلبه اطمأن وعمل بعد التوكل على اللَّه.

ولذا فإن الشيخ عبدالعزيز أب رحيم وعطوف على اليتامى والمساكين، وعلى الأرامل والفقراء، وعلى المحتاجين ومن لا تصل كلمتهم إلى المسئولين

فيوصلها بشفاعة ودعوات للمشفوع تجعل قلبه يرق، ويده تسخو ولعل اللَّه سبحانه قد حقق له حديث رسول اللَّه ﷺ الذي جاء فيه: «**إن اللَّه إذا أحب عبداً جعل حبه في قلوب الناس**» وما أحصي كثرة الخصوم الذين يعتذرون إليه كتابيًا وهاتفيًا ومشافهة عن النيل منه سابقًا والتحدث فيه فيدعو لهم ويسامحهم ويعفو عنهم وعن من لم يعتذر..»[1].

*** رحمك اللَّه أبا عبداللَّه:**

◘ قال مدير عام مكتبه الشيخ الدكتور عبداللَّه بن حافظ بن حكمي:

طلعت علينا شمس النهار وقد فارقنا شمس العلوم والمعارف قبل أن ينبلج نهارها ويشع ضوؤها، وحل يوم الخميس وقد ودعنا فيه زينة الأيام وإمام الزمان. يوم الخميس هذا اليوم الذي كان لا يختار السفر إلا فيه، أتم اللَّه له الاختيار فكان سفره الأخير فيه، فإلى خير مستقر إن شاء اللَّه. والحمد للَّه على ما قضى وقدر.

نذكر الوالد الحبيب بأعمال الخير التي قضى حياته فيها، وعطّر تاريخ أيامه بأريجها، جهد دائب لا يعرف الإجازات ولا الاستراحات، منقطع لنشر العلم ونفع الخلق في ليله ونهاره، حتى السويعات الأخيرة من حياته، عمر مديد وعمل حسن، فليهنأ الوالد ـ أبو عبداللَّه ـ بالعمل الطيب والذكر الحسن. أجزل اللَّه له الأجر، وأعظم له الثواب، وتقبل منه، وجزاه خير ما جزى به عبدًا صالحًا.

◘ نذكر مجالس الفتيا: يجيب كل سائل ويحل معضلات المسائل، وما رأيت أسرع منه إجابة، ولا أوقع على المقصود؛ جواب بلا إطالة، مقنع لا يدفع، قد أحاط بالأدلة، وجمع الأقوال، فانقطعت بجوابه الحجج. قنع

---

(١) جريدة الجزيرة ٢٨/ ١/ ١٤٢٠هـ.

الناس بكلامه فلا تردد بعد قوله، ولا جهل بعد فتواه. أجمع على قبول قوله العلماء والعامة. فكان المرضي عند الجميع. علمٌ واسع، ورأيٌ سديد، وعقلٌ راجح، وفراسةٌ صادقة. إن علم أجاب وإن أشكل عليه الأمر لجأ إلى اللَّه داعيًا ذاكرًا مسبّحًا مستغفرًا متضرعًا أن يلهمه الصواب، فنعم العالم الورع التقي الزاهد.

❑ نذكر المساجد: المساجد التي سعى في بنائها بالتعاون مع ولاة الأمر وأهل الخير التي تعد بالمئات في داخل المملكة وخارجها. كان آخرها ثلاثة مساجد في يوم وفاته على مكتبي قد بدأ ـ يرحمه اللَّه ـ في إجراءات تعميرها. حرص على ذلك، وفرّغ لهذا العمل موظفًا يتابع معاملاتها في مكتبه الخاص، ووقتًا يدرس أوراقها فيه.

نذكر حرصه على إعمارها بحلقات العلم التي أقامها فيها جُل حياته. يبدأ درسه بعد صلاة الفجر إلى أول الضحى، دروس متعددة تعلو على دروس الجامعات والمدارس العليا في عددها ومستواها. هو الشيخ والمعلم فيها.

نذكر حثه على أداء الصلاة فيها جماعة. وعدم التهاون، ولم ننس كلما ردد المؤذن: اللَّه أكبر، اللَّه أكبر، حي على الصلاة، حي على الفلاح دعوته الدائمة إلى إجابته: البدار البدار، الإسراع الإسراع. أذكر وصيته يوم جئت أقرأ ورقة فور انتهاء المؤذن من الأذان. فسأل: لم أسمع الأذان، هل أذن؟ فقلت: نعم الآن أذن، فقال: أتعمل وقد أذن؟ الصلاة الصلاة..

❑ خمسة وعشرون عامًا: لم أره فيها إلا ساعيًا في سبيل الخير، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، ناصحًا للَّه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، مجيبًا لسائل، مغيثًا للملهوف، معينًا لذي الحاجة»[1] .

---

(١) جريدة الرياض ـ العدد ١١٢٨٣ .

* في وداع الشيخ:

◻ قال عنه الأديب الشاعر غازي القصيبي:

إذا قيل: «الشيخ» عرف الناس الرجل المقصود..

جاءه اللقب من الجموع..

لم يحصل عليه من الجامعة..

ولم تُنعم به هيئة..

ولم يصدر بتحديده مرسوم..

كان ـ الشيخ ـ كبيرًا..

وكان كبيرًا جدًّا..

كان كبيرًا بعلمه..

وكان كبيرًا جدًّا بتواضعه..

وكان الشيخ كريمًا..

وكان كريمًا جدًّا..

كان كريمًا بماله..

وكان كريمًا جدًّا بنفسه..

وكان الشيخ طيبًا..

وكان طيبًا جدًّا..

كان طيبًا.. لا يخدع أحدًا..

وكان طيبًا جدًّا.. لا يغضب من أحد خدعه..

كان بعض اجتهاداته موضع خلاف..

أما نزاهته الفكرية كانت محل إجماع..

قولاً واحدًا..»[1].

(١) «إمام العصر» (ص٣٢٠ ـ ٣٢١).

* **ذكرياتي مع فقيد الأمة:**

◻ قال عنه الشيخ عطية محمد سالم وقد زامله منذ خمسين عامًا:

«إن الحديث عن الشيخ ابن باز بالنسبة لي شيء طويل المدى بعيد؛ فقد عرفته منذ السبعينات عندما كان قاضيًا في الدلم أما صلتي به عن قرب فكانت عندما كنت طالبًا ومعلمًا في كلية الشريعة، وقد تتلمذت على يديه الفقه والحديث، ثم زاملته وصاحبته سواءً في منزله أو في المسجد بعد تخرجي من الكلية في الرياض وفي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة كمساعد له بتكليف من الشيخ محمد بن إبراهيم وقد كنت حينها مسئولاً عن شئون التعليم وهذا ما زاد صلتي به عمقًا.

● **مآثر سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز يرحمه اللَّه كثيرة هل ترون لنا بعضًا من هذه المآثر من خلال قربكم من سماحته في فترة سابقة؟**

لا أعتقد مهما تحدثنا عن الشيخ ابن باز أن نوفيه حقه في التعريف به ولكن كان يرحمه اللَّه علمًا عاليًا وطودًا أشم وجبلاً يتميز بتوحيده وحلمه وكان لا يتحزب ولا يتعصب في البحث وفي المسائل الأخلاقية إنما يبحث بمقتضاه الخاص ويتكلم فيه برأيه. أما النواحي العلمية فكان بحرًا وله من الذكاء والذاكرة ما لم تجده في غيره وقد أثبتت كثيرٌ من المواقف هذه الفطرة التي وهبه اللَّه إياها من الذكاء والذاكرة.

● **هل يتذكر فضيلتكم بعضًا من هذه المواقف؟**

الشيخ عبدالعزيز بن باز كان علامة في الحديث والفقه والتوحيد وكان موسوعة في هذه العلوم ومبرزًا فيها.. وعندما كنت أتعلم على يديه أتذكر أنه كان يشرح لنا في درس الحديث موضوعًا من المواضيع وكان يدرسنا في الفقه بنفس الباب على شيء آخر فقلت له ذات مرة يا شيخ أنت تورد أشياء

في الحديث لا توردها في الفقه وتقتصر في الفقه على أشياء تذكرها في الحديث فما هي وجهة نظرك؟ فقال سماحته يرحمه اللَّه: الحديث ليس له حدود وبقدر ما أعطاك اللَّه من الفهم وأقوال السلف سواء كان رأي الحنابلة أو غيرهم من علماء الأمة أما الفقه فأنت مقيد بكتاب اللَّه في مذهب وكمدرس لهذا الكتاب ليس لك أن تخرج عنه عندما تشرحه وتبينه حتى الحد الذي يستوعبه الطالب. وذات مرة حصلت قضية من الشيخ أدهشت كل الحاضرين لإحدى المحاضرات الاجتماعية في الجامعة والتي حضرها سماحته وجاء المحاضر ليلقي محاضرته ومعه سبورة وكتب عليها اسم المحاضرة والنقاط الخاصة بها والجزئيات المتعددة لهذه النقاط ثم أخذ يشرحها مفصلة بجزئياتها في ساعة ونصف وبعد المحاضرة طلب من الشيخ ابن باز أن يعلق عليها فذكر سماحته نقاط المحاضرة الست وجزئياتها وعلق على كل نقطة بالتفصيل ولم يترك شيئًا منها وهي كما ذكرت لك محاضرة اجتماعية وليست فقهية. واندهش الجميع من ذاكرة سماحته القوية وذكائه في استيعاب المحاضرة فلو أننا كنا موجودين لما استطعنا أن نعلق على أي نقطة دون النظر إلى السبورة وتذكر النقاط.

□ كما أنه يتميز بأخلاقه وسماحته وكرمه وكان يأتيه الفقراء والمساكين لطلب المعونة فلا يتردد أن يعطيهم، وكثيراً ما طلب من صندوق الجامعة سلفة تخصم من راتبه ليعطيها هؤلاء الفقراء الذين قصدوه ومرة جاءني وقال لي: أريدك أن تعطيني سلفة قدرها مائتي ريال فضحكت وقلت له: الشيخ ابن باز يأخذ سلفة من عطية سالم، ثم أردفت لو كان المبلغ لك لأعطيتك عشرة آلاف اذهب وخذ من الصندوق قال لي: عندما ذهبت إلى الصندوق أخبرني أمينه أن راتبي منتهٍ وأني مدين للصندوق للشهر الذي بعده بـ ٤٠٠ ريال.

هذا هو الشيخ ابن باز كان يقترض من الصندوق ولم يبق شيء من راتبه ومدين للشهر الذي يليه من أجل أن يعطي الفقراء والمساكين جاء يتسلف ليعطي غيره. نوادر كانت في الشيخ ابن باز يطمع أي واحد منا أن يصبح مثله[١].

بكى الشرق فارتجت له الأرض رجة وفاضت عيون الكون بالعبرات
ففي الهند محزون وفي الصين نادب وفي مصر باك دائم الحسرات
وفي الشام مفجوع وفي الفرس نادب وفي تونس ما شئت من حسرات
لقد كان مقصود الجوانب آهلاً تطوف به الآمال مبتهلات
مثابة أرزاق ومهبط حكمة ومطلع أنوار وكنز عظات

*** الإمام العالم العامل سماحة الشيخ ابن باز:**

◻ قال عنه الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري:

«أهم وأجلى وأنفع ميزة للشيخ أنه علم ليعمل، وتوسّع في العلم الأخروي النافع، ولم يخلط معه شيئًا من علوم الدنيا إلا ما كان من علوم الآلة لخدمة الشريعة كالنحو.. وكان ـ رحمه اللَّه ـ لا يلحن في حديثه العامي، ولا تدور العامية على لسانه.. ولم يطلب العلم لمجرد التلذذ والمتعة والمثاقفة والمسامرة والشهرة، بل كان علمه ـ كما أسلفت ـ تعبدًا في ذاته، ولأداء العبادة وفق الأمر الشرعي، ثم صار العلم لذته لأن لذته في العبادة.

◻ وأبحر في العلم الشرعي حتى كان بآخره مرجع العالم الإسلامي، وكان كل متورِّع لا يستريح إلى غير فتواه.

◻ وأما العمل فكان مثمرًا متبعًا سمت كبار الصحابة ومن ندرت سيرته

---

(١) جريدة عكاظ ـ العدد ـ (١١٩٥٠).

من التابعين ومن بعدهم كالإمام أحمد رضي اللَّه عن جميعهم، فأخذ على نفسه الحلم طبعًا وتطبعًا ما رأيته منفعلاً قط إلا مع الكتبي ـ رحمه اللَّه ـ ناشر كتاب تحفة الأحوذي لسبب لا أذكره الآن، وغاية انفعاله أنه طلب من الكتبي اليمين على أن ما حدث لم يكن يعلمه.. وأخذ نفسه بالجد في الدعوة إلى اللَّه، والصبر على الأذى في ذلك.. وأخذ على لسانه ووقته ومجالسه البعد عن الفضول، والقول الجارح، والفحش، والصلف والصخب، والاشتغال بغير العلم الشرعي، والانتقام للنفس أو الغضب لها.

◻ ويقول: «العالم باللَّه وبأمر اللَّه الذي يخشى اللَّه ويعلم الحدود والفرائض.. هذا الصنف أندر من الكبريت الأحمر، وصدرهم في العصر الحديث فيما نعلم، وكمال العلم عند اللَّه ـ سماحة الفقيد ابن باز ـ رحمه اللَّه ـ».

وقال: «لقد بلي الشيخ بمتدينين متطرفين زببوا قبل أن يحصرموا، وأظهروا التعسير والتحسير بدعوى الاجتهاد، ولم يمر بهم من العمر والتجربة ما يُظهر علمهم وورعهم وتأهلهم للاجتهاد.. ويقرنون مع دعوى الاجتهاد الدعوى بأنهم على مذهب الشيخ.. وكذبوا في ذلك، وإنما حملوا تورعه لنفسه على أنه يوجب ذلك على الناس.

◻ وبلي ـ رحمه اللَّه ـ بآخرين من ذوي الدخول التاريخية والفكر السياسي باسم الإسلام، فاتهموا سماحته بالمداهنة ومصانعة ولاة الأمر وكذبوا في ذلك أيضًا، وإنما كان مقياس المصارحة عندهم: أن تلعلع المنابر بثلب المسئولين، والتشهير بالحق والباطل، وجحد الإيجابيات، وتضخيم السلبيات ـ التي هي معادلة بين المصالح والمفاسد، وأن يكون الداعية خطيب فتنة.. وكرم اللَّه سماحة الشيخ عن ظنون هؤلاء، فكان ـ رحمه اللَّه ـ في منتهى المصارحة لولاة الأمور من ملوك، وأمراء ووزراء.. لا يداهن، ولا

يمجمج بالنصح، ويخاطب القلب، فيجتذب المسئول ترغيبًا وترهيبًا بنصوص الشرع، ويذكي حماسه بتاريخ الدعوة المجيد التي احتضنها آل سعود، ونصروها، وجاهدوا من أجلها، وسعوا في محو الجهل والأمية بمقتضاها.. يتصل برجاله مكاتبةً، ومهاتفةً، ويلح ويبالغ.. وكل هذا في السر ويكون شبه سر حين لا يعلم قيامه بالحسبة إلا من يمر عليه الإجراء من الموظفين.. وأما في العلن فكان يدعو للدولة، ويدعو إليها، ويبتهل ويتهدج إذا حذَّر من الفتن.. وقد نُقل إجهاشه بالبكاء وهو يدرس في المعهد العالي خائفًا من الفتن، ومرة في مسجد الإمام تركي الجامع الكبير وكان ـ رحمه اللَّه ـ بورعه وبصيرته أن هذه الدولة مهما كان النقص والنقد دولة حق ورحمة وسنة في هذا العصر المزق، وهي دولة السلف وترجيح المصالح.

❑ ومن صراحته في ذات اللَّه أن أحد العوام الجهله ذبح الذبائح عند عجلات سيارة الملك سعود ـ رحمه اللَّه ـ بالصفا ابتهاجًا بقدومه، فقام الشيخ ابن باز يدور والدمع يخنقه، ويصيح بأعلى صوته: إنها حرام حرام لا يجوز أكلها.. ولما علم الملك سعود ـ رحمه اللَّه ـ بفعل الجاهل غضب، وأظنها نقلت لحديقة الحيوانات، وشكر للشيخ موقفه»[1].

❑ وقال الشيخ أبو الحسن الندوي عن الشيخ ابن باز أنه «أعجوبة زمانه»[2].

* كوكب غار ضوؤه:

❑ قال الشيخ الأديب عبداللَّه بن محمد بن خميس:

«الآن يستريح المجاهد!! الآن يلقي الشيخ عصا الترحال الطويل، الآن

---

(١) جريدة الجزيرة ـ العدد (٩٧٣٠).

(٢) «إمام العصر» (ص٣١٣).

تنقضي رحلة طويلة من الجهد والجهاد والمثابرة الدءوبة فيما ينفع العباد في دينهم ودنياهم.

❑ وبالأمس القريب نعى الناعي الشيخ الجليل، بالأمس فقط عادت مسيرة الوداع المليونية وقد وارت الثرى جثمان الشيخ الطاهر، عادت ضارعة رافعة أكفها بالدعاء الطويل للشيخ بالرحمة والمغفرة، وقد غفر اللَّه للخطائين التوابين، فكيف بالشيخ الجليل وقد رفعت أكف جميع أهل هذه البلاد الطيبة المباركة في نهار يوم فيه ساعة لا يواتيها عبد وهو قائم يصلي ويدعو اللَّه إلا واستجاب له اللَّه، كيف بالشيخ وقد صلى عليه الملوك والأمراء والشيوخ والعلماء وعامة الشعب من تلامذته ومحبيه ومستمعي فتاواه وقارئي كتبه كيف بالشيخ وما زال لسانه رطبًا بذكر اللَّه وقلبه مفعم بحب اللَّه وخشية اللَّه، كيف بالشيخ ووقته زاخر بعبادة اللَّه وتفسير كتاب اللَّه وتعليم شريعة اللَّه، كيف بالشيخ ولم يزل رنين هاتفه لا ينقطع محدثًا للعباد ومفتيًا في قضاياهم وناصحًا وهاديًا لضالهم.

وما أحسب أن هذه التقنية الحديثة حملت في أسلاكها حديثًا في اللَّه مثلما حمله هاتف ابن باز.

❑ الناس يضنون بأرقام هواتفهم الشخصية حتى على الأصدقاء، ولكن هواتف الشيخ ورفاقه لم تكن شخصية بل كانت جماهيرية! وهكذا تكون الأثرة ونكران الذات.

❑ وكان الشيخ جريئًا.. كان جريئًا في الحق.. ما أن تحل بالأمة نائبة أو يدلهم بها خطب، إلا وتساءل الجميع.. ماذا يقول الشيخ؟

❑ كان الشيخ لسان الأمة الصادح بالحق وفؤادها النابض بالتقوى.. كان رأيها الصادق الأمين.. يصدر الفتوى جريئة قوية صادحة بالحق، فتطفئ لهيب الباحثين عن الحقيقة، وتوغر صدور الحاقدين.. ولم يكن الشيخ يأبه

كان جريئًا في الحق.. لم تكن تأخذه فيه لومة لائم ولا عتاب جاهل ولا تقول زنيم.. كانت فتاواه وما زالت تحدث خلافًا ويدور حولها جدل واسع.. كانت الدنيا تقوم ولا تقعد.. وهو ثابت كالجبل.. هادئ كالبحر.. شامخ كالطود.. لا تهزه ردود الأفعال ولا تثنيه عن كلمة الحق الأهوال.

❑ وكان الشيخ موحدًا.. بل كان إمام الموحدين في عصره.. حمل راية التوحيد بأمانة وصدق وقوة في عالم إسلامي يضطرم بنار الفتنة والخلافات ويشتعل بفتيل الفرقة والشتات وتعشش في أرجائه البدع والخرافات..

❑ وكان الشيخ ممن أراد اللَّه بهم خيرًا ففقهه في الدين، وكان ممن أحبهم اللَّه فحبب فيه خلقه.. كانت حياته كلها صدقة جارية من البر والإحسان للمحتاجين، والنصح والهداية للضالين، والعلم والفقه للباحثين عن الحقيقة.

فدارت المطابع كأن لم تدر من قبل بمطبوعات ابن باز، ورن الهاتف كأن لم يرن من قبل بحديث ابن باز، وكتب الصحفيون والإعلاميون كأن لم يكتبوا من قبل آراء ابن باز وصدح المذياع والتلفاز كأن لم يصدحا من قبل بأحاديث ابن باز فهل من صدقة جارية أكثر من هذا؟»[1].

❑ وقال الدكتور سعيد بن علي بن وهف القحطاني:

قد كنت أسمع بسماحة العلامة الحبر إمام أهل السنة والجماعة في الربع الأخير من القرن الرابع عشر والربع الأول من القرن الخامس عشر من الهجرة النبوية عبدالعزيز بن عبداللَّه بن باز ـ رحمه اللَّه تعالى ـ فكان في نفسي

---

(١) «إمام العصر» (ص٣٥٠ ـ ٣٥٣) باختصار.

عظيمًا قبل أن أراه، وعندما قدّر اللَّه عز وجل لي أن أنتقل إلى مدينة الرياض في عام ١٣٩٩هـ قابلته فرأيته أعظم مما قيل فيه، فقد وجدته إمامًا في الحديث، إمامًا في معرفة الرجال ومصطلح الحديث ، إمامًا في الفقه، إمامًا في العقيدة، إمامًا في القرآن الكريم وتفسيره، إمامًا في اللغة، إمامًا في الأنساب، إمامًا في الإفتاء والدعوة إلى اللَّه على بصيرة، إمامًا في الكرم والجود، والزهد في الدنيا، والتواضع، وحسن الخلق، والعطف على الفقراء والمساكين، والورع، والتقوى، والصبر، والتثبت وعدم العجلة في الأمور، ووجدته إمامًا في الحكمة، فهو يضع الأمور مواضعها، وهذا في الحقيقة من توفيق اللَّه له وإعانته وتسديده، فما أكرمه سبحانه وما ألطفه بالعلماء المخلصين! .

□ وقد استفدت من هذا العلامة كثيرًا وللَّه الحمد، فقد كان يأمر بالدعوة إلى اللَّه على بصيرة بالأسلوب الحسن، وتعلمنا منه النصح لأئمة المسلمين، ويأمرنا بالدعاء لهم بالتوفيق والإعانة والتسديد، ويطبق ذلك على نفسه فيدعو لولاة الأمر في كل مناسبة، وواللَّه لا أحصي دعاءه لهم بالتوفيق وإصلاح البطانة والإعانة والتسديد لكل خير، سواء كان ذلك في دروسه أو محاضراته أو توجيهاته، فواللَّه لا أحصي عدد المرات التي بكى فيها من خشية اللَّه تعالى، ومن ذلك أنه أذيع عنه في إذاعة لندن في عام ١٤٠٠هـ تقريبًا أنه يكفر أهل المعاصي فبلغه هذا الخبر وهو يلقي محاضرة في الجامع الكبير «جامع الإمام تركي بن عبداللَّه ـ رحمه اللَّه ـ» فاستنكر هذا الخبر وردّه وتبرأ من هذا القول وبكى، وتلا قول اللَّه تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾.

□ وقال: «لازم التدريس في حلقات منتظمة في الجامع الكبير: يوم الأحد، والإثنين، والأربعاء، والخميس بعد صلاة الفجر، وفي جامع سارة

في البديعة ليلة الإثنين، وليلة الخميس، وفي مسجده بعد عصر كل يوم، وبين الأذان والإقامة لصلاة العشاء، ويعلق على المحاضرات والندوات التي تقام في الجامع الكبير ليلة كل جمعة، ويجيب على الأسئلة، ويجيب دعوة من دعاه لإقامة المحاضرات العامة، واللقاءات المفتوحة، وحفلات الجمعيات لتحفيظ القرآن الكريم، والمشاركة في برنامج نور على الدرب باستمرار، وغيره من البرامج النافعة، ويدرس في الحلقات المذكورة الكتب الستة، ومسند أحمد، وموطأ مالك، وسنن الدارمي، وشرح السنة للبغوي، وتفسير ابن كثير، وفي المصطلح نخبة الفكر، وشرح ألفيه العراقي، وفي العقيدة الأصول الثلاثة، وكتاب التوحيد، والعقيدة الواسطية، والحموية، والطحاوية، وكتاب التوحيد لابن خزيمة، وفتح المجيد، وكتب ابن تيمية، ومنها: الفتاوى، والاستقامة، وزاد المعاد، وإغاثة اللهفان، ومفتاح دار السعادة، وكتب أئمة الدعوة النجدية، ومنها: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، وفي الأحكام: بلوغ المرام، ومنتقى الأخبار، وعمدة الأحكام للمقدسي، وفي الفقه: الروض المربع، والفرائض، وفي التاريخ والسير: البداية والنهاية لابن كثير، وفي هذه الدروس يكون القاموس المحيط والتقريب مع الطلاب لمراجعة اللغة والرجال، بالإضافة إلى تفسير البغوي بعد صلاة الجمعة في منزله، والجلوس للإجابة على الأسئلة ونفع الناس بين المغرب والعشاء في منزله في الليالي التي ليس له فيها دروس، ويشرح رياض الصالحين بعد صلاة العصر من كل يوم في مسجده، إلى غير ذلك من الدروس، وكان أطول هذه الدروس درس يوم الخميس في الجامع الكبير، فقد يمتد الدرس إلى أربع ساعات، والشيخ ثابت على كرسيه، والله ما رأيته يومًا في الدرس ناعسًا منذ تسعة عشر عامًا، حتى في الأيام التي مرض فيها قبل موته، بل منتبهًا مستمعًا جَلِدًا.

◘ وإذا غضب الشيخ على بعض طلابه فمن أعظم ما يقول: «سبِّح.. سبِّح» أو «سبحان اللَّه»، أو يقول: «اللَّهم اهدنا فيمن هديت»، وهذا يدل على عظيم خلقه وعلوِّ منزلته، ولا يترك هذه الدروس إلا إذا سافر أو مرض مرضًا لا يستطيع معه أن يصلي مع الجماعة، ولم يحصل له ذلك فيما أعلم إلا مرة أو مرتين وللَّه الحمد»[1].

* والسابقون السابقون:

برنامج الشيخ اليومي والسنوي بإيجاز:

◘ هذا برنامج الشيخ في ثوب موجز، وأسلوب مقتضب، ليكون مثلاً يُحتذى، وأسلوبًا يُقتدى، ونبراسًا للمحبين، وآية للسائلين.

يستيقظ من نومه قبل الفجر بساعة على الأقل، ليأخذ حظه من الليل وهذه سنَّةٌ ثابتةٌ في حياته ـ رحمه اللَّه ـ سفراً وحضراً.

يصلي الفجر ثم يأتي بأوراد الصلاة وأوراد اليوم كاملة، وفي أكثر الأيام يكون عنده درس علمي ثابت وخصوصًا في الرياض والطائف؛ لأن إقامته بهما طويلة، وهذا الدرس الثابت يكون في بعض أيام الأسبوع ويتوافد له طلبة العلم من مسافات بعيدة، وقد يستمر أحيانًا لمدة ثلاثة ساعات، والأيام التي ليس فيها الدرس قد يلقي فيها موعظةً موجزة.

وبعد صلاة الفجر يعود الشيخ إلى منزله ويتناول حبات من التمر، وكان يحبه كثيراً ـ رحمه اللَّه ـ ويشرب القهوة، ثم تُقرأ عليه المعاملات المتنوعة. وأيام الأسبوع موزعةٌ على الموظفين والقرّاء على سماحته لكلٍّ منهم يوم معلوم، فَتُقرأ عليه المعاملات وتقرأ عليه في كثير من الأحيان بعض الكتب إما لمراجعة مسألة، أو لتحضير درس، أو لإجازة كتاب، أو للتأليف،

(١) «إمام العصر» (ص٣٦٩ ـ ٣٧٢) باختصار.

أو غير ذلك.

وجلسة الشيخ في منزله بعد الفجر في اليوم الذي ليس فيه الدرس العلمي تستمر من الساعتين إلى الثلاث أحيانًا.

وبعض العلماء وطلبة العلم الذين يريدونه في أوقات مناسبة ومسائل هامة يختارون هذا الوقت في الغالب.

وبعد هذا كله يذهب الشيخ لأخذ قسط من الراحة قد ينام فيه وقد لا ينام، ثم في الساعة التاسعة أو التاسعة والربع يتهيأ للذهاب إلى المكتب، ثم ينطلق ويمكث في المكتب إلى الساعة الثانية والنصف وقد تزيد، وفي يوم الأحد والثلاثاء في الغالب يكون اجتماع اللجنة الدائمة للإفتاء، وبعد الساعة الثانية والنصف ظهرًا من كل يوم ينطلق الشيخ إلى منزله وتكون وجبة الغداء قد أعدّت وهيِّئت في هذا الوقت ويكون البيت قد اكتظّ بطلبة العلم والضيوف والفقراء والمساكين الذين يسعدون بتناول الغداء معه.

ثم يشرب الشاي والقهوة والنعناع وينظر في الحاجات الهامة للناس إلى ما قبل صلاة العصر بربع ساعة على الأقل، فيقوم ويتوضأ للصلاة ثم يذهب إلى المسجد، وبعد الصلاة له درس ثابت ما أخلَّ به طيلة حياته لا في حضرٍ ولا في سفر، ثم يجيب على عددٍ من الأسئلة.

أما بعد صلاة العصر إلى قبل صلاة المغرب فهو وقت راحته يخلد فيه للنوم، وقد لا ينام أحيانًا، ثم يتوضأ ويذهب لصلاة المغرب، ثم يأتي بالأذكار كاملة بما في ذلك أذكار المساء، وبعد المغرب إن لم يكن لديه درس أو محاضرة فهي جلسته المعروفة للناس، ولم يخل بموعدها طيلة عمره لا في سفر ولا في حضر، ثم إذا أذّن المؤذن لصلاة العشاء انطلق إلى المسجد للصلاة وله درس بين الأذان والإقامة، ثم يجيب على عددٍ من الأسئلة، وهذا أيضًا من الأشياء الثابتة في حياته في سفره وفي حضره لم

يخالفها أبدًا.

«قصدُنا بالسفر: إقامته خارج الرياض: مكة ـ الطائف..».

أما بعد العشاء فهو إما محاضرة أو اجتماع أو قراءة بعض الكتب أو المعاملات، أو يُقرأ عليه موجز الصحف، أو تلبية دعوة، ولا يمكن بحالٍ من الأحوال أن يحضر الشيخ مجلسًا أو مناسبة ثم لا يلقي كلمة أو موعظة، بل طيلة مكوثه فهو إما يفسر آية أو حديثًا أو يلقي موعظة أو يجيب على الأسئلة.

ومن برامجه بعد العشاء استقبال حالات الطلاق والمطلقين، وقد يستمر معهم ساعات طويلة.

ثم يتعشى مع ضيوفه وزوّاره ويتناول الشاي والنعناع والقهوة ثم يدعو بالبخور الطيب وتسمر جلسته بعد العشاء إلى الساعة العاشرة والنصف، وأحيانًا إلى الحادية عشرة، وأحيانًا تطول، وجميع وقته في مكتبه أو في منزله أو في سيارته لا يفتر فيه لسانه عن ذكر اللَّه تعالى، بل أثناء أكله وشربه كثيرًا ما يردد: الحمد للَّه، الحمد للَّه.

لا بأني أنساك أكثر ذكراك ولكن بذاك يجري لساني

☐ وهكذا كان برنامجه اليومي ـ رحمه اللَّه ـ ثم لا تسل عن كل يوم من أيامه ـ رحمه اللَّه ـ كم يُبذل فيه من العلم، ويُسدى من النصح، ويُنفّس من الكروب، ويفرّج من الهموم، ويُقضى من الديون، ويُمنع من الشرور، ويُلَمّ من شتات الأسر، ويُطعم من جائع، ويُكسى من عارٍ، ويُغاث من ملهوف، ويُبذل من معروف.

ذاك هو برنامج الشيخ اليومي تقريبًا، وهو ـ كما رأيت ـ برنامج حافل بالبذل والعمل والعلم والعطاء والعبادة والخير الكثير. وأعجب وأعظم ما يميز الشيخ هو وقته المنظم الذي لا يتغير ولا يتبدل، وبرنامجه معروف ومضبوط

سواء اليومي أو الشهري أو السنوي.

* وبرنامج الشيخ السنوي هو:

الإقامة في مدينة الرياض، وهي تقريبًا تبدأ من الشهر الرابع من السنة الهجرية، وفي الشهر السادس أو السابع يأتي إلى مكة لحضور مجالس الرابطة والمجمع الفقهي، ويمكث أسبوعين أو ثلاثة ثم يعود بعدها إلى الرياض، ثم يعود إلى مكة مرة أخرى في العشر الأواخر من رمضان، وقد يأتي من اليوم السادس عشر أو السابع عشر.

والشيخ - رحمه اللَّه - خصوصا في السنوات الأخيرة لم يكن يصلي التراويح بالمسجد الحرام نظرًا لكثرة الزحام؛ ولأنه يرى أن مكة كلها حرم، وأن الحديث الوارد في مضاعفة الصلاة في المسجد الحرام إلى مائة ألف صلاة يشمل حرم مكة كلها، وأدلته - رحمه اللَّه - قوية جدًّا ومقنعة، ولذلك فهو يريد أن يَسُنّ ذلك للناس لكي يبين لهم أن الأمر فيه سعة، فلا ضرورة للتزاحم والتحاشد الذي يذهب بخشوع الصلاة.

وهو يصلي صلاة التراويح على السُّنة إما ثمان ركعات ويوتر بثلاث وهذا في الغالب، وإما عشر ركعات ويوتر بثلاث وهو يفتي بأن هذه هي السنة، وأن الأخذ بها أفضل وأكمل، ومن سأله عن الصلاة إحدى وعشرين ركعة أو أكثر أو أقل فإنه لا يرى بذلك بأسًا.

وهو يلتزم الهيئة - المذكورة آنفًا - في صلاته حتى في العشر الأواخر في صلاة التهجد، فهو يقسّم الصلاة قسمين فيصلي تسليمتين أو ثلاث بعد العشاء، ثم يكمل الصلاة والوتر بعد منتصف الليل. وكان يأمرنا في الدعاء أن نقتصر على الدعاء المأثور فقط.

وأذكر أنني أول ما عُيِّنت في مسجد سماحته بمكة المكرمة حينما جاءنا الشيخ في العشر الأواخر، وصليت به التراويح كنت قد استذكرت أدعيةً

كثيرة للوتر، فحينما وصلت إلى دعاء القنوت تفننت في الدعاء، وتأنّقت في اختيار الكلمات المؤثرة، والعبارات المسجوعة وشرَّقت وغرّبت فلم أترك مسافرًا، ولا غائبًا، ولا مدينًا، ولا، ولا، ولا.. إلخ إلا رددته، إلا أغنيته، إلا.. إلخ، ولم أترك بلدًا من بلاد المسلمين إلا وأعطيته نصيبه من الدعاء، ثم طوَّفت على الشعوب بجميع طبقاتها ومستوياتها، ثم مررت بالأحياء ثم الأموات، مع ذكر صفة الموت، وعذاب القبر، والجنة والنار!! ثم توقفت طويلاً مع بعض الأدعية المؤثِّرة فأعدت وزدتُ وبكيت، فلما قضيت الصلاة بعد رحلة طويلة من الدعاء الذي خارت له القوائم، وسقطت منه العمائم، ونثرت به الدموع السواجم قلت: هذا الذي سيفرح به الشيخ ويدعو لي من أجله، فإذا به يدعوني ثم يهمس في أذني كعادته في النصيحة ـ رحمه اللَّه ـ فيقول: لقد أطلت الدعاء كثيرًا، اقتصر على المأثور.

وفي اليوم الثاني اكتفيت بنصف ما ذُكر مما مضى من الأدعية فدعاني أيضًا وقال لي: اقتصر على المأثور ولا تطل، فعرفت قصده ـ رحمه اللَّه ـ فالتزمت به، فرأيت لهذا الالتزام بالمأثور من الدعاء من انشراح الصدر والأثر في النفس والارتياح من الناس ما لم أجد له مثيلاً في ذلك الدعاء الطويل.

● وحينما عدت لأتأمل قول النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها حينما سألته إذا هي أدركت ليلة القدر بما تدعو اللَّه فيها فقال لها: «**قولي: اللَّهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عني**» عرفت عظمة النبي ﷺ وبلاغته، وعرفت فقه الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ وحسن اتباعه، فإن هذا الدعاء قد حوى الخير كله، فالإنسان يقف ذلك لوقت الطويل ويدعو بكل تلك الأدعية ومحصلتها جميعًا أنه يريد الفوز بالجنة والنجاة من النار، وهو يثني على اللَّه تعالى ثم يدعوه، وذلك كله قد أوجزه هذا الحديث المبارك، فهو حوى الثناء على اللَّه بأحب الصفات إليه ـ صفة العفو ـ وحوى أجمل دعوة وأفضل مأمول وأكمل مطلوب، وهو

نيل عفو اللَّه تعالى، ومن عفا اللَّه عنه فقد فاز.

❑ ونعود بعد هذا الاستطراد إلى برنامج الشيخ السنوي:

في ليلة التاسع والعشرين ينطلق عائدًا إلى الرياض، ثم يمكث هناك إلى آخر شهر ذي القعدة، فيتجه إلى مكة لأداء فريضة الحج وللقيام بواجب النصح والتوجيه والإفتاء لحجاج بيت اللَّه الحرام، وفي هذه الأيام يأتي إليه المسلمون من أنحاء الدنيا ومن عادته أن يقيم مخيمًا كبيرًا بمنى ويستضيف فيه مئات المسلمين خصوصًا من طلبة العلم والفقراء والمساكين.

ويمكث في مكة إلى آخر شهر ذي الحجة، ثم ينطلق إلى الطائف ويقيم فيه إلى شهر ربيع الثاني، وبعد ذلك يعود إلى الرياض، ويكون سفره ذهابًا وإيابًا في طائرة خاصة من الدولة - وفقها اللَّه - عن طريق مطار الطائف دائمًا. وهكذا يستمر برنامجه رحمه اللَّه رحمة واسعة.

❑ ومن أهم ما يذكر في برامجه اليومية والشهرية والسنوية زيارته للأقارب واتصاله المستمر بهم دائمًا وأبدًا وهو يحفظ أرقام هواتفهم جميعًا ولقد رأيت منه في ملاطفتهم والسؤال عنهم والأنس بالحديث إليهم صغيرًا وكبيرًا رجالاً ونساءً ما يثير العجب، ويورث الحب والإجلال، عليه رحمة المتعال.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

❑ يقول ابنه فضيلة الشيخ أحمد: برنامج سماحة الوالد اليومي متقارب طوال أيام الأسبوع.. يصحو قبل الفجر بساعة ليصلي ويقرأ من القرآن ما شاء اللَّه.. ثم مع الأذان يحاول إيقاظ جميع أهل البيت لصلاة الفجر، ثم يتوجه إلى الجامع الكبير ليقوم بعد صلاة الفجر بإلقاء بعض الدروس لمدة تصل أحيانًا إلى ثلاث ساعات، ثم يرجع إلى البيت، وبعد الإفطار يتوجه إلى مقر عمله ولا يمكن أن يخرج من عمله قبل الساعة الثانية والنصف

ظهرًا، فيرجع إلى البيت ليجد الجمع الغفير من الضيوف الفقراء بانتظاره، فيتناول طعام الغداء معهم، ثم يجلس لشرب القهوة ومحادثة الضيوف والإجابة على الاستفسارات والفتاوى عن طريق الهاتف إلى أذان العصر، وبعد صلاة العصر والدرس اليومي يتوجه إلى منزله لأخذ قسط من الراحة إلى ما قبل أذان المغرب بنصف ساعة، ثم يجلس للناس بعد صلاة المغرب يستمع إلى سائلهم ويقرأ ما يعرض عليه من الأوراق ويجيب على الاستفسارات عن طريق الهاتف إلى أذان العشاء، وبعد الأذان درس بين الأذان والإقامة، وبعد صلاة العشاء يرجع إلى البيت للاجتماعات الخاصة والمواعيد الشخصية ومطالعة الكتب في المكتبة، ثم يتناول طعام العشاء مع الحضور ليتوجه إلي مكان راحته، بعد ذلك عند الساعة الحادية عشرة أو أكثر يستمع إلى الأخبار قبل النوم، وهكذا برنامجه يحفظه اللَّه، وقد تتخلل أيام الأسبوع محاضرات دينية في مساجد مختلفة أو ولائم ومناسبات اجتماعية يحضرها أو عملية في مقر عمله مساء، يقوم بكل ما سبق بأريحية وبدون ملل ولا كلل.

*** قلعة العلم:**

خفقان قلب الشعر، أم خفقاني ... أم أنه لهب من الأحـــزان
ماذا يقول محدثي؟ أحقيقة ... ما قال، أم ضرب من الهذيـان؟
ما لي أرى ألفـاظه كحجارة ... ترمي بها الأفـــواه للآذان؟
«الشيخ مات» عبـارة ما خلتها ... إلا كصاعقـة على الوجـــدان
أو أنها مــوج عنيف جـاءني ... يقتاد نحـوي ثورة البركـان
يا ليتني استوقفت رنة هاتفي ... قبل استمـاع نـــداء من ناداني
أو أنني أغلقت كل خطوطه ... متخلصًا من صوتـه الرنـــان

«الشيخ مات» أما لديك عبارة ... أخرى تُعيد بها اتزان جناني
قل لي - بربك - أي شيء، ربما ... أنقذتني من هذه الأشجان
قل لي - بربك - أي شيء، قال لي: ... عجبًا لأمرك يا فتى الفتيان
أنسيت أن الموت حق واقع ... ونهاية كتبت على الإنسان؟
أنسيت أن اللّه يبقى وحده ... وجميع من خلق المهيمن فان؟
أنسيت؛ لا واللّه لكني إلى ... باب الرجاء هربت من أحزاني
«الشيخ مات» صدقت، إني مؤمن ... باللّه، مجبول على الإذعان
الشيخ، لا بل قلعة العلم التي ... ملئت برأي صائب وبيان
هو قلعة العلم التي بُنيت على ... ثقة بعون الخالق المنان
وأمامها هزمت دعاوى ملحد ... وارتد موج البغي والبُهتان
وتطايرت شبه العقول لأنها ... وجدت بناء ثابت الأركان
أنست بها نجد، ومهبط وحينا ... واسترشد القاصي بها والداني
هو قلعة ظلت تُحاط بروضة ... خضراء من ذكر ومن قرآن
صان الإله بها عقيدة أمة ... في عصرنا المتذبذب الحيران
ماذا تقول قصائد الشعر التي ... صارت بلا سعر ولا أوزان؟
ماذا تقول عن «ابن باز» إنها ... ستظل عاجزة عن التبيان
ماذا تقول عن التواضع شامخًا ... وعن الشموخ يُحاط بالإيمان؟
ماذا تقول عن السماحة والنُّهى ... عن فقه هذا العالم الرباني؟
مات «ابن باز» للقصائد أن ترى ... حُزن القلوب، وأدمع الأجفان
في عين «طيبة» أدمع فياضة ... تلقى دموع الطائف الولهان
والخرج تسأل والرياض ومكة ... عن قصة مشهورة العنوان
عن قصة الرجل الذي منحت له ... كل القلوب مشاعر اطمئنان

ما زلت أذكر صوته يسري إلى ... أعماقنا بمودة وحنان
يُفتي وينصح مرشداً وموجهًا ... ومعلمًا للناس دون توان
نور على الدرب ارتوى من فقهه ... وسرت منابعة إلى الظمآن
يا رب قد أصغت إليك قلوبنا ... وتعلقت بك يا عظيم الشان
«الشيخ مات»، عليه أندى رحمة ... وأجل مغفرة من الرحمن[1]

* **مات ابن باز:**

للشعر بعدك أن يظل حزينا ... ولنبض قلبي أن يذوب حنينا
وكل قافية خبَأت حروفها ... أن تفتح الباب الذي يشجينا
ولصوت حادي الشعر بعدك أن يرى ... منا الوفاء لأنه يحدونا
يا وارثًا للأنبياء وإنما ... ورث الهدى والعلم والتمكينا
ورث العقيدة وهي أعظم ثروة ... وأعز مال مورث يغنينا
يا راحلاً عنا كأنك لم تكن ... فينا تحدثنا بما ينجينا
لما نعاك إليّ صوت محدثي ... أحسست أن الشك صار يقينا
ورأيت أثبت ما أمامي دائراً ... وسمعت أصوات الشداة طنينا
وشعرت أن الحزن صار يحيط بي ... من كل ناحية، وصرت رهينا
هل يدرك الناعي حقيقة من نعى ... وبأي سهم في الفؤاد رمينا؟
وبأي فاجعة أصيبت أمتي ... وبأي أصناف البلاء بلينا؟
يا أيها الناعي جرحت قلوبنا ... وأثرت فيها لوعة وأنينا
مات ابن باز، يا لها من أحرف ... وهاجة بلهيبهن صُلينا
مات ابن باز، هل علمت بما حوت ... هذي الحروف وما تحرك فينا؟

---

(١) لعبدالرحمن صالح العشماوي (ص٥٥٨ ـ ٥٥٩).

يا أيها الناعي رويدك، إن من تنعى، أب بحنانه يسقينا
أوَلم يكن نوراً يضيء عقولنا وإلى الهداية والتقى يدعـونـا؟
أتراك لم تعلم بأن وفاته رزء وأن وداعـه يشقينا؟
أنسيت أن وفاة عالم أمة حدث بأسهم بؤسـه يرميـنا؟
يا خادم الحرمين شكراً صادقاً فلقـد رأينـا كل مـا يرضينا
أسرجت خيلاً للوفـاء كريمة ما زال لحن صهيلها يغـرينا
شيعت عالمنا الجليل وإنما شيعت عقـلاً راجحاً ورزينـا
شيعت في يوم الفضيلة والتقى شيخاً بنى للمكرمات حصونـا
لما تقدمت الجمـوع مودعـاً رفـع التلاحم والوفـاء جبينـا
ورسمت للأجيـال أجمـل صورة ستظل من أمجادنـا تدنينـا
كرمت فيها العلم، علم شريعة تمحـو الضـلال وترشـد الغاوينا
فلتشهد الدنيـا حقيقة ما جرى إن الحقائـق تهـزم التخمينـا
لكأنني بوفـاة شيخ شيوخنا صـارت مثالاً للوفـاء مبينا
خرجت جموع المسلمين فلا تسل عن مشهد جعل الشمـال يمينا
في مسجد اللّه الحرام، وهل رأت عين مكاناً مثله مـأمـونـا
لما تلاقى المسـلمون هناك في أزكى وأطهر بقـعـة باكينـا
وتزاحمت أفواجهـم، وكأنهم يردون حوضاً منه يستسقونا
شهدت بقـاع الأرض صورة أمـة لا ترتضي غير الشريعة دينا
هو ديننا نبـع الفضائل ترتوي منه القلوب ومـاؤه يشفينا
وبه يغـرد طائر الأمـن الذي من كل بغي مكابر يحمينا
وبه نخوض محيط كل رزيـة فهو السفين لمن يريد سفينا
يا شيخنا ودعتنـا، وقلوبنـا تُهـدي إليك من الوفـاء فنونا

ودعت دنيانا بجسمك بعدما ودعتها بالقلب منك سنينا
وزهدت فيها وهي ذات تبرج جعلت محب دلالها مفتونا
عزيت فيك ولاة أمر بلادنا ورجالها وبناتها وبنينا
عزيت فيك العلم والعلماء قد منحوك حبًا في القلوب ثمينا
عزيت فيك المسلمين جميعهم فقدوا بفقدك مرشداً ومعينا
يا رب لطفك صار فيض جراحنا نهرًا من الدمع الغزير سخينا
إنا برغم الحزن نحزم أمرنا بك يا عظيم الشان يا هادينا
إنا إليك لراجعون، وإننا بقضاء عدلك في العباد رضينا
إن مات عالمنا فإنا لم نزل فيما تعوضنا به راجينا
سلمت بلاد الخير من آلامها ورعى المهيمن خطها الميمونا[1]

* **مشهد الرحيل:**

◻ يقول الدكتور ناصر الزهراني:

أيها الشيخ الذي بُحتُ بالأشواق لَكْ
ليت روحي قُدِّمتْ للمنايا بدلك

◻ توفي الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ قبل فجر يوم الخميس في اليوم السابع والعشرين من شهر محرم لعام عشرين وأربعمائة وألف من الهجرة، في مدينة الطائف، وحمل جثمانه الطاهر إلى منزله بمكة المكرمة صبيحة يوم الجمعة، وهناك تم غسله وتكفينه ـ قدس اللَّه روحه، ثم انطلق به مصحوبًا بوفود هائلة من أمامه وخلفه، وعن يمينه وشماله، بقلوب محترقة، وأدمع باكية، وأنفس والهة.

(١) لعبد الرحمن العشماوي (ص٥٦٠ ـ ٥٦٢).

وداعك مثـــل وداع الربيــــع وفقدك مثـــل افتقـــاد الدِّيَـــمْ
عليك الســـلام فكم من وفـــاءٍ نفـــارقه منــك كــم من كـــرم

□ ذهبوا به إلى المسجد الحرام الذي عاش ليلة من لياليه المشهودة حيث غصّت أبوابه، وملئت رحابه منذ اليوم الأول، حيث توافدت الناس من أنحاء الدنيا، أقبلت القلوب قبل الأقدام، وتسابقت الأرواح قبل الأشباح، وسالت الدموع قبل الجموع.

غصّت الطرق البريّة بالقادمين إلى مكة، وارتبكت المطارات لذاك الزحام الرهيب، والإقبال المهيب من الناس، كلهم يريدون الحجز إلى جدّة أو الطائف، وكثّفت الرحلات، ولكنها لم تستطع أن تستوعب تلك الأعداد الهائلة التي جاءت لتلقي نظرة وداع على الإمام الراحل.

أخذتُ مكاني في المسجد الحرام بصعوبة فائقة، فأديت تحية المسجد ثم جلست فإذا بالنحيب من عن يميني وشمالي، وأمامي وخلفي، فأطلق بصري للصفوف البعيدة في شتى الاتجاهات فلا أرى إلا متقنعًا باكيًا، ووالهًا منتحبًا، ومطرقًا حزينًا، وأناسًا قد خفضوا رءوسهم ولهم خنين بالبكاء، فكنت أعطي النفس رغبتها، وأطلقها على سجيتها، فأدعها تبكي ساعة، ثم أخنق عبرتي، وأمسح دمعتي، وأنظر في أحوال الناس، وما هم فيه من كرب عظيم، ثم أعود أنثر دموعي مدرارًا، وحُقّ لي ذلك، فما ظنكم بإنسان يشعر بأن قلبه النابض سقط من بين جنبيه، أو يجد شعلة من حريق تشب في أحشائه وتأكل فؤاده، أو يحس أن نور عينه انطفأ، وسراج لياليه أُخمد، وفرات مائه قد أصبح غوراً، لقد كنت بل ومكثت لعدة أيام بعد وفاة الشيخ، وأنا لا يزال عندي أمل أنه سيعود، وأن الخبر قد يكون مغلوطًا ولكن هيهات لقد عشت الموقف الذي عاشه عمر بن الخطاب ﷺ مع النبي ﷺ حينما جاءه نبأ وفاته، فسل سيفه وقام في الناس قائلاً، من قال إن محمداً قد مات

ضربته بسيفي هذا.

ولقد عرف كثير من أحبتي وأصدقائي محبتي العميقة للشيخ، وتعلقي الشديد به فبادَروا بالاتصال بي وزيارتي ومواساتي جزاهم اللَّه خير الجزاء، وكان كل منهم يقول: حينما سمعت الخبر أول ما خطر على بالي أنت.

وأعود إلى سَرْد الحدث.. المهم أنني مضيت على تلك الحالة المذعورة حتى صعد الخطيب المنبر، فلما بدأ الخطيب[1] في خطبته، وتحدث عن هول الفاجعة قائلاً: «وقد أصيبت أمة الإسلام اليوم بوفاة عالم الأمة وإمام أهل السنة والجماعة في هذا العصر؛ علامة زمانه وفقيه أوانه الداعية إلى اللَّه تعالى على علم وبصيرة، المجاهد في سبيل الحق والهدى سماحة العلامة الجليل الشيخ عبدالعزيز بن باز» ضج الناس بالبكاء، وجادت العيون بالدموع، واشتد أزيز الصدور، فلما فرغ من الصلاة، ونادى المنادي: الصلاة على سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبداللَّه بن باز يرحمكم اللَّه» تدافع الناس باتجاه الجنازة، وعَظُم الزحام وكَثُر الضجيج، واشتد الموقف، وادلَهَمَّ الأمر، وخشينا على الجنازة من ذلك التدافع المهول، والسباق ولم يسكن ضجيجهم، ماج بعضهم في بعض، وتخطى بعضهم بعضًا، كلٌّ يريد أن يحمل الجنازة وكل يريد أن يقترب للصلاة عليها، وكل يريد أن يكون عن كثب ليتأمل الموقف وليسارع إلى حمل الجنازة بعد الصلاة، ولولا أن الإمام سارع بالتكبير لطالت المدة، والناس على هذه الحال.

❑ ويعجز القلم عن تصوير حقيقة الموقف بعد انتهاء الصلاة، لك أن تتصور كيف يكون الأمر لو ازدحم عشرة آلاف رجل أو عشرين على شخص أمام موقع معين، أو أمام دائرة حكومية، كيف يكون الموقف، فما هو الحال يا ترى فيمن ازدحم عليه أكثر من مليوني مسلم على الأقل، أقبل هذا الموج

(١) هو الشيخ محمد السبيل إمام المسجد الحرام وخطيبه.

المضطرب من الناس بجنازة الشيخ على أكتافهم بل على رءوس أصابعهم، سبقتُ الجموع إلى السيارة التي ستحمل الشيخ فصعدت عليها أنظر في هذا الموقف الرهيب، (وأستغفر اللَّه العظيم مما فعلت)، واللَّه لقد ظللت أصيح وأبكي بأعلى صوتي، والذي نفسي بيده ما ارتسم أمام ذهني وأنا أتأمل ذلك الموقف الأجل إلا وقوف الناس لرب العالمين، أقبلت الأمواج المضطربة من الناس، الحر شديد، والزحام شديد، والموقف مهيب، والحشد رهيب، والعرق يبلغ منهم كل مبلغ البكاء يملأ المكان والزمان، والنحيب يهد الصدور هدًا، لقد اندفعت بالبكاء المرير من غير شعور، من غير وعي، لقد اضطربت في نفسي مشاعر عدّة، مشاعر الحزن لفقد الشيخ مشاعر الهيبة لهول الموقف، مشاعر الخوف الشديد على جنازة الشيخ التي أصبحت كأنها قطعة الخشب الصغيرة على سطح الأمواج الهادرة، وأنا أبكي وأهتف وأنادي: يا اللَّه لطفك، يا اللَّه لطفك، يا اللَّه لطفك، كان مئات العسكر قد انتشروا وكوّنوا ممرًا للجنازة يبدأ من باب الحرم إلى باب السيارة، ووقفوا صفًا واحدًا قويًا على الناحيتين لكيلا يخترقهم أحد من الجموع الهادرة وراءهم، وقد بذلوا جهدًا عظيمًا في ذلك، ولكن الكثرة تغلب الشجاعة اخترقهم الناس، وهاجوا وماجوا، وتسارعوا نحو الجثمان الطاهر، كُلٌّ يطمع في المشاركة في حمل الجنازة، أو على الأقل يظفر بلمسها، أو يكحل عينيه برؤيتها فقط، وما كادت يدي تلامس أول النعش ـ لأجذبه إلى داخل السيارة ـ إلا وقلبي يكاد يسقط من بين جنبي، وبجهاد شديد، وتعب شاق من العسكر والمتطوعين استطعنا إغلاق باب السيارة، فصعد الناس على مقدمة السيارة، وعلى السطح، وعلى مؤخرة السيارة، فإذا بهم كَسرب النحل المتجمّع في جذع سدرةٍ على يعسوبه، انطلقت السيارة تخترق الجموع بصعوبة مريرة، والناس عن يمنة ويسرة، وأمامها وخلفها، يجرون لاهثين، الأنفس خائفة، والقلوب واجفة، والدموع واكفة، يا اللَّه، يا اللَّه، يا اللَّه، سقطت أرديتهم،

وتطايرت عمائمهم، وتقطعت أحذيتهم، يمشون على حرارة الأسفلت المحرقة، وكأنما يمشون على سجاد وثير، بدأ الطريق يتسع قليلاً قليلاً، وبدأ الزحام يخف حين البعد عن الحرم بكيلو متر تقريبًا، ثم انطلقت السيارة في طريقها إلى مقبرة العدل بمكة المكرمة، وهي تبعد عن الحرم أربعة أو خمسة كيلو مترات تقريبًا.

هـــذا إمـــام الجيـــل في نعشـــه قوموا انظروا كيف تزول الجبـالْ

☐ ولم يمنع بعد المسافة كثيراً من الناس من المشي من الحرم إلى المقبرة سيرًا على الأقدام، لقد سالت الأودية بالناس، واكتظت الطرق بالمسلمين المولين وجوههم شطر المقبرة في مشهد لم أر له مثيلاً إلا زحام الناس وتوافدهم إلى المشاعر في أيام الحج.

☐ انطلقنا بالجسد الطاهر تجاه المقبرة، وأنا جالس بجواره، ويدي على قدميه أتحسس بردها، وأتلمس طهرها، والبكاء قد هَدَّ جسمي، وبُحَّ صوتي، وكادت حبال حنجرتي أن تتمزق، خارت قواي، طاش عقلي، ذُهلت نفسي، تبدد فؤادي. وكنت إذا التقطت أنفاسي قليلاً أرفع أكف الضراعة إلى اللَّه وأدعو قائلاً: اللَّهم إنك تعلم أنني أحبه فيك فاجمعني بهذا الحب معه في جنات النعيم، وعلمني بهذا الحب شيئًا مما علمته. وكان معي في السيارة الشيخ أحمد بن عبدالعزيز ابن سماحة الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ وهو منهمك في دموع، غارق في بكائه ومعي مرافق الشيخ، وأمين مكتبته الأخ صلاح عثمان السوداني الذي أشهد أنه كاد يلفظ أنفاسه من شدّة بكائه، وقد أغمي عليه وخرّ صريعًا في الطائف حينما سمع خبر موت الشيخ، ودخل إلى غرفة العناية المركزة بمستشفى الهدى.

☐ أما الذي كان يقود السيارة التي تحمل جثمان الحبيب، فهو الأخ محمد السيلاني، هذا الرجل الذي تفانى في خدمة الشيخ، والسعي لنيل

رضاه، فهو ممن غمرهم الشيخ بإحسانه، وبالرغم من أنه ليس موظفًا أو مرافقًا أو يتقاضى راتبًا، إلا أن جلّ وقته مع الشيخ وفي خدمته وفي مساعدة العاملين مع سماحته ليلاً ونهارًا حينما يكونون في مكة المكرمة بالذات أو في الطائف، ويكاد يبسط راحته للشيخ ليمشي عليها.

❑ وصلنا إلى المقبرة وأنا في كرب عظيم، وخوف أليم من الموقف أمامنا خفت أن يتكرر الموقف الذي حدث عند الحرم، أتينا إلى المقبرة ذات المساحة الكبيرة، وإذا بالناس عليها مثل الغمام، أحاطوا بأسوارها، ومنهم من صعد إلى الجبال المطلة عليها في منظر مهيب، وموقف مرعب، وقد تذكرت قول الإمام أحمد ـ رحمه اللَّه ـ لأهل البدع: «بيننا وبينكم الجنائز»، ولكن حُسْن تصرف المسئولين منع اللَّهُ به ما كان يمكن أن يحدث من هرج ومرج، وتدافع وتطاحن، وتزاحم وتسابق على المقبرة، فقد صدرت الأوامر السريعة بمنع أي أحد كائنًا من كان بدخول المقبرة، وكان هذا عين الصواب والتوفيق.

❑ وصلنا إلى المقبرة وأول من فتح باب السيارة الأمير ماجد بن عبدالعزيز ـ أعظم اللَّه أجره ـ أمير منطقة مكة المكرمة، ومعه أمير مكة بالنيابة الأمير سعود بن عبدالمحسن ـ أحسن اللَّه جزاءه ـ وكان من أول الناس حضورًا وأكثرهم تأثرًا الأمير متعب بن عبدالعزيز ـ أعظم اللَّه مثوبته ـ حملت جنازة الشيخ على كتفي ولم أدعها إلا عند القبر، وكنت ممن دلاه إلى القبر.

حملت جثمانه الزاكي على كتفي   وكنت أطمع لو أن طال مشواري
نثرتُ سيل دموعي فوق تربته   ومُضْرَم الحزن يكويني بإسعار

❑ وودعته الوداع الأخير، وبردت شيئًا من لواهب القلب بملامسة جسده الطاهر من وراء الكفن.

مددت إلى التوديع كفًا ضعيفةً   وأخرى على الرمضاء فوق فؤادي
فلا كان هذا آخر العهد منكمو   ولا كان ذا التوديع آخر زادي

❑ ولم أكن أتذكر في هذا الموقف إلا وفاةَ النبي ﷺ وموقفَ الصحابة وذهولَهم وبكاءهم يوم وفاته، وتذكرت قول فاطمة بنت محمد ﷺ وهي تقول: «كيف طابت نفوسكم وأنتم تحثون التراب على رسول اللَّه ﷺ». أُودِع الشيخُ ـ رحمه اللَّه في قبره جعله اللَّه روضة من رياض الجنة ـ وكان الناس أمراء وعلماء ملتفين على القبر، وكأن على رءوسهم الطير.

أيا قبر شيخي كيف أول حفرة ... من الأرض خطت للسماحة مضجعا

ويا قبر شيخي كيف واريت شخصه ... ولو كان حيًا ضقت حتى تصدعا

فلما مضى شيخي مضى الجودُ والندى ... وأصبح عرنينُ المكارم أجدعا

❑ وقف كثير منهم بضع دقائق يدعون اللَّه تعالى له، ويسألون له التثبيت، وانطلقت الأمة المسلمة عائدة من طريقها بعد أن دفنت قلبها النابض وضميرها المتوقد وعنوانها الناصع، وإنا للَّه وإنا إليه راجعون.

❑ والذي نفسي بيده ما مرّ عليّ موقف أشد وقعًا، وأكثر ألمًا، من ذلك اليوم الذي فقدنا فيه سماحته.

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر

❑ عدنا من المقبرة ميممين إلى منزل الشيخ، وكأننا دفنا معه قلوبنا وأرواحنا أما الأمير ماجد بن عبدالعزيز ـ حفظه اللَّه ـ فقد اصطحب أبناء الشيخ إلى القصر الملكي، بناءً على أمر خادم الحرمين الشريفين ـ حفظه اللَّه ـ الذي أمر أن يكون غداؤهم عنده، فاستقبلهم وواساهم وشدّ من أزرهم ودعا لوالدهم.

ألست ترى موت العلى والمحامد ... وكيف دفنا المجد في قبرٍ واحدِ

وللدهر أيام يُسئن عوامداً ... ويحسنّ إن أحسنّ غيرَ عوامدِ

❑ انطلقنا إلى منزل الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ بمكة لاستقبال المعزِّين،

ويا اللَّه.. يا له من موقف، ويا اللَّه.. يا له من يوم عصيب، ومشهد مهيب، احتشدت الوفود، واكتظ الزحام، والأمة في مهرجان مهول، عزاء وبكاء، وجيبٌ ونحيب، المجالس غصّت بالناس، والفناء الواسع أترع بالملأ، وكأنك في فناء الكعبة المشرفة في ليلة السابع والعشرين من رمضان، أو في يوم الحج الأكبر، والبوابات كادت تقتلع من أصولها لثكرة المزاحمين عليها، والأرض كادت أن تميد بمن فوقها، لجور الحمل عليها، وقيل يا أرض الحب ابلعي ماءك، ويا سماء الدموع لا تقلعي ويا ماء الحزن لا تغض، وقيل بعدًا للقوم الكافرين.

◘ ولأوّل مرّةٍ أرى مثل ذلك المشهد الذي اجتمعت فيه كل الطبقات، وكل الأجناس، وكل اللغات، في مكان واحد، في موقف واحد، في منزل واحد، في هم واحد، في مصاب واحد، وكأننا في يوم عرفة، أقبلت جموع الأمراء على مختلف المستويات، وأقبل الوزراء والعلماء، وطلبة العلم، وشيوخ القبائل والوجهاء، والفقراء والمساكين، والأبيض والأسود والعربي والأعجمي، والكبير والصغير، قُطعت نياط القلوب، ومزّقت أوتار الحناجر، وأضرمت نيران الصدور، وجرت أنهار الدموع، لقد رأيت بعض الأمراء الذين ما كنا نراهم إلا على شاشة التلفاز أو على صفحات الجرائد، رأيتهم في هذا الموقف وهم يزاحمون الناس، يخترقون الصفوف، يتقاذفهم الزحام يمنةً ويسرة، عيونهم باكية، وجَنَاتهم محترقة، عقولهم ذاهلة، يعزون الناس، والناس يُعزونهم، ولا تسمع إلا ترانيم الدعوات الصادقة ـ رحمه اللَّه، غفر اللَّه له، عوض اللَّه المسلمين خيرًا.

على الرغم من أنف المكارم والعلى ... غدتْ داره قفرًا ومغناه بلقعا
ألم تر أن البأس أصبح بعدهُ ... أشلَّ وأن الجود أصبح أجدعا
فمرا على قبـــر المسوّد وانظرا ... إلى المجد والعليـــاء كيف تخشعا

فإن يك واراه الترابُ فكبّرا ... على الجود والمعروف والفضل أربعا
ولا تسأما نوحًا عليه مُكرَّرًا ... ونوحًا لفقدان الحبيب مُرجّعا
فما كان شيخي هلكهُ هلك واحد ... ولكنه بنيانُ قوم تضعضعا
ولا تحسبا أني أواريه وحدَهُ ... ولكنني واريتهُ والندى معا

□ أما أنا فقد كنت كالإنسان الذي فقد كل شيء في حياته فجأة، فأصبح ذاهلاً والهًا، خالي الفؤاد، شارد الذهن، محترق الأحشاء. كنت أحيانًا أدع نفسي لأمواج الملأ أينما حملوني مضيت معهم، أتأمل كل زوايا المنزل، وأحدق في أطراف البيت، وأدقق في أنحاء الفناء، وكأنني في عالم آخر، كنت ـ وديمةُ الدموع تهمي ـ أتأمل في كل شيء، وأستعيد شريط الذكريات: هنا كان الشيخ يجلس، هنا كان يستريح، هنا كان ينام، هنا كان يستقبل ضيوفه، هنا كان يستقبل الفقراء، ويجود بالعطاء، ويحنو على الضعفاء، ويبذل الشفاعة، ويصدح بالنصيحة. هنا كان يصلي، هنا كان يستقبل الناس، هذا كرسيه، ذاك هاتفه، تلك سيارته، ذاك سائقه، هذا مرافقه، هذا كاتبه، ذاك خادمه، كلما رأيت شيئًا، أو رمقت أحدًا ممن كان له به صلة، فكأنما أُشعِلتْ نار الحزن من جديد، وفُجّرت ينابيع الدموع للتّو.

□ كنت أحيانًا أصيخ بسمعي، وأصغي بقلبي لعلي أسمع قرع نعاله أو وقع عصاته، فلا يصدم سمعي إلا نشيج الوالهين، وآهات المحترقين ، وأزيز صدور المُعَزِّين، مضيت أتنقل في الدار أبحث عن أبناء حبيبي وقرّة عيني كنت أعانق الواحد منهم فلا آلو ألصق صدري بصدره من فيض محبتي لوالدي ووالدهم. كنت أعانق عبداللّه وعبدالرحمن وأحمد وخالد، وأحيانًا أعانق الواحد أكثر من مرّة. أبحث عن إخواني المرافقين لسماحته لعلي أرى

صورته فيهم، وأجد ريح قميصه عندهم. الشيخ محمد الشويعر شحب لونه، وتهدّج صوته، وتيبست شفتاه، وجف ريقه، وجرى دمعه، الدكتور عبداللَّه الحكمي لم أعد أعرفه لتغير وجهه، وضمور جسمه، وشحوب لونه، لصدره أزيز، ولقلبه وشيج. الشيخ عبدالعزيز بن ناصر مزقه الحزن، وبدّده الأسى الشيخ محمد الموسى أغلق باب مكتبه على نفسه وأرسل النفس على سجيتها، وأجرى سيل الدموع، حاولت أن أكلمه أو أسمع منه شيئًا فلم يستطع كلامي وابيضَّتْ عيناه من الحزن فهو كظيم، الشيخ ابن عتيق ذلك الرجل الطيب يده على قلبه خشية أن يسقط، لحيته البيضاء اخضلت بالدموع عانقني في صمت، وقد صام عن الكلام فلم يكلم ذلك اليوم إنسيًا، وإنما ترك الكلام لدموعه، وأطلق العنان لعبراته، هكذا كنت أتنقل بينهم باحثًا عن طيب الحبيب، هناك الأخ حَمَدْ يتأوه ويبكي، وهناك الأخ سعيد يئن ويشكي، ذهبت إلى الحارس والخادم والسائق والقهوجي أعزيهم ويعزونني، أذكي لهيب أحزانهم ويذكون لهيب أحزاني، أقيمت صلاة العشاء في مسجد سماحته فتقدمت للصلاة بالناس فتذكرت سماحته ومقامه خلف الإمام ونبراته الخاشعة، ودعواته الضارعة، ثم تذكرت أنه لن يصلي معنا أبدًا، وأن الأُنس معه انقضى، والغبطة به تلاشت، والحبيب غادر إلى غير عوده، وتذكرت بلالاً حين قام يؤذن بعد وفاة النبي ﷺ فحينما قال: أشهد أن محمدًا رسول اللَّه، خنقته العبرة، وانهمك بالبكاء، تذكرت أبا بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي، والصحابة جميعًا رضي الله عنهم تذكرت موقفهم في أول صلاةٍ غاب عنهم فيها إمامهم وحبيبهم ﷺ، فخنقتني العبرة، وانهمكت في البكاء، وضج المسجد بالنحيب، وامتلأ الأفق بالأنين، وكدت أخر على وجهي في المحراب ولم أستطع أن أكمل قراءتي وأتم صلاتي إلى بجهد جهيد.

◻ وهكذا عشنا ذلك اليوم الرهيب، والمشهد الغريب. وظلت أفواج

المعزِّين تتوافد إلى ساعة متأخرة من الليل، ثم كان العزاء في اليوم الثاني بمنزله بالطائف، والموقف نفسه يتكرر، والمشاهد ذاتها تتجدد، ثم انتقل العزاء في اليوم الثالث إلى منزله في الرياض، وما قيل هنا يقال هناك وربما أكثر من ذلك بكثير.

◻ اللَّهم اغفر لشيخنا، اللَّهم اغفر ذنبه، وارفع درجته، واجمعنا به في جنات النعيم إنك على كل شيء قدير. وإنا للَّه وإنا إليه راجعون.

ودع الصبرَ محبٌّ ودعك ... ذائع من سرّه ما استودعك
يقرع السن على أن لم يكن ... زاد في تلك الخطى إذ شيّعك
يا أخا البدر سناء وسنا ... رحم اللَّه زماناً أطلعك
إن يطل بعدك وقتي فلكم ... بتّ أشكو قصر الوقت معك»[1]

*** أبناء الدنيا تخدمهم الإماء والعبيد، وأبناء الآخرة تخدمهم الملوك «ورقة من سفر الخلود»[2]:**

يا أُمَّةً غاب عنها بدرها الساري ... وجفّ من أرضها سلسالها الجاري
طاشتْ عقولُ بنيها من فجيعتها ... بحادث يلهب الأحشاء بالنار
من هوله بتُّ كالمطعون في كبدي ... بصارم مُفعمٍ بالسُّم بتار
هل مات من عاش نورًا نستضيء به ... في مُدْلج الأمر من همٍّ وأخطار
هل مات من نرتوي من عذب مورده ... صفواً من العلم فيضًا دون إقتار؟
هل مات من ألبس التوحيد حُلَّته ... وهبَّ للشرك تمزيقًا لأستار؟
هل مات من عاش سيفًا باترًا بَتَرَتْ ... صولاتُه كلَّ تخريف لمهذار؟

(١) «إمام العصر» (ص٢٠٩ ـ ٢١٩).
(٢) قصيدة للدكتور ناصر الزهراني من كتابه «إمام العصر» (ص١٨ ـ ٢٤).

هل مات من نرتجي في صدق وَثْبَتِه كبتًا لأصوات أعداءٍ وأشرار؟
هل مات من عطَّر الدنيا بسيرته ومسعد الضيف والملهوف والجار؟
هل مات من يكفل الأيتام هل فقدوا حنان كَفٍّ لطيف اللمس مدرار؟
وباذل الجاه والأموال ما بَخِلَتْ يمناه عن رفد قُصَّاد وزُوَّار
ومن تأبَّى على الدنيا وزينتها وللمحبين منه صِدْقُ إيثار
هل غاب عنا نمير العلم في زمن تشكو البرية فيه قحط آبار
سفينة العلم تبكي موت قائدها وتشتكي هول إدلاج وإبحار
عبدالعزيز بن بازٍ نَغْمةٌ نُقِشَتْ في كل قلب وفي أعماق أخيار
هل من محب لدين اللّه ما ذَرَفَتْ عيناه في كل أرجاء وأمصار؟
كل الإذاعات تشدو بالثناء له وكم يُرى عبر شاشات وأقمار
واسْوَدَّتْ الصفحاتُ البيضُ ناطقةً بفضله بين منثور وأشعار
ودَوَّنَتْ فيه أقلامُ الورى درراً تبدي أفانين إجلالٍ ومقدار
أنت الكفيف ولكن الفؤاد يرى ويبصر الحق صفواً دون أكدار
أسديت للأمة الغراء ما عجزت عنه الملايين من أرباب أبصار
حُبٌّ لنشر الهدى والخير في جلدٍ وهِمَّةٍ تبلغ الجوزا وإصرار
في كل صقْعٍ له صوت وداعيةٌ عبير أنفاسه في أُفْقِها سَارِ
لقصة العلم والتوحيد أودية سلسالها في ربا أرجائنا جار
مواعظ كرحيق الشهد شافية تنير أعماق مهموم ومحتار
وحسن قصدٍ لما يأتيه من عمل أو دعوة واهتمامات وأوطار
لطف وعطف ورفق بالبرية لا يشوبه شؤم تعنيف وإضرار
لكن إذا حُرمةٌ من دينه انتُهِكتْ رأيت في الذَّبِّ عنها وَثْبَةَ الضاري
بَوَّئْتَ عند ولاة الأمر منزلة عظيمة لم ينلها أي دَيَّار

مُبَجَّلٌ عند كلِّ الناس محتـرم مُقدَّرٌ في بواديهـم وحضـار
وكم له الفضل بعد اللّه في مننٍ من وابـل النفـع أو من دفع أضرار
مسـاجد وربـاطــات وأنـديــة ودور علم بكت من هم إقفـار
تبكي الليالي التي قد كان يسعدها أزيزُ صدرك في ساعات أسحار
يبكي مُصَلاَّك والذكـرُ الحكيـم لما عَمَرت منه الليـالي خير إعمـار
يبكي الصحيحان والمغني لما فقدوا من حُسْن وصلٍ وتقديـر وتكرار
يبكي الرياضان والتفسير منتحبٌ والفتح يبكي ويبكي نيل أوطـار
يا قبر ويحك هل واريت من عُمِرَتْ به قلوبٌ لأبـرار وأطهـار
واريت يا قبر من أحيا ضمائرنا بفيض علم نقي النبع زخَّـار
يا قبر واريت جيلاً عاش في رجل ذي مبدأ مشرق الأصـداء سيَّار
من بعد أن كان للدنيا بأكملها طويتـه فجأةً في بعض أشبـار
كم بقعة تشتهي لو أنها سكن دافٍ لذاك الإمـام الخاشع القـاري
يا قلب كم فيك من هم ومن أرقٍ ومن ظلام كثيف بعـد أنـوار
تحطمت عزمات الأنس في لغتي وأَجْهَشَتْ بالبكاء المرِّ أغـواري
لو أن لي حيلةً بالموت ما طَمِعَتْ عيناي في النـوم قبل الأخـذ بالثار
لكنه أمْرُ مـولانـا وقـدرتـه ونحن نرضى بما يرضى لنا الباري
حَملتُ جثمانـه الزاكي على كتفي وكنت أطمع لو أنْ طال مشواري
نثرت سيل دموعي فوق تربتـه ومضرم الحزن يكويني بإسعـار
واريتُه في فـؤادي قبل مَدْفَنِه بعثتُه في دمي في عمق أوتـار
روائـع من صفات الطهر زاكيـة تظل تُروى لأجيـال وأدهـار
إن غبت يا شيخنا جسمًا فما بَرِحَتْ ذكراك تحيا معي في كل أطـواري
أراك في كل حرف حين أقرؤه من سُنَّةٍ أو كتـاب أو بآثـار

أراك في الركن في البيت العتيق وفي ... بياض إحرام حجاج وعُمّار
أراك في زمزم في الخيف في طُرُقٍ ... إلى المشاعر، في إطلالة الغار
أراك في الحج في شهر الصيام وفي ... قيام ليلٍ، وإمساكٍ، وإفطار
أراك في دمعة الأيتام، في لغةٍ ... مكلومة من ذوي فقر وإعسار
أراك في كل من يرجو لكربته ... كشفًا وفي كل محزون ومحتار
أراك في كل من يبغي لمسألة ... فتوى، وفي كل توجيه وإنكار
أراك حين احتدام الأمر حين يُرى ... وجه الحوادث والأيام كالقار
أراك حين انغلاق الفهم في عقدٍ ... من المسائل، أو في فهم أسرار
أراك في مجلس الفتوى، وفي حِلَقٍ ... للعلم قد غاب عنها نجمك الساري
أراك في كل منثورٍ وقافيةٍ ... أراك في دارك الثكلى، وفي داري
أراك في مسجدي في كل ما نَظَرَتْ ... عيناي يبدو أمامي كيف تذكار
إن كان غيري له في ذكركم طرف ... يزهو به من تراتيل وأخبار
فإن لي من عبير القول أطْيبهُ ... في حُبِّكم بين إعلان وإسرار
أنا الذي صغت ألوان القريض وما ... فَتِئْتُ أشدو بها في كل مضمار
نَظمْتُ أزكى فنون القول في زمن ... غيري يُغَنِّي لأحباب وسُمَّار
بازية الدهر من أقوى الشهود على ... سبقي وصدقي وإجلالي وإكباري
من قام يشدو بمدح في سماحته ... يأبى وينكر هذا أي إنكار
إلا أنا كان يوليني رعايته ... ولا يصادر أشعاري وأفكاري
وحين أصدح بالرنان من خطبي ... يدعو ويثني بلفظٍ منه معطار
يدري بأني مُحبٌّ مرهف ثَمِلٌ ... وكان بالمنطوي في خافقي داري
أنا الذي عشت في أعماق سيرته ... إذْ كان أهل الهوى في تيهِ مقفار
بذلت حبي وأوزاني وقافيتي ... وسوف أحيا وفيًا دون إخفار

إذا تُسطَّر بالأحبار قافيةٌ فإنني من دمي سَطَّرتُ أشعاري
وليس من ينظم الدر البديع كمن يأتي بألفاظه من نحت أحجار
لا يستوي الذهب الإبريز أسْبُكه بما يصوغون من طين وفخار
إذا انتقوا من بنات الفكر ثَيِّبَها فإن ألفاظ شعري طهر أبكار
آتي بها مثل ضوء البدر مزهرة رفيعة الذوق مسعاداً لنُظَّار
وإن بكوا ساعة ثم انقضى أثَرٌ فإن دمعي سيبقى دائمًا جاري
ولو سقوني من الأنهار أجمعها لن تنطفي من فؤادي جذوة النار
ماكان حبي لكم زعمًا أردِّدُه عن البراهين في تصديقه عار
بل كان حبًا نقيًا رائعًا شهدت بصدقه خير أصداءٍ وآثار
عذبًا فراتًا هنيئًا سائغًا غدقًا رَبَتْ روابيه من وردٍ وأزهار
وعشت أقبس نوراً من هدايتكم وأقتفى سيركم في كل مضمار
تَعلَّمتْ راحتيْ بذلَ الجميل وكم زكا فؤادي بتوجيه وتذكار
وبُدِّدَتْ ظلمات الدرب وانْقَشَعَتْ كل الغشاوات عن قلبي وأنظاري
وفزتُ بالمنهج الأسمى فَلُذْتُ به ولم يعد يغتويني أي تيار
نهج النبوة ما أزكى مشاربه جنيتُ بالسير فيه حلو أثمار
غمرتني بالرضى والحب وازدهرتْ روحي برِيَّاك في وِرْدٍ وإصدار
نهلتُ من نهرك الرَّقْراق في نهمٍ وفزتُ من كل إعسار بإيسار
ولو كتبتُ بدمع العين ملحمةً في الشيخ أَتْبَعْتُ ما أروي بأعذار
من ذا يوفِّي إمام الجيل منزله وكل ما قيل فيه عشر معشار
من يرتقي لسهيل في منازله ومن يقابل إغزاراً بإنزار؟
عشنا مع العلم والإيمان في ظُلَلٍ من السماحة في جهرٍ وإضمار
وكم نسجنا من الآمال أرديةً غدت ضحية أيام وأقدار

وكم ظفرنا أكاليلاً موردةً فاجتثها من ربانا هول إعصار
كم خيم الألم الفتّاك في جسدٍ واحلولكت من دروبٍ بعد إسفار
يا من يباهي بحب الشيخ هل جُمِعَتْ قواك للسير في منهاج أبرار
وهل تَعَلَّمْتَ منه في تَألُّقِه عن حَمْأة الذنب أو لوثات أوزار
أم أنت تبكي كما تبكي العجوز بلا بذْلٍ وفضلٍ وتحيا خلف أسوار
فانهض لرفعة دين اللَّه مقتديًا به فقد كان يحذو حذو مختار
تأسّ بالمصطفِي الهادي وصحبته وانظر لأخبار خباب وعمّار
نستودع اللَّه من عشنا نُبَجِّلُه ويا إمام الهدى في ذمة الباري
رحلتْ عن هذه الدنيا التي لَعِبَتْ بنا إلى جود رحمن وغفار
يا رب يا من له تشدو ضمائرنا ويا مُقَدِّر آجالٍ وأعمار
ومن إذا ضاقت الدنيا بما رَحُبَتْ نلوذ منه بِركْنٍ غير منهار
اخلف على أمة الإسلام في عَلَمٍ عَلامة طيّب الآثار مغوار
ولم نجد في البرايا من يضارعه علمًا وحلمًا وجودًا منذ أعصار
واجعل جنان الرضى والخلد منزله ما بين حور وولدان وأنهار

* * *

فقيه الزمان.. العالم الرباني.. بقية السلف..

أبو عبدالله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين (١٣٤٧هـ-١٤٢١هـ):

أيها الشيخ الذي ودَّعنا ... عالي الهمّة وضاحَ الجبينْ
نحن نلقاك وإنْ فارقتنا ... في علوم بقيتْ للراغبين
أنت كالشمس إذا ما غربتْ ... أهدت البدرَ ضياء المُدلجين
أنتَ ما ودّعتنا إلاّ إلى ... حيث تؤويك قلوب المسلمين[١]

❑ قال عنه الشيخ صالح بن عبدالله بن حميد إمام وخطيب المسجد الحرام:

«هو الإمام العالم العلاّمة حبر العلوم، وبحر المعارف، شيخ الفقه، وإمام السنة، الشيخ: محمد بن صالح العثيمين.. لقد كان - رحمه الله - لسان صدق، صادعًا بالحق ملتزمًا به، مقيمًا عليه مع رعاية الحكمة.. خلّف - رحمه الله - ثروة علمية هائلة ينتفع بها بعده - إن شاء الله - ليمتد له أجرها وثوابها»[٢].

❑ وقال الشيخ عبدالرحمن السديس خطيب المسجد الحرام:

«يُعدّ الشيخ - رحمه الله - من بقية السلف الصالح، وإمامًا من أئمة أهل السنة والجماعة، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدًا، فهو ممّنْ قلّ نظيره، وممن جلّ أن ترى العيون مثله بلا مبالغة، لما حباه الله عز وجل، فهو موسوعة علمية أخلاقية، ودعوية، ومنهجية، يقلّ نظيرها، فهو أئمة في

(١) للدكتور عبدالرحمن العشماوي من قصيدته «وجهك الباكي دموع التائبين». من كتاب «الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة العلاّمة ابن عثيمين» لعاصم المري (ص٤٨٠) - دار البصيرة - الإسكندرية.
(٢) المصدر السابق (ص٤١٥، ٤١٦).

إمام، وأمة وحده، ونسيج بمفرده، وطراز مستقل طالما نفع اللَّه به، وذاع صيته، وعلا قدره، واستفاد منه القاصي والداني.

لقد تعرضت الأمة لكثير من جوانب الخلل العقدي والفكري والمنهجي والأخلاقي، فكان الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ نعم الموجّه.. لقد كان مدرسة يصدر الدعاة وطلاب العلم عن رأيه في النوازل، وتوجيهه في المستجدات، ونصحه في المتغيّرات، تمسكًا بالتأصيل الصحيح، والمنهجية المنضبطة بالدليل والقاعدة الشرعية والمقصد الإسلامي النبيل»[١].

ولقد تم تكريم الشيخ باختياره لجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤هـ الموافق ١٩٩٤م وذلك تقديرًا لسجاياه.

◻ وجهوده المتمثلة فيما يلي:

ـ تحليه بأخلاق العلماء الفاضلة التي من أبرزها الورع، والزهد، ورحابة الصدر، وقول الحق، والعمل لمصلحة المسلمين، والنصح لعامتهم.

ـ انتفع الكثير بعلمه، تدريسًا وإفتاءً، وتأليفًا، فهو يدرس العلوم الدينية عقيدة وشريعة، وعلوم اللغة العربية، وذلك في جامع عنيزة وفي المؤسسات التعليمية الحكومية، وفي طليعتها كلية الشريعة في القصيم، وهو يجمع بين غزارة العلم، وجودة أسلوب عرضه؛ مما جعل حلقات درسه تجتذب طلاب العلم من مختلف أرجاء المملكة وخارجها، ولقد بذل نفسه للإفتاء بطرق متعددة، من أبرزها: الكتابة، والهاتف، والمسجّل، ووسائل الإعلام كالصحف، والمجلات، والإذاعة عبر البرنامج المشهور (نور على الدرب) الذي يستفيد منه كثير من الناس داخل المملكة وخارجها، وإلى جانب ذلك ألّف حوالي أربعين كتابًا ورسالة، منها ما هو ذو مستوى يتلاءم مع قدرات

(١) المصدر السابق (ص٤١٦، ٤١٧).

طلاب العلم، ومنها ما هو ذو مستوى يناسب جمهور المسلمين لمعرفة ما هو ضروري من مبادئ الدين الحنيف والشريعة السَّمحة.

ـ إلقاؤه المحاضرات العامة النافعة في بلدان ومراكز مختلفة من مناطق المملكة مما كان له أثر كبير في توجيه الجمهور خاصة الشباب الوجهة الحسنة.

ـ مشاركته المفيدة في مؤتمرات إسلامية كبيرة مثل: مؤتمر رسالة المسجد، ومؤتمر الدعوة والدعاة، ومؤتمر الفقه الإسلامي، ومؤتمر مكافحة المخدرات.

ـ اتباعه أسلوبًا متميزًا في الدعوة إلى اللَّه بالحكمة والموعظة الحسنة، وتقديمه مثلاً حيًّا لمنهج السلف الصالح فكرًا وأسلوبًا، مما جعل كثيرًا من المسلمين يطمئنون إلى ما يدعو إليه، ويستفيدون منه»[1].

□ قال الشيخ محمد صفوت نور الدين ـ رحمه اللَّه ـ عن الشيخ ابن عثيمين: «صاحب الباع الوافر في الفقه وأصوله، وفي الحديث رواية ودراية، من أجل ذلك كان إمامًا في الدليل والتعليل، ففي المسألة الفقهية يدلي بالدليل الذي يستند عليه القول الذي يختاره، ويعلم السامع كيف يستنبط الحكم منه، ويشرح علّة الحُكْم، ويربط بالأشباه والنظائر، وكان في التفسير إمامًا بارعًا كيف لا؟!! وإن أحظى شيوخه العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي صاحب التفسير الجامع الممتع على اختصاره وتبسيطه.

وكانت مجالس الشيخ العلمية تجمع بين المبتدئ والمجتهد في طلب العلم، فلا يحرم المبتدئ من الفوائد المدرجة التي يرتقي بها مدارج العلم النافع، ويجد فيها المجتهد بغيته، ويحصل الباحث المدقق على ضالته المنشودة»[2].

---

(١) جريدة الرياض العدد ١١٨٨٩.

(٢) مجلة التوحيد المصرية ـ العدد ١١ ـ للسنة ٢٩.

* **ابن عثيمين ودفاعه عن عقيدة السلف:**

ثلاثة رموز للهوية السلفية في عصرنا هذا: ابن باز، والألباني، وابن عثيمين ولقد ظل الشيخ ابن عثيمين ينافح عن هذه العقيدة ويدعو إليها بلسانه وبنانه تأصيلاً وتفصيلاً من منبره ومن درسه، ومن خلال هاتفه، وفي الشارع والجامعة والمعهد والجامع، في مجالسه الخاصة والعامة، ولا يكاد يجد فرصة سانحة إلا وينشر فيها هذه العقيدة الصافية النقية بأسلوبه السهل المتدرج الذي يجذب انتباه العامي.

وتولى ـ رحمه اللَّه ـ في كتبه شرح كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وله أشرطة مسموعة فيها شروح كتب بأكملها كالتدمرية والعقيدة الواسطية والعقيدة السفارينية والنونية لابن القيم، وكتاب التوحيد والرد على الجهمية من صحيح البخاري، بل واختصر كثيرًا من كتب ابن تيمية وعلّق على كتب لابن عبدالوهاب وقرّبها الطلبة العلم والعامة.

وردّ ـ رحمه اللَّه ـ على أهل الزيغ والانحراف بمنتهى القوة، ونوّع الأدلة وفصّل في الرد وأطال النفس في ذلك جدًّا.. انظر إلى كتابه «تقريب التدمرية» وكيف ردّ على الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة وغلاة الجهمية والقرامطة والباطنية.

ولم يأل الشيخ ابن عثيمين جهدًا في مواجهة المخالفات العقدية المعاصرة على اختلاف أنواعها، سواءً كانت من ميراث الفرق والمذاهب السالفة، أو من نتاج الحاضر، فكان بالمرصاد لكل دعوة دخيلة على العقيدة السلفية الخالصة، ردًّا لها وتفنيدًا لشبهاتها وشبهات أصحابها، واستدلالاً على الحق بالكتاب والسنة والإجماع.

وانظر إلى إنصافه:

□ قال ابن عثيمين: «وأما الخطأ في العقيدة؛ فإن كان خطأ مخالفًا

لطريق السلف فهو ضلال بلا شك، ولكن لا يُحكم على صاحبه بالضلال حتى تقوم عليه الحجة، فإذا قامت عليه الحجة؛ وأصر على خطئه وضلاله كان مبتدعًا فيما خالف فيه الحق، وإن كان سلفيًّا فيما سواه، فلا يُوصف بأنه مبتدع على وجه الإطلاق، ولا بأنه سلفي على وجه الإطلاق، بل يوصف بأنه سلفي فيما وافق السلف، مبتدع فيما خالفهم، كما قال أهل السنة في الفاسق إنه مؤمن بما معه من الإيمان، فاسق بما معه من العصيان، فلا يُعطى الوصف المطلق، ولا يُنفى عنه مطلق الوصف، وهذا هو العدل الذي أمر اللَّه به، إلا أن يصل المبتدع إلى حد يخرجه من الملة فإنه لا كرامة له في هذه الحال»[١] .

❑ وانظر إليه للَّه دره في تفصيله في مسألة التكفير وخاصة تكفير الحكام التي صار الناس فيها إلى غالٍ ومفرط، فبيّن الشيخ خطورة الكلام في هذه المسألة خاصة ممن لا علم عنده، أو ممن يجري وراء العواطف والحماس المتوقد، وحذّر أشد التحذير من الولوج في هذا الباب بغير علم ولا بصيرة، فقال ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: «وهذه المسألة أعني مسألة الحكم بغير ما أنزل اللَّه من المسائل الكبرى التي ابتلى بها حكّام هذا الزمان، فعلى المرء أن لا يتسرع في الحكم عليهم بما لا يستحقونه؛ حتى يتبين له الحق؛ لأن المسألة خطيرة، نسأل اللَّه تعالى أن يُصلح للمسلمين ولاة أمورهم وبطانتهم، كما أن على المرء الذي آتاه اللَّه العلم أن يبيّنه لهؤلاء الحكام، لتقوم الحجة عليهم، وتبين المحجة، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة، ولا يحقرن نفسه عن بيانه، ولا يهابن أحدًا فيه فإن العزة للَّه ولرسوله وللمؤمنين واللَّه ولي التوفيق»[٢] .

---

(١) «كتاب العلم» (ص١٩٩ ـ ٢٠٠) ط دار الثريا.

(٢) «مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين» لفهد السليمان (١٤٧/٢).

ردّ ـ رحمه اللَّه ـ على الأشاعرة، ورد على زنادقة الفلكيين[١] ، وردّ على الرافضة[٢] وبين الشيخ كثيرًا من الأخطاء التي تقع في كلام بعض الناس[٣] .

◻ وهناك مؤثرات لنبوغ الشيخ والتزامه بالمنهج السلفي منها تتلمذه على كبار علماء عصره الذين عُرِفوا بعقيدتهم السلفية، وتأثره بكتابات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية، وتأثر بمنهاج الشيخ محمد رشيد رضا فيقول: «وتأثرت بمنهاج الشيخ محمد رشيد رضا؛ لأنه جيد في عرض المسائل، وإن كان عليه بعض الأخطاء وجلّ من لا يخُطئ، فهو على كل حال له أثر في منهجي في تحقيقه المسائل وما أشبه ذلك»[٤] .

◻ أما تميزّ الشيخ ابن عثيمين في الفقه فلا يخفى على أحد من العوام أو العلماء أو طلاّب العلم من غرب المعمورة إلى شرقها من المسلمين عجمًا كانوا أم عربًا، ولقد تأثر الشيخ في منهجه الفقهي الذي بزّ فيه بشيخه السعدي، وابن سعدي ـ رحمه اللَّه ـ ممن برز في الفقه في هذا العصر وأصوله وقواعده بروزًا منقطع النظير في اطلاعه وعمق فهمه وقوة استنباطه فارتوى ابن عثيمين من معين شيخه ونهل من بحره الزاخر، وتأثر بكتابات ابن تيمية وابن القيم، وابن مفلح صاحب كتاب «الفروع». وكان يوصي طلبته بحفظ المتون ويردد «من حفظ المتون حاز الفنون».

◻ والشيخ ـ رحمه اللَّه ـ دعا إلى ترك التقليد الأعمى ولقد تأثر كثيرًا بشيخه عبدالرحمن السعدي في ذلك.

---

(١) انظر «الضياء اللامع من الخطب الجوامع» لابن عثيمين (ص٣٢).
(٢) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (٢/٣٣٨)، طبع دار ابن الجوزي.
(٣) انظر «مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين» الجزء الثالث.
(٤) «مجلة الدعوة» العدد ١٧٧٦ .

◻ يقول ـ رحمه اللَّه ـ : «لقد تأثرت كثيراً بشيخي عبدالرحمن السعدي في طريقة التدريس، وعرض العلم، وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني»[١].

والمنهج الذي سلكه الشيخ عبدالرحمن السعدي هو منهج خرج به عن المنهج الذي سار عليه علماء نجد عامتهم أو غالبيتهم، حيث كان الشيخ السعدي لا يتقيّد بالمذهب الحنبلي في مسائل كثيرة حتى أن علماء بريدة ـ رحمهم اللَّه ـ في عهد الشيخ السعدي كان ينقمون على الشيخ السعدي بسبب خروجه عن المذهب الحنبلي، حتى رفعوا عليه دعوى إلى الملك عبدالعزيز آل سعود يشكونه إليه».

ومنهج الشيخ السعدي كثيراً ما يتبنى آراء الشيخ ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، ويرجحهما على المذهب الحنبلي، فلم يكن عنده جمود تجاه مذهب معين، بل كان متجرداً للحق، وقد انطبعت هذه الصفة وانتقلت إلى تلميذه محمد الصالح العثيمين.

◻ ولم يكن تبنّي الشيخ لآراء شيخ الإسلام نابعًا من هوى أو تقليداً أعمى، بل كان متجرداً للحق أيضًا، فحيثما وجد الحق فهو ضالته ومطلبه، بل إنه خالف شيخ الإسلام في عشرات المسائل أكثر من مخالفة شيخه السعدي»[٢].

◻ ولقد أوتي الشيخ ابن عثيمين فهمًا ثاقبًا في إظهار مقاصد الشريعة وأسرارها وحكمها، وكانت له عناية فائقة بالفروق، والقواعد الفقهية.

◻ ويمتاز البحث الفقهي عند الشيخ برسوخ وسائل البحث عنده،

---

(١) «صفحات مضيئة من حياة الشيخ محمد بن صالح العثيمين» لتلميذه وليد بن أحمد الزبيري (ص٣٠).

(٢) المصدر السابق (ص٣٢).

وتحريره الدقيق للمسائل، وتحديده للمصطلحات، واستحضاره البارع للقواعد الأصولية، والقواعد الفقهية، وتفريعه العظيم للمسائل، ورجوعه عن قوله إذا تبيّن له الصواب، وتوقفه عن الترجيح إذا تساوت عنده الأدلة أو تكافأت.

❑ والشيخ ابن عثيمين جمع بين أصالة السلف من جهة وإلمامه بواقع الناس وقضاياهم من جهة أخرى، ولقد قرّب الشيخ فقه السلف، وخاصة المسائل الكبار الموجودة في المغني والمبسوط والمجموع والتمهيد، وتظهر مكانة الشيخ في فتاويه في القضايا المعاصرة.

❑ وبلغت تسجيلات الشيخ في أشرطته المسجلة ٣١٨٣ شريطًا[1] .

❑ ولا يشك الناظر في حياة الشيخ العلمية العامرة بالفقه تأصيلاً، وتقعيدًا، وبذلاً، وعطاء أن الشيخ كان لا يُجارى ولا يُبارى في مكانته الفقهية، ولله دره في حصيلته المباركة في الفقه وكتبه، ولو لم يكن للشيخ إلا «الشرح الممتع على زاد المستقنع لكفاه» وانظر إلى شرحه للكافي في الفقه الحنبلي، وشرحه لبلوغ المرام، ومؤلفاته الفقهية تعلم أي شيخ مجتهد رباني كان الشيخ ابن عثيمين.

❑ وبإخلاص الشيخ ابن عثيمين وتجرده وصل صوته إلى كل مكان في أرجاء البسيطة وفي روسيا الشيوعية هناك تحت سياط العقاب والإرهاب نجد دعوة الشيخ قد وصلت تحت الأقبية من ذلك: ما رواه الشيخ أحمد بن عبدالعزيز الحمدان: «في حج عام ١٤١٦هـ كنت مرافقًا لسماحته وهو يزور الحجّاج ـ كعادته كل سنة ـ يسلّم عليهم ويحدثهم، ويجيب على أسئلتهم في مطار الملك عبدالعزيز بجدة، ودخلنا صالة استقبال كان فيها حجاج من جمهورية من الجمهوريات الإسلامية التي كانت تحت الحكم الرّوسي، وكان

---

(١) انظر شريط ١٠٠ فائدة من الإمام ابن عثيمين للشيخ محمد صالح المنجد.

أصغرهم سنًّا قد بلغ الستّين، وليس فيهم من يتكلم العربية، فسأل الشّيخ إن كان معهم مترجم يترجم كلامه إليهم، فلم نجد إلاّ شابًّا سعوديًّا كان في استقبالهم يتحدّث بلسانهم. فطلبنا منه أن يترجم كلام الشيخ، فوافق، وأخذ الشيخ يتحدّث والشاب يترجم. وفي أثناء حديثه دخلَ شابٌ يركض ـ علمنا فيما بعد أنه مرشد الحملة ـ وإذا به يتحدّث العربية بطلاقة، وطلب أن يقوم بالترجمة، وأخذ مكبّر الصوت، وهو لا يعلم من هو الشيخ حتى فرغ الشيخ من حديثه ثم جاء يسلّم. فقلنا له: هذا الشيخ محمد بن عثيمين، وإذا بالشاب ينظر إلى الشّيخ باستغراب وقد اتسعت حدقتا عينيه، وقال: الشيخ محمد بن صالح العثيمين، فاستغربنا من معرفته لاسم الشيخ، وقلنا: نعم، وإذا به يضمّ الشيخ بذراعيه وأخذت الدّموع تنهال من عينيه وهو يقول: الشيخ محمد العثيمين ويكرّر اسمه فرحًا، ثم ما لبث أن أخذ مكبّر الصوت، ونادى في أفراد الحملة بكلام لم نفهم منه سوى ترديده لاسم الشيخ، وكانت المفاجاة أكبر عندما أخذ أفراد الحملة يبكون، وارتفعت أصواتهم وهم يردّدون اسم الشيخ: الشيخ العثيمين، وقال الشاب: يا شيخ هؤلاء كلّهم طلاّبك، هؤلاء كانوا يدرسون كتبك في الأقبية تحت الأرض لمّا كان تعليم الإسلام عندنا ممنوعًا، وهم في شوقٍ للسلام عليك فهل تأذن لهم؟ وأذن لهم الشيخ، فأقبلوا يقبّلونه ويقبّلون رأسه ويديه وهم يبكون ويردّدون اسمه، فكان من أشدّ المواقف تأثيرًا، وما أعلم من بقي في ذلك المكان إلا وبكى تأثّرًا بما رأى وسمع»[١].

* رؤية الشيخ لضوابط إنجاح الصحوة الإسلامية:

يرى الشيخ ابن عثيمين أن هناك ضوابطَ لإنجاح الصحوة الإسلامية منها:

---

(١) جريدة «البلاد» عدد (١٦٢٢٣)، و«الدر الثمين» (ص ٢٠٠ ـ ٢٠١).

ـ التمسك بالكتاب والسنة.

ـ والعلم البصيرة: أن يكون على بصيرة فيما يدعو إليه، وعلى بصيرة في مجال الدعوة، وبصيرة في كيفية الدعوة، وثالث الضوابط هو الفهم. والرابع: الحكمة، والخامس: التآلف والتواد، وسادسها: الصبر والاحتساب، والسابع: التخلق بالأخلاق الفاضلة، والسابع: كسر الحواجز بين الداعية وبين الناس، والتاسع: الرفق واللين، والضابط العاشر: اتساع صدور الشباب للخلاف بين العلماء. والحادي عشر: تقييد العاطفة بما يقتضية الشرع والعقل، وبعد ذلك عدم اليأس.

*** مكانة الشيخ في التفسير:**

لقد أوتي الشيخ ابن عثيمين فقهًا في التفسير وبصرًا عظيمًا، يكثر التأمل، ويتعمق في الاستنباط، ويحث على الفكرة والتدبر، ويغوص وراء المعاني كأنه عالم من علماء القرون الأولى ممن رسخوا في العلم والفهم.

كان ـ رحمه اللَّه ـ يستخرج عشرات الفوائد من الآية الواحدة.

وللشيخ القدح المعلى في التفسير بعد الشيخ الشنقيطي في علماء عصرنا وقرننا.

*** زهده ـ رحمه اللَّه ـ:**

كان بيته القديم بعنيزة من الطين، «وكان ـ رحمه اللَّه ـ يلبس نعلاً معروفًا لها أصبع، لا تتجاوز قيمتها خمسة عشر ريالاً، ويلبسها دومًا»[1].

*** وقال الشيخ محمد صالح المنجّد:**

«كان ـ رحمه اللَّه تعالى ـ زاهدًا في الدنيا، ليس من أهل العقارات،

(١) «الدر الثمين» (ص٢١٧).

والأموال، وما يأتيه من الرواتب ينفقه على أهله، وقد أُعطي سيارة جديدة فلم يستعملها، فلمّا علاها الغبار سحبت من أمام البيت.

وأُعطي بيتًا كبيرًا فوهبه لطلبة العلم.

وسيارته قديمة «مازدا» في الثمانينات «يعني الموديل»، ومن تأمّل غترته وبشته، ونعاله عرف أنه رجلٌ زاهد غير متعلّقٍ بالدنيا»[(١)].

◘ قال الشيخ فهد بن عبدالله السنيد: «وأما زهده فيكفي أن تعلم أن ريع كتبه التي تطبع بإذنه لصالح الأعمال الخيرية، ويشترط على من يقوم بطباعة كتبه ألا يحتفظ بحقوق لمن أراد طبعه، وتوزيعه مجانًا»[(٢)].

◘ وقال سليمان السالم الحناكي: «وقد ذكر لي من أثق به موقفين للشيخ يعبّران عن صفة الزّهد لديه:

ففي أحد الأيام كان الشيخ يقف بجوار مسجده مع بعض طلبته يسألونه ويناقشونه في بعض المسائل الشّرعية، فأتت سيارة فارهة ونزل منها السائق، وأعطاه مفاتيح السيارة قائلاً: إن هذه السيارة هدية من فلان الفلاني «أحد أعيان البلد» وأبى الشيخ، إلا أن الشخص ألّح عليه، فأخذ الشيخ المفاتيح، وركب ذلك الشخص السيارة الأخرى وذهب.

◘ فيقول محدّثي:

أن الشيخ تابع حديثه مع طلبته وهو يقلّب المفاتيح بيده، ولم يلتفت مطلقًا، وفجأة أتى شاب وسلّم على الشيخ، وقال: يا شيخ الليلة زواجي، وإني أرجو أن تحضره، ولكنّ الشيخ تعذّر لبعض الارتباطات، ولكنّ الشّاب

---

(١) محاضرة للمنجد بعنوان (١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين)، وجاء في الاقتصادية بعدد: ٢٦٥٢ أن السيارة من نوع (كريسيدا).

(٢) «مجلة الدعوة» العدد ١٧٨١.

ألح عليه بالحضور، فلاطفه الشّيخ وقال: إن ظروفه لا تساعده، ولكن خذ مفاتيح هذه السيارة فهي هديّة مني لك، وأخذ الشّاب السيارة وذهب، وعاد الشيخ لحديثه وكأن شيئًا لم يكن.

□ وموقف آخر: وهو أن الملك خالد ـ رحمه اللَّه تعالى ـ زار الشيخ في بيته كعادة ولاة الأمر في تقدير العلماء وإجلالهم، ولمّا رأى الملك منزل الشيخ المتواضع عرض عليه أن يبني له دارًا جديدة، فشكره الشيخ وقال: إنني أبني لي دارًا في الصالحية «حيّ في عنيزة» ولكن المسجد والوقف التابع له تنقصهما بعض الحاجيات والمستلزمات، وبعد أن ذهب الملك قال له بعض جلسائه: يا شيخ ما علمنا أنك تبني دارًا في الصالحية، فقال الشيخ: أليست المقبرة في الصالحية!!![1] .

□ وقال محمد إبراهيم السبيعي:

«أما عن زهدة فحدّث ولا حرج، وأذكر أنه حينما زاره الملك خالد بن عبدالعزيز يرحمه اللَّه في منزله الطّيني البسيط في عنيزة، عرض عليه أن ينتقل إلى سكنٍ آخر، أو قبول أي مبلغ لبناء سكن مناسب.

لكن الشيخ دعا للملك خالد الذي ألح على الشيخ لقبول هذا الأمر، فآثر أن يوجه هذا التّبرع لشراء العمارة القريبة من الجامع، لتكون مكتبة لطلبة العلم، فاشتراها الملك بسبعة ملايين مع مبالغ نقدية للطلبة»[2] .

□ وقال أيمن بن عبدالعزيز أباغي:

«مرة ذهب ليلقي محاضرة في الحرس الوطني، وقد استعد كبار الضباط لاستقباله عند المسجد، فلمّا أتى لينزل من السيارة جعل حذاءه داخل

---

(١) «جريدة الجزيرة» العدد ١٠٣٣٦.

(٢) الاقتصادية، العدد ٢٦٥٠.

السيارة ونزل، فأشار إليه مرافقه أن يلبس للوجاهة، فقال الشيخ: لا، دعها، ونزل حافيًا فما زاده ذلك إلا مهابة وتعظيمًا»[(١)].

*** تواضعه واحترامه لأهل العلم:**

◻ قال صاحب «الدر الثمين»:

«ومما أذكره من تواضعه ـ رحمه اللّٰه تعالى ـ واحترامه لأهل العلم: أن الشيخ ألقى محاضرة في جامع الرّاجحي بالرياض بالربوة في «أحداث الشيشان» في يوم الأربعاء ١٦/٨/١٤٢٠هـ وبعد أن انتهى كان من ضمن الأسئلة التي وجّهت إليه؟ ماذا تقولون في الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، وكان قد توفّي منذ فترة، فأجاب الشيخ قائلاً: «مثلي لا يتكلّم عنه؛ لأنه أعلم منّي وأنفع مني للأمة، ونشهد اللّٰه على حبِّه، وهو أول من فتح الباب للبحث في علم الحديث، ونفع اللّٰه به الأمة؟!!» رحمه اللّٰه وغفر له»[(٢)].

*** عبادته:**

صلاته وتهجده:

◻ قالت سعاد بنت محمد بن حمد العثيمين:

«أمّا حبه للصلاة وطولها والخشوع فيها فحدّث ولا حرج، إذ قد أثارني منظر رأيته وأنا صغيرة، رأيت عجبًا في سجادته التي يصلّي فيها النوافل في منزله، كانت السجادة مبطنة من الأسفل بالبلاستيك، رأيتها معلّقة على الجدار، وقد تشقق موضع الجبهة، واليدين، والرّكبتين من البطانة

---

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٤.

(٢) «الدر الثمين» (ص٢٤٠).

البلاستيكية، فهذا إن دلّ على شيءٍ، فإنما يدلّ على كثرة صلاته وقيامه، وبالفعل هذا ما لوحظ عليه في صلاة التراويح والقيام رحمه اللَّه رحمة واسعة»(١).

❑ قال الشيخ توفيق الصائغ:

«كان شيخنا ـ رحمه اللَّه تعالى ـ لا يدع أن يصل صلاة الفجر بقيام الليل، يصلي من آخر الليل ـ رحمه اللَّه تعالى، ولا يأتي إلى صلاة الفجر إلا ووجهه يستهل ويبرق.

وصلّى بنا صلاة الاستسقاء ذات مرّة، فلم نمطر، ثم نودي بالصلاة مرّة أخرى، فصلّى فلم نمطر، ثم نودي بالصلاة مرّة ثالثة، فخرج الشيخ من بيته ـ واللَّه الذي لا إله إلا هو كأن وجهه فلقة قمر، لا أظن ذلك إلاّ من قيام الليل ـ فلمّا صعد على درجات المنبر ما أن خطَب بالناس حتّى انهالت الدموع منه رحمه اللَّه رحمة واسعة، ثم أخذ يدعو ويدعو ويدعو، فلم ننزل من ذلك المصلّى إلا وقد مطرنا»(٢).

❑ وقال الشيخ سعد بن عبداللَّه البريك:

«إن هذا العالم الجليل حتى آخر لحظة من لحظات عمره كما يخبرني الطبيب الذي كان معه آخر أيام حياته، وقابلته بعد موته بساعة أو ساعتين في المستشفى التخصصي في جدّة، قال: إني كنت آخر الأيام مع الشيخ، فسألته ما كان دأبه في الأيام الأخيرة، قال: ما رأيت عليه سوى الصلاة، وقراءة القرآن ما اشتغل بغير ذلك بشيء أبدًا»(٣).

---

(١) الدعوة ـ العدد ١٧٧٦.

(٢) شريط «وداعًا العثيمين» بواسطة «صفحات مشرقة» (ص٣٣).

(٣) المصدر السابق (ص٨١)، وعزاه لشريط ربانيون على فراش الموت.

* **قيامه الليل:**

□ قال الشيخ محمد صالح المنجد:

«والشيخ ـ رحمه اللَّه تعالى ـ كان يغتنم أوقاته جيدًا، وينام مبكرًا بعد العشاء فإذا جاءت الساعة الثانية ليلاً استيقظ تلقائيًا من غير منبه»(١).

□ ويقول مؤذن جامعه الشيخ عبدالرحمن الرّيس:

«وقد كان يحرص حرصًا شديدًا على النوم مبكرًا ليقوم للتهجد في آخر الليل»(٢).

□ قال إحسان بن محمد العتيبي عن الشيخ:

«إنه كان يقيم الليل حتي مع شدّة تعبه، وقد حدّث عن ذلك بعض تلامذته وهو ـ حمد العثمان ـ ومما قال بالمعنى:

أنه سافر مع الشيخ إلى الرّياض، فمكثوا فيه وقتًا ثم غادروا إلى جدّة فأدوا العمرة في مكة، فلمّا انتهوا من عمرتهم وإذا بالتعب قد سرى لجسدهم، فاستسلموا للنوم، قال الشيخ حمد: فقمت في الليل إلى الحمام لقضاء الحاجة، وإذا بي أرى الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ قائمًا يصلّي!! فقلت: سبحان اللَّه، أنا شاب واستسلمت للنوم، وهذا شيخٌ كبير تعب معي مثلي، ثم يقوم في الليل ليصلي، فتشجّع أخونا (حمد) ليصلّي، فقام وتوضأ، ولما أراد أن يصلّي وإذا بالنعاس يغالبه..»(٣).

□ وقال الشيخ محمد صالح المنجّد:

«قال أحد من رافقه مرة في سفرٍ، فذهب مع الشيخ في دعوة، فرجعا

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٣) «جريدة المدينة» الرسالة العدد ١٣٧٨٨.

متأخرين كالّين متعبين إلى مسكنهما، فوضع كلٌّ منهما رأسه الساعة الواحدة ليلاً، واضطجع الشيخ.

قال المرافق: أثناء الليل، وأثناء النوم انتبهت قرابة الساعة الثالثة أو الثالثة والنصف، وكنّا قد نمنا قرابة الواحدة فحينما انتبهت على صوت الشيخ وهو قائمٌ يصلّي في هذا الوقت الذي كان هو في أمسّ الحاجة إلى النّوم والرّاحة»[1] .

*** بكاؤه:**

□ قال خالد بن عبدالله الحمودي:

«قبلَ وفاته يرحمه اللَّه حضرنا مجلسًا، وكنت معه، فتليت قصيدة في هذا المجلس عن الموت، فبكى الشيخ بكاءً شديدًا وهو يسأل اللَّه قائلاً: اللَّهم أعني على الموت، اللَّهم أعنا على الموت، وكان ذلك قبل وفاته بأشهر قليلة»[2] .

*** أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وغيرته على حرمات اللَّه:**

من المعلوم أن خيرية هذه الأمة المباركة منوطة بالإيمان باللَّه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعظيم حرمات اللَّه تعالى، ويحمل لواء هذه الشريعة العظيمة ـ بعد الأنبياء ـ العلماء الربانيون في كلّ أمة، فيكون أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر غير منكر بل بالحكمة والموعظة الحسنة، فينظرون إلى العصاة بنظرين: بعين القدر فيرحمونهم، وبعين الشرع فَيُقِيمُون عليهم ما أوجبه اللَّه تعالى، وقد عُرف شيخنا بغيرته على دين اللَّه تعالى،

---

(١) شريط «١٠٠ فائدة من الإمام ابن عثيمين» للمنجد.

(٢) المدينة ـ العدد ١٣٧٨٩.

وحرصه على الأمر والنهي على ما تُوجبه الشريعة.

* فقه إنكار المنكر عند الشيخ:

□ يقول الشيخ ـ رحمه اللَّه تعالى ـ:

«ليس من الحكمة أن تتعجل وتريد من الناس أن ينقلبوا عن حالهم التي هم عليها إلى الحال التي كان عليها الصحابة بين عشية وضحاها، ومن أراد ذلك فهو سفيه في عقله بعيد عن الحكمة، فلا بد من طول النفس، واقبل من أخيك الذي تدعوه ما عنده اليوم من الحقّ، وتدرّج معه شيئًا فشيئًا حتى تنتشله من الباطل»[1].

□ ويقول أيضًا: «لا شكّ أن الدعوة الإسلامية منذ بعث الرسول ﷺ وإلى أن تقوم الساعة، أولياتها وأصولها واحدة لا تتغير بتغّير الزمان، لكن قد تكون بعد الأصول محققة عند قوم، وليس فيها ما يَنقُضَها أو يُنقِصُها فيعمل الداعية إلى النظر في أمور أخرى يكون فيها من يدعوهم مقصّرين»[2].

□ ويقول أيضًا: « والدعوة إلى اللَّه لا بد أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، ولين الجانب وعدم التعنيف، واللوم والتوبيخ. . »[3].

□ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «إننا لو علمنا أن في بيت من بيوت هذا البلد مرضًا فتاكًا لأخذنا القلق والفزع، ولاستنفدنا الأدوية، وأجهدنا الأطباء للقضاء عليه، هذا وهو مرضٌ جسمي، فكيف بأمراض القلوب التي تفتك بديننا وأخلاقنا.

(١) «صفحات من حياة الفقيد العالم الزاهد» (ص٢٦)، للدكتور عبداللَّه بن محمد الطيار.
(٢) المصدر السابق، وعزاه لـ «فتاوي الدعوة» (٥/ ١٥٤).
(٣) المصدر السابق.

إنّ الواجب علينا إذا أحسسنا بمرض ديني أو خلقيّ يفتك بالمجتمع، ويحرف اتجاهه الصحيح أن نبحث بصدقٍ عن سبب هذا الداء، وأن نقضي عليه وعلى أسبابه قضاءً مبرمًا من أيّ جهة كانت؛ لا تأخذنا في ذلك لومة لائم؛ قبل أن ينتشر الداء ويستفحل خطره..»[١].

*** نماذج من دعوة الشيخ للكفّار، أو العصاة، وأمره ونهيه:**

❑ قال د. سعود بن عبدالرحمن العجاجي:

«بينما نحن مغادرين الفندق الذي سكنه توقّف أمامه طفلٌ أمريكي ومعه والدته، فطبطب على رأسه وبدأ يداعب هذا الطفل الذي أثارته هيئة الشيخ، وهيبته بلبسه الثوب السعودي والمشلح، فطلبت الأم من ابنها أن يحيي الشيخ، فردّ الشيخ بأحسن منها.

وقال الشيخ الراحل موجهًا كلامه للأم: اللَّه يهديك بالإسلام، وكان الشيخ خلالها غاضٌ النظر، وعاف الخاطر، ثم طلبت الأم من ابنها أن يودّع الشيخ بعبارة Have nice day .

وسألني الشيخ: ماذا يقول الطفل؟ فأبلغته أنه يتمنّى لك يومًا سعيدًا لكن بعض المرافقين امتعضوا من ملبس المرأة، فقال أحدهم: قبّح اللَّه وجهك، لكن الشيخ لم يعجبه هذا الكلام، فقال: يا إخوان ليس هذا من سمات الإسلام، الطفل وأمه قابلانا بوجه حسنٍ وكلام طيّب، فأحرى أن نعاملهم بالمثل؛ فبدلاً من أن ندعو عليهم جدير أن ندعو لها بالهداية الذي هو منهج الدين الرّفيع»[٢].

(١) المصدر السابق.

(٢) الاقتصادية، العدد ٢٦٥٠.

◻ ويقول الشيخ خالد المصلح ـ صهر الشيخ ـ:

«شيخنا آمرٌ بالمعروف، وناهٍ عن المنكر في دقيق الأمور وجليلها، ويلاحظ ذلك كل من عرف الشيخ فعلى المجال الفردي يأمر بالمعروف ويحثّ على الصلاة في طريقه إلى المسجد، وإذا لاحظ على شخصٍ تقصيرًا أنكر عليه، أما المنكرات العامة فالشيخ صاحب بيان، لكنه دائمًا يقول: إنه لا يتكلّم إلا بما يكون فيه فائدة وبأسلوبٍ مفيد يكون فيه اندفاع الشر وحصول الخير دون أن يترتب عليه مفسدة أعظم من المصلحة المرجوّة منه»[(١)].

◻ وقال الدكتور إبراهيم بن عبدالله المطلق:

«صحبته ـ رحمه الله ـ يومًا من الجامع إلي منزله، وقرب إحدى إشارات المرور التفت ـ رحمه الله، فرأى سيارة واقفة، وفيها رجلٌ عربي من إحدى الدول العربية، ومعه زوجته قد كشفت عن وجهها.

فانطلق ـ رحمه الله ـ كالسهم تجاه السيارة فغطت المرأة وجهها، ونزل زوجها وقبّل رأس الشيخ واعتذر»[(٢)].

◻ وقال العقيد الركن علي بن محمد الخشّان:

«كان يحرص على ألا يدنس العلم الذي معه بما يشينه، فحينما همّ أن يدخل أحد المكاتب رأي فيه صورًا معلقة، فعدل إلى مكتب آخر ليس فيه صور، وكذلك لا يرضى بحضور مناسبات فيها منكرات، ويحرص الشيخ كثيرًا على تصحيح الأخطاء عمليًا، فكان الناس في السابق إذا أرادوا أن يصلوا على جنازة قاموا من حين يسلّم الإمام وقد تعلمت من الشيخ التريث؛ لا سيما إذا كان من المصلين من يقضي ما فاته.

---

(١) الأسرة، العدد ٩٢.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

كذلك صلّى الشيخ مرّة على جنازة، ولا حظ أن بعض المأمومين يرفع صوته بالتكبير إذا كبّر الإمام؛ فلمّا فرغ الشيخ من الصلاة على الجنازة نبّة الناس إلى عدم الجهر بالتكبير».

▢ في بداية أحد دروسه ـ رحمه اللّه ـ في المسجد الحرام قال:

«إني ألاحظ أنّ أيدي بعض الناس قد قُطعت؛ فشدّ الانتباه بذلك، ووضَّحَ: أن البعض من احترامهم وتبجيلهم ربّما سارع بتقبيل الرأس قبل المصافحة، وبيّن أن هذا خلاف الهدي النبوي، فلا بدّ من البدءِ بالمصافحة»(١).

▢ وقال عبدالعزيز بن دغيثر الدغيثر:

«مرةِ وهو راجع من المسجد إلى بيته كان يمشي على الرصيف، فوجد سيارة قد أوقفها صاحبها فوق الرصيف تعترض الطريق، فوقف الشيخ وسأل عن صاحب السيارة، ثم طرق عليه الباب، فخرج صاحب السيارة، ووجد من؟ وجد الناصح المتواضع، والموجه المشفق، نصحه الشيخ أولاً، ثم طلب منه أن يغيّر مكان السيارة فالطريق له حقّ»(٢).

▢ وقال الشيخ محمد بن عبداللّه المشوّح:

«كان ـ رحمه اللّه ـ شفيقًا عطوفًا حدبًا على الشباب، يستمع إليهم ويناقشهم، فيرشد ويعظ بكلّ لينٍ وأدب.

لقد استعمتُ إلى بعضهم ينهر ويعلي صوته عليهم حين يتحدثون عن بعض المنكرات، ولكن الشيخ ـ رحمه اللّه ـ يعاملهم بكلّ هدوء، ويبيِّن لهم أصول الإنكار، وضوابطه بعيدًا عن الحماس المرتجل، والعاطفة الثائرة، المجردة من العلم والعقل»(٣).

---

(١) مجلة الجندي المسلم، العدد ١٠٢.

(٢) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩٦.

(٣) الرياض، العدد ١١٨٩٣.

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يتحدث عن فرقة التيجانية وأنها فرقة ضالةٌ، فقال أحد الإخوة: يا شيخ لو سمحت لي أن أترجم كلامك إلى لغة (الهوسا)، لوجود أناس كثير يتحدّثون بهذه اللغة، يقول الشيخ: وبدأت بالحديث وهو يترجم، وفي أثناء الكلام قال شخصٌ: يا شيخنا أنت تذم الطائفة وهو يثني عليها، فأجلسه الشيخ، ولم يعد يثق في كل مترجم، وكان يقول: تمنيت أنني تعلّمت اللغة الإنجليزية»[١].

◻ وقال د. أحمد بن سليمان العريني:

«كان ـ رحمه اللَّه ـ يعمل بالعلم ويطبّقه بحذافيره، ففي يومٍ من أيام شوال كنا في درسه في قاعة كلّية الشريعة بالقصيم، فسأل أحد الطلاب الشيخ عن أناسٍ اعتمروا في رمضان الماضي، فلمّا دخلوا الحرم ورأوا الزحام الشديد رجعوا إلى بلدهم ولم يتموا عمرتهم، فقال الشيخ: أتعرفهم؟ قال: إن زميلاً لي يعرفهم قد أوصاني بالسؤال، فقال الشيخ: اخرج الآن وبلغه ليأمرهم الآن بالتوجه إلى مكة، وإتمام نسك العمرة، فقال الطالب: حسنًا، سوف أخبره بعد المحاضرة، فقال الشيخ: لا تنتظر، اخرج الآن وأخبره، فخرج الطالب من فوره»[٢].

◻ وقال الشيخ عبداللَّه الجلالي:

«أذكر أنا كنا في حفل في عنيزة قبل أكثر من عشرين سنة، فقام أحد الشعراء هداه اللَّه وبحسن نيّة فأثنى على رجلٍ من المسئولين، فقال: لك النهي والأمر.

فغضب فضيلته ـ رحمه اللَّه ـ عليه وقال: هذا لا يكون إلا للَّه هو

(١) شريط معالم في حياة فقيد المسلمين ابن عثيمين، نقلاً عن «صفحات مشرقة» (ص٩٧).
(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

الذي له النهي والأمر، وكان ذلك المسئول أيضًا رجلاً فاضلاً فشكر فضيلة الشيخ وقال: جزاك اللَّه خيرًا. أنا لا أستحقّ هذا لأن هذا من اختصاص اللَّه عز وجل، هو الذي له النهي والأمر، خصوصًا وأن تقديم ما حقّه التأخير في الكلام يدلّ على الحصر، والأمران محصوران للَّه عز وجل»[١].

◻ وقال عبداللَّه بن عبدالعزيز الغفيص:

«مرّة بعد أن انتهينا من السعي للعمرة خرج الشيخ ليحلق رأسه، وإذا برجلٍ خارج المسعى يمسك بسيجارة، فوعظه الشيخ بكلمة طيبة، فكأن الرجل لم يعر الشيخ اهتمامًا، ومضى، فلحقت به وقلت له: أتدري من هذا الذي يعظك؟ إنه الشيخ ابن عثيمين، فقال: صحيح! ابن عثيمين؟ فانطلق فاعتذر من الشيخ، ويقبله في رأسه، فقال له الشيخ: إذا كنت تريدني أن أقبل اعتذارك فاترك هذا الخبيث، فوعد خيرًا»[٢].

◻ قلت: ومما أذكره من المواقف في هذا الأمر العظيم ما يأتي:

في مكة المكرمة جاء الشيخ لأداء العمرة في حدود سنة ١٤١٣هـ وطلبت منه أن ألازمه أثناء النسك للسؤال والاستفادة من عمله وعلمه، وكنت أسأله بين الحين والآخر عن مسائل.

وقد سألته عندما كان يشرب ماء زمزم بعد صلاة الركعتين خلف المقام، هل صح في استقبال القبلة شيء في هذا الموطن؟ فقال: لا.

وبعدما انتهى الشيخ من السعي ذهبت معه إلى الحلاق بجوار المروة فطلب منه الشيخ أن يحلق شعره ويأخذ من شعر الأذنين وأنا واقف خلفه أثناء الحلاقة قد عرضت عليه أن أدفع ثمن الحلق فرفض.

---

(١) شريط الإمام ابن عثيمين، (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

(٢) الأربعاء، يوم ٢٩/ ١٠/ ١٤٢١هـ.

وبعدما انتهى أعطيت الحلاق الأجرة وأعطاه هو أيضًا الأجرة، ووجد عند الحلاق لوحة مكتوب فيها «ممنوع حلاقة الذقن» فأعجب الشيخ جداً وقام للحلاق وشكره وحثه على عدم حلق اللحية وأخبره أن هذا حرام.

كل هذا والحلاق لا يعرف من الشيخ وهو في ذهول من أمره.

* **موقف آخر:**

كنا مع الشيخ في زيارة لمدينة الرَّس وركبنا معه في السيارة، وكان يطلب من كل واحد منّا أن يقوم بقراءة شيء من القرآن، إلى أن وصلنا. دخل الشيخ على بعض الوجهاء في هذه المدينة، وكان ينهاهم عن التصاوير التي توضع في المجالس، فيستمعون لأمره ويجيبونه لما أمر به.

وجاء وقت العشاء وجلسنا نأكل على الأرض وكان وراءنا بعض الخدم قيامًا للخدمة، فنهاهم الشيخ عن الوقوف على رءوسنا كما يقوم الأعاجم لملوكهم ومعظميهم.

□ ومن تلطف الشيخ في الإنكار عند الحاجة إليه:

ذات يوم كان الشيخ يصلي الظهر إمامًا كعادته في مسجده، وخلفه مجموعة من المصلين من مصر؛ من صعيدها وكان إذا كبر الشيخ رفعوا أصواتهم بالتكبير خلفه.

فجاء الشيخ ذات يوم وقال: يا أبناء وادي النيل لا ترفعوا أصواتكم بالتكبير.

ومسألة إنكار المنكر مسألة عظيمة هلك فيها من هلك، وغلا فيها من غلا، من لدن الخوارج ثم المعتزلة فمن بعدهم منهم جماعات التكفير وغيرهم ممن لا يراعون الوسائل الشرعية في إنكار المنكر، ولا يقفون على كلام أهل العلم في مراتب إنكار المنكر.

وفي أحد الأيام في دروس الصباح في الصيف قام أحد الطلاب معترضًا على الشيخ قائلاً: انتشرت المنكرات والمعاصي كالربا والفاحشة والأفلام الماجنة.. وغيرها.

فلماذا يسكت العلماء؟ وما هو دوركم؟ ولماذا لا تنكرون المنكر؟

فأجابه الشيخ بحكمة ورفق قائلاً: وما أدراك أننا لم ننكر المنكر ولم نأمر بالمعروف.

بل نحن ننكر المنكر ونأمر بالمعروف، لكن هل يلزم من كل من ينكر المنكر أن يُستمع له، وهل يلزم أن يخبر الناس أنه أنكر المنكر؟.

فكانت هذه إجابة حكيمة من الشيخ تُنقل للمتحمسين والمتحاملين على شيوخهم في كل عصر ومصر ممن يتهمون أهل العلم الربانيين بالتقاعس عن إنكار المنكر.

□ ومما أذكره في هذا الباب:

أن الشيخ كان سيحاضر في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكان يوجد بالقاعة الكبرى عدد من كاميرات التصوير بالفيديو، فقام الشيخ قبل صعوده المنصة للمحاضرة بالمرور على أصحاب الكاميرات ونكّسها بنفسه واحدة بعد واحدة، ثم صعد على المنصة وقبل بدأ المحاضرة، قال: إنني لا أسمح لأحد بتصويري، ومن صورني فأنا خصمه يوم القيامة، ثم بدأ في المحاضرة.

فليسمع هذا كل من لا يفقه قول الشيخ في التصوير الفوتوغرافي الذي يكون لحاجة الشخص كالهوية وغيرها وبين التصوير للاقتناء والذكرى.

وقد نسب إلى الشيخ في هذا الأمر شنائع من جراء الفهم المغلوط لفتوى الشيخ.

وقد نُوقِش الشيخ كثيرًا في هذا الأمر في أن عموم الأدلة تدل على منع

كل أنواع الصور إلا ما استثنته الضرورة كما عليه فتوى شيخ شيخنا العلامة ابن باز رحم اللَّه الجميع وغفر لهم» ا.هـ[١] .

*** اهتمامه بأحوال المسلمين في العالم، وعلمه بواقعهم:**

□ كان ـ رحمه اللَّه ـ شديد الاهتمام بأحوال المسلمين، وعلى علم بواقعهم.

«قال الشيخ عقيل بن عبدالعزيز العقيل رئيس مؤسسة الحرمين الخيرية: «إن الشيخ كان يهتم بقضايا المسلمين في كلّ أنحاء العالم، وكان يتصل بي شخصيًا في كثيرٍ من المرات يسأل ويستفسر عن أحوال المسلمين سواءً أيام البوسنة، وأفغانستان، وكوسوفا، وكان يتابع متابعة دقيقة لبعض المشاريع، ويحرص عليها، ويخصص جزءًا من محاضراته ودروسه لتوعية الناس بهذه القضايا، ويحث على دعمها، وأذكر أنني زرت الشيخ في مسجده الجامع الكبير في عنيزة، وبدأت أحدثه بعد الصلاة عن بعض القضايا الهامّة، وكان طبعًا المسجد مليئًا، وأمرني أن أنزل إلى القبو وأنتظر هناك، ونزل خلفي، وجلسنا وحدنا منفردين، وكان يصغي باهتمام للقضية التي أطرحها عليه، وكان يعطي توجيهاته ونصائحه رحمه اللَّه رحمة واسعة»[٢] .

□ وقال د. عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس:

«أذكر أنّي مرّة في إحدى الدول الغربية، دخلت أحد المراكز الإسلامية وفيه مكتبة متواضعة، فإذا أنا بمجموعة من طلاب العلم في هاتيك الديار من محبّي الشيخ ـ رحمه اللَّه تعالى ـ وهم لم يروه، وقد عكفوا على كتبه ومؤلفاته ورسائله، يقرءونها، ويبذلون جهدهم في ترجمتها بلغتهم، فقلت:

---

(١) «الدر الثمين في ترجمة فقيد الأمة العلامة ابن عثيمين» (ص٢٨٣ ـ ٢٩٣).

(٢) الرياض، العدد ١٨٩١.

سبحان اللَّه الذي كتب لشيخنا القبول حتى في مجاهل الغرب وأقاصي الدنيا ولقد بشرته بذلك فسرّ كثيرًا، وهذا من عاجل بشرى المؤمن، وقد كان يسألني عن أحوال المسلمين في الدول التي أزورها، ويشجعني على الاستمرار في ذلك كثيرًا، فجزاه اللَّه عني خير الجزاء»(١) .

◻ وقال ناصر السعدي:

«كان الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ جلدًا وصابرًا، مستمرًا في العلم والعبادة دائبًا على ذلك، وأذكر أنه عندما علم بالحرب الإسرائيلية ضد الفلسطينيين تأثر كثيرًا، وظهر ذلك واضحًا في قسمات وجهه، وهذا دليل على اهتمامه بواقع المسلمين، وله جهود واضحة في ذلك»(٢) .

◻ وقال الشيخ بدر بن نادر المشاري:

«رغم مرض الشيخ حرص على خطب الجمعة في الجامع الكبير والإمامة والالتقاء بالناس للإجابة على أسئلتهم واستفساراتهم رغم كلّ معاناته حتى قيل له في وقت مرضه: أرح نفسك يا شيخ، قال: الراحة في خدمة المسلمين»(٣) .

◻ وقال د. عبداللَّه الموسى:

«ذهبت للولايات المتحدة الأمريكية، وكرمني الشيخ برقم الهاتف الخاص في المنزل، وطلب منّي ألا أستخدمه إلا في الحالات القصوى التي تحدث دائمًا في بلاد الغرب، وينتج عدم الفصل فيها إلى الفتنة والفرقة والشقاق والنزاع، وكنت أستخدم هذا الهاتف بين الفينة والأخرى، وكم كان

---

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥ .

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٦ .

(٣) شريط (أحبّ لقاء ربّه) نقلاً عن صفحات مشرقة لحمود المطر (ص٦١).

هذا مفيدًا على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية، فقد اتصلت به مرارًا، ولا سيما عندما يبلغ الخلاف الحلقوم، وبهذا الرقم الخاص انكشفت كرب، وانحلت عقد، واتحدت قلوب بهذه الفتوى، حتى إنه في أحد الأيام أحد الإخوان لم يصدقني في قول ابن عثيمين، فنقلته له وقال: لا مانع لديّ أن يكون اللقاء مباشرًا عبر الهاتف، وأنا مستعد للمناقشة، ومرت الأيام، وفي زيارتي السنوية للمملكة العربية السعودية أعود لمجلس الشيخ مرة أو مرتين، وأذكر له بعض الصور الموجودة هناك وأحوال المسلمين، وأعرض عليه بعض الفتاوى، وكان يكتب وييسر، وكنت أناقشه بصراحة إلى درجة أنه رفض الفتوى في موضعين لما أخبرته بكامل القضيّة ولم يعطني جوابًا وقال: اسأل غيري»[1] .

◻ وقال الشيخ توفيق الصائغ:

«لما عاد من رحلته العلاجية وقد أمضى أربع عشرة ساعة في الجوّ منتقلاً من الولايات المتحدة إلى المملكة، فلما وصل إلى الطائف اتصل بي هاتفيًا، وقال ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: «إذا استطعت أن تعلم الناس في المواقع [مواقع الإنترنت] برقم هاتفنا في الطائف، وأننا انتقلنا إلى هناك فافعل حتّى لا يُحرم الناس من السؤال والفتيا»[2] .

◻ قال الشيخ سعد بن عبداللَّه البريك:

«ما توانى عن النصح والإرشاد بعد أن داهمه المرض، وأنهك قواه، وفتك بجسمه، يروي من رافقه في رحلة العلاج إلى (أمريكا) يقول: أمضى الشيخ عشرة أيام ملأها بجلسات تفسير القرآن وتعليمه، والفقه ومدارسته،

---

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

(٢) شريط (وداعًا العثيمين) نقلاً عن صفحات مشرقة (ص٧٥).

وتحول جناحه في المستشفى إلى حلقة من حلق العلم والفتيا والذكر والدعوة، اجتمع برؤساء المراكز الإسلامية الذين زاروه في المستشفى، فأكثر عليهم النصيحة وأعاد وكرر عليهم أن يتقوا اللَّه، وأن يتحدوا وأن يتكاتفوا، وأن يجمعوا كلمتهم، وأن يعتصموا بحبل اللَّه جميعًا، وأن ينبذوا الفرقة، وأن يبدءوا الحوار بينهم باللين والحكمة والحسنى، وأن يتباعدوا عن رمي بعضهم بالعبارات التي لا تليق، أو اتهام بعضهم بما لا يجوز من سيِّئ الظنون»(١) .

◻ وقال عبداللَّه بن عبدالعزيز الغفيص:

«كان يحمل همّ الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، ففي ذات يومٍ كنا عائدين إلى السكن بعد الدرس الذي كان يلقيه عقب صلاة الفجر في المسجد الحرام، ووصلنا إلى السكن حوالي الساعة السابعة والنصف تقريبًا لينام الشيخ وقت الضحى، فقد كان لا ينام في العشر الأخيرة من رمضان إلاّ في ذلك الوقت، حيث كان يجلس في غرفة في المسجد الحرام للرّد على أسئلة المستفتين من بعد صلاة العصر إلى صلاة المغرب شفهيًّا لمن يقدم عليه، وتليفونيًا لمن يتصل به، وبعد صلاة التراويح يجلس للدرس حتى صلاة القيام، ثم يصلي القيام وبعده ينام نصف ساعة فقط قبل السحور، ثم يصلّي الفجر ويجلس للدرس حتى الشروق؛ فلا يجد وقتًا للنوم إلا وقت الضحى، وهكذا بقيّة العشر.

أعود للقصة عندما وصلنا للسكن، دخل الشيخ لينام وطلب مني إيقاظه الساعة التاسعة والنصف لمقابلة وفد قدم من إحدى الدول الإسلامية، وبالفعل لم تقترب عقارب الساعة من التاسعة والربع حتى وصل الوفد، فأخبرتهم أن الشيخ نائم، وطلب مني إيقاظه الساعة التاسعة والنصف.

(١) شريط (ربانيون على فراش الموت) نقلاً عن صفحات مشرقة (ص٨٥).

واقترحت عليهم لو أنهم انتظروا ساعة أخرى حتى يستريح الشيخ فوافقوني بلا تردد، وما أن تجاوزت عقارب الساعة التاسعة والنصف بقليل حتّى وجدت الشيخ قد استيقظ من تلقاء نفسه، وسألني عن الوفد، فأخبرته أنهم وصلوا، وأعلمته بما قلت لهم فعاتبني، وقال: سامحك اللَّه كان علي أن أكون في استقبالهم»[١].

❑ وقال حمود الشميمري:

«زرته في مخيمه في منى مع عددٍ من إخواننا حديثي الإسلام للسلام عليه وإلقاء بعض الأسئلة، وكان ـ رحمه اللَّه ـ عند دخولنا عليه يلقي درسًا على عدد كبير من الحاضرين، فأسررت له أن معي بعض الإخوة الأمريكيين والأوروبيين يرغبون بالسلام عليه، والاستفادة في بعض الأمور التي تهمهم في بلاد الغرب، فما كان منه ـ رحمه اللَّه ـ إلاّ أن طلب من أحد المشرفين على المخيّم أن يستضيفهم في خيمته الخاصة حتى يفرغ من إلقاء درسه، وما هي إلا دقائق معدودة وإذا به يدخل علينا في خيمته هاشًا باشًا مرحبًا بالإخوة حديثي الإسلام، ويهنئهم على نعمة الإسلام، ثم بين لهم وسائل الثبات ومسئولياتهم نحو أسرهم وأقاربهم، ومجتمعاتهم، ثم جلس بعد ذلك يستمع إلى أسئلتهم، ويجيب عليها بكلّ اهتمام وسعادة، ويكرّر الإجابة للاطمئنان على فهمهم لها، وكنت أقوم بدور الترجمة، فأكد عليّ ـ رحمه اللَّه ـ الاهتمام بهم، وتقديم كلّ ما يحتاجونه للتفقه في دينهم وتقديم أي مساعدة يحتاجونها، ثم ودّعهم ـ رحمه اللَّه ـ بأحسن ما يكون التوديع، ودعا لهم»[٢].

---

(١) الأربعاء، عدد يوم ٢٩/ ١٠/ ١٤٢١هـ.

(٢) جريدة المدينة ، العدد ١٣٧٨٢.

□ وقال عبدالمحسن بن عبدالرحمن القاضي:

«أذكر في غير مرّة ـ رحمه اللَّه ـ كنّا إذا حدثناه عن عملٍ خيري هنا أو هناك، يساهم بدعمه، ليس دعمًا ماديًا فقط، بل بالتوجيه والنصح والتحرّي في بذل المال، ولو أردت ضرب الأمثلة فإن المقام لا يسمح لذلك، ولكنني أذكر أنه في أحداث البوسنة والهرسك كان كثيرًا ما يطلب مني المرور عليه لأخذ الأموال التي وصلت إليه، وإيصالها إلى هناك، ولقد قمنا بطباعة عدد من الكتب على حسابه بواسطة مكتب هيئة الإغاثة، أو بواسطة الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة أو غيرها..

وكانت له صلة مباشرة ـ رحمه اللَّه ـ مع المسلمين العاملين في البوسنة والهرسك حتى إنه أقام درسًا أسبوعيًّا توجيهيًا لأحد المراكز الإسلامية بالهاتف في البوسنة إبان أزمة ذلك البلد.

وتكرّر اهتمامه ـ رحمه اللَّه ـ واتسعت همومه لعدد من قضايا المسلمين التي كان يشجعنا على العمل فيها وجمع التبرعات لها، بل وتخصيص خطبة الجمعة عنها كقضايا الشيشان التي حظيت بنصيب من اهتمامه كبيرٌ في أواخر حياته ـ رحمه اللَّه ـ وكذلك قضية فلسطين، وكشمير، والفلبين، وإندونيسيا.

وأقمنا بواسطته عددًا من المراكز العلمية في العالم، التي كان يدعمها ويشارك في إلقاء المحاضرات بها، وإرسال الكتب والأشرطة إليها، وربما أن كثيرًا ممن حوله لم يعلموا بذلك؛ لخصوصيته المتميزة ـ رحمه اللَّه ـ في ذلك»[1].

□ وقال الشيخ بدر بن نادر المشاري:

«بلغني من أحد طلابه أنه كان قليلاً من الليل ما ينام في أوقات النوازل

---

(١) جريدة الوطن، العدد ١١٠.

الكبيرة على الأمة خصوصًا في أيام أزمة الخليج ومأساة إخواننا في البوسنة والشيشان؛ حيث كان يقوم الليل ويدعو ربّه لهم بالنصر والثبات، وردّ كيد أعداء الدين عنهم، وكذلك دعاؤه للمسلمين وحثّهم للوقوف معهم»[1].

◘ وقال الشيخ محمّد بن صالح المنجّد:

«لقد اهتم الشيخ بأمور الجهاد، ومن ذلك جهاد المسلمين في بلاد البوسنة والهرسك، وكان قد خصّص من وقته ساعة أو أكثر في كلّ أسبوع لأمور الجهاد في البوسنة يتصلون به فيفتيهم، وينظر في حاجتهم، ويسمع أخبارهم ويستبشر بها وينشرها، واتصل به بعض المجاهدين من البوسنة مرّة، وسألوه عن حكم قتل الخطأ؟ وماذا يجب على القاتل؟ واحدٌ من المسلمين قتل أخاه المسلم في الجهادِ خطأ، فبعد الإجابة؛ الشيخ لمّا أجابهم بما يجب عليهم من حقّ اللّه وحقّ أهل القتيل قال: أمّا دية المقتول فعليّ، وسأرسلها لكم إن شاء اللّه تعالى، وكذلك كان اهتمامه بالجهاد في الشيشان حتى ذهب بعض طلابه إلى هناك يعلمون ويدرّسون، ويشرفون على تطبيق الشريعة في بلاد الشيشان. .»[2].

◘ الشيخ ومحنة فلسطين والشيشان:

قد عاصر الشيخ طيلة حياته العديد والكثير من محن الأمة الإسلامية العالمية ابتداءً من محنة احتلال اليهود لفلسطين وانتهاءً بمحنة اغتصاب الرّوس لبلاد الشيشان.

وقد كان للشيخ تجاه هذه المحن مواقف عظيمة لم يدّخر فيها وسعًا للدفاع عن قضايا أمّته بشتّى الوسائل، ومساعدة هذه الشعوب المسلمة المتَحنة.

---

(١) شريط (أحبّ لقاء ربّه) بواسطة صفحات مشرقة (ص١٦٣).
(٢) شريط (١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين).

فقد كان ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يبذل ما يستطيعه من جهدٍ مادّي وعلميّ ودعويّ في سبيل نصرة إخوانه المسلمين.

من ذلك: «**في قضية فلسطين**».

ما قاله ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في خطبته التي ألقاها بعد احتلال فلسطين بحوال ثمانِ سنوات، قال فيها:

«أيّها الناس! فلقد مضى على احتلال اليهود للمسجد الأقصى أكثر من ثمانِ سنوات وهم يعيثون به فسادًا، وبأهله عذابًا، وفي هذه الأيام أصدرت محكمة يهودية حكمًا بجواز تعبد اليهود في نفس المسجد الأقصى.

ومعنى هذا الحكم الطاغوتي إظهار شعائر الكفر في مسجد من أعظم المساجد الإسلامية حرمة..».

ثم ذكر فضل المسجد الأقصى والأدلة على ذلك.

ثم ذكر المحن التي مرّ بها المسجد الأقصى خلال القرون الماضية.

ثم قال: «وفي ربيع الأول سنة ١٣٨٧هـ احتلّه اليهود، أعداء اللَّه ورسوله بمعونة أوليائهم من النصارى، ولا يزال تحت سيطرتهم ولن يتخلوا عنه، وقد قالت رئيسة وزرائهم فيما بلغنا: «إن كان من الجائز أن تتنازل إسرائيل عن تل أبيب، فليس من الجائز أن تتنازل عن أورشليم القدس نعم؛ لن تتنازل إسرائيل عن القدس إلا بالقوّة».

ولا قوّة إلا بنصر من اللَّه عز وجل، ولا نصر من اللَّه إلاّ بعد أن ننصره ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا اللَّه ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾.

وإنّ نصرنا للَّه لا يكون بالأقوال البراقة، والخطب الرنانة التي تحوّل القضيّة إلى قضيّة سياسيّةٍ، وهزيمة ماديةٍ، ومشكلة إقليميّة.

وإنّها واللَّه لمشكلة دينية إسلامية للعالم الإسلاميّ كله.

إنّ نصر اللَّه عز وجل لا يكون إلاّ بالإخلاص له، والتّمسك بدينه ظاهرًا وباطنًا والاستعانة به، وإعداد القوّة المعنويّة والحسّية بكلّ ما تستطيع، ثم القتال؛ لتكون كلمة اللَّه هي العليا، وتطهر بيوته من رجس أعدائه.

أمّا أن نحاول طرد أعدائنا من بلادنا ثم نسكنهم قلوبنا بالميل إلى منحرف أفكارهم، والتلطّخ بسافل أخلاقهم.

أمّا أن نحاول طردهم من بلادنا، ثم يلاحقهم رجالُ مستقبل أمتنا يتجرّعون أو يستمرئون صديد أفكارهم، ثم يرجعون يتقيئونه بيننا.

أمّا أن نحاول طردهم من بلادنا، ثم نستقبل ما يرد منهم من أفلامٍ فاتنة، وصحفٍ مضلّة.

أمّا أن نحاول طردهم من بلادنا مع ممارسة هذه الأمور، فذلك التناقض البيّن، والمسلك غير السّليم.

والفجوة السحيقة بيننا وبين النّصر ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾.

نعم، أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر.

لا كما قال بعض المذيعين أيّام الحرب مع اليهود في عام ٨٧هـ غدًا تغنّي أم كلثوم في قلب تل أبيب.

صلّى اللَّه على رسوله، لقد صلى غداة فتح مكة ثماني ركعات، إمّا شكرًا للَّه تعالى على الفتح خاصّة، أو تعبدًا بصلاة الضّحى، والعبادة من الشكر، وهكذا حال الفاتحين في الإسلام، يعقبون الفتح بالشكر والتقوى.

فاتقوا اللَّه أيّها المسلمون، وأنيبوا إلى ربكم وأقيموا شريعته، وأطيعوا اللَّه ورسوله إن كنتم مؤمنين.

اللَّهــم انصــر الإســلام والمسلمين، وطهّر المسجد الأقصى من اليهود والنّصارى والمنافقين..»(١).

رحم اللَّه ابن عثيمين، كم كان فقيهًا بواقع الأمة، فقيهًا بحكم الشرع، وليس كما يدعي بعض الأغمار أنه لا يعلم عن واقع أمّته شيئًا.

واللَّه إن هذه الكلمات بهذا التحليل الدقيق، والتشخيص للداء، ووصف الدواء لحقيقة أن تكتب بماء الذهب علي أوراق الفضة.

وواللَّه إنّ أسباب العلاج أو النصر التي أوردها مع اختصارها ووجازتها لجديرة أن تجتمع عليها الأمة الإسلامية والعربية بمؤتمراتها وجامعاتها، بل وجيوشها لدراستها وتدريسها والعمل بها للخروج من هذا المأزق التاريخي الذي امتحنت به أمّة الإسلام اليوم، وإلى اللَّه المشتكى، وهو وحده المستعان.

*** وأما قضيّة مأساة إخواننا المسلمين في الشيشان:**

فقد كان الشيخ مهتمًا بها غاية الاهتمام، وكما يقال الآن «على مستوى الأحداث» جمعًا للمال لدعم المجاهدين، ودعاءً لهم، وحثًا على الجهاد معهم، واتصالاً بهم هاتفيًا، وتخصيصه الأوقات للرد على استفساراتهم، واستضافة وافدهم، وبيان قضيتهم في محاضراته وخطبه وكلماته.

فرحمه اللَّه تعالى، ما كان أنصحه! وأحرصه! وأشفقه! على إخوانه المسلمين.

وقد سمعت منه ـ رحمه اللَّه تعالى ـ محاضرةً عظيمةً في نصرة إخواننا في الشيشان بجامع الراجحي بالربوة بالرياض أثناء اشتداد المأساة.

جاء فيها: «الأمة الإسلامية في هذه الأيام تستقبل شهر رمضان المبارك، ولكنها تعيش في ألمٍ ونكدٍ فيما يجري لإخواننا في الشيشان، من تسلّط

(١) «الضياء اللامع من الخطب الجوامع» للمترجم رحمه اللَّه تعالى (ص٦٦٢ ـ ٦٦٥).

أولئك الملحدين الرّوس عليهم، لا لشيء؛ إلاّ لأنهم شرعوا في نشر الدين الإسلامي الصافي من البدع في بلاد البلقان.

ولكن أعداء الإسلام لا يرضون بهذا أبدًا، سواءً كانوا من الملحدين الشيوعيين، أو من اليهود أو من النصارى، أو غيرهم. . وهذا ظاهر.

ولّما أرادت تيمور الشرقيّة «يعني في بلاد إندونيسيا» وهي جزء من الأمة الإسلامية لّما أرادت أن تتحرّر لأن أكثرها نصارى، قام الغرب وقعد، وهيأ الأسطول الجوّي والبحري والبرّي؛ من أجل أن ينفصل هذا الجزء من إندونيسيا لأن أكثره نصارى.

أمّا جمهورية الشيشان الجمهورية الفتيّة التي عرفت حقيقة الحياة، وعرفت حقيقة التوحيد، وعرفت الدين الصافي، فهي عند الغرب منشقة؛ والمجاهدون فيها إرهابيون، وما أشبه ذلك. .

ولكنّي أقول: ﴿**كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾.

إننا لن نيأس ولن نقنط، وسوف يرجع الرّوس على أعقابهم مخذولين مهزومين إن شاء اللَّه كما رجعوا في أول مرة.

وإن من حقّ إخواننا علينا، بل أدنى حقّ؛ أن ندعو لهم أن ينجيهم اللَّه من القوم الظالمين، وأن ينصرهم على القوم الكافرين، في أوقات الإجابة وفي أحوال الإجابة. . ». وذكر أوقات الدعاء.

ثم قال: «المسألة خطيرة، وليت المسلمين عرفوا قدر هذه النكبة وقاموا ينكرون عليهم. .

فرادى ومثنى ينكرون على الرّوس، وينكرون على دول الغرب؛ لأن دول الغرب نصرانية كافرة، والروس ملاحدة كفّار، واللَّه يقول: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾.

لا تقل: هؤلاء أهل كتاب بدعواهم، وهؤلاء ملاحدة، كلّهم سواء، كلّهم حربٌ على الإسلام.

لهذا كان الواجب على الدول الإسلامية ـ وأرجو اللَّه أن يصل كلامي أسماعهم ـ أن ينفروا خفافًا وثقالاً إلى نصرة هؤلاء؛ ولو بالكلام.

أمّا السكوت هكذا، ولا كأن شيء كان، هو واللَّهِ مزري.

وليس حزننًا أن تهزم دولة مقابل دولة؛ حزننا أن هذا هزيمة للإسلام؛ لأن الروس ما تسلّطوا هذا التسلّط إلاّ خوفًا من الإسلام، مع أننا نسمع أن اليهود يساعدون الرّوس على القتال هذا، واليهود أعداؤنا..».

ثم قال: «فما موقفنا الآن؟؟!!

من المعلوم أننا ليس لنا حيلة ولا قدرة ولا قوّة.

وأنّ الموقف كان يجب أن يكون من الدّول الإسلامية في إنكار هذا الأمر الفظيع، ولكن قَدَرُ اللَّهِ وما شاء فعل، موقفنا الآن هو أن ندعو اللَّه عز وجل..».

ثم شرع الشيخ في دعاءٍ طويلٍ مؤثّر، جاء فيه:

«اللَّهم: إنّا نسألك في مقامنا هذا ونحن في انتظار فريضة فرضتها علينا (يعني صلاة العشاء) نسألك اللَّهم في هذا المقام أن تنصر إخواننا في الشيشان.. اللَّهم أنزل بالروس بأسك الذي لا يردّ عن القوم المجرمين».

ثم قال: «أيها الإخوة: أكثروا من الدعاء لإخوانكم:

مخلصين للَّه، مخبتين إليه، مضطرين إليه، أكثروا من الدعاء لهم فإنهم في محنة عظيمة، الصّواريخ تدمّر بلادهم، وتقتل شيوخهم وأطفالهم ونساءهم وتهدم مساجدهم..».

ثم قال: «ادعوا اللَّه لهم بإخلاص في الفروض والنوافل، في انتظار

الصلاة، في التهجد، ادعوا لهم، ادعوا لهم، هذا أقلّ الواجب عليكم، نسأل اللَّه أن يتقبّل دعاءنا. . آمين»[1].

□ رحم اللَّه الشيخ بقية السلف الرباني محمد بن صالح العثيمين.

حبيبنا طبت في أم القرى جدثا وطاب ذكرك في كل الدُّنا عَبقا

*** شيخ السلفية باليمن وشيخ المحدثين بها الشيخ مقبل بن هادي الوادعي ـ رحمه اللَّه ـ:**

□ يقول فضيلة الشيخ أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين:

«قد امتن اللَّه على شباب الصحوة أن وفَّقَ كثيرًا منهم لمعرفة الطريق الصحيح، والسبيل القويم، وهو منهج سلفنا الصالح وأصبح الباطل لا يروج على كثير منهم، حتى شاع بين كثيرٍ منهم أنه لا يحدِّث أحد بحديث عن رسول اللَّه ﷺ إلاَّ وجد من يقوم له، ويسأله: هل هذا الحديث صحيح أو ضعيف؟ حتى انتشر ذلك أيضًا بين عوام الناس، وذلك كله بفضل اللَّه عز وجل، ثم بجهاد أُناس صبروا على نشر سنة رسول اللَّه ﷺ بين الناس، ونشر العلم الصحيح، ابتغاء وجه اللَّه عز وجل.

ومن هؤلاء شيخنا مقبل بن هادي ـ حفظه اللَّه ـ الذي جعله اللَّه عز وجل سببًا لانتشار السنة في اليمن، خاصة في منطقته التي يحل بها ـ صعدة ـ والتي يحل بها غُلاة الشيعة، وبها (مسجد الهادي) الذي هو مُلْتَقاهم ومرجعهم. فجعل اللَّه شيخنا سببًا في كسر شوكتهم، ودحض حجتهم، وانصراف الناس عنهم بعد أن كانت مغلقةً عليهم. فجزاه اللَّه خيرًا.

وكذلك جعل اللَّه عز وجل شيخنا سببًا لنشر الحديث في اليمن، ومعرفة علومه، وكذلك عُرِف السؤال عن صحة الحديث من ضعفه، وأصبح

(١) «الدر الثمين» (ص٢٩٤ ـ ٣٠٦).

ذلك السؤال مألوفًا بعد أن لم يكن. وهذه المسألة ـ أعني السؤال عن صحة الحديث من ضعفه ـ جعلت دور النشر تحرص على عدم نشر كتاب إلا محققًا، مما جعل أناسًا كثيرين يتسابقون في مجال التحقيق، وأصبح أهل الحديث يلتفُّ حولهم الشباب، ويسألونهم من هنا وهناك، بعد أن لم يكن يلتفت إليهم أحد. وهذا يتضح إذا نظرنا إلى الشيخ الفاضل أحمد بن محمد شاكر ـ رحمه اللَّه ـ فإنه مع تبحره في علم الحديث وسائر العلوم لا نعلم له طلبة استفادوا منه شخصيًا إذا قسناه على طالب علم مستفيد في هذه الأيام، وإنما انتفع الناس بكتب الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه اللَّه ـ وكتاباته.

فالفضل في نشر العلم والسنة والحديث للَّه، ثم لأُناس صبروا لذلك كما قال اللَّه عز وجل: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ [السجدة: ٢٤]، وعلى رأس هؤلاء الإمام المجدد الألباني ـ حفظه اللَّه ـ ونفع به الإسلام والمسلمين ـ الذي جعله اللَّه سببًا لنشر الحديث وعلومه بين غالب شباب الصحوة، وله أكثر من ستين عامًا في خدمة حديث رسول اللَّه ﷺ، وبيان صحيحه من ضعيفه قبل أن يولد أكبر العاملين في التحقيق اليوم، فله في ذلك الجهد الأكبر الذي نسأل اللَّه عز وجل أن يجزيه عنه خير الجزاء، وله جهد كبير في نشر منهج السلف الصالح والدفاع عن العقيدة الصحيحة، وتحمَّل في ذلك الإيذاء والابتلاء، فلقد سمعت في أحد أشرطته وهو يحكي عن نفسه وبدايته في العلم أنَّه كان يستأجر الكتاب؛ لأنه لا يملك ما يشتريها به، ثم لما بلغ من العمر نحو العشرين عامًا كان يناقش أباه في المسائل الفقهية، وفي العقيدة لأنَّ أباه كان حنفيًّا جامدًا، فلما لم يستطع المواجهة ضاق به ذرعًا، وقال له بلسان عربي مبين: رمًّا الموافقة، وإما المفارقة. فاختار الابن المفارقة وتحمل ترك بيته وأهله وهو في هذا السن نصرًا لسنة رسول اللَّه ﷺ، من ذاك اليوم إلى الآن وهو في خدمة سنة رسول اللَّه

ﷺ يدافع عنها وعن العقيدة الصحيحة ومنهج السلف الصحيح، ويصارع الأعداء والمبتدعة، ويدحض حججهم. فجزاه اللَّه خير الجزاء.

□ وكذلك لشيخنا مقبل ـ حفظه اللَّه ـ[1] في ذلك جهد مشكور، وسعي مبرور في الدفاع عن سنة رسول اللَّه ﷺ، والصبر على تحمل الأذى هنا وهناك في سبيل نشر سنة رسول اللَّه ﷺ. فهل يستوي هؤلاء بأناس وجدوها لقمةً سائغة؟ هل يستوي مَن لُطِم على وجهه، وسُجِن وطُرِد في سبيل نشر سنة النبي ﷺ بمن وجد الأمر قد تحول فأصبح أهل السنة وأهل الحديث لهم الكلمة والاحترام فمشى في ركبهم.

□ وشيخنا مقبل ـ حفظه اللَّه ـ لم يزدد ماله شيئًا من وراء عمله العلمي ولا الدعوة إلى اللَّه، وإنما يدفع من ماله الخاص لطلبة العلم والدعوة إلى اللَّه. فهل يستوي مع من أصبح من أصحاب الأموال الطائلة من وراء علمه العلمي، وإخراج الكتب، وبعضهم لا يلتزم بالسنة في نفسه، ربما يكون أحدهم متشبهًا بالكفار في لباسه وحالقًا للحيته، ومع ذلك فقد أصبح من المحققين المشهورين المرموقين وقد أثْرَوْا ثراءً فاحشًا من وراء كتبهم التي ينشرونها.

□ وشيخنا مقبل ـ حفظه اللَّه ـ آمر بالمعروف، ناه عن المنكر قوال بالحق من غير مُدَاراةٍ لا يبالي بمن خالفه عندما يظهر له الحق. فهو فيما يراه حقًّا لا يداهن، ولا يجامل بل ولا يداري، فسبَّبَ ذلك له عداوة بعض الناس، وهو مع ذلك ظاهره كباطنه لا يمكر بأحد، بل إذا وجد على أحد أظهر كل ما في نفسه، وظهر على وجهه. فهذا أدْعَى أن يحتمل منه، ما يبدر منه، واللَّه المستعان.

---

(١) هذه المقدمة كانت قبل موت فضيلة الشيخ مقبل أسكنه اللَّه عليين جزاء ما قدم لدينه آمين.

وطلبته الكثير منهم بل أكثرهم كان سببًا في هدايتهم؛ فكثير منهم كانوا على بدعة التشيع فهداهم اللَّه بسببه، وتوجهوا لطلب العلم النافع، وبعضهم كانوا مستقيمين ولكنهم لم يكونوا متجهين لطلب العلم النافع ولا يعرفون الطريق إليه، فجعل اللَّه شيخنا مقبلاً سببًا في هدايتهم لطريق العلم النافع، فقد انتفع به أقوام كثيرون فجزاه اللَّه خير الجزاء.

وهو رجلُ علمٍ ودعوة من غير إثارة فتن ولا فوضي ولا طلب مناصب ولا رياسة ولا شهرة.

وهو رجل علم وعمل، فهو يتعلم ليعمل بعلمه، فما من سنة يتعلمها إلا وهو يبادر بالعمل بها.

وهو رجل وقَّاف عند نصوص الكتاب والسنة لا يستنكف أن يتراجع عن رأيه إذا ردَّه أحدٌ بنصٍّ من كتاب اللَّه، أو سنة رسول اللَّه ﷺ، ولو كان على رءوس الأشهاد.

وهو رجل قنوع يرضى بالقليل من أمور الدنيا، أقل شيء منها يكفيه، المهم عنده أن يعيش بين «صحيح البخاري»، و«صحيح مسلم»، وسائر السنن، و«تفسير ابن كثير»، وقبل ذلك كتاب اللَّه، وكتب الرجال، وغيرها من كتب العلم.

وهو رجل يصدع بالحق لا يخاف في اللَّه لومة لائم، ولا يرده عن قول الحق شيء مهما كلَّفه، ومهما خسر في ذلك، فنسأل اللَّه عز وجل أنّ يحفظه من بين يديه ومن خلفه.

وعلى أي حال فهو بشر يصيب ويخطئ، ويعلم ويجهل، ولكن يكفيه أن صوابه أكثر من خطئه، وكما قال النبي ﷺ: «**النَّاسُ كإبلٍ مائةٍ، لا تكاد تجد منها رَاحلةً**»، وقد كتبنا عن شيخنا في زول كتابه «أحاديث معلة ظاهرها الصحة» كلمات مختصرة وليس المجال مجال بسط. واللَّه المستعان.

❑ ونحن إذ ننشر ترجمة الشيخ ـ حفظه اللَّه ـ نريد من ذلك التعريف به، ونرجو منها أيضًا أن تكون حافزًا للشباب لكي يجدُّوا ويجتهدوا في طلب العلم النافع والعمل به.

نسأل اللَّه عز وجل أن يمد في عمره، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين[1].

❑ وكتب إليه تلميذه الشيخ أبو الحسن المأربي مصطفى بن إسماعيل المصري[2]:

الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه ﷺ.

أما بعد: إلى فضيلة الشيخ أبي عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي ـ حفظه اللَّه ـ من أبي الحسن السليماني.

بعد السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته.

أحمد اللَّه الذي لا إله إلا هو إليكم وهو للحمد أهلٍ، وأسأله لنا ولكم المزيد من فضله والبصيرة في الدين.

وقد بلغني كلامُ كثيرٍ من الشانئين لكم، وكثرت سهامهم الخاسئة إلى دعوتكم في شخصكم الكريم، وهذه سنة اللَّه في الدعوة وأهلها، فما من رجل يبرز في باب من أبواب الخير إلا كان له من يناصبه العداء، وقديمًا قيل: إن الشجرة إذا طابت ثمارها كثر رماتها. ولكم أسوة حسنة في أهل العلم والفضل الذين أُوذُوا في سبيل صَدْعِهِم بالحق وصبرهم على الخلق.

---

(١) «ترجمة أبي عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي» بقلم الشيخ مقبل الوادعي (ص١٢ ـ ١٦) ـ دار الآثار صنعاء.

(٢) هو شيخ المركز العلمي بمأرب، وهو متبحر في علوم الحديث وله كتاب «شفاء العليل» و«كشف الغمّة» و«إتحاف النبيل».

◻ أيها الشيخ الكريم: إننا ـ ولله الحمد ـ ما نزداد كل يوم إلا بصيرة بصحة منهج أهل السنة والجماعة، كما أننا نزداد علمًا بأنكم ـ ولله الحمد ـ تزدادون من فضل الله كل يوم خيرًا وفضلاً، ولو أنصف مخالفوكم ورأوا ثمرة صبركم في الجلوس لتعليم الكتاب والسنة لاغتفروا لكم كثيرًا وكثيرًا جدًّا، كما ليَّنوا وسهَّلوا من طَامَّاتِ قوم ما عُرِف عنهم أنهم يرفعون بالسنة رأسًا، ولكن هكذا شأن الباطل وأهله فما من دليل يستدلون به إلا كانوا أول الناس نقضًا له وإعراضًا عنه، فثقُوا أن الله قد منَّ عليكم بخير كثير، وأجرى بكم نفعًا عظيمًا فلا تأبهوا بِفِرْيَةِ مَن أنضجَ الغَيظُ قلبَهُ، فتارة يرمي مدرستكم المباركة، وتارة يرمي طلابكم، وتارة يرمي نهجكم، مع أن هذا كله قد زكَّاه ورَضِيَ به أفاضل أهل العلم، الذين يُقَدِّرون الأمور بقدورها، ويعرفون حال الأمور ومآلاتها، وصدق من قال:

إذا رضيتْ عني كرامُ عشيرتي ... فلا زال غضبانًا عليَّ لِئامُها

◻ أيها الشيخ الكريم: أتظن أن جمع التناقضات ـ زعموا ـ أو رمي مدرستكم أو طلابكم أو شخصكم أو غير ذلك ليس مقصودًا من ورائه سوى ذلك؟! كلا، إن القوم لا يرون طريقتكم النافعة طريقة تُنَاسِب هذا الزمان، ولا يرون التفرُّغ للعلم والتعليم سبيلاً يهدي للتي هي أَقْوَم، إنهم يُعَبِّرون عن طريقتكم بالسلفية القديمة التقليدية أو الأكاديمية التي لا تناسب حال العصر، وغاب عن كثير مِن هؤلاء أن ثمرة دعوتكم قد أضحت باديةً لكل ذي عينين لم تغشهما غشاوة الحزبية أو المصلحة أو البدعة والضلالة، فما أحسن ما قيل:

أقلُّوا عليهم لا أبًا لأبيكمُ ... مِن اللَّوم أو سُدُّوا المكان الذي سَدُّوا

إن مخالفة نهج السلف الصالح الذي وفقكم الله إليه خطوة ومرقاة للحزبية ثم للبدعة، وما أقرب كثير من مخالفيكم لتكفير كثير من المسلمين،

علموا ذلك أم لم يعلموا، ثم ما أقربهم للارتماء في أحضان الحزبيين الذين قد بُحَّت أصواتُهم معكم في التحذير منهم، فواللَّه لو كان النقد لشخصكم وفقط لما وجدنا في أنفسنا كل هذه الحرارة والأسى، لكن الأمر قد أصبح واضحًا، وهو أن النقد إن وُجِّه لشخصكم فسيَئُول عند الضعفاء إلى هدم دعوتكم ومنهجكم وهيهات هيهات لما يظنون ويزعمون.

❑ أيها الشيخ الكريم: نحن ومَن معنا ثمرة مِن جهودكم وحسنة لكم أرجو أن تكون في ميزان حسناتكم، ولو تسمع ما نسمع من ثناء الأعراب في أطراف البوادي، والطلاب في بطون المساجد، والعلماء فوق أعواد المنابر، والنساء في خدورهن، ولو تسمع صوتكم في سيارة، أو تمر على بيت فتسمعه يصرخ بالهدى والنور، ولو تعلم ما يرى لكم الصالحون في منامهم من المبشرات الحسنة، ولو تعلم كم شيبة أو عجوز أو طفل ناشئ يتردد على ألسنتهم ذكرك ودعوتك والدعاء لكم، ولو تعلم كم ينتصر لكم أقوام ويدافعون عنكم إلى حدود عجيبة مع أنهم ما رأوكم وليس معهم سوى ثناء إخوانكم على دعوتكم، ولو تعلم لهفة طلبة العلم في كل مكان شوقهم لسماع طيب أحوالكم، وتمنيهم التشرف بالتتلمذ على أيديكم، ولو تعلم م من دعوة لك من صائم وقائم، وكم مِن سنة أحياها اللَّه بكم، وجدَّدها بدعوتكم وثباتكم، ولو تلعم تردد وتخبط كثير من المخالفين لكم، وتناقضهم بين الحين والآخر، والعجب أن هذا يعرفه العامة، فتبًا للحزبي التي تبخس الناس أشياءهم، وتهدر ما يعرفه العامة بفطرتهم، ولو تعلمون أن اللَّه قد ألقى على لسانكم كثيرًا من الحقائق في وقت غيابها عن الخاصة فضلاً عن العامة، وجاءت الأيام والليالي لتثبت صدق ما تكلمتم به، سواء في نقدكم لداعية أو لمجاهد أو لمجلة أو لدعوة أو لطائفة، وكم لامك لائمون وأنت أنت على قولك ثم شاء اللَّه وأبى إلا أن يجعلكم إمامًا للسالكين سبيله

الداعين إليه.

لو تعلم أيها الشيخ هذا أو ذاك لهان عليك طعن الطاعنين، وتشويه الشانئين ولقلت بلسان الحال والمقال: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

◻ أيها الشيخ الكريم: كأني بكم وقد وقفتم على مَجَلَّة جنَّدب بعض أوراقها للنيل منك، أو وقفتم على كتاب ضخم أو ضئيل فيه كما زعموا تناقضكم، وتذهبُ بكم الأفكار يَمنَةً ويَسْرَة: هل تردُّون على ذلك أم تعرضون عنه؟، وإن كان لي رزي ونصيحة فلا أرى جهدكم ووقتكم يبذل في هذا الأمر، فأبكار العلوم تحتاج من يفضُّها، ونفائس الفكر تحتاج من يجتنيها وينظمها في نظامها، وشوارد الفوائد تحتاج إلى من يأوي بها إلى رياض مجالس العلم، وأقفال معضلات العلوم تحتاج من يفتحها، ومثلكم الخبير بذلك، فلا تُضيِّع أنفاسك في كلام لا يشفي عليلاً ولا يروي غليلاً، وسر مستعينًا بربك فيما أنت عليه، فلتُتم أيها الشيخ كتبك ورسائلك ودروسك و﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾، و﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

ثم ألا ترى أيها الشيخ الكريم أن مثل هذه الأشياء كالمولود الذي يموت قبل ختانه، فسرعان ما تذهب ثمرتها وتبقى حسرتها، فلا هي بالتي انتفع بها العقلاء، ولا هي بالتي سلم منها قائلها، ولنا أسوة في سلفنا الصالح، الذين أقاموا الأدلة ونصبوا الدلائل على الحق غير مبالين بالأشخاص، والذين أعطوا للأمور قدرها، فقدموا ما يحتاج الناس إليه بصفة عامة على أشياء لا يكاد ينتفع بها عاقل.

فكأني بك إذا أخذت بنصيحتي وعملت بها فقد وجهت للمخالفين بالباطل ضربة تقضي على باطلهم، ولا يهمنا القضاء على أشخاصهم،

وكذلك تكون قد أطفأت رغبة غير مجدية ولا نافعة عند كثير من الذين يترقبون الردود مع أنهم لا يهتمون بالعلم والعمل، مع أنني أقول أيها الشيخ الكريم ـ من باب الإنصاف ـ: إنه لن يلفت نظركم إلى مواضع العيب مثل عدوكم الذي هو كالذباب يراعي موضع العلل، فأرجو النظر فيما ذكره مخالفوك فإن كان فيه حق قبلته، وحمدت اللَّه على وجود من اعتني بلفت نظرك لعيبك، ولا عليك من قصده ونيته، فلنا خيره وعليه شره، وإن لم تجد فيها ما يدل على ما أراد، فاحمد اللَّه الذي ستر عنهم الذي هو فيك ـ لأن الإنسان ليس بمعصوم مهما بلغ من العلم والفضل ـ وصرفهم إلى ما ليس فيك فيخففون من ذنوبك أو يعطونك من حسناتهم.

هذا وما قصدت بذلك إلا مواساتكم وتذكيركم بشيء من فضل اللَّه عليكم، وانصحوا الطلبة بأن ينصرفوا إلى تحصيلهم للعلم ودعوتهم للناس وإصلاح قلوبهم، فهذه الأمور هي الباقيات الصالحات، وأما غير ذلك فما يضرونك من شيء، وإن يهلكون إلا أنفسهم، واللَّه من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والعاقبة للمتقين.

وصلى اللَّه على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته.

كتبه أبو الحسن

مأرب في ١٣/ رمضان/ ١٤١٦هـ[١]

* **الشيخ مقبل الوادعي:**

□ قال ـ رحمه اللَّه ـ أنا مُقبل بن هادي بن مقبل بن قائد الهمْداني الوادعي الخلالي، من قبيلة آل راشد، وشيباتنا يقولون: إن وادعة من تكيل.

(١) المصدر السابق (ص ٢١٠ ـ ٢١٤).

* دراستي ومشايخي:

درست في الكتب حتى انتهيت من منهج المكتب، ثم ضاع من العمر ما شاء اللَّه في غير طلب علم؛ لأنه ما كان هناك من يُرَغِّب أو يساعد على طلب العلم، وكتب محبًّا لطلب العلم، وطلبت العلم في (جامع الهادي) فلم أُسَاعَدْ على طلب العلم، وبعد زمن اغتربت إلى أرض الحرمين ونجد، فكنت أسمع الواعظين ويعجبني وعظهم، فاستنصحت بعض الواعظين ما هي الكتب المفيدة حتى أشتريها؟ فأرشد إلى «صحيح البخاري»، و«بلوغ المرام»، و«رياض الصالحين»، و«فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، وأعطاني نُسيخَات من مقررت التوحيد، وكنت حارسًا في عمارة في الحجون بمكة، فعكفت على تلك الكتب، وكانت تعلق بالذهن لأن العمل في بلدنا على خلاف ما فيها، خصوصًا «فتح المجيد».

وبعد مدَّة من الزمن رجعت إلى بلدي أُنْكِرُ كل ما رأيته يخالف ما في تلك الكتب من الذبح لغير اللَّه، وبناء القباب على الأموات، ونداء الأموات، فبلغ الشيعة ذلك، فأنكروا ما أنا عليه فقائل يقول منهم: من بدَّل دينه فاقتلوه، وآخر يرسل إلى أقربائي ويقول: إن لم منعوه فسنسجنه، وبعد ذلك قرروا أن يدخلوني (جامع الهادي) من أجل الدراسة عندهم لإزالة الشبهات التي قد علقت بقلبي، ويُدَنْدِنُ بعضهم بقول الشاعر:

عَرَفْتُ هَوَاهَا قَبلَ أن أعرِفَ الهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا

وبعد ذلك دخلت للدراسة عندهم في جامع الهادي، ومدير الدراسة القاضي (مُطهَّر حَنَش)، فدرست في «العقد الثمين»، وفي «الثلاثين المسألة وشرحها» لحابس، ومن الذين درَّسونا فيها (محمد بن حسن المُتَمَيِّز) وكنَّا في مسألة الرؤية فصار يسخر من ابن خزيمة وغيره من أئمة أهل السنة، وأنا أكتم عقيدتي، إلا أني ضعفت عن وضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة

وأرسلت يديَّ، ودرسنا في «متن الأزهار» إلى النكاح مفهومًا ومنطوقًا، وفي شرح الفرائض كتاب ضخم فوق مستوانا فلم أستفد منه.

فلمَّا رأيت الكتب المدرَّسة غير مفيدة، حاشا النحو فإني درست عندهم «الآجرومية» و«قطر الندى»، ثم طلبت من القاضي (قاسم بن يحيى شُوَيْل) أن يدرسني في «بلوغ المرام» وبدأنا فيه، وأُنكِر علينا ذلك ثم تركنا، فلما رأيت أن الكتب المقررة شيعية معتزلية قدررت الإقبال على النحو فدرست «قطر الندى» مرارًا على (إسماعيل حَطَبَة) ـ رحمه اللَّه ـ في المسجد الذي أسكن ويصلي فيه وكان يهتم بنا غاية الاهتمام، وفي ذات مرة أتى إلى المسجد (محمد بن حُوريَّة) فنصحته أن يترك التنجيم فنصحهم أن يطردوني من الدراسة، فشفعوا لي عنده وسكت، وكان يمر بنا بعض الشيعة ونحن ندرس في «القطر» ويقول: (قبيلي صبِّن غِرارة) بمعنى أن التعليم لا يُؤثِّر فيَّ وأنا أسكت وأستفيد في النحو.

حتى قامت الثورة وتركنا البلاد ونزلنا إلى نجران ولازمت (أبا الحسين مجد الدين المُؤيَّد) واستفدت منه خصوصًا في اللغة العربية، ومكثتُ بنجران قدر سنتين، فلما تأكدتُ أن الحرب بين الجمهورية والملكية لأجل الدنيا عزمت على الرحلة إلى أرض الحرمين ونجد، وسكنت بنجد قدر شهر ونصف في مدرسة تحفيظ القران التابعة للشيخ (محمد بن سِنَان الحَدَائي) حفظه اللَّه، ولقد كان مكرمًا لي لمارزى من استفادتي وينصحني بالاستمرار مدة حتى يرسلني إلى (الجامعة الإسلامية) فتغير عليَّ الجو بالرياض، وعزمت على السفر إلى مكة، فكنت أشتغل إن وجدت شغلاً، وأطلب العلم في الليل أحضر دروس الشيخ (يحيى بن عثمان الباكستاني) في «تفسير ابن كثير»، والبخاري، ومسلم.

وأطالع في التب والتقيت بشيخين فاضلين من علماء اليمن:

أحدهما: القاضي (يحيى الأَشْوَل) صاحب بمعمرة، فكنت أدرس عنده في «سبل السلام» للصنعاني ويدرسني في أي شيءٍ أطلب منه.

الثاني: الشيخ (عبدالرزاق الشاحِذِي المحويتي) وكان أيضًا يدرسني فيما أطلب منه.

ثم فتح معهد الحرم المكي وتقدمت للاختبار مع مجموعة من طلبة العلم، فنجحت والحمد لله.

وكان من أبرز مشايخنا فيه الشيخ (عبدالعزيز السُّبَيِّل)، ودرست مع مجموعة من طلبة المعهد عند الشيخ (عبدالله بن محمد بن حُمَيد) رحمه الله في «التحفة السنية» بعد العشاء في الحرم، فكان ـ رحمه الله ـ يأتي بفوائد مفيدة من «شرح ابن عقيل» وغيره، وكانت فوق مستوى زملائي فتملَّص زملائي، فترك ـ رحمه الله ـ الدرس.

ودرست مع مجموعة من الطلاب عند الشيخ (محمد السُّبَيِّل) ـ حفظه الله ـ شيئًا من الفرائض.

وبعد الاستقرار في المعهد خرجت للإتيان بأهلي من نجران فأتيت بهم وسكنًا بمكة مدة الدراسة في المعهد ست سنين، والدراسة في الحرم نفسه.

وبركة دراسة المساجد معلومة، ولا تسأل عن أُنْسٍ وراحة كنا فيها، وصدق الرسول ﷺ إذا يقول: **«ومَا اجتَمَعَ قَومٌ في بَيت من بُيُوتَ الله يَتْلُونَ كتَابَ الله ويَتَدَارَسُونَهُ فيمَا بينَهُم إلاَّ نَزَلَت عَلَيهُم السَّكِينَةُ، وحَفَّتهُم المَلائِكَةُ، وغَشِيتهُم الرَّحمةُ، وذَكَرَهُم الله فِيمن عِنْدَه»**.

النهار في دراسة المعهد، والدروس كلها تخدم العقيدة والدين، ومن بعد العصر إلى بعد العشاء في الحرم نشرب من ماء زمزم الذي قال النبي ﷺ فيه: **«إنَّه طَعَامٌ طعم وشِفَاءٌ سقَم»**. ونسمع من الواعظين القادمين من الآفاق لأداء حج أو عمرة.

ومن المدرسين في الحرم بين مغرب وعشاء الشيخ (عبدالعزيز بن راشد النجدي) صاحب «تيسير الوحيين في الاقتصار على القرآن والصحيحين» وله فيه أخطاء لا نوافقه عليها، وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: الصحيح في غير الصحيحين يعدُّ على الأصابع، فبقيت كلمته في ذهني منكرًا لها حتى عزمت على تأليف «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» فازددت يقينًا ببطلان كلامه ـ رحمه اللَّه ـ.

وكان ـ رحمه اللَّه ـ رجل التوحيد، وله معرفة قوية بعلم الحديث، ومعرفة صحيحه من سقيمه، ومعلوله من سليمه، ويعجبني فيه أنه ينفِّر عن التقليد حتى إنه ألف رسالة بعنوان «الطواغيت المقنعة»، فظن بعض العلماء الكبار أنه يَعنيهم، وجمعت لجنة من كبار العلماء لمناقشته فقالوا: أنت عنيتنا بهذا وعنيت الحكومة؟ فقال: إن كنتم ترون أنكم متصفون بالصفات التي ذكرتُ في الكتاب فهو يشملكم، وإن كنتم ترون أنكم لستم متصفين بالصفات التي ذكرت في الكتاب فهو لا يشملكم. ثم مُنع الكتاب من الدخول إلى المملكة، أفادني بذلك.

وفي ذات ليلة طُلب منه أن يُلقيَ درسًا وكأنه لاختباره، فبدأ درسه بقوله تعالى: ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: ٣]. سرد من الايات التي تدل على تحريم التقليد، وبعض أفاضل العلماء عند الكرسي، وبعد ذلك مُنع من التدريس في الحرام، واللَّه المستعان.

ومن مشايخي في الحرم المكي الذين استفدت منهم الشيخ (محمد بن عبداللَّه الصومالي) فقد حضت عنده نحو سبعة أشهر أو أكثر، وكان ـ رحمه اللَّه ـ آيةً في معرفة رجال الشيخين، ومنه استفدتُ كثيرًا في علم الحديث، على أني بحمد ربي من ابتدائي في الطلب لا أحب إلا علم الكتاب والسنة.

وبعد الانتهاء من معهد الحرم من المتوسط والثانوية، وكل الدروس دينية، وانتقلنا إلى المدينة إلى الجامعة الإسلامية، فحوَّل أكثرنا إلى كلية الدعوة وأصول الدين، وأبرز من درسنا فيها الشيخ (السيد محمد الحكيم) والشيخ (محمود عبدالوهاب فائد) المصريان.

وعند أن جاءت العطلة خشيت من ذهاب الوقت وضياعه فانتسبت في كلية الشريعة، لأمرين: أحدهما: التزوُّد من العلم. الثاني: أن الدروس متقاربة وبعضها متحدة، فهي تعتبر مراجعةً لِمَا درسناه في كلية الدعوة. وانتهيت بحمد اللَّه من الكليتين، وأُعطيت شهادتين، وأنا بحمد اللَّه لا أبالي بالشهادات، المعتَبر عندي هو العلم.

وفي عام انتهائنا من الكليتين فُتِحت في الجامعة دراسةٌ عالية ما يسمونه بالماجستير، فتقدمت لاختبار المقابلة ونجحت بحمد اللَّه وهي تخصص في علم الحديث، وبحمد اللَّه حصلت الفائدة التي أُحبها، وكان أبرز من درسنا الشيخ (محمد الأمين المصري) ـ رحمه اللَّه، والشيخ (السيد محمد الحكيم المصري) وفي آخرها الشيخ (حماد بن محمد الأنصاري)، وكنت أحضر بعض الليالي درس الشيخ (عبدالعزيز بن باز) في الحرم المدني في «صحيح مسلم»، وأحضر كذلك مع الشيخ (الألباني) في جلساته الخاصة بطلبة العلم للاستفادة.

ومنذ كنت في الحرم المكي وأنا أدَرِّس بعض طلبة العلم في «قطر الندى» وفي «التحفة السنية»، وعند أن كنت بالمدينة كنت أُدرِّس بعض إخواني في الحرم المدني في «التحفة السنية» ثم وعدت إخواني في اللَّه بدروس في بيتي بعد العصر في «جامع الترمذي»، و«قطر الندي»، و«الباعث الحثيث»، وانتشرت دعوة كبيرة من المدينة ملأت الدنيا في مدة ست سنوات، بعض أهل الخير هم الذين يسعون في تمويلها، و(مقبل بن هادي) وبعض

إخوانه في اللَّه هم الذين يقومون بتعليـم إخوانهم، وأما الرحلات للدعوة إلى اللَّه في جميع أنحاء المملكة فمشتركة بين الإخوان كلهم، طالب العالم للتزود من العلم ولإفادة الآخرين، والعامي للتعلم، حتى استفاد كثير من العامة وأحبُّوا الدعوة.

وكان بعض إخواننا في اللَّه طلبة العلم إمام مسجد في الرياض فأنكر عليه بعضُ أهل العلم السترة، فقال: عجزنا فيكم فواللَّه لا يقوم إلا عامي يعلمكم أحاديث السترة. فدعا أخًا من محبي الدعوة من العامة وحفظه أحاديث السترة من «اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان»، وقام وألقى تلكم الأحاديث، وبعدها خجل المعارضون وسكتوا.

وبعد هذا تحرَّك المقلدة وعلماء السوء، وكان السبب في تحرك المقلدة الذين هم في نظر الناس علماء أنهم إذا التقوا بطالب علم صغير من طُلاَّبِنا واستدلوا بحديث قال لهم: مَن أخرجه؟ وهذا شيء ما أَلِفُوه، ثم يقول لهم: ما حال الحديث؟ وهذا أيضًا ما ألفوه، فخجَّلوهم أمام العامة، وربما قال لهم الطالب: هذا حديث ضعيف في سنده فلان، وضعفه فلان، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وأشاعوا أن هؤلاء خوارج، وحاشا الأخوة من الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين ويكفرون بالمعصية.

وكانت تحدث السقطات من بعض الأخوة المبتدئين؛ لأن الغالب على المبتدئ الحماسة الزائدة ـ وكنت آنذاك أُحَضِّر رسالة الماجستير ـ فما شعرنا ذات ليلة إلا بالقبض علينا، فقبضوا على نحو مائة وخسين وهرب مَن هرب، وارتجت الدنيا بين منكر ومؤيِّد، فبقينا في السجن نحو شهر أو شهر ونصف، وبعدها خرجنا بحمد اللَّه أبرياء.

ثم بعد هذا خرجت بعض رسائل (جهيمات) فقُبِضَ على مجموعة منا، وعند التحقيق قالوا لي: أنت الذي كتبتها، جهيمان لا يستطيع أن

يكتب. فنفيت ذلك، واللَّه يعلم أني لم أكتُبْها ولم أشارك فيها، وبعد سجن ثلاثة أشهر أُمِرَ بترخيل الغرباء.

ولما وصلت إلى اليمن عدت إلى قريتي ومكث بها أُعلِّمُ الأولاد القرآن، فما شعرت إلا بتكالب الدنيا عليَّ، فكأني خرجت لخراب البلاد والدين والحكم، وأنا آنذاك لا أعرف مسئولاً ولا شيخ قبيلة، فأقول: حسبي اللَّه ونعم الوكيل، وإذا ضقت ذهبت إلى صنعاء أو إلى حاشد، أو إلى ذمار، وهكذا إلى تعز، وإب، والحديدة، دعوة وزيارة للإخوان في اللَّه.

وبعد أيام أَخرَجَ بعض فاعلي الخير مكتبتي من المدينة، فطُلِب منه خمسمائة ريال سعودي في مركز (كدم)، وكان المسئول عنه (المشرقي) فأبى، يظنها رشوة، وهو لا يدري أنها رشوة في حقهم، وأما هو فليست برشوة؛ لأن الرشوة ما أُعْطِي لإحقاق باطل، أو لإبطال حق.

فأرسلوا بالكتب إلى سعدة ومدير الإعلام (الحملي) حاقد على السنة، فطلب الكتب أصحابنا فقال: إن شاء اللَّه بعد الظهر، وما جاء بعد الظهر إلا وقد حرَّك الشيعة، فطلبوا من المسئولين توقيفها لأنها كتب وهابية. ولا تسأل عن الغرامة المالية، والمتاعب، والضيم التي حصلت لي.

إخوان بذلوا جهودًا في متابعة ذلك، كثير من أهل بلدي، (الشيخ عبداللَّه بن حسين الأحمر)، (الشيخ هزاع ضبعان)، المسئولون في مكتب التوجيه والإرشاد منهم القاضي (يحيى الفُسَيِّل) رحمه اللَّه، الأخ (عائض بن علي مسمار)، وبعد متاعب طويلة أبرق أهل صعدة إلى الرئيس (علي بن عبداللَّه بن صالح) فأحال القضية إلى القاضي (علي السمَّان) فأرسل إليَّ القاضي ووعد أنه سيسلم المكتبة وقال: إن أهل صعدة متشددون، فهم يكفِّرون علماء صنعاء. فطُلِبت المكتبة إلى صنعاء، وقُدِّر أن وصلت الكتب

والقاضي (علي السمان) في بعثة إلى الخارج، فذهب الإخوة إلى المسئول في وزارة الأوقاف فقال لهم: إنها مصاطرة ـ بالطاء ـ وتحرك بعض إخواننا في اللَّه من مكتب التوجيه والإرشاد وذهبوا واستلموها، وقالوا: هي من اختصاصنا، فنحن ننظرها فما كان صالحًا سلمناه للوادعي، وما كان يُخلُّ بالدين أبقيناه عندنا، وبما أنهم يعرفون أنها كتب دينية محضة فقد سلموها لي من غير تفتيش، فجزاهم اللَّه خيرًا، فأخذتها إلى البلاد والحمد للَّه، وقام أقربائي جزاهم اللَّه خيرًا ببناء مكتبة صغيرة، ومسجد صغير، وقالوا: نصلي فيه جمعة درءًا للفتن والمشاكل، فكنا في بعض الأوقات نصلي قدر ستة نفر.

وفي ذات مرة طلبني المحافظ (هادي الحشيشي) فذهبت إلى الشيخ (قائد مجلي) رحمه اللَّه فاتصل به وقال: ما تريد من الوادعي؟ فقال: لا شيء إلا مجرد التعرف عليه، فقال: نطلع إليه في معهده.

وفي أخرى طلبني مسئول آخر فدخل معي إليه (حسين بن قائد مجلي) فتكم على الشيعة، وشرح له أننا ندعو إلى الكتاب والسنة، وأن الشيعة حسدونا على ذلك، ويخافون أن تظهر الحقائق، فقال المسئول: إن الشيعة سوَّدت تاريخ اليمن، وما دامت دعوتك كذلك فادع ونحن معك.

وبعد هذا مكثت في مكتبتي، وما هي إلا أيام فإذا بعض الأخوة المصريين، وفتحنا دروسًا في بعض كتب الحديث وبعض كتب اللغة، وبعد هذا ما زال طلبة العلم يفدون من مصر، ومن الكويت، ومن أرض الحرمين ونجد، ومن عدن، وحضر موت، ومن الجزائر، وليبيا، والصومال، ومن بلجيكا، ومن كثير من البلاد الإسلامية وغيرها.

وعدد الطلاب الآن ما بين الستمائة إلى السبعمائة، منهم قدر مائة وسبعين عائلة، واللَّه يأتيهم برزقهم من عنده، كل هذا لا بحول منا ولا قوة، ولا بسبب كثرة علمنا، ولا شجاعتنا ولا فصاحتنا في الخطابة، ولكن

هذا أمر أراد اللَّه أن يكون فكان، وللَّه الحمد والمنة الذي وفقنا لذلك[1] .

* **الدروس التي تلقى:**

دروس هي:

(١) «تفسير ابن كثير» بعد الظهر.

(٢) «صحيح البخاري» بعد العصر.

(٣) «صحيح مسلم»، وبعده «مستدرك الحاكم» بين مغرب وعشاء.

(٤) «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» قبل الظهر.

(٥) «الصحيح المسند من دلائل النبوة».

(٦) «الجامع الصحيح في القدر».

وكنت أدرس في «شرح ابن عقيل» ثم مرضت وتركت.

أما إخواني في اللَّه فإنهم قائمون بدروس لإخوانهم في جميع المجالات العلمية على مستويات الطلاب في: التوحيد، والعقيدة، والفقه وأصوله، والحديث وأصوله، والفرائض، والنحو، والخط، والإملاء، وجميع ما يحتاج إليه الطالب من العلوم الدينية ووسائلها، وإذا ضاق المسجد والسكنات ففي الوادي وتحت الأشجار، وتلقى هنالك الدروس، علم طيب وهواء طيب.

والفضل في هذا للَّه وحده.

* **وفاته:**

مع غروب شمس السبت ٣٠ ربيع الآخر ١٤٢٢هـ في مدينة جدة بعد رحلة علاجية دامت أكثر من سنة، عن عمر ناهز السبعين عامًا[2] فنسأل اللَّه

(١) قبل موت الشيخ مقبل كانوا نحو ألف طالب، ونحو خمسمائة عائلة.

(٢) طلب ـ رحمه اللَّه ـ العلم في أرض الحرمين وعمره خمسة وثلاثون عامًا تقريبًا.

أن يغفر له ويدخله جنته.

*** قول الوادعي عن مؤلفاته:**

أبو عبدالرحمن مائل إلى البحث والتأليف أكثر منه إلى سائر الفنون، وكان من أول يحبُّ كثرة التخريج، ثم رأى أن حشر الواهيات من أجل الاستشهاد بها ليس من طريقة السلف، بل ما كانوا يستوعبون الطرق الصحيحة، فذلكم «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» و«سنن أبي داود» و«جامع الترمذي» و«سنن النسائي» و«سنن ابن ماجه» وغير هذه من دواوين الإسلام وهم الحفاظ، وهم القدوة في هذا الفن، ثم إني بحمد اللَّه لا أحكم على حديث بأنه ضعيف إلا بعد دراسة ما أستطيع الاطلاع عليه من أسانيد، ولا أحكم على حديث بأنه صحيح إلا بعد مراجعة ما قاله أهل العلم المتقدمون حول الحديث، وفي الغالب أراجع كتب العلل فأرى أن أقدم للقارئ الفائدة يستفيدها بسهولة، وعلى هؤلاء الذين ليسوا إلاَّ مهيئين للانتقادات أن يأتوا بأحاديث ضعيفة قد صححتها، أو بأحاديث صحيحة قد ضعفتها.

على أنني أحمد اللَّه فإني مشغول مع التأليف بالدعوة إلى اللَّه، والتعليم، بخلاف كثير من الناس فإما أن ينصرف إلى الدعوة ولا يرفع إلى العلم والتعليم رأسًا، وإما أن ينصرف إلى التعليم ولا يرفع إلى الدعوة والتأليف رأسًا، وإما أن يشغل بالتأليف والتحقيق ولا يرفع إلى الدعوة والتعليم رأسًا، وهكذا إخواننا فهم الدعوة إلى اللَّه، وهم المؤلفون والمحققون، وهم الحراس وهم الطباخون، وهم القائمون على تعليم إخوانهم، والفضل في هذا اللَّه وحده، فهو الذي أعانهم على هذا كله.

*** المؤلفات مرتبة ترتيباً زمنياً إن تيسر ذلك:**

(١) «الطليعة في الرد على غلاة الشيعة»، كتبتها وأنا بمعهد الحرم، وهي مطبوعة مع «رياض الجنة».

(٢) «تحريم الخضاب بالسواد»، كتبتها وأنا بمعهد الحرم المكي وهي مطبوعة.

(٣) «شرعية الصلاة في النعال»، كتبتها بالمدينة ردًا على مزاعم (شيبة الحمد) أنه لم يثبت في الصلاة في النعال إلا حديث واحد.

(٤) «الصحيح المسند من أسباب النزول» قُدِّم رسالة لكلية الدعوة بإشراف الشيخ محمود بن عبدالوهاب بن فايد. مطبوع.

(٥) «حول القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ»، قدمت رسالة لكلية الشريعة، بإشراف الشيخ حماد بن محمد الأنصاري، مطبوع في آخر «رياض الجنة».

(٦) تحقيق ودراسة «الإلزامات والتتبع» للدارقطني، قدم رسالة ماجستير للدراسات العليا بإشراف الشيخ محمد الأمين المصري، فلما توفي ـ رحمه اللَّه ـ أشرف عليها السيد محمد الحكيم المصري، مطبوع.

*** المؤلفات باليمن:**

(١) «الشفاعة»، مطبوع.

(٢) «رياض الجنة في الرد على أعداء السنة»، مطبوع.

(٣) تحقيق وتخريج مجلدين من «تفسير ابن كثير» إلى أول سورة المائدة، والباقي يقوم به الأخوة حفظهم اللَّه، مطبوعان.

(٤) «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين»، مطبوع.

(٥) «السيوف الباترة لإلحاد الشيوعية الكافرة»، مطبوع.

(٦) «المخرج من الفتنة»، مطبوع.

(٧) «إرشاد ذوي الفطن لإبعاد غلاة الروافض من اليمن»، تعليقات على «الرسالة الوازعة للمعتدين»، مطبوع.

(٨) «الصحيح المسند من دلائل النبوة»، مطبوع.

(٩) «الإلحاد الخميني في أرض الحرمين»، مطبوع.

(١٠) «الجامع الصحيح في القدر»، مطبوع.

(١١) «ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر»، مطبوع.

(١٢) «الجمع بين الصلاتين في السفر»، مطبوع.

(١٣) «قرة العين في أجوبة قائدة العلابي وصاحب العدين»، مطبوع.

(١٤) «الفواكة الجَنِيَّة»، مطبوع.

(١٥) «المصارعة»، مطبوع.

(١٦) «قمع المعاند وزجر الحاقد الحاسد»، مطبوع.

(١٧) «الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين» مرتبًا على الأبواب الفقهية، مطبوع.

(١٨) «إجابة السائل عن أهم المسائل»، مطبوع.

(١٩) «أحاديث معلة ظاهرها الصحة»، مطبوع.

(٢٠) «مقتل الشيخ جميل الرحمن الأفغاني رحمه اللَّه»، مطبوع.

(٢١) «غارة الأشرطة على أهل الجهل والسفسطة»، مطبوع.

(٢٢) «تتبع أوهام الحاكم في المستدرك التي لم ينبه عليها الذهبي مع تراجم للرواة الذين ليسوا من رجال تهذيب التهذيب»، مطبوع.

(٢٣) «تحفة الشاب الرباني في الرد على الإمام محمد بن علي الشوكاني» في شأن الاستمناء، مطبوع.

(٢٤) «غارة الفصل على المعتدين على كتب العلل» مطبوع.

(٢٥) «إيضاح المقال في أسباب الزلزال»، مطبوع.

(٢٦) «إعلان النكير على أصحاب عيد الغدير»[١].

(٢٧) «إقامة البرهان على ضلال عبدالرحيم الطحان»[٢] مطبوع.

(٢٨) «فضائح ونصائح» مطبوع.

(٢٩) «البركان لنسف جامعة الإيمان» مطبوع.

(٣٠) «إسكات الكلب العاوي يوسف بن عبدالله القرضاوي» مطبوع.

(٣١) «تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب» مطبوع.

(٣٢) «الزنداني ومجلس الشورى للشيخات في اليمن»[٣].

(٣٣) «صعقة الزلزال لنسف أباطيل أهل الرفض والاعتزال» مطبوع.

والآن بحمد الله أجمع في «الجامع الصحيح في التفسير».

* عداوة أعداء الإسلام والمبتدعة لدعوة الشيخ مقبل:

□ أعظم أعداء الدعوة هم الشيوعيون فهم يهاجمون الدعوة وينشرون مقالات كاذبة في جريدة العمال وجريدة الثوري اللتين تنشران في الجنوب.

ومكارمة نجران الذين هم أكفر من اليهود والنصارى من الحاقدين على الدعوة والذين يريدون بها سوءًا فيصرفهم الله.

وهكذا الشيعة والصوفية، كل يدلي بدلوه في التنفير عن الدعوة، ويأبى الله إلا أن يُتِمَّ نوره ولو كره المبطلون.

---

(١) مطبوع مع «غارة الأشرطة على أهل الجهل والسفسطة».

(٢) وقد ضمه شيخنا «فضائح ونصائح».

(٣) مطبوع مع «تحفة المجيب».

وهكذا الحزبيون كالإخوان المفلسين[١] ، وجمعيتهم جمعية الإصلاح، وأصحاب جمعية الحكمة اليمانيون، وجمعية الإحسان السرورية.

وبهذا ينتهي ما أردنا كتابته، والحمد للَّه رب العالمين»[٢] .

* **هذه دعوتنا وعقيدتنا :**

◻ يقول ـ رحمه اللَّه ـ عن دعوته بعد خطبة الحاجة :

أما بعد: فإنَّها لما كَثُرت العقائد المختلفة وانتشرت دعوات شتى وصارَ حالُ أصحابها كما قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿ **فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٥٣]، وحال أصحابها كما قيل:

وكُلٌّ يَدَّعِي وَصْلاً لِلَيلَى   ولَيلَى لا تُقِرُّ لَهُم بِذَاكَ

* ولا تجد أصحابَ دعوةٍ إلا وهم يدَّعون أنها على الصراط المستقيم، فذلكم فرعون الذي يقول: ﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ** ﴾ [النازعات: ٢٤]، يقول لقومه: ﴿ **مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ** ﴾ [غافر: ٢٩].

* ويقول في شأن نبي اللَّه موسى عليه السلام: ﴿ **ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ** ﴾ [غافر: ٢٦].

* ويقول هو وقومه في شأن موسى وهارون عليهما السلام: ﴿ **إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ** ﴾ [طه: ٦٣].

* ويقول سبحانه وتعالى عن دعوى المنافقين: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا**

---

(١) يعني بهم الإخوان المسلمين غفر اللَّه له ولهم.

(٢) «ترجمة مقبل بن هادي الوادعي» (ص٨١).

فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١].

* قال اللَّه سبحانه وتعالى: **﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾** [البقرة: ١٢-١٣].

وإليك مثالاً: هذه الطائفةُ الضالَّةُ المارِقَة الإسماعِيْلِيَّة، بنجران والفرع والعطفين والإحساء والقطيف والبحرين والمدينة وهم المسمَّون بالنخاولة، وبجراز وعراس وبنقم بصنعاء وبالهند ومشايخهم يُسمَّون بالمكارمة وليسوا بمكارمة.

من أجل هذه الترهات والأباطيل والدعايات الكاذبة، ومن أجل جهل كثير من المسلمين بدينهم حتى لقد أصبح كثير منهم متحيراً كما أخبرونا بذلك.

ومن أجل الدعايات الملعونة من الشيوعية والبعثية والرافضة والصوفية التي تنفر المسلمين عن الدعاة إلى اللَّه، رأيت أن أجمع نبذة عن دعوة أهل السنة باليمن فأقول وباللَّه التوفيق.

*** هذه دعوتنا وعقيدتنا:**

١ - نؤمن باللَّه، وبأسمائه، وصفاته كما وردت في كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه ﷺ من غير تحريفٍ، ولا تأويلٍ، ولا تمثيلٍ، ولا تشبيهٍ، ولا تعطيلٍ.

٢ - نعتقد أن نداء الأموات والاستعانة بهم وكذا الأحياء فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه شِرْكٌ باللَّه.

وهكذا العقيدة في الحُرُوز والعزائم أنها تنفع مع اللَّه أو من دون اللَّه شرك وحملها مع غير عقيدة خرافة.

٣ ـ نأخذ بظاهر الكتاب والسنة ولا نُؤَوِّل إلا بدليل يقتضي التزويل من الكتاب والسنة.

٤ ـ نؤمن بأن المؤمنين سيرون ربهم في الآخرة بلا كيف، ونؤمن بالشفاعة وبخروج المُوَحِدِين من النار.

٥ ـ نحبُّ أصاحب رسول اللَّه ﷺ، ونبغض من تكلم فيها، ونعتقد أن الطعن فيهم طعنٌ في الدين لأنهم حملته إلينا، ونحب أهل بيت النبوة حبًا شرعيًا.

٦ ـ نحب أهل الحديث وسائر سلف الأمة من أهل السنة.

٧ ـ نكره عِلْمَ الكلام، ونرى أنه من أعظم الأسباب لِتَفرِقة الأمة.

٨ ـ لا نقبل من كُتُبِ الفقه، ومن كتب التفسير ومن القصص القديمة ومن السيرة النبوية إلا ما ثبت عن اللَّه أو عن رسول اللَّه ﷺ، وليس معناه أننا نَنْبُذُهَا، أو نزعم أننا نستغني عنها، بل نستفيد من استنباطات علمائنا الفقهاء وغيرهم، ولكن لا نقبل الحكم إلا بدليل صحيح.

٩ ـ لا نكتب في كتاباتنا، ولا نُلقي في دروسِنا، ولا نخطب إلاَّ بقرآن أو حديث صالح للحُجِّيَّة، ونكره ما يَصْدُرُ من كثير من الكتاب والواعظين من الأقاصيص الباطلة، ومن الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

١٠ ـ لا نكفر مسلمًا بذنب إلا الشرك باللَّه، أو ترك الصلاة أو الردة، أعاذنا اللَّه وإياكم من ذلك.

١١ ـ نؤمن بأن القرآن كلامُ اللَّهِ غيرُ مخلوق.

١٢ ـ نرى وجوب التعاون مع أي مسلم في الحق، ونبرأ إلى اللَّه من الدعوات الجاهلية.

١٣ ـ لا نرى الخروج على حكام المسلمين مهما كانوا مسلمين، ولا نرى الانقلابات سببًا للإصلاح، بل لإفساد المجتمع. أما حكام عدن فنرى

قتالهم واجبًا حتى يتوبوا من الإلحاد ومن الاشتراكية ومن دعوة الناس إلى عبادة (لِينِين ومارِكْس) وغيرهما من زعماء الكفر[١].

١٤ ـ نرى هذه الجماعات المعاصرة المتكاثرة سببًا لفرقة المسلمين وإضعافهم.

١٥ ـ نرى دعوة الإخوان المسلمين غيرَ قادرةٍ وغيرَ صالحةٍ لإصلاح المجتمع إذ قد أصبحت دعوة سياسية لا رُوحِيَّة، وأيضًا دعوة مبتدعة[٢]؛ لأنها دعوة إلى مبايعة مجهول، ودعوة فتنة لأنها قائمة على جهل وسائرة على جهل. وننصح بعض الإخوة العاملين فيها من الأفاضل بالتَّخَلِّي عنها حتى لا يضيع وقتهم فيما لا ينفع الإسلام والمسلمين، وعلى المسلم أن يكون همُّه أنَّ اللَّهَ ينصرُ الإسلام والمسلمين.

١٦ ـ وأما جماعة التبليغ فإليك ما كتبه الأخ الفاضل محمد بن عبدالوهاب الوصابي فقال ـ حفظه اللَّه ـ:

١ ـ يعلمون بالأحاديث الضعيفة بل والموضوعة وما لا أصل لها.

٢ ـ توجد فيهم بدع كثيرة، بل إن دعوتهم مبنية على البدع إذ عمود دعوتهم الفقري هو الخروج بهذا التحديد: من كل شهر ٣ أيام، وفي السنة أربعون يومًا، وفي العمر أربعة أشهر، وفي كل أسبوع جولتان:

جولة في المسجد الذي تصلي فيه، والثانية متنقلة.

وفي كل يوم حلقتان: حلقة في المسجد الذي تصلي فيه، والثانية في البيت. ولن يَرضَوا عن الشخص إلا إذا التزمَه، ولا شك أنه بدعةٌ في الدين ما أنزل اللَّه بها من سلطان.

---

(١) وقد أخذهم اللَّه أخذ عزيز مقتدر.

(٢) في الإخوان من هو سلفي العقيدة بل ومن العلماء السلفيين كالدكتور مصطفى حلمي، وفيهم من هو من المبتدعة.

٣ ـ يرون أن الدعوة إلى التوحيد تَنْفِيرٌ للأمة.

٤ ـ يرون أن الدعوة إلى السنة تنفير للأمة.

٥ ـ يقول أميرهم بالحديدة: بدعة تجمع الناس خير مِن سنة تفرق بينهم.

٦ ـ يكنون العداوة لأهل السنة.

٧ ـ يُزَهِّدُونَ الناس عن العلم النافع تلميحًا وتصريحًا.

٨ ـ يرون أنه لا نجاةَ للناسِ إلا عن طريقِهم ويضربون على ذلك مثلاً بسفينة نوح من ركب فيها نجا ومن لم يركب هلك، ويقولون: إن دعوتنا كسفينة نوح، وقد سمعت هذا المثل منهم في الأُردن واليمن.

٩ ـ لا يهتمون بتوحيد الأُلُوهِيَّة، وتوحيد الأسماء والصفات.

١٠ ـ إنهم غير مستعدين لطلب العلم، ويرون الوقت الذي يصرف في طلب العلم ضائعًا.

وفيهم غير ما ذكر.

١٧ ـ نتقيَّدُ في فهمنا لكتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه ﷺ بفهم سلف الأمة من المحدثين، غير مقلدين لأفرادهم، بل نأخذ الحق ممن جاء به، ونحن نعلم أن هناك من يدعي السلفية، والسلفية بريئة منه، إذ قد أصبح يُجاري المجتمع في تحليل ما حرم اللَّه (كأصحاب عبدالرحمن عبدالخالق ومحمد سرور).

١٨ ـ نعتقد أن السياسة جزء من الدين، والذين يحاولون فصل الدين عن السياسة إنما يحاولون هدم الدين، وانتشار الفوضى وكذا ما شاع في بعض البلاد الإسلامية (الدين للَّه والوطن للجميع) دعوة جاهلية، بل الكل للَّه.

١٩ ـ نعتقد أن لا عز ولا نصر للمسلمين حتى يرجعوا إلى كتاب اللَّه

وسنة رسوله اللَّه ﷺ.

٢٠ ـ نبغض الأحزاب المعاصرة: الحزب الشيوعي الملحد، والحزب البعثي الملحد، والحزب النصاري الملحد، والحزب الإشتراكي الملحد، والحزب الرافضي المارق.

ونرى أن الناس ينقسمون إلى حزبين: حزب الرحمن، وهم الذين تنطبق عليهم أركان الإسلام وأركان الإيمان غير رادين شيئًا من شرع اللَّه. وحزب الشيطان وهم المحاربون لشرع اللَّه.

٢١ ـ نُنْكِرُ على الذين يقسمون الدين إلى قُشُور ولُبَاب، ونعلم أن هذه دعوة هدامة.

٢٢ ـ ننكر على من يُزهِّد في علم السنة، ويقول ليس هذا وقته، وكذا من يزهد في العمل بسنة رسول اللَّه ﷺ.

٢٣ ـ نرى تقديم الأهم فالأهم، فالواجب على المسلمين أن يهتموا بإصلاح العقيدة، ثم بالقضاء على الشيوعية، وحزب البعث، وذلك لا يكون إلا بالاتحاد على التمسك بالكتاب والسنة.

٢٤ ـ نرى أن الجماعة التي تضم الرافضي والشيعي والصوفي والسني غير قادرة على مواجهة الأعداء لأن هذا لا يكون إلا بأخوة صادقة واتحاد في العقيدة.

٢٥ ـ ننكر على من كَابَر وزعم أن الدعاة إلى اللَّه وَهَّابِيَّةٌ عُمَلاء، ونعلم قصدهم الخبيث أنهم يريدون أن يجعلوا بين العامة وبين أهل العلم حاجزًا.

٢٦ ـ دعوتنا وعقيدتنا أحب إلينا من أنفسنا وأموالنا وأبنائنا، فلسنا مستعدين أن نبيعها بالذهب والورق، نقول هذا حتى لا يطمع في الدعوة طامع، ويظن أنه يستطيع أن يستميلنا بالدرهم والدينا، على أن ذوي السياسة

يعلمون عنا هذا، من أجل هذا فهم آيسون من أن يطمعونا بمناصب أو بمال.

٢٧ ـ الحكومات نحبها بقدر ما فيها من الخير ونبغضها لما فيها من الشرِّ، ولا نجيز الخروج عليها إلا أن نرى كفرًا بواحًا عندنا فيه من اللَّه برهان، بشرط أن نكون قادرين، وألا تكون المعركة بين المسلمين من الجانبين، فإن الحكام يصورون الخارجين عليهم بصورة المُخَرِّبين المفسدين وثَمَّت شروط تُراجَعُ من كتبنا الأخرى.

٢٨ ـ نقبلُ التَّوجيهَ والنُّصحَ ممن وجَّهنا، ونعلم أننا طلبة علم، نصيب ونخطئ، ونجهل ونعلم.

٢٩ ـ نحب علماء السنة المعاصرين، ونرغب في الاستفادة منهم ونأسف لجمود كثير منهم.

٣٠ ـ لا نقبل الفتوى إلا بالدليلِ من كتاب اللَّه أو سنة رسول اللَّه ﷺ الثابتة.

٣١ ـ ننكر على المسئولين وغيرهم زيارة قبر (لِينِين) وغيره من زعماء الإلحاد للتعظيم.

٣٢ ـ ننكر على حكام المسلمين الاتحاد مع أعداء الإسلام سواء كانوا أمريكيين أو شيوعيين.

٣٣ ـ الدعوات الجاهلية كالقومية والعروبة ننكرها ونعتبرها دعوات جاهلية، ومن الأسباب التي أخرت المسلمين.

٣٤ ـ ننتظر مجدداً يجدد اللَّه به هذا ادين لما رواه أبو داود في «سننه» عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ: **«إنَّ اللَّهَ يبعثُ لهذِه الأمَّة على رَأسِ كلِّ مائةِ سنةِ مَن يُجَدِدُ لها دينَها»**. ونرجو أن تكون اليقظة الإسلامية ممهدة له.

٣٥ ـ نعتقد ضلال من ينكر أحاديث المهدي ورجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، ولسنا نعني مهدي الرافضة، بل إمام من أهل بيت النبوة،

ومن أهل السنة يملأ الأرض عدلاً وقسطًا، كما ملئت ظلمًا وجورًا، وقلنا إنه من أهل السنة لأن سبَّ أفاضل الصحابة ليس من العدل.

٣٦ ـ هذه نفثات عن عقيدتنا ودعوتنا، وذكرها بأدلتها يطول الكتاب، وقد ذكرت جلَّ أدلتها في «المخرج من الفتنة»، ومن لديه أي اعتراض على هذا فنحن مستعدون لقبول النصح إن كان محقًّا، ولمناظرته إن كان مخطئًا، وللإعراض عنه إن كان معاندًا. والله أعلم.

□ هذا، ومما ينبغي أن يُعْلَم أن هذا ليس شاملاً لدعوتنا ولعقيدتنا، فإن دعوتنا من الكتاب والسنة إلى الكتاب والسنة، وهكذا العقيدة، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله[1].

□ يقول أبو رواحة أحد تلامذة الشيخ في قصيدة له بعنوان «تحية إلى الشيخ مقبل بن هادي»:

ماذا أقول وما اللسان سينطق ... وأرى صروحًا من علوم تسمُق
وأرى بدربي زهر روضٍ فائحًا ... وأريجه في أرضنا يُستنشق
يا شيخ دعوتنا إليك سلامنا ... وتحيةٌ منا تضيء وتبرق
يا ليت أني في ركابك لاحقٌ ... يا ليت أني في سماك أحلِّق
يا وادعيَّ الخير علمك ظاهرٌ ... بل صار نجمًا في السما يتألَّق
يا شيخنا إني أتيت مكبرًا ... ومهلِّلاً أرنو لشيخٍ يرفُق
ويعين من يسعى لأعلى همَّةٍ ... من طالبٍ علمًا يقول فيصدق
يا شيخنا ماذا يسطر حبرنا؟ ... علَمًا يُهادى في الخلائق يسمق
يا عالمًا طرق الحديث ولُجَّهُ ... وله مع الإسناد عهدٌ يصدق

(١) «ترجمة أبي عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي» (ص١٧٥ ـ ١٨٤).

قد عاش بين الكتْب دهرًا رائعًا ... فله مع التأليف جهدٌ مشرق
إن الحديث بكُم لنبلٌ صائبٌ ... ضد الطغاة بكل يومٍ يرشق
يا وادعيَّ الخير نَهج رسولنا ... ما زال غضًّا عندكم يتدفق
فليهنأِ الطلاب منكم منهلاً ... إذ في الحديث معالمٌ لا تغرق
يا وادعيَّ العلمِ ثغرك باسمٌ ... وجبين وجهك في البرايا يبرق
هذه مشاعر شاعرٍ من قبله ... ليست مقالة مادحٍ يتملَّق
هذي تحيتنا إليك وحسبنا ... شيخٌ كريمٌ علمه متدفِّق
ثم الصلاة على النبي محمد ... والآل والأصحاب نورًا يشرق(١)

❑ ويقول علي بن علي بن عبدالوهاب الرصاص:

ماذا أقولُ وفي الأحشاء خافقةٌ ... من حبٍّ شيخ الهدى والعلم والنورِ
قد كُنتُ أحسبُ أني سوف أكتمُهَا ... زلفى إلى اللَّه يوم النفخ في الصورِ
باتَتْ تُجَلجِل في صدري لأُطلِقَها ... فغالبتني وما أصغت لتحذيري
للَّه درُّك يا شيخ الحديث فما ... تركتَ من بدعة إلا بتحذيرِ
بيَّنت للناس درب الحق فانتظمتْ ... في سِلْكِهِ حِلَقٌ للعلم والخيرِ
نرى دروسًا لأهل الحق قائمةً ... وسنة المصطفى تحظى بتقديرِ
هذي ثمارٌ عظيماتٌ وقد شَهِدتْ ... واللَّه حقًّا بما زسلفت في السيرِ
أرى طلائع أهل السنة انبثقتْ ... أرى نهوضًا إلى العليا بتشميرِ
دكُّوا خرافات أقوام دليلهمو ... هو الهوى فتداعى جحفل الزورِ
يا شيخُ مقبلُ حيًّا اللَّه طلعتكمْ ... وزادك اللَّه عِلمًا بالغَ النورِ
أرى لم وإله العرش موهبةً ... من الإله بتوفيقٍ وتسييرِ

---

(١) دماج ـ صعدة في عام ١٤١٥هـ.

لَمَّا نرى فتنةً مَالَ الرجالُ بها نرى لكم وقفةً في الحق كالطورِ
وإن أتونا بأقوالٍ مزخرفةٍ كشفتَ علّةَ ما قالوا بتدبيرِ
ألست فارس ميدان الحديث وقد نكستَ رايات من عاشوا بتغريرِ
دكَكْت حصنًا منيعًا للروافض قدْ شادوه دهرًا فأضحى كالأساطيرِ
عا داك قوم ففَلَّ اللّه شوكَتهمْ ووعدُ ربك لا يحظى بتأخيرِ
يا شيخنا أسأل الرحمن ينفعنا بعلمكم إن ربي واسعُ الخيرِ(١)

❏ وقال عبداللَّه بن علي السودي:

يهناكِ يهناكِ يا دماجُ قاطبةً بمقبلٍ قد أتاك العزُّ والكَرمُ
يا مقبلَ الخير قد حيَّرت زائركمْ واحتار في وصفكَ القرطاس والقلمُ
يا مقبلٌ أقبلت شمسُ الهدى فترى غياهبَ الشرك تُمحى ثم تنعدمُ
قد أشرقت شمسكم والأرض في ظُلَمٍ فانجابَ عنها الدُّجى وانشقت الظُّلَمُ
أحييتمو سنةً للمصطفى طُمِسَت وكاد فاعلها في الأرض ينعدمُ
وللأحاديث كرَّستم جهودكمُو وللملا قد كشفتم ما به سقمُ
نشرتمو العلم بالتوحيدِ فانتشرت مشاعل النورِ تسعى نحوها الأُمَمُ
جددتمو الدين بعد القرن فانطلقتْ كتائب مِلْؤُها الأخلاق والشيمُ
يقودُها من رجال الدين كوكبةٌ يزيد فيها التقى والحلم والقيمُ
مصداق ما قاله المختارُ من كَلِمٍ قد صدَّقته الربا والسهل والقممُ
لنا مصابيح في جوف الدُّجى بَرقتْ أضاء من نورها الأغوار والأكمُ
قد سطَّروا في سبيل اللّه ملحمةً بدعوة قد وعاها العُرب والعجمُ
وجدَّدوا سنةً للناس باليةً وأصلحوا في زمان كله نِقَمُ
وأرسلوا صيحةً كبرى مدويةً فأسمعت بصداها من به صممُ

(١) «ترجمة أبي عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي» (ص٨٨).

◻ رحم اللَّه الشيخ مقبل جزاء ما قدّم من نشر السنة الصحيحة والعقيدة السلفية[١] ، ،

* للَّه درّ حرّاس العقيدة :

✍ للَّه درّ حرّاس العقيدة والفضيلة والهُوِّية الإسلامية الذين جاهدوا بأقلامهم وألسنتهم في مواجهة المطالب المنحرفة باسم «تحرير المرأة» والتي تُنقل من قطر إلى قطر منذ ما يزيد عن مائة عام بأقلام سعاة الفتنة، وما هي إلا مؤامرة من هؤلاء الكتاب لخلع الحجاب[٢] ، فهي معركة وهمية باسم الدين، ومرقاة لمبدئهم الخليع «تحرير المرأة» القائم على «فصل الدين عن الحياة» في شئونهم كافة، وأن مواجهة العلماء لهم في رفضها لا لأنها من باب الراجح والمرجوح كشأنهم مع العلماء المتجردين؟! إذْ ليس هؤلاء الكُتَّاب أهلاً لذلك في وِفَاقٍ ولا خِلافٍ، ولكن من باب مواجهة العلماء المصلحين للمُفسدين في الأرض، فصار الكلام معهم في مسألة: «فرض الحجاب بالجلباب ـ العباءة، والخمار» من أُصول الدِّين؛ لمواجهة المستغربين المستعلنين بالمنكر دفعًا لشناعتهم وتشنيعهم، وصد غايتهم: «فصل الدين عن الحياة» بالإنكار.

وممّن تصدى لهذا الشيخ أحمد محمد شاكر والشيخ بكر أبو زيد والشيخ محمد إسماعيل المقدم جزاهم اللَّه عن دينه خير الجزاء.

* عود على بدء مع أبي الأشبال الشيخ أحمد محمد شاكر محدث الديار المصرية ـ رحمه اللَّه ـ:

مرة أخرى نعود إلى حدائق أبي الأشبال لنقطف من أزاهيره المؤمنات فيقول ـ رحمه اللَّه ـ ناعيًا على أشقياء الكنانة:

---

(١) «ترجمة أبي عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي» (ص٨٨).

(٢) المقصود به هنا النقاب.

«وليعلم من يريد أن يعلم.. من رجل استولى المبشرون على عقله وقلبه، فلا يَرَى إلا بأعينهم، ولا يسمعُ إلاَّ بآذانهم، ولا يَهتدي إلاَّ بهديهم، ولا ينظرُ إلاَّ على ضوء نارهم يَحسبها نورًا، ثم هو قد سَمَّاه أبواه باسم إسلاميٍّ، وقد عُدَّ من المسلمين ـ أو عليهم ـ في دفاتر المواليد وفي سجلاَّت الإحصاء، فيأبَى إلاَّ أن يدافع عن هذا الإسلام الذي أُلبسهُ جنسيةً ولم يعتقده دينًا، فتراه يتأوَّل القرآن ليخضعه لما تعلَّم من أُستَاذيه، ولا يَرْضَى من الأَحاديث حديثًا يخالف آراءهم وقواعدَهم، يَخْشَى أن تكون حجتُهم على الإسلام قائمةً!! إذْ هو لا يفقه منه شيئًا. أَوْ مِن رجلٍ مثلِ سابقه، إلا أنه أراح نفسه، فاعتنق ما نفثوه في روحه من دين وعقيدة، ثم هو يأبى أن يعرفَ الإسلامَ دينًا أو يعترفَ به، إلاّ في بعض شأنه، في التسمِّي بأسماء المسلمين، وفي شيء من الأَنكحة والمواريث ودفن الموتَى. أَوَ من رجلٍ مسلم عُلِّمَ في مدارسَ منسوبة للمسلمين، فعرف من أنواع العلوم كثيرًا، ولكنه لم يعرف من دينه إلاَّ نزرًا أو قشورًا، ثم خدعَتْه مدنية الإفرنج وعلومُهم عن نفسه، فظنّهم بلغوا في المدنية الكمالَ والفضلَ، وفي نظريات العلوم اليقينَ والبداهة، ثم استخفَّه الغُرور، فزعم لنفسه أنه أعرَفُ بهذا الدِّين وأعلمُ من علمائه وحَفَظته وخُلَصَائه، فذهب يضربُ في الدين يمينًا وشمالاً، يرجو أن ينقذه من جمود رجال الدين!! وأن يُصَفيه من أوهام رجال الدين!! أو مِن رجلٍ كَشَفَ عن دخيلة نفسه، وأعلن إلحاده في هذا الدِّين وعداوتَه، ممن قال فيهم القائلُ: «كفروا باللَّه تقليدًا». أَوْ من رجلٍ ممن ابتُلِيَتْ بهمُ الأُمةُ المصرية في هذا العصر، ممن يسمّيهم أخونا النابغةُ الأديبُ الكبيرُ كامل كيلاني «المجدِّدينات»(١) .. أَو مِن رجلٍ، أَوْ مِن

(١) هكذا ـ واللَّه ـ سماهم هذا الاسم العجيب، وحين سأله سائل عن معنى هذه التسمية، أجاب بجواب أعجب وأبدع: هذا جمع مخنث سالم! فأقسم له سائله أن اللغة العربية في أشد الحاجة إلى هذا الجمع في هذا الزمن!!» انتهى.

رجل. . »[1] انتهى كلامه ـ رحمه اللَّه تعالى ـ.

◘ إليك هذا البيان النفيس للشيخ أحمد شاكر ـ رحمه اللَّه تعالى ـ عند حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «**ما من امرأة تطيبت للمسجد فيقبل اللَّه لها صلاة حتى تغتسل منه اغتسالها من الجنابة**» رواه أحمد، قال ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في تحقيقه للمسند: (١٥/١٠٨ ـ ١٠٩) ما نصه: «وانظر ـ أيها الرجل المسلم ـ وانظري ـ أيتها المرأة المسلمة ـ هذا التشديد من رسول اللَّه ﷺ في خروج المرأة متطيبة تريد المسجد لعبادة ربها: أنها لا تقبل لها صلاة إن لم تغتسل من الطيب كغسل الجنابة، حتى يزول أثر الطيب.

◘ انظروا إلى هذا، وإلى ما يفعل نساء عصرنا المتهتكات الفاجرات والداعرات، وهنّ ينتسبن إلى الإسلام زورًا وكذبًا. يساعدهن الرجال الفجار الأجرياء على اللَّه وعلى رسوله وعلى بديهيات الإسلام، ويزعمون جميعًا أن لا بأس بسفور المرأة، وبخروجها عارية باغية، وباختلاطها بالرجال في الأسواق وأماكن اللهو والفجور، ويتجرءون جميعًا فيزعمون أن الإسلام لم يحرم عليها السفر في البعثات التي يسمونها «علمية»، ويجيزون لها أن تتولى المناصب السياسية.

◘ بل انظروا إلى منظر هؤلاء الفواجر في الأسواق والطرقات، وقد كشفن عن عوراتهن التي أمر اللَّه ورسوله بسترها، فترى المرأة وقد كشفت عن رأسها متزينة متهتكة، وكشفت عن ثدييها، وعن صدرها وظهرها، وعن إبطيها وما تحت إبطيها، وتلبس الثياب التي لا تستر شيئًا، والتي تشف عما تحتها، وتظهره في أجمل مظهر لها. بل إننا نرى هذه المنكرات في نهار شهر رمضان، لا يستحين، ولا يستحي من استرعاه اللَّه إياهن من الرجال، بل من

(١) «مقدمة تحقيق جامع الترمذي» (١/٧١ ـ ٧٢).

أشباه الرجال، الديابيث!! ثم قل بعد ذلك: أهؤلاء - رجالٌ ونساءٌ - مسلمون؟! انتهى.

● وصح من حديث أبي واقد الليثي ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال لنسائه في حجته: «**هذه ثم ظهور الحصر**» رواه أحمد وأبو داود.

◻ قال ابن كثير - رحمه اللَّه تعالى - في التفسير: (يعني: ثم الْزَمْنَ ظهور الحُصْر ولا تخرجن من البيوت) انتهى.

◻ وقال الشيخ أحمد شاكر - رحمه اللَّه تعالى - معلقًا على هذ الحديث في: «عمدة التفسير» (٣/ ١١): «فإذا كان هذا في النهي عن الحج بعد حجة الفريضة - على أن الحج من أعلى القُربات عند اللَّه - فما بالك بما يصنع النساء حتى ليخرجن سافرات عاصيات ماجنات إلى بلاد الكفر، وحدهن دون محرم، أو مع زوج أو محرم كأنه لا وجود له! فأين الرجال؟! أين الرجال؟!» انتهى.

● وعن أم سلمة ﷺ أنها قالت: يا رسول اللَّه، تغزو الرجال ولا نغزو، ولنا نصف الميراث؟ فأنزل اللَّه: ﴿**وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾. رواه أحمد والحاكم وغيرهما بسند صحيح.

◻ قال الشيخ أحمد شاكر - رحمه اللَّه تعالى - تعليقًا على هذا الحديث في: «عمدة التفسير» (٣/ ١٥٧): «وهذا الحديث يرد على الكذابين المفترين - في عصرنا - الذين يحرصون على أن تشيع الفاحشة بين المؤمنين، فيخرجون المرأة عن خدرها، وعن صونها وسترها الذي أمر اللَّه به، فيدخلونها في نظام الجند، عارية الأذرع والأفخاذ، بارزة المقدمة والمؤخرة، متهتكة فاجرة!! يرمون بذلك - في الحقيقة - إلى الترفيه الملعون عن الجنود الشبان المحرومين من النساء في الجندية، تشبهًا بفجور اليهود والإفرنج، عليهم لعائن اللَّه المتابعة إلى يوم القيامة» اهـ.

□ وقال الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في تحقيق «المسند» (١٤/ ٢٣٦) عند حديث أبي هريرة ﷺ في رؤية المخطوبة: «وهذا الحديث ـ وما جاء في معنى رؤية الرجل لمن أراد خطبتها ـ مما يلعب به الفجار الملاحدة من أهل عصرنا، عبيد أوربة، وعبيد النساء، وعبيد الشهوات. يحتجون به في غير موضع الحجة، ويخرجون به عن المعنى الإسلامي الصحيح: أن ينظر الرجل نظرة عابرة غير متقصية. فيذهب هؤلاء الكفرة الفجرة إلى جواز الرؤية الكاملة المتقصية، بل زادوا إلى رؤية ما لا يجوز رؤيته من المرأة، بل انحدروا إلى الخلوة المحرمة، بل إلى المخادنة والمعاشرة، لا يرون بذلك بأسًا. قبحهم اللَّه، وقبح نساءهم ومن يرضى بهذا منهم. وأشدّهم إثمًا في ذلك من ينتسبون إلى الدين، وهو منهم براء، عافانا اللَّه، وهدانا إلى الصراط المستقيم» انتهى.

* حارس الفضيلة من أرض الجزيرة الشيخ بكر أبو زيد:

□ للَّه دره من حافظ للهوية وحارس للفضيلة كشف دعاوي المستغربين إلى الرذيلة وبيّن أن حياة المسلمين المتمسكين بدينهم اليوم حياة محفوفة بالأخطار من كل جانب، بجلب أمراض الشبهات في الاعتقادات والعبادات، وأمراض الشهوات في السلوك والاجتماعات، وتعميقها في حياة المسلمين في أسوأ مخطط مسخّر لحرب الإسلام، وأسوأ مؤامرة على الأُمة الإسلامية، تبناها: «النظام العالمي الجديد» في إطار: «**نظرية الخلط**»[1] بين الحق والباطل، والمعروف والمنكر، والصالح والطالح، والسنة والبدعة، والسني والبدعي، والقرآن والكتب المنسوخة المحرفة كالتوراة والإنجيل، والمسجد والكنيسة، والمسلم والكافر، ووحدة الأديان: و«**نظرية الخلط**» هذه، أنكى مكيدة؛

(١) وهي المسمّاة في عصرنا: «العَوْلَمة»؟ أو «الشَّوْملة» أو «الكوكبة».

لتذويب الدِّين في نفوس المؤمنين، وتحويل جماعة المسلمين إلى سائمة تُسَام، وقطيعٍ مهزوزِ اعْتِقَادُه، غارق في شهواته، مستغرق في ملذاته، متبلد في إحساسه، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، حتى ينقلب منهم من غلبت عليه الشقاوة على عقبية خاسرًا، ويرتد منهم من يرتد عن دينه بالتدريج.

❏ كل هذا يجري باقتحام الولاء والبراء، وتَسريب الحب والبغض في اللَّه، وإلجام الأقلام، وكف الألسنة عن قول كلمة الحق، وصناعة الاتهامات لمن بقيت عنده بقية من خير، ورميه بلباس: «الإرهاب» و«التطرف» و«الغلو» و«الرجعية» إلى آخر ألقاب الذين كفروا للذين أسلموا، والذين اسغربوا للذين آمنوا وثبتوا، والذين غلبوا على أمرهم للذين استُضعفوا.

❏ ومن أشأم هذه المخاطر، وأشدّها نفوذًا في تمييع الأمة وإغراقها في شهواتها، وانحلال أخلاقها، سعي دعاة الفتنة، الذين تولوا عن حماية الفضائل الإسلامية في نسائهم ونساء المؤمنين، إلى مدارج الفتنة، وإشاعة الفاحشة ونشرها، وعدلوا عن حفظ نقاء الأعراض وحراستها إلى زلزلتها عن مكانتها، وفتح أبواب الأطماع في اقتحامها، كل هذا من خلال الدعوات الآثمة، والشعارات المضللة باسم: «حقوق المرأة» و«حريتها» و«مساواتها بالرجل» وهكذا.. من دعوات في قوائم يطول شرحها، تناولوها بعقول صغيرة، وأفكار مريضة، يترجلون بالمناداة إليها في بلاد الإسلام، وفي المجتمعات المستقيمة؛ لإسقاط الحجاب وخلعه، ونشر التبرج، والسفور، والعري، والخلاعة، والاختلاط، حتى يقول لسان حال المرأة المتبرجة: «هَيْتَ لكم أيها الإباحيون».

❏ وقد تلطفوا في المكيدة، فبدءوا بوضع لبنة الاختلاط بين الجنسين في رياض الأطفال، وبرامج الأطفال في وسائل الإعلام، وركن التعارف بين الأطفال، وتقديم طاقات - وليس باقات - الزهور من الجنسين في

الاحتفالات، وهكذا يُخْتَرَقُ الحجاب، ويُؤسَّسُ الاختلاط، بمثل هذه البدايات التي يستسهلها كثير من الناس!!

□ وكثير من الناس تغيب عنهم مقاصد البدايات، كما تغيب عنهم معرفة مصادرها، كما في تجدد: «الأزياء» ـ الموضة ـ الفاضحة، الهابطة، فإنها من لدن: «البغايا» اللائي خسرن أعراضهن، فأخذن بعرض أنفسهن بأزياء متجددة، هي غاية في العُري والسفالة، وقد شُحنت بها الأسواق، وتبارى النساء في السبق إلى شرائها، ولو علموا مصدرها المتعفن؛ لتباعد عنها الذين فيهم بقية من حياء.

□ ومن البدايات المحرمة: إلباس الأطفال الملابس العارية؛ لما فيها من إيلاف الأطفال على هذه الملابس والزينة بما فيها من تشبه وعُريٍ وتهتك.

□ وهكذا سلكوا شتى السبل، وصاحوا بسفور المرأة وتبرجها من كل جانب، بالدعوة تارة، وبالتنفيذ تارة، وبنشر أسباب الفساد حتى صار الناس في أمر مريج، وَتَزَلْزَلَ الإيمان في نفوس كثيرين، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العزيز الحكيم.

□ إذًا، لا بد من كلمة حق ترفع الضَّيْمَ عن نساء المؤمنين، وتدفع شر المستغربين المعتدين على الدين والأمة، وتُعلِنُ التذكير بما تعبّد اللَّه به نساء المؤمنين من فرض الحجاب، وحفظ الحياء والعفة والاحتشام، والغيرة على المحارم، والتحذير مما حرمه اللَّه ورسوله من حرب الفضيلة بالتبرج والسفور والاختلاط، وتفقأُ الحصرم في وجوه خونة الفضيلة، ودعاة الرذيلة، ليقول لسان حال العفيفة:

إِليكَ عنـي، إِليكَ عني فَلَسْتُ منك ولَسْتَ مني[1]

(١) «حراسة الفضيلة» للشيخ بكر أبو زيد (ص٥ ـ ٩) سلسلة الدعوة والإرشاد.

* **كشف دعاة المرأة إلى الرذيلة:**

□ قال أبو محمد عبدالحق الإشبيلي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ:

لاَ يَخْدَعَنَّكَ عن دِيْنِ الهُدى نَفَرٌ
لَمْ يُرْزَقُوا في التماس الحق تأييدا
عُمْي القلوب عَرُوا عن كل فَائِدَةٍ
لأنهم كفروا باللَّه تَقْلِيْـداً(١)

□ يقول الشيخ بكر أبو زيد بعد ذكره لأصول الفضيلة وحراستها:

أمَّا بَعْدُ: فهذه هي الفضيلة لنساء المؤمنين، وهذه هي الأصول التي تقوم عليها وتحرسها من العدوان عليها، لكن بعض مَنْ في قلوبهم مرض، يأبون إلا الخروج عليها، بنداءاتهم المعلنة في ذلك، فمعاذ اللَّه أن يَمُرَّ على السمع والبصر، إعلانُ المنكر والمناداةُ به، وهضمُ المعروف والصَّدُّ عنه، ولا يكون للمصلحين مِنَّا في وجه هذا العدوان صَوْتٌ جَهِيْرٌ بإحسان يَبْلُغُ الحاضر والباد؛ إقامةً لشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي به يُنَافَحُ عن الدِّين، ويَنْصح للمسلمين عن التردي في هوة صيحات العابثين، وبه تُحْرَسُ الفضائل، وتكبت الرذائل، ويؤخذ على أيدي السفهاء. ومعلوم أن فُشُوَّ المنكرات يكون بالسكوت عن الكبائر والصغائر، وبتأويل الصغائر. لا سيما ونحن نُشَاهِدُ كَظِيظًا من زِحَام المعدومين المجهولين من أهل الرِّيَب والفِتَن، المستغربين المُسَيَّرين بحمل الأقلام المتلاعبة بدين اللَّه وشرعه، يختالون في ثياب الصحافة والإعلام، وقد شرحوا بالمنكر صدرًا، فانبسطت ألسنتهم بالسوء، وجَرَت أقلامهم بالسُّوأى، وجميعها تلتئم على معنى واحد: التطرف الجنوني في مزاحمة الفطرة، ومنابذة الشريعة، وجَرِّ أذيال الرذائل على نساء

(١) «الحديقة» لمحب الدين الخطيب.

المسلمين، وتفريغهن من الفضائل، بدعوتهم الفاجرة في بلاد الإسلام إلى: «حرية المرأة» و«المساواة بين المرأة والرجل في جميع الأحكام»؛ للوصول إلى: «جريمة التبرج والاختلاط» و«خلع الحجاب» ونداءاتهم الخاسرة من كل جانب بتفعيل الأسباب لخلعه من البقية الباقية في نساء المسلمين، اللائي أسلمن الوجه للَّه ـ تعالى ـ وسَلَّمْن القيادة لمحمد بن عبداللَّه ﷺ.

◻ نسأل اللَّه لنا ولهن الثبات، ونبرأ إلى اللَّه من الضلالة، ونعوذ به سبحانه من سوء المنقلب.

◻ وهؤلاء الرُّماة الغاشُّون لأمتهم، المشئومون على أهليهم وبني جنسهم بل على أنفسهم، قَدْ عَظُمَت جَرَاءتُهم، وتَلَوَّنَ مكرُهم، بكلمات تخرج من أفمامهم، وتَجْري بها أقلامهم؛ إذ أخذوا يهدمون في الوسائل، ويخترقون سَدَّ الذرائع إلى الرذائل، ويتقحَّمون الفضائل، ويهوِّنون من شأنها، ويسخرون منها ومن أهلها..

نعم قد كتب أولئك المستغربون في كل شئون المرأة الحياتية، وخاضوا في كل المجالات العملية، إلا في أمومتها، وفطرتها، وحراسة فضيلتها.

◻ كل هذا البلاء المتناسل، واللَّغو الفاجر، وسَقَط القول المتآكل، تفيض به الصُّحف وغيرها باسم التباكي والانتصار للمرأة في حقوقها، وحريتها، ومساواتها بالرجل في كل الأحكام، حتى يصل ذوو الفَسَالَة المستغربون إلى هذه الغاية الآثمة: إنزال المرأة إلى جميع ميادين الحياة، والاختلاط، وخلع الحجاب، بل لتمد المرأة يدها بطوعها إلى وجهها، فتسفع عنه خمارها مع ما يتبعه من فضائل.

◻ وإذا خُلِع الحجاب عن الوجه فلا تسأل عن انكسار عيون أهل الغيرة، وتقلص ظِلِّ الفضيلة وانتشار الرذيلة، والتحلل من الدين، وشيوع التبرج والسفور والتهتك والإباحية بين الزناة والزواني، وأن تهب المرأة نفسها

لمن تشاء.

* وفي تفسير ابن جرير عند قول اللَّه ـ تعالى ـ: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾ [النساء: ٢٧].

□ قال مجاهد بن جبر ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾، قال: الزناة، ﴿أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾، قال: يزني أهل الإسلام كما يزنون، قال: هي كهيئة: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩] انتهى.

□ ويتصاعد شأن القضية؛ من قضية المرأة إلى قضية إفساد العالم الإسلامي، وهذه الخطة الضالة ليست وليدة اليوم، فإنها جادة الذين مكروا السيئات من قبل في عدد من الأقطار الإسلامية، حتى آلت الحال ـ واحسرتاه ـ إلى واقع شاع فيه الزنا، وشُرِعت فيه أبواب بيوت الدعارة ودور البِغَاء بأذون رسمية. وعمرت خشبات المسارح بالفن الهابط من الغِناء والرقص والتمثيل، وسُنَّت القوانين بإسقاط الحدود، وأن لا تعزير عن رضا، وهكذا.. من آثار التدمير في الأعراض، والأخلاق والآداب.

□ ولا ينازع في هذا الواقع الإباحي الأثيم إلا من نزع اللَّه البصيرة من قلبه.

□ فهل يُريد أُجَراء اليوم أن تصل الحال إلى ما وصلت إليه البلاد الأخرى من الحال الأخلاقية البائسة، والواقع المرِّ الأثيم؟!

□ أمام هذا العدوان السافر على الفضيلة، والانتصار الفاجر للرذيلة، وأمام تجاوز حدود اللَّه، وانتهاك حرمات شرعه المطهر، نُبَيِّنُ للناس محذِّرين من دخائل أعدائهم: أن في الساحة أُجَراءَ مستغربين، ولهم أتباع أَجْراءُ من سَذَجة الفساق، أتباع كل ناعق، يُفَوِّقُوْن سهامهم لاستلاب الفضيلة من نساء

المؤمنين، وإنزال الرذيلة بهن، ويجمع ذلك كُلَّه قَوْلُ اللَّه تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾ [النساء: ٢٧].

□ قال ابن جرير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: (٨/ ٢١٤ ـ ٢١٥): «معنى ذلك: ويريد الذين يتبعون شهوات أنفسهم من أهل الباطل وطلاب الزنا ونكاح الأخوات من الآباء، وغير ذلك مما حرمه اللَّه ﴿أَن تَمِيلُوا﴾ عن الحق، وعما أذن اللَّه لكم فيه، فتجوروا عن طاعته إلى معصيته، وتكونوا أمثالهم في اتباع شهوات أنفسكم فيما حرم اللَّه وترك طاعته ﴿مَيْلاً عَظِيماً﴾.
وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب؛ لأن اللَّه ـ عز وجل ـ عَمَّ بقوله: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ فوصفهم باتباع شهوات أنفسهم المذمومة، وعمهم بوصفهم بذلك، من غير وصفهم باتباع بعض الشهوات المذمومة، فإذا كان ذلك كذلك، فأولى المعاني بالآية ما دل عليه ظاهرها، دون باطنها الذي لا شاهد عليه من أصل أو قياس، وإذا كان ذلك كذلك كان داخلاً في الذين يتبعون الشهوات: اليهود، والنصارى، والزناة، وكل متبع باطلاً؛ لأن كُلَّ مُتَّبِعٍ ما نهاه اللَّه عنه مُتَّبِعٌ شهوةَ نفسِه، فإذا كان ذلك بتأويل الآية الأولى، وجبت صحة ما اخترنا من القول في تأويل ذلك» انتهى.

□ وقد سلك أولئك الجناة لهذا خطة غضبية ضالة في مجالات الحياة كافة، بلسان الحال أو بلسان المقال:

● **ففي مجال الحياة العامة:**

١ ـ الدعوة إلى خلع الحجاب عن الوجه: «الخمار»، والتخلص من الجلباب «الملاءة». ويقال: «العباءة».

وهذا بلسان الحال دعوة إلى خلع الحجاب عن جميع الجسد، ودعوة إلى اللباس الفاتن، بأنواعه: الفاتن في شكله، والتعري بلبس القصير،

والضيق الواصف للأعضاء، والشفاف الذي يَشُفُّ عن جسد المرأة.

ودعوة إلى التشبه بالرجال في اللباس.

ودعوة إلى التشبه بالنساء الكوافر في اللباس.

٢ ـ الدعوة إلى منابذة حجب النساء في البيوت عن الأجانب بالاختلاط في مجالات الحياة كافة.

وفيه:

٣ ـ الدعوة إلى دمج المرأة في جميع مجالات تنمية الحياة.

وهذا دعوة إلى ظهور المرأة في الطرقات والأماكن العامة متبرجةً سافرةً.

٤ ـ الدعوة إلى مشاركتها في الاجتماعات، واللجان، والمؤتمرات، والندوات، والاحتفالات والنوادي.

وفي هذا دعوتها إلى الخضوع بالقول، والملاينة في الكلام، ودعوتها إلى مصافحة الرجل الأجنبي عنها، ومنها مصافحتها لخطيبها ولَمَّا يُعْقَد بينهما.

ودعوة لها إلى خروجها من بيتها أمام الأجانب في حال تُثير الفتنة في اللباس، والمشية، وإعمال المساحيق، والتضمخ بالطيب، ولبس ما يجعلهن كَواعِبَ، ولبس الكعب العالي، وهكذا من وسائل الإغراء والإثارة والفتنة.

٥ ـ الدعوة إلى فتح النوادي لهن، والأمسيات الشعرية، والدعوة للجميع.

٦ ـ الدعوة إلى فتح مقاهي الإنترنت النسائية المختلطة.

٧ ـ الدعوة إلى قيادتها السيارة والآلات الأخرى.

٨ ـ الدعوة إلى التساهل في المحارم، ومنها:

ـ الدعوة إلى سفر المرأة بلا محرم، ومنه سفرها غربًا وشرقًا للتعلم بلا محرم، وسفرها لمؤتمرات: «رجالات الأعمال».

٩ ـ الدعوة إلى الخلوة بالأجنبية، ومنها خلوة الخاطب بمخطوبته ولَمَّا يُعقد بينهما.

١٠ ـ الدعوة إلى قيامها بالفَنِّ، ومنه:

١١ ـ الدعوة إلى قيامها بدورها في الفن، والغناء، والتمثيل.

وهذا ينتهي بالدعوة إلى مشاركتها في اختيار ملكة الجمال.

١٢ ـ الدعوة إلى مشاركتها في صناعة الأزياء الغربية.

١٣ ـ الدعوة إلى فتح أبواب الرياضة للمرأة، ومنه:

ـ المطالبة بإنشاء فريق كرة قدم نسائي.

ـ المطالبة بركوب النساء الخيل للسباق.

ـ المطالبة برياضة النساء على الدراجات العادية والنارية.

١٤ ـ فتح المسابح لهن في المراكز والنوادي وغيرها.

١٥ ـ وفي شَعْر المرأة: ضروب من الدعايات الآثمة، كالتنمص في الحاجبين، وقص شعر الرأس تشبهًا بالرجال، وبالنساء الكافرات، وفتح بيوت الكوافير لهن.

● **وفي مجال الإعلام:**

١٦ ـ تصوير المرأة في الصحف والمجلات.

١٧ ـ خروجها في التلفاز مغنية، وممثلة، وعارضة أزياء، ومذيعة، وهكذا.

١٨ ـ عرض برامج مباشرة تعتمد على المكالمات الخاضعة بالقول بين النساء والرجال في الإذاعة والتلفاز.

١٩ ـ ترويج المجلات الهابطة المشهورة بنشر الصور النسائية الفاتنة.

٢٠ ـ استخدام المرأة في الدعاية والإعلان.

٢١ ـ الدعوة إلى الصداقة بين الجنسين عبر برامج في أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة، وتبادل الهدايا بالأغاني وغيرها.

٢٢ ـ إشاعة صور القُبُلات والاحتضان بين الرجال وزوجاتهم على مستوى الزعماء والوزراء في وسائل الإعلام المتنوعة.

● **وفي مجال التعليم:**

٢٣ ـ الدعوة إلى التعليم المختلط في بعضها إلى الصفوف الدنيا منه.

٢٤ ـ الدعوة إلى تدريس النساء للرجال وعكسه.

٢٥ ـ الدعوة إلى إدخال الرياضة في مدارس البنات.

وهذا داعية إلى المطالبة بفتح: «مدرسة الفنون الجميلة» للنساء.

● **وفي مجال العمل والتوظيف:**

٢٦ ـ الدعوة إلى توظيف المرأة في مجالات الحياة كافة بلا استثناء كالرجال سواء.

٢٧ ـ ومنه الدعوة إلى عملها في: المتاجر، والفنادق، والطائرات، والوزارات، والغُرف التجارية، وغيرها كالشركات، والمؤسسات.

٢٨ ـ الدعوة إلى إنشاء مكاتب نسائية للسفر والسياحة، وفي الهندسة والتخطيط.

وهذا داعية إلى الدعوة إلى عمل المرأة في المهن الحرفية كالسباكة، والكهرباء، وغيرها.

٢٩ ـ الدعوة إلى جعل المرأة مندوبة مبيعات.

والدعوة إلى إدخالها في نظام الجندية والشُّرط.

والدعوة إلى إدخالها في السياسة في المجالس النيابية، والانتخابات، والبرلمانات.

والدعوة إلى إيجاد مصانع للنساء.

٣٠ ـ الدعوة إلى توظيفهن في التوثيق الشرعي، وفتح أقسام نسائية في المحاكم.

◻ وهكذا.. في سلسلة طويلة من المطالبات، التي تنتهي ـ أيضًا ـ بما لم يطالب به، نسأل اللَّه سبحانه أن يبطل كيدهم، وأن يكف عن المسلمين شَرَّهم، لا إله إلا هو»(١).

◻ ثم قال الشيخ: «هذه مُثُلٌ من دعوات الأخسرين أعمالاً في: «شأن المرأة» رَكَّزت عليها الصحافة بوقاحة خلال عام ١٤١٩، جرى استخلاصها من ثمانِ إضْبَارات، كل قصاصة فيها تحمل اسم الصحيفة، وعددها، وأسماء كتابها، وهم أمشاج مبتلون بهذا التغريب، وبعضهم أضاف إلى هذا الفجور فجورًا آخر من السخرية بالحجاب والمتحجبات، وكلمات نابية في بعض أحكام الشريعة الغراء، وحملتها، إلى غير ذلك من مواقف نرى أن أصحابها على خطر عظيم يتردد بين الكفر والنفاق والفسوق والعصيان.

◻ وكانت هذه الأذايا تثار في وقت مضى، واحدة تلو الأخرى بعد زمن، ويقضي عليها العلماء في مهدها ويصيحون بأهلها من أقطار الأرض ويرمون في آثارهم بالشُّهب، وفي أيامنا هذه كَفَأَ الجُنَاة المِكتَل مَمْلُوءًا بهذه الرذائل في بضعة شهور بكل قوة وجرأة واندفاع، ومن خبيث مكرهم تَحَيُّن الإلقاء بها في أحوال العُسْر والمَكْرَه، وزحمة الأحداث.

وهذه الدعوات الوافدة المستوفدة قد جمعت أنواع التناقضات ذاتًا،

---

(١) «حراسة الفضيلة» (ص١٤٣ ـ ١٥٤).

وموضوعًا، وشكلاً.

□ عَارٌ - واللَّه - أن يصبح توجيه الأخلاق في هذا العصر بأقلام هذه الفئة المضَلِّلة المسَيَّرة، التي خالفت جماعة المسلمين، وفارقت سبيلهم، واشتغلت بتطميس الحق، ونصرة الهوى، عليهم من اللَّه ما يستحقون، وحسابهم عند ربهم، ونحذرهم سطوة اللَّه وغضبه ومقته، ولن يغلب اللَّه غالب، ونتلو عليهم قول اللَّه - تعالى -: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

* وقول اللَّه تعالى: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٦-١١٧].

● وهؤلاء الصَّخّابون في أعمدة الصحف على مسامع الملأ يبغضهم اللَّه، ويمقتهم سبحانه، كما ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: «**إن اللَّه يبغض كُلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوّاظٍ** - أي: مختال متعاظم - **سَخَّابٍ بالأسواق، جِيفَةٍ بالليل حِمَار بالنهار، عالمٍ بأمر الدنيا، جاهل بأمر الآخرة**» رواه ابن حبان في صحيحه.

□ قال الشيخ العلامة المحدث أحمد بن محمد شاكر المتوفى سنة ١٣٧٧ - رحمه اللَّه تعالى - في تعليقه على «صحيح ابن حبان» (١/ ٢٣٠):

«وهذا الوصف النبوي الرائع، الذي سما بتصويره إلى القمة في البلاغة والإبداع، لهؤلاء الفئام من الناس - أستغفر اللَّه، بل من الحيوان -: تجده كل يوم في كثير ممن ترى حولك، ممن ينتسبون إلى الإسلام، بل تراه في كثير من عظماء الأمم الإسلامية، عظمة الدنيا لا الدين، بل لقد تجده فيمن يلقبون منهم أنفسهم بأنهم «علماء» ينقلون اسم العلم عن معناه الإسلامي الحقيقي،

المعروف في الكتاب والسنة، إلى علوم من علوم الدنيا والصناعات والأموال، ثم يملأهم الغرور، فيريدون أن يحكموا على الدين بعلمهم الذي هو الجهل الكامل، ويزعمون أنهم أعرف بالإسلام من أهله، وينكرون المعروف منه، ويعرفون المنكر، ويردون من يرشدهم أو يرشد الأمة إلى معرفة دينها ردًّا عنيفًا، يناسب كل جعظري جواظ منهم. فتأمل هذا الحديث واعقله، تر‌هم أمامك في كل مكان» انتهى.

◘ إن هذه المطالب المنحرفة، تُسَاق باسم: «تحرير المرأة» في إطار نظريتين هما: «حرية المرأة» و«المساواة بين المرأة والرجل» وهما نظريتان غربيتان باطلتان شرعًا وعقلاً، لا عهد للمسلمين بهما، وهما استجرار لجادة الأخسرين أعمالاً، الذين بغوا من قبل في أقطار العالم الإسلامي الأخُرى، فَسَعوا تحت إطارهما في فتنة المؤمنات في دينهن، وإشاعة الفاحشة بينهن؛ إذ نادوا بهذه المطالب المنحرفة عن سبيل المؤمنين، ثم صرحوا بنقطة البداية: «خلع الحجاب عن الوجه» ثم باشروا التنفيذ لخلعه، ودوسه تحت الأَقدام، وإحراقه بالنار، وعلى إثر هذه الفعلات، صدرت القوانين آنذاك في بعض الجمهوريات مثل: تركيا، وتونس، وإيران، وأفغانستان، وألبانيا، والصومال، والجزائر، بمنع حجاب الوجه، وتجريم المتحجبة، وفي بعضها معاقبة المتحجبة بالسجن والغرامة المالية؟؟!

◘ وهكذا يُساق الناس إلى الرذائل والتغريب بعصا القانون، حتى آلت حال كثير من نساء المؤمنين في العالم الإسلامي إلى حالٍ تنافس الغرب الكافر في التبرج والخلاعة، والتحلل والإباحية، وفتح دور الزنى بأذون رسمية، حتى جعلوا للبغاء ـ فوق الإباحة ـ نظامًا رسميًّا لتأمين الزاني والزانية؟! وما تبع ذلك من إسقاط الحدود، وانتشار الزنى، وفقد المرأة بكارتها في سن مبكر، بل صار الزِّنى بالقريبات، وزواج المرأة بالمرأة الأخرى، وتأجير

الأرحام؟!

□ وأَعقَبَ ذلك! بَذْلُ وسائل منع الحمل، وتكثيف الدعاية لها في الصحافة، مع فقدان أولى وسائل التحفظ: عدم الصرف إلا بوصفة طبيب لامرأة ذات زوج بإذنه عند الاقتضاء الطبي، وقد ارتفعت الجريمة بين النساء وتَعَدَّدَت حالات الانتحار في صفوفهن، لِتَحطُّم معنوياتهن.

□ كما أَعْقَبَ ذلك: تحديد النسل، ومنع تعدد الزوجات، وتبني غير الرشدة ـ اللقطاء ـ واتخاذ الخدينات، حتى بلغت الحال اللعينة أن من وجدت معه امرأة فادّعى أنها صديقته أُطْلِق سراحه، وإن أَقَرَّ أنها زوجة ثانية طبق بحقه القانون اللعين؟!

□ فما شرعه اللَّه من الزواج والنسل هو على التحديد في القانون، وما حرمه اللَّه من اتخاذ الخدينات، وتبني اللقطاء، على الإباحة المطلقة قانونًا؟!

فأين هم من قول اللَّه تعالى: ﴿**وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ**﴾ [النور: ٢]؟.

□ وتصاعد لِقَاءَ هذه الإباحية، عددُ العوانس، وعدد المطلقات لأتفه الأسباب، وانخفض عدد المواليد الشرعيين؛ لما فيهم ـ زعموا ـ من إشغال الأم عن عملها خارج دارها، وارتفع عدد اللقطاء ـ المواليد سفاحًا ـ وانتشرت الأمراض المزمنة التي أعيا الأطباء علاجها.

فَغَرَّبوا ـ حَسْبُهم اللَّهُ ـ جماعة المسلمين، وأثخنوهم بجراح دامية في العرض والدين، وأشمتوا بأمتهم الكافرين، وأَثَّمُوهم، وأبعدوهم عن دينهم، وتولوا هم عن دينهم الحق، وخدموا الكفرة من اليهود والنصارى والملاحدة الشيوعيين وغيرهم، والْتَقَت الداران: دار الإسلام مع دار الكفر، على هذه البهيمية الساقطة، حتى لا يكاد المسلم أن يُفَرِّق في ذلك بين الدارين، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون.

◻ ويقول ـ حفظه اللَّه ـ: كانت أول شرارة قُدحت لضرب الأمة الإسلامية هي في سفور نسائهم عن وجوههن، وذلك على أرض الكنانة، في مصر، حين بعث والي مصر محمد علي باشا البعوث إلى فرنسا للتعلم، وكان فيهم واعظ البعوث: رفاعة رافع الطهطاوي المتوفى سنة ١٢٩٠، وبعد عودته إلى مصر، بذر البذرة الأولى للدعوة إلى تحرير المرأة، ثم تتابع على هذا العمل عدد من المفتونين المستغربين ومن الكفرة النصارى، منهم:

الصليبي النصراني مرقس فهمي الهالك سنة ١٣٧٤ في كتابه: «المرأة في الشرق» الذي هدف فيه إلى نزع الحجاب، وإباحة الاختلاط.

◻ وأحمد لطفي السيد الهالك سنة ١٣٨٢، وهو أول من أدخل الفتيات المصريات في الجامعات مختلطات بالطلاب، سافرات الوجوه، لأول مرة في تاريخ مصر، يناصره في هذا عميد التغريب: طه حسين الهالك سنة ١٣٩٣.

◻ وقد تولى كبر هذه الفتنة داعية السفور: قاسم أمين الهالك سنة ١٣٢٦ الذي ألف كتابه «تحرير المرأة» وقد صدرت ضده معارضات العلماء، وحكم بعضهم بردته، بمصر، والشام، والعراق، ثم حصلت له أحوال ألف على إثرها كتابه: «المرأة الجديدة» أي تحويل المسلمة إلى أوربية.

◻ وساعد على هذا التوجه من البلاط الملكة نازلي عبدالرحيم ضبري، وهذه قد تنصرت وارتدت عن الإسلام.

ثم منفذ فكر قاسم أمين داعية السفور: سعد زغلول الهالك سنة ١٣٤٦، وشقيقه أحمد فتحي زغلول الهالك سنة ١٣٣٢.

◻ ثم ظهرت الحركات النسائية بالقاهرة لتحرير المرأة عام ١٩١٩ برئاسة هدى شعراوي الهالكة سنة ١٣٦٧، وكان أول اجتماع لهن في الكنيسة المرقصية بمصر سنة ١٩٢٠م، وكانت هدى شعراوي أول مصرية مسلمة رفعت الحجاب ـ نعوذ باللَّه من الشقاء ـ في قصة تمتلئ النفوس منها حسرة

وأسى، ذلك أن سعد زغلول لما عاد من بريطانيا مُصَنَّعًا بجميع مقومات الإفساد في الإسلام، صُنِعَ لاستقباله سرادقان، سرادق للرجال، وسرادق للنساء، فلما نزل من الطائرة عَمَدَ إلى سرادق النساء المتحجبات واستقبلته هدى شعراوي بحجابها ـ لينزعه ـ فَمدَّ يده ـ يا ويلهما ـ فنزع الحجاب عن وجهها، فصفق الجميع ونزعن الحجاب.

□ واليوم الحزين الثاني؛ أن صفية بنت مصطفى فهمي زوجة سعد زغلول، التي سماها بعد زواجه بها: صفية هانم سعد زغلول، على طريقة الأوربيين في نسبة زوجاتهم إليهم، كانت في وسط مظاهرة نسائية في القاهرة أمام قصر النيل، فخلعت الحجاب مع من خلعنه، ودُسْنَه تحت الأقدام، ثم أشعلن به النار؛ ولذا سمي هذا الميدان باسم: «ميدان التحرير».

□ وهكذا تتابع أشقياء الكنانة، إحسان عبدالقدوس، ومصطفى أمين، ونجيب محفوظ، وطه حسين، ومن النصارى: شبلي شميل، وفرح أنطون ـ نعوذ بالله من الشقاء وأهله ـ يؤازرهم في هذه المكيدة للإسلام والمسلمين الصحافة؛ إذ كانت هي أولى وسائل نشر هذه الفتنة، حتى أُصْدِرَتْ مجلة باسم «مجلة السفور» نحو سنة ١٩٠٠م، وهرول الكتاب الماجنون بمقالاتهم القائمة على المطالبة بما يُسند السفور والفساد، ويهجم على الفضائل والأخلاق من خلال وسائل الإفساد الآتية:

نشر صور النساء الفاضحة، والدمج بين المرأة والرجل في الحوار والمناقشة، والتركيز على المقولة المحْدَثَة الوافدة: «المرأة شريكة الرجل» أي: الدعوة إلي المساواة بينهما. وتسفيه قيام الرجل على المرأة، وإغراؤها بنشر الجديد في الأزياء الخليعة ومحلات الكوافير، وبرك السباحة النسائية، والمختلطة، والأندية الترفيهية، والمقاهي، ونشر الحوادث المخلة بالعرض، وتمجيد الممثلات والمغنيات ورائدات الفن والفنون الجميلة..

يساند هذا الهجوم المنظم أمران: إسنادهم من الداخل، وضعف مقاومة المصلحين لهم بالقلم واللسان، والسكوت عن فُحشهم، ونشر الفاحشة وإسكات الطرف الآخر، وعدم نشر مقالاتهم، أو تعويقها، وإلصاق تُهَم التطرف والرجعية بهم. وإسناد الولايات إلى غير أهلها من المسلمين الأمناء الأقوياء.

◻ هكذا صارت البداية المشئومة للسفور في هذه الأمة بنزع الحجاب عن الوجه ـ وهي مبسوطة موثقة في كتاب: «المؤامرة على المرأة المسلمة» للأستاذ أحمد فرج، وفي كتاب: «عودة الحجاب» (ج/١) للشيخ محمد بن أحمد إسماعيل، ثم أخذت تدب في العالم الإسلامي في ظرف سنوات قلائل، كالنار الموقودة في الهشيم، حتى صدرت القوانين الملزمة بالسفور، ففي تركيا أصدر الملحد أتاتورك قانونًا بنزع الحجاب سنة ١٩٢٠م، وفي إيران أصدر الرافضي رضا بهلوي قانونًا بنزع الحجاب سنة ١٩٢٦م، وفي أفغانستان أصدر محمد أمان قرارًا بإلغاء الحجاب، وفي ألبانيا أصدرأحمد زوغو قانونًا بإلغاء الحجاب، وفي تونس: أصدر أبو رقيبة الهالك سنة ١٩٢١ قانونًا بمنع الحجاب وتجريم تعدد الزوجات، ومن فعل فيعاقب بالسجن سنة وغرامة مالية؟!!

◻ ولذا قال العلامة الشاعر العراقي محمد بهجت الأثري المتوفى سنة ١٤١٦ ـ رحمه اللَّه تعالى ـ:

أبو رقيبة لا امتدتْ لَه رَقَبه لم يتق اللَّه يومًا لا ولا رَقَبَهْ

◻ وكان متولي كبرها هو وآخرون منهم المدعو: الطاهر الحداد المولود سنة ١٣١٧هـ الهالك سنة ١٣٥٣ حين أَلَّف كتابه: «امرأتنا في الشريعة والمجتمع» بين عام ١٩٢٠م ـ ١٩٣٠م يدعو فيه إلى تحرير المرأة، وقيل: بل هو من تأليف النصراني الأب سلام، تحمله الطاهر الحداد، وفي آخره أثار

اثني عشر سؤالاً أجاب عليها عدد من المفتين وقد حكم عليه مفتيا المالكية بالمروق من الدين، وبسببه حُرِمَ من الامتحان في كلية الحقوق بأمر حكومي، ثم أُصيب بالعزلة ونبذه الناس بسبب كتابه هذا حتى مات سنة ١٣٥٣ غير مُشَيَّع إلا من أهله وعدد من أصدقائه، وكان مولعًا بالغناء، والتردد على المقاهي، والانتماء إلى المذهب الاشتراكي. ثم ركزت الصحافة على نشر ما في الكتاب من الطوام، وما زالوا كذلك حتى تحولت تونس إلى «جسم مريض» بالسفور والحسور وتجد تفاصيل هذه المعركة الإلحادية على: «الحجاب» و«العفة» في كتاب لا يُفرح به في نحو أربعمائة صفحة فإنا للّٰه وإنا إليه راجعون[1] .

❑ وفي العراق، تولى كبر هذه القضية ـ المناداة بنزع الحجاب ـ الزهاوي والرُّصافي، نعوذ باللّٰه من حالهما.

وانظر خبر اليوم الحزين في نزع الحجاب في الجزائر كما في كتاب: «التغريب في الفكر والسياسة والاقتصاد» (ص٣٣ ـ ١٣٩): في ١٣/ ماي عام ١٩٥٨م قصة نزع الحجاب، قصة تتقطع منها النفس حَسَرات، ذلك أنه سُخِّر خطيب جمعة بالنداء في خطبته إلى نزع الحجاب، ففعل المبتلى، وبعدها، قامت فتاة جزائرية فنادت بمكبر الصوت بخلع الحجاب، فخلعت حجابها ورمت به، وتبعها فتيات ـ منظمات لهذا الغرض ـ نزعن الحجاب، فصفق المُسَخَّرون، ومثله حصل في مدينة وهران، ومثله حصل في عاصمة الجزائر: الجزائر، والصحافة من وراء هذا إشاعة، وتأييدًا.

❑ وفي المغرب الأقصى، وفي الشام بأقسامه الأربعة: لبنان، وسوريا، والأردن، وفلسطين، انتشر السفور والتبرج والتهتك والإباحية على أيدي دعاة

---

(١) من سقطات «الأعلام» للزركلي وصفه للطاهر الحداد المذكور بأنه من زعماء الإصلاح. فَلْيُتَنَبَّه!.

البعث تارة، والقومية تارة أخرى، إلا أن المصادر التي تم الوقوف عليها لم تسعف في كيفية حصول ذلك، ولا في تسمية أشقيائها، فلا أدري لماذا أعرض الكُتَّابُ ومُسَجِّلو الأحداث آنذاك عن تسجيل البداية المشئومة في القطر الشامي خاصة، مع أن الانفجار الجنسي والعري، والتهتك والإباحية على حال لا تخفى[1] .

□ أما في الهند والباكستان فكانت حال نساء المؤمنين على خير حال من الحجاب ـ دِرْعُ الحشمة والحياء ـ وفي التاريخ نفسه ـ حدود عام ١٩٥٠م ـ بدأت حركة تحرير المرأة والمناداة بجناحيها: الحرية والمساواة، وترجم لذلك كتاب قاسم أمين «تحرير المرأة»، ثم من وراء ذلك الصحافة في الدعاية للتعليم المختلط ونزع الخمار، حتى بلغت هذه القارة من الحال ما لا يشكى إلا إلى اللَّه تعالى منه، وهو مبسوط في كتاب: «أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية» لخادم حسين (ص١٨٢ ـ ١٩٥).

□ وهكذا تحت وطأة سعاة الفتنة بالنداء بتحرير المرأة باسم الحرية والمساواة، آلت نهاية المرأة الغربية بداية للمرأة المسلمة في هذه الأقطار.

● **فباسم الحرية والمساواة:**

□ أخرجت المرأة من البيت تزاحم الرجل في مجالات حياته.

□ وخُلع منها الحجاب وما يتبعه من فضائل العفة والحياء والطهر والنقاء.

□ وغمسوها بأسفل دركات الخلاعة والمجون؛ لإشباع رغباتهم الجنسية.

---

(١) ثم وجدت ذلك في كتاب الشيخ علي الطنطاوي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: «الذكريات» (٥/ ١٠١ ـ ١١٢)، (٢٢٣ ـ ٢٧٤)، (٦/ ١٠ ـ ٢٥).

▫ ورفعوا عنها يد قيام الرجال عليها؛ لتسويغ التجارة بعرضها دون رقيب عليها.

▫ ورفعوا حواجز منع الاختلاط والخلوة، لتحطيم فضائلها على صخرة التحرر، والحرية والمساواة.

▫ وتَمَّ القضاء على رسالتها الحياتية، أُمًّا وزوجة، ومربية أجيال، وسكنًا لراحة الأزواج، إلى جعلها سلعة رخيصة مهينة مبتذلة في كف كل لاقط من خائن وفاجر.

إلى آخر ما هنالك من البلاء المتناسل، مما تراه محرراً في عدد من كتابات الغيورين، ومنها: كتاب: «حقوق المرأة في الإسلام» لمؤلفه محمد بن عبدالله عرفة.

هذه هي المطالب المنحرفة عن سبيل المؤمنين، وهذه هي آثارها المدمرة في العالم الإسلامي.

▫ وقال حفظه الله: على كل مسلم الحذر من إشاعة الفاحشة ونشرها وتكثيفها، وليعلم أن محبتها كما بينها شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في «الفتاوي» (١٥/ ٣٣٢، ٣٤٤) لا تكون بالقول والفعل فقط، بل تكون بذلك، وبالتحدث بها، وبالقلب، والركون إليها، وبالسكوت عنها، فإن هذه المحبة تُمكِّن من انتشارها، وتُمكِّن من الدفع في وجه من ينكرها من المؤمنين، فليتق الله امرؤ مسلم من محبة إشاعة الفاحشة، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

▫ هذا ما أردت بيانه ـ وما على أهل العلم والإيمان إلا البلاغ والبيان ـ للتخفف من عهدته، ورجاء انتفاع من شاء الله به من عباده، وللنصح به؛

لقول النبي ﷺ: «**الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول اللَّه؟ قال: للَّه ولكتابه، ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**» خرجه مسلم في «صحيحه».

◻ وقال الحافظ ابن رجب ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في: الحِكَم الجديرة بالإذاعة (ص٤٣): «روي عن الإمام أحمد أنه قيل له: إن عبدالوهاب الوراق ينكر كذا وكذا، فقال: لا نزال بخير ما دام فينا من ينكر». ومن هذا الباب قول عمر لمن قال له: اتق اللَّه يا أمير المؤمنين، فقال: «لا خير فيكم إن لم تقولوها لنا، ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم»[1].

* الشيخ بكر أبو زيد والحفاظ على الهوية الإسلامية ونداؤه العالي بتحريم المدارس الأجنبية:

◻ قال ـ حفظه اللَّه ـ: «إن أعداء اللَّه عبّاد الصليب وغيرهم من الكافرين، أنزلوا بالمسلمين استعماراً من طراز آخر هو: «**الاستعمار الفكري**» وهو أشد وأنكى من حربهم المسلحة؟! فأوقدوها معركة فكرية خبيثة ماكرة، وناراً ماردة، وسيوفًا خفيّة على قلوب المسلمين باستعمارها عقيدةً وفكراً ومنهج حياة؛ ليصبح العالم الإسلامي غربيًا في أخلاقه ومقوماته، متنافراً مع دين الإسلام الحق، وكان أنكى وسائله: جلب «نظام التعليم الغربي» و«المدارس الاستعمارية ـ الأجنبية العالمية» إلى عامة بلاد العالم الإسلامي، ولم يبقَ منها بلد إلاَّ دخلته هذه الكارثة سوى حرم الإسلام قلب جزيرة العرب ـ فقد حماها اللَّه منها.

◻ ولمّا حلّت هذه النازلة في بلاد الإسلام لم يكن محل جدل بين العلماء في تحريم فتح المدارس الأجنبية في بلاد المسلمين، وفي تحريم إدخال

---

(١) انتهى النقل من كتاب «حراسة الفضيلة».

أولادهم فيها، وهذان الحكمان لا يحتاجان إلى إقامة دليل؛ لقُبح هذه الطامة بطرفيها، وبشاعتها، وشناعتها؛ إذ الحكم بتحريم قبول الاستعمار الفكري أَولى من الحكم بتحريم الاستعمار الحِسِّي، ولا يرضى المسلم الحق أن يكون للكافرين على المؤمنين سبيل مطلقًا.

لكن قَدَّر اللَّه وما شاء فعل، ففي هذا العام عام ١٤١٩ امتدّ نفوذ مدارس أَعداء اللَّه عُبّاد الصليب وغيرهم من الكفرة والملاحدة إلى قلب جزيرة العرب، ففتحوا فيها مدارسهم، وجثَت فيها هذه الفتنة الكبيرة، والخطيئة الخطيرة، التي ظاهرها تعليم الأَجنبيين وباطنها الدعوة إلى غير سبيل المؤمنين، فأثارت استياء المسلمين فيها، وجرحت إحساسهم، ورأو أنّها أعظم ضربة وُجِّهت إلى جزيرتهم ولا عهد لقلب الجزيرة بها، وحذّروا المسارعين إليها من سوء عاقبتها، فالآن لا بدّ من بيان سطوة هذه الكارثة على الإسلام، ومدى ما نفشته في عقيدته وأخلاقه من الإفساد، والتَّعَدُّدِيَّة والانقسام، عسى أن يكون هذا البيان مضخة إنقاذ، يطفئ من جذوتها، ويُذهب سَعيرها وسُعارها، ولإسماع المسلمين كلمة الحق في حكمها وتشخيص مخاطرها، والخلوص من معرة الكتمان، عسى اللَّه أن ينفع به من شاء من عباده، ولولا بشاعة هذه النازلة لما حركت لقلم ساكنا، فأقول:

◘ إنّ عددًا جمًّا غفيرًا من المصلحين الغيورين من العلماء وغيرهم في شتى أقطار العالم الإسلامي: في المملكة، ومصر، والسودان، والعراق، والشام بأقسامه الأربعة، وفي تركيا، والهند، والباكستان، وفي الكويت، والإمارات، وفي المغرب بولاياته الأربع، وفي أندونيسيا، وماليزيا.. وغيرها أَعلنوا موقفهم الإسلامي الصريح من المدارس المقطوعة الصلة بالإسلام عقيدةً ومنهجًا ولغةً وتاريخًا: (**المدارس الاستعمارية الأجنبية.. العالمية**) التي افتتحت في بلاد المسلمين لتكون محاضن للأجيال المسلمة محذِّرين منها ومن إدخال

أولاد المسلمين فيها، مبينين مخاطرها على الأُمة الإسلامية في حاضرها ومستقبلها، وأنَّها معاقل للخيانة بالمسلمين باستعمار أجيالهم عقديًا وفكريًّا وثقافيًّا، وما في ذلك من تذويب الشخصية الإسلامية وتشكيل العقل والفكر بما يرفضه الإسلام، وأنّها بحق: «**البَيْتُ المُظْلِم**». وأنّها حرب جليّة فكرية من عبّاد الصليب أعمق من حروبهم الصليبية المسلحة، وأنّها «**السيوف المصلتة**» على القلوب، فإنّهم لما أغمدوا سيوفهم عن رقاب المسلمين سَلُّوها على قلوبهم، وأنّها: «**الخنجر المسموم**» الذي طُعِنَ به المسلمون فأصاب منهم مقاتل متعددة فأخذوا يعالجون الجرح النازف، والخنجر المسموم ما زال مغروزًا في جسم الأُمة الإسلامية، فأولى لهم انتزاع الخنجر ليزول الجرح ويقف النزيف. وأنها شر القوى المسلطة على العالم الإسلامي.

◘ وهم لبالغ كيدهم ومكرهم، تركوا المدارس الحكومية والأهلية على ما هي عليه من مناهج سليمة لم يتعرضوا لها، لكن عملوا على جادة الأُسلوب البطيء المباشر «فتح المدارس الأجنبية» بجانبها، لتُعلِّم الدنيا ولا تُعلِّم الدين، وفي بعضها جزء هو من جملة إخراج المسلمين من الإسلام، فهي بحق مثل بناء الكنائس بجانب المساجد، بيوت كفر وردّة بجانب بيوت إسلام وطاعة.

◘ ويُبيِّن الأُستاذ محمد إقبال شدة مخاطر هذه المدارس على المسلمين فيقول[1] : «إن التعليم ـ الغربي ـ هو الحامض الذي يذيب شخصية الكائن الحي، ثم يكون كما شاء، وأن هذا الحامض هو أشد قوة وتأثيرًا من أي مادة كيماوية».

◘ وبَذَلَ أُولئك المصلحون في إنكار هذه البلية والدفع في وجهها جهودًا

---

(١) بواسطة كتاب: «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية» للندوي.

مشكورة ذات جوانب متعددة ومنها: تأليف الكتب، والرسائل، والمقالات، وإصدار البيانات والفتاوى بشأنها التي زادت عن ستين عددًا سيأتي خبرها في البيانات اللاحقة إن شاء اللَّه تعالى.

❑ واليوم، في هذا العام ١٤١٩ تزحف هذه المدارس إلى قلب الجزيرة العربية، أول مفتاح للتنصير والتغريب ودخول أول أزمة جديدة في مجال التعليم وهي أولى وسيلة في مثلث التبشير: (المدرسة - المستشفى - دار الأيتام) فتزدحم بها المدن، وتنتشر في ساعةٍ من نهار، ولا حولَ ولا قوة إلا باللَّه العزيز الحكيم.

❑ وعسى أن لا تكون واحدة من فعاليات المؤتمرات المتتابعة لوحدة الأديان والتقريب بينها، في «ظاهرة التحول» المخيفة، كالتركيز على تغريب المرأة في فعاليات مؤتمرات المرأة والإسكان..

وعسى أن لا تكون من آثار «نظرية الخلط» - العولمة - تحت شعار «المدارس المنتسبة»: «نحن نعيش في عالم واحد، ونتعلم من أجل عالم واحد»، شعار: «تَوْأَمَةِ المدارس» وشعار: «التربية الدولية» المتجاوزة لحدود الدين واللغة.

❑ ثم يقول: «أما اليوم فيأتي موقف المواقف في فاتحة العام الدراسي لهذ العام.

دَهَى الجزيرةَ أَمْــرٌ لا عَــزاءَ له هَوَى لهُ أُحــدٌ وانهدَّ ثَهْلاَنُ

❑ اليوم يُفْتَح في بلادنا: «البيت المظلم»، تحل في بلادنا أعظم ضربة توجّه إلى هذه البلاد إنها قاصمة الظهر بفتح المدارس الأجنبية العالمية الاستعمارية.

اليوم هي على أرضنا ملء السمع والبصر.

اليوم نزلت في قلب الجزيرة العربية، حرم الإسلام، وعاصمة المسلمين وقاعدتهم: نازلة الشؤم والخطر، نازلة أُولى وسائل التبشير، وأدهى وسائل التنصير والتغريب، والنقلة الحادة بأولاد المسلمين من محاضنهم الإسلامية ـ المدارس الحكومية والأهلية الإسلامية ـ بنقلتهم وإسلامهم إلى محاضن الكفر والضلال والإباحية والإلحاد في: (المدارس العالمية ـ الأجنبية).

◻ إنها واللَّه رزية وأي رزية تحل في قلب الجزيرة العربية بجوار الحرمين الشريفين في بلد التوحيد وتحكيم الشرع المطهر، في البلد الذي لا يجوز فيه تجنس الكافر بجنسيته، ولا تمليكه جزءًا من أرضه، واليوم يُؤذن لأعداء اللَّه ورسوله وأعداء المؤمنين بفتح محاضن لأولادنا لمن ليسوا على ديننا: المدرس كافر أو عاهر، والمناهج مستوردة كافرة..

إنّه موقف المواقف، موقف الدهشة والاستغراب، والحسرة والندامة، والفجيعة والألم.

إنّها ساعة الذهول فينا، فَحُقَّ أن يُقال لنا: «**اصنعوا لآل جعفر طعامًا**».

*** إنّها قنطرة إلى مبدأ حرية تغيير الدين:**

◻ إنّها درجة إلى: (عولمة التعليم) بين المدارس الدينية للملل المختلفة، وبينها وبين المدارس اللادينية ـ العلمانية ـ.

◻ إنّها حركة لهدم الماضي المشرق العريق والمستقبل المضيء باسم (تجديد البناء) ومن آثارها: كسر حاجز النفرة من الكفر والكافرين، ومنها: أنّه لن يُقال للكافر: يا كافر، بعد الآن.

◻ إنها: تعطينا التفاتة، لكتاب: عبدالودود شلبي (الزحف إلى مكة) وفيه يقول عن المنصِّر الأمريكي روبرت ماكس: «لن تتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في سماء مكة، ويُقام قدّاس الأحد

في المدينة» انتهى كلامه ـ قبّحه اللَّه وخيّب أمله.

◻ وأحسن اللَّه إلى المؤلِّف شلبي، إذ قال بعده: «نحن في انتظار أبرهة الأمريكي لا على أبواب مكة، فهو لن يراها أبدًا ولكن على أبواب جهنم التي تنتظره وأمثاله ليستقر هناك في دركها الأسفل» انتهى.

◻ إنّ قلب الجزيرة العربية يُعتبر بلدًا مغلقًا أمام المبشِّرين المنصِّرين، وإن فتح هذه المدارس هي خطوة جريئة لنفوذ سلطانهم الكنسي والثقافي فالخطوة بعدها: (فتح الكنائس)، وبث الأناجيل، والكتب التنصيرية، والإعلام التنصيري، وفتح المحاكم الأجنبية وفتح مراكز الإرساليات ـ البعثات ـ التنصيرية كما هي أمامنا وخلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا في جميع بلدان الخليج العربي بلا استثناء!! امتدادًا للواقع الحزين في العالم الإسلامي.

◻ إنها مؤامرة أُمم الكفر في اقتحام حرم الإسلام، إن المشكلة أَفظع مما نتصور: إنّها إقامة حزام جغرافي لمجموعة الدول الكافرة تحاصر المنابع الإسلامية؟!

◻ اللَّهم إنا نبرأ إليك من الرضا بهذه المدارس، أو أن تطمئن لها قلوبنا وغاية ما نملكه هو بذل النصيحة للَّه ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم فنبين ما نعلمه عن هذه المدارس الأجنبية في تاريخها ومخاطرها وأُصولها وسيرتها ووجوب نبذها عن بلاد المسلمين وإغلاقها وإيقاف نشاطها وانتماءاتها مُسْتَخْلَصًا مما كتبه عدد من علماء المسلمين وكتابهم ـ للَّه درهم وللَّه أبوهم ـ لعل اللَّه أن ينفع بها، وأُسْوَةً بما صدر من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالبيان الصادر في ٣/ ٢/ ١٤٢٠ القاطع بتحريمها والتحذير منها ووجوب إغلاقها ورفعها عن المسلمين..

◻ وعسى أن تَقَرَّ أعين المسلمين بتنفيس الكُرْبَةِ فَيَنْشِدُوا:

الحمـــد للّه على مَا نَفَّسَـــه مـن الكُروب وسُقوط المدرسه[1]

☐ ثم يسوق الشيخ نماذج من أقوال العلماء وبياناتهم وفتاويهم عن هذه المدارس.

☐ قال شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد الخضر حسين ـ رحمه اللّه تعالى ـ في: «الهداية الإسلامية» (ص١٥١) ما نصه:

«أبناء المسلمين في مدارس التبشير: من الذي يستطيع أن يُهيِّئ لولده عيشًا راضيًا، وينبته نباتًا حسنًا، فينشأ سليم القلب طاهر اللسان، صديقًا لأُسرته، عاملاً على إعلاء شأن أُمته، ولكنه يأبى أن يفعل هذا الذي ينصح به لولده ويجني ثمار الحمد من عواقبه، فيعمد إليه وهو صافي الفطرة، فيلقيه في بيئة يتولاّه فيها من لا يرقبون إلاًّ ولا ذمة، فلا يزالون يلقنونه زيغًا، ويبذرون في نفسه شرًا، والذي خبث لا يخرج إلا نكدًا.

☐ ذلك مثل المسلم الذي يهبه اللّه ولدًا ليسلك به في هداية، ويعدّه لأن يكون عضوًا يرتاح لسعادة قومه، ويتألم لشقائهم، فإذا هو يبعث به إلى مدارس أُسست لمحاربة الدين الحنيف، ولقتل العاطفة القومية، وهي المدارس التي تنشئها في بلادنا الجمعيات التي يُقال لها «جمعيات التبشير».

☐ إنّ الذي يقذف بولده بين جدران هذه المدارس، لا تكون جريمته من جريمة أُولئك الذين كانوا يقتلون أولادهم خشية إملاق ببعيد ـ ألم يقم الدليل إِثْرَ الدليل على أن القائمين فيها بأمر التعليم يلقنون أبناء المسلمين معتقدات ديانة غير إسلامية، ويحملونهم على تقاليدها، ويتعرضون للطعن في شريعة الإسلام بطرق شأنها أن تؤثِّر على الأطفال ومن هم بمنزلة الأطفال في عدم

---

(١) «المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية ـ تاريخها ومخاطرها» للدكتور بكر أبو زيد ـ (ص٥ ـ ١٠)، (ص١٣ ـ ١٦) ـ دار العاصمة.

معرفتهم بحقائق الدين معرفة تقيهم من شر ذلك الإغواء؟! ليس ذلك الذي يزج بابنه في مدارس التبشير بالذي يقتل نفسًا واحدةً ولكنه يقتل خلقًا كثيرًا، ويجني بعد هذا على الأُمة بأجمعها، ولا أقول هذا مبالغة، فقد يصير هذا الولد أُستاذًا من بعد، ويفسد على طائفة عظيمة من أبناء المسلمين أمر دينهم ووطنيتهم، كما أفسد عليه أُولئك القسس أمر دينه ووطنيته، وقد أرتنا الليالي أن من المتخرجين في هذه المدارس من يملك سلطة على قوم مسلمين، فيجدون فيه الغلظة والمكر وعدم احترام الشريعة ما لا يجدونه في الناشئ على غير الإسلام»[1] انتهى.

□ وفي صحيفة الإسلام العدد ١/١٣٥٢ ما نصه:

«قرار هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف في يوم الاثنين ٣ من ربيع الأول سنة ١٣٥٢ (٢٦ من يونية سنة ١٩٣٣م).

□ اجتمعت هيئة كبار العلماء بالجامع الأزهر تحت رياسة صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر[2] وأصدروا البيان الآتي:

بيان إلى الأُمة الإسلامية من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف:

أيها المسلمون: لقد استفاضت الأخبار بما يعمله هؤلاء الذين يسمون أنفسهم (مبشرين) وعمت البلاد من أولها إلى آخرها، ووصل إلى علمكم أنها يتخذون الوسائل الفظيعة إلى تنصير أطفال المسلمين، وضعفاء العقول منهم، وأنهم لا يخجلون من ارتكاب ما لا يجيزه عقل ولا فطرة، وما يحمر منه وجه المروءة والفضيلة، ويجعلون ذلك طريقًا لإخراج الشاب المسلم الضعيف الإدراك عن دينه.

---

(١) «المدارس العالمية» (ص٧٤ ـ ٧٥).

(٢) في وقتها وهو الشيخ الأحمدي الظواهري وكان مفتي الديار المصرية وقتها هو الشيخ عبدالحميد سليم.

فإذا أعيتهم الحيلة عمدوا (على ما جاء في الصحف) إلى التخدير والتنويم، فإذا لم يفدهم هذا عمدوا إلى الإرهاب والتعذيب حتى يصلوا إلى بغيتهم.

◘ ولقد انبث هؤلاء المبشرون في المدن والقرى، وأتقنوا الحيل فظهروا أمام ضعفاء العقول بمظهر رسل الرحمة، فأنشأوا المستشفيات تقبل المرضى وتعالجهم مجانًا وأنشأوا المدارس تقبل أولاد الفقراء وتعلمهم بلا مقابل، وبنوا الملاجئ تقبل المعوزين وتوسع عليهم في النفقة ـ عمل ظاهره فيه الرحمة وباطنه فيه الختل والخداع.

فأقبل ضعفاء الإدراك والعقول على مستشفياتهم ومدارسهم وملاجئهم ورائدهم حسن النية، لا يدرون أن وراء الأكمة ما وراءها.

إنهم أيها المسلمون، يتخذون من هذه المستشفيات والمدارس، والملاجئ شباكًا يصطادون بها ضعفاء العقول من الأطفال والمرضى والفقراء والمعوزين.

◘ أما في المستشفيات فإن المبشرين ينتهزون من مرض المسلم وفقره وضعفه وحاجته إلى الصحة فرصة لزحزحته عن دين الإسلام.

◘ وأما في المدارس فإنهم يعلمون أولاد المسلمين أمورًا هي ضد الدين الإسلامي وضد محمد ﷺ وضد القرآن الكريم، يبثون ذلك في الدروس كالسم في الدسم، ويصورون للأطفال محمداً ﷺ تصورًا مخيفًا مزعجًا. ويفترون على الدين؛ والقرآن المجيد ما شاءوا أن يفتروا، ويرغمون هؤلاء الأطفال على تأديّة صلواتهم معتمدين في ذلك كله على أن الأطفال ضعفاء الإدراك يسهل تشكيكهم وتحويلهم عن دينهم.

◘ وأما في الملاجئ فإنهم يتصيدون الفقراء الذين مسهم الضر، ثم يضعونهم فيها فيطعمونهم ويكسونهم وعند ذلك يتصرف المبشرون في

عقائدهم الدينية حتى يخرجوهم من دين الإسلام.

فإذا تم لهم ما أرادوا اجتهدوا في قطع صلة من نَصَّرُوه بأهله وذوي قرابته وربما غربوه إلى البلاد البعيدة التي لا يرجع منها إلى بلاده.

● **أيها المسلمون:** إن مما فرضه اللَّه على العلماء أن يذكروكم بما يوجبه الإسلام عليكم نحو هذه الأعمال الضارة بدينكم وأولادكم وإخوانكم وأمتكم.

فالواجب عليكم شرعًا أن تحبطوا أعمال المبشرين. وتباعدوا بينهم وبين أولادكم الذين هم فلذات أكبادكم.

يوجب عليكم الإسلام أن تنبذوا وتهجروا كل من يعرض ابنه أو بنته أو قريبه للدخول في هذه الأماكن الخبيثة والبيئات الضالة المضلة.

❑ إن من يدخل ولده أو مريضه في هذه الأماكن الموبوءة بعد أن افتضح أمرها وتبينت الأعمال المروعة التي ترتكب فيها لهو الرجل المحتقر في نظر الدين بل الخارج من حظيرة الإسلام إن كان عالمًا بتلك النتائج التي يقصدها المبشرون راضيًا بها.

فيجب عليكم معاشر للمسلمين أن تهجروه، ولا تمكنوه من معاملتكم ولا يكون له في قلوبكم أي ميل أو عطف حتى يشعر بعظم ما ارتكب في حق دينه وأولاده وعشيرته فيفيء إلى أمر اللَّه ويرجع عن غيه ويخرج صغيره أو قريبه من الظلمات إلى النور»[(١)] .

❑ وفي صحيفة الإسلام/ العدد/ ٢٢ عام ١٣٥٢ نداء من مشيخة الأزهر:

«أيها المسلمون: إننا لا نجد بُدًّا من أن نسدي إليكم النصح

---

(١) المصدر السابق (ص٩٨ ـ ١٠١).

خالصًا ونتلو عليكم حكم اللَّه الرهيب فيمن أدخل أولاده في هذه المدارس: أن من أدخل ولده أو قريبه من هذه الدور وهو يعلم أنها أُعدّت لإخراج الناس من دينهم فهو مرتد عن الإسلام لم يكن اللَّه ليغفر له ولا ليهديه سبيلاً. ألا قد بلغت اللَّهم فاشهد ليعلم الشاهد الغائب».

□ وبعد أن ذكر الشيخ فتوى اللجنة الدائمة رقم (٢٠٠٩٦) بتاريخ ١٤١٨/١٢/٢٢ في التحذير من وسائل التنصير ومنها: فتح المدارس الأجنبية وفتوى اللجنة برقم (٢٠٢٦٢) بتاريخ ١٤١٩/٣/٣ بتحريم بناء أو تأجير الأماكن والمحلات للمدارس والكليات الأجنبية ذكر الشيخ حكم هذه المدارس الأجنبية:

* حكم الشريعة الإسلامية في المدارس الأجنبية المبني على النصوص الشرعية والقواعد والمقاصد العامة:

● أولاً: وجوب إعلان إنكارها والبراءة منها:

يجب على كل مسلم أن يبغض المنكر إذا رآه وأن يسعى في إزالته حسب استطاعته، ومن لم يبغض المنكر ولم ينكره فلا خير فيه كما أخبر النبي ﷺ بذلك في قوله: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**».

ولا يستريب مؤمنٌ بعد أن يعرف حال المدارس الأجنبية وآثارها السيئة على المسلمين أفرادًا وجماعات وأمة أنّها من أعظم المنكر فيجب بغضها وإنكارها وإعلان البراءة منها.

---

(١) المصدر السابق (ص١٠٩).

● **ثانيًا: تحريم الإذن بفتحها:**

لا يجوز لأهل الإسلام تمكين أهل الكفر والضلال والنحل الباطلة من يهود ونصارى ومجوس وملاحدة وغيرهم من الدعوة إلى باطلهم والإذن لهم بفتح المكاتب والمؤسسات من أجل ذلك، ومنها المؤسسات التعليمية على كافة المستويات، ابتداء من رياض الأطفال وانتهاءً بالجامعة؛ لأن في ذلك إباحة للردة عن الإسلام، والرضا بما يخالف الدِّين الحق، وفي ذلك ظهور للكفر على الإيمان، وهذا يضاد مقصود الرسالة المحمدية، قال اللَّه تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ [التوبة: ٣٣]، كما أن كل مبدأ واعتقاد يخالف الإسلام فهو مشتمل على الطعن في الإسلام وأحكامه وتشريعاته فكيف يُقَرُّ ذلك بين المسلمين على أرض الإسلام؟!

فمن النصيحة للمسلمين تطهير بلادهم من كل نجس، ونبذ كل باطل حماية لهم، وصيانة للإسلام من الطعن عليه.

ولا نرى هذه المدارس الاستعمارية الأجنبية العالمية إلا بيوتًا مظلمة تضارع مساجد الضرار، فهي تضار المدارس الإسلامية؛ لمناهجها الكفرية، ونظامها الغربي، وهي داعية تفريق المؤمنين وشق وحدتهم: طلاب مدارس إسلامية وطلاب مدارس أجنبية، كالشأن في مسجد الضرار يصلي فيه بعضهم ويترك «مسجد قباء» الذي يصلي فيه المسلمون، وهي أوكار لمن حارب اللَّه ورسوله من أُمم الكفر التي زحفت بمناهجها وأساتذتها، لفتح هذه البيوت المظلمة واحتضان أولاد المسلمين فيها. وذلك باسم نشر العلم، والحضارة وتثقيف العقل البشري واللَّه يشهد وكل مسلم يشهد إنهم لكاذبون، كالشأن في بناة مسجد الضرار من المنافقين.

* قال اللَّه ـ عز شأنه ـ: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا**

بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧].

● ثالثًا: تحريم الاتجار بفتحها والعمل بها:

يجب على عامة المسلمين من أهل التجارة والمال أن يطيِّبوا مكاسبهم طاعةً للَّه، واتقاء لغضبه سبحانه ورجاء لبركته، وأن يكونوا وُعاةً فطناءَ فلا يجلبوا لإخوانهم المسلمين الشر والفساد والإلحاد، من أجل متاع الدنيا القليل، وعملاً بالقاعدة اليهودية الغائية، الماكيافيلية: الغاية تبرر الوسيلة!! سواء كان الاتِّجار عن طريق التعليم الأجنبي أو العمل فيه أو غيره من الطرق. وليعلموا أنهم مسئولون يوم القيامة عن كل فردٍ تسببوا في إضلاله وإفساده.

وليعلموا أيضًا أن كل درهم يحصِّلونه من وراء هذا التعليم الهادم للإسلام والأُمة أنّه سحت وحرام. وليتقّوا اللَّه حق التقوى وليوقنوا بأن ما أباحه اللَّه تعالى فيه غنية عن الحرام، وأن من ترك شيئًا للَّه عوضه خيرًا منه.

● رابعًا: تحريم الإعانة عليها بالتأجير أو الدعاية ونحوها:

* لا يحل لمسلم أن يعين المدارس الهادمة للإسلام والأُمة بأي نوع من أنواع الإعانة أو المشاركة فيها أو التشجيع عليها لأنّ اللَّه عز وجل يقول: ﴿وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]. والإعانة تكون بمثل: المشاركة بالمال أو بالعمل أو بتأجير الأرض أو المحل أو بالدعاية وغير ذلك. والراضي بالمنكر والمعين له كالفاعل نعوذ باللَّه من ذلك.

● خامسًا: تحريم إدخال أولاد المسلمين فيها:

لا يحل لمسلم يؤمن باللَّه واليوم الآخر أن يُلقي بأولاده إلى التهلكة في

أحضان المدارس الأجنبية وهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، ولا يعلمون من الإسلام شيئًا قليلاً، ولا كثيرًا فيتلقون الكفر والإلحاد والشر والفساد وناهيك بأثر ذلك على فِطَر الطغار الأغرار والنبي ﷺ أخبرَ بأنّه: «ما من مولود إلا يُولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه» فكل مولود فإنه يولد على فطرة الإسلام لو ترك على حاله ورغبته لما اختار غير الإسلام لولا ما يعرض لهذه الفطرة من الأسباب المقتضية لإفسادها وتغييرها وأهمها التعاليم الباطلة والتربية السيئة الفاسدة، وقد أشار إليها النبي ﷺ بقوله: «فأبواه يهوِّدانه أَو ينصِّرانه أَو يُمجسانه» أي: نصرانيًّا خالصًا أو يهوديًّا أو مجوسيًّا، من هذا: تسليم الأولاد الصغار الأغرار إلى المدارس الكفريّة أو اللادينية بحجة التعلّم فيتربون في حجرهم ويتلقون تعليمهم وعقائدهم منهم، وقلب الصغير قابل لما يلقى فيه من الخير والشر بل ذلك بمثابة النقش على الحجر، فَيُسَلِّمونهم إلى هذه المدارس نظيفين، ثم يستلمونهم ملوثين، كل بقدر مَا عَبَّ منها ونَهَلَ، وقد يدخله مسلمًا ويخرج منها كافرًا، نعوذ باللَّه من ذلك، فالويل كل الويل لمن تسبب في ضلال ابنه وغوايته، **فمن أدخلَ ولده راضيًا مختارًا مدرسة وهو يعلم أنّها تسعى بمناهجها ونشاطاتها لإخراج أولاد المسلمين من دينهم وتشكيكهم في عقيدتهم فهو مرتد عن الإسلام كما نص على ذلك جمع من العلماء.**

نسأل اللَّه السلامة والعافية لنا ولجميع المسلمين.

● **سادسًا: تحريم فتحها في بلد الإسلام مطلقًا:**

لا يجوز فتح مدرسة من هذه المدارس في بلدٍ من بلدان المسلمين حتى ولو لم يُسمح لأولاد المسلمين بالدخول فيها؛ لأنها بيوت كفر، يُلَقَّنُ فيها دين غير دين الإسلام، فَيُكْفَرُ فيها باللَّه تعالى، ولا يجوز لبلد إسلامي فتح

بيت يُكفر فيه باللَّه تعالى أو الإذن به؛ ولأنها تكون مراكز للدعوة إلى دين وملة غير الإسلام، كتنصير من ليس على ملة الإسلام من أصحاب الملل الأُخرى، فتكون مراكز لنقله من كفر إلى كفر في بلد إسلام، وعلى مرأى ومسمع من المسلمين؛ ولأنها تعطي الملل الكافرة قوة واعتبارًا للبقاء على كفرهم، وسابقة لتوسع الكفرة في مطالبهم بفتح معابد لهم كالنكائس؛ ولأنها تخالف ما جرى عليه عمل المسلمين من الشروط على الذميين ونحوهم، كما في كتاب الشروط العمرية وغيره. واللَّه المستعان.

● **سابعًا: تحريم فتحها في جزيرة العرب والمناشدة بإلغائها:**

◘ أحكام هذا الفصل تَعُمُّ كل مسلم، وتَشْملُ كل بلد إسلامي، لكنها تتأكد في حق: «جزيرة العرب» وفي حق من أُضيفت إليهم: «عربها»؛ لما للجزيرة من المزايا التي اقتضت تفضيلها على جميع بلدان العالم الإسلامي، تجمع مزاياها: الذاتية، وعمق الجذور الإسلامية التي لا ينافسها فيها أي بلد في العالم، وهذا لِحكَم يريدها اللَّه - سبحانه - فإنّها حرم الإسلام، وقاعدته، وعاصمته الأُولى والأخيرة وهي مأرز الإيمان، ومتنزل القُرآن، ودار السنة والقدوة، ودار نبي الإسلام، وعَرِينُ صحابته الكرام، وقبلة المسلمين، ودار حجهم وعُمرتهم، ولا يجتمع فيها دينان، ولا مجال فيها للمبادئ الهدامة.

وأهلها هم أصل العرب ومادة الإسلام، فارتبطت الجزيرة بهم وارتبطوا بها، فهي بحق أرضًا وأهلاً دار القيادة والتوجيه والإشراف والمركز الرئيس للعالم الإسلامي، وحصن الدعوة إلى اللَّه، والمحافظة على حدوده وحرماته.

◘ لهذا يجب أن تبقى دارًا وأهلاً متمتعة بالأصالة وصفاء التوحيد، وحسن الأسوة، والاستقلال، والاكتفاء الذاتي، وأن ترفض التبعية والتقليد ونفوذ الوفادات الأجنبية عليها فلا مجال فيها لما ينابذها.

ومن هذا: «التعليم» فهو لباس من ألبسة التقوى فلا تُكْسَى الجزيرة بخاصة ولا أهل الإسلام بعامة بلباس تعليمي ينكث التقوى ويوهن الإسلام.

❑ فحرامٌ ثم حرام فتح المدارس الأجنبية «المدارس الاستعمارية» العالمية، مدارس الذين كفروا في دار الإسلام وحَرَمِه: قلب جزيرة العرب، وحرام ثم حرام على أي مسلم إدخال أولاده ومن تحت يده فيها، ويجب على من ولاّه اللَّه الأمر رفع هذه المصيبة عن المسلمين، وستكون من أعظم أياديه على المسلمين في مسيرة جهوده الإسلامية العظيمة.

● **ثامنًا: وجوب تواصي المسلمين بالتحذير منها:**

يا أهل الإسلام: احذروا هذه المدارس الاستعمارية العالمية، واحفظوا ذراريكم منها؛ لما فيها من أسباب الردة والفساد، والفسوق والعصيان، وانصحوا بالحذر منها أقاربكم وإخوانكم من المسلمين ولكم عبرة فيما حصل من آثارها السيئة في العالم الإسلامي، والسعيد من وُعِظَ بغيره.

● **تاسعًا: واجب العلماء مواصلة البيان بإنكارها:**

يا علماء المسلمين: تابعوا النُّصح والبيان، إِثْرَ النصيحة والبيان عن هذه المدارس المظلمة وحذِّروا المسلمين من سوء عاقبتها، واحملوهم على الحق والتواصي به والصبر عليه. قال اللَّه عز شأنه: ﴿**وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾.

هذه نصيحتي وغاية جُهدي، والحمد للَّه رب العالمين»[1].

---

(١) المصدر السابق (ص١١٧ ـ ١٢٥).

* لفتة طيبة:

ويحضرني هنا ما فعله الشيخ عبدالقادر الحسيني تقبله اللَّه في عداد الشهداء وهو من كبار المجاهدين في فلسطين في الأربعينات تخرج في الجامعة الأمريكية بالقاهرة وفي يوم تخريجه وأثناء وجوده على المنصة لاستلام شهادة التخرج أمسك بالميكروفون ومزّق الشهادة وعلى ملإٍ من الناس ووسط دهشة الحاضرين أخبرهم أنه لا يريد هذه الشهادة ثم كشف ألاعيب المنصرين في عقر دارهم وأنهم ما أتوا إلا لتشكيك المسلمين في دينهم وتنصير أبنائهم، وإخراج أجيال مبتوتة الصلة بالإسلام بل ومحاربة لأصوله وأسسه، والواقع خير شاهد.

*** ومسك الختام فارس الإسلام المدافع عن الهوية الإسلامية ومقدم السلفية بمصر وشيخها المبارك ونصير المرأة المسلمة.. صاحب «عودة الحجاب..» قذى في عيون المبتدعة شيخنا محمد إسماعيل المقدم حفظه اللَّه:**

إيهٍ أبا الفرج.. إيه يا شيخي وسيدي.. واللَّه لا يكفي مجلد لكتابة أثرك وفضلك، وما صنعته لشباب هذه الأمة في سنيّ عمرك المبارك.. واللَّه إن أرجى أعمالي حبي لك في اللَّه أتقرّب إلى ربي بهذا، وكل لسن وبيان وفصاحة لا تعبّر عما يجيش به الفؤاد.. وسيظهر في عرصات القيامة.

* جزاك اللَّه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء - فلقد حملت على كاهلك سوق شباب هذه الأمة إلى طريق الجنة.. طريق السلف.. ودافعت عن عقيدة السلف أطيب الدفاع.. وكانت لك المواقف الطيبة المشكورة في كل ميدان من ميادين العمل الإسلامي..

ميدان العلم وتربية الشباب المسلم على عقيدة السلف الصالح ومجال الغزو الفكري ورد شبه الحاقدين على الإسلام الموتورين.. وفي مجال

التغريب ودعوة المرأة المسلمة للسفور كان جهادك المبارك حتى استبان للناس خداع هؤلاء المارقين والمارقات ولو أفسحوا لدعوتكم المباركة لتغيّرت مصر عن آخرها.

ومن عجب أني أحنّ إليهمُ وأسأل شوقًا عنهمُ وهمُ معي
وتبكيهم عيني وهم في سوادها ويشكو النوى قلبي وهم بين أضلعي

*** قذائف الشيخ المقدام محمد بن إسماعيل:**

□ قال ـ حفظه اللَّه ـ: «فما أشد حاجتنا إلى إعادة النظر في تقويم الرجال بعد رحلة الشقاء التي تركت قلوبنا مجرحة، وأيدينا مرتعدة، وسيوفنا ملثمة، تلك الرحلة التي قام فيها على أمرنا فريق التحف الإسلام، وتبطّن الكفر، حمل بين فكيه لسانًا مسلمًا، وبين جنبيه قلبًا كافرًا مظلمًا، حرص كل الحرص على أن يطفئ نور الإسلام، ويهدم عز المسلمين، فلم يجد أعون له على هذا الغرض السيئ من أن يقدم لنا الكفر والفسوق والعصيان في ثوب إسلامي، ويتولى تزيينَه لنا سَدَنَتُه من الزعماء، وربائبه من المفكرين، فكانت النتيجة ركامًا ضحلاً تافهًا مظلمًا من المبادئ التي أخذناها لنستر بها عُرْيَنا، فعرينا!، والمناهج التي اقتبسناها لننسج بها آمالنا فنسجنا بها أكفاننا!

(إن كثيرًا ممن نعتبرهم اليوم دعائم النهضة الحديثة، لم يصبحوا كذلك في أوهام الناس إلا بسبب الدعايات المغرضة، التي أرادت أن تضعهم في هذه المنزلة، لتحقق بذلك أغراضها في نشر مذاهبهم والتمكين لآرائهم؛ ولأن كثيرًا من الآراء المنحرفة التي لم تكن تستطيع أن تجد طريقها إلى الفكر الإسلامي وإلى مجتمعاته، قد أصبح قبولها ممكنًا بِنِسْبَتِها إلى هذه الزعامات وإلى هؤلاء الأئمة، الذين لا يتطرق إلى الناس شك في إخلاصهم وعلمهم، والواقع أن كثيرًا من هؤلاء الرجال قد أحيطوا بالأسباب التي تبني لهم مجدًا

وذكرًا بين الناس، ولم يكن الغرض من ذلك خدمتهم ولكن الغرض منه كان ولا يزال هو خدمة المذاهب والآراء التي نادوا بها، والتي وافقت أهداف الاستعمار ومصالحه.

وخطة الاستعمار واليهودية العالمية في ذلك كانت تقوم ـ ولا تزال ـ على السيطرة على أجهزة النشر التي نسميها الآن «الإعلام» وإلقاء الأضواء من طريقها على كُتَّابٍ ومفكرين من نوع خاص، يُبَنْوَنَ، ويُنَشَّئون بالطريقة التي يُبنى بها نجوم التمثيل والرقص والغناء، بالمداومة على الإعلان عنهم، والإشادة بهم، وإسباغ الألقاب عليهم، ونشر أخبارهم وصُورهم، وذلك في الوقت الذي يهمل فيه الكُتَّابُ والمفكرون الذين يصورون وجهات النظر المعارضة، أو تُشَوَّهُ آراؤهم وتُسفَّه، ويُشَهَّر بهم، ثم هي تقوم على تكرار آرائهم آنًا بعد آن، لا يَمَلُّون من التكرار؛ لأنهم يعلمون أنهم يخاطبون في كل مرة جيلاً جديدًا، أو هم يخاطبون الجيل نفسه، فيتعهدون بالسقي البذورَ التي ألقوها من قبل.

ونحن حين ندعو إلى إعادة النظر في تقويم الرجال، لا نريد أن ننقص من قدر أحد، ولكننا لا نريد أن تقوم في مجتمعنا أصنام جديدة معبودة لأناس يزعم الزاعمون أنهم معصومون من كل خطأ، وأن أعمالهم كلَّها حسنات لا تقبل القدح والنقد، حتى إن المخدوع بهم والمتعصب لهم، والمروج لآرائهم ليهيج ويموج إذا وَصَفَ أحدُ الناس إمامًا من أئمتهم بالخطأ في رأي من آرائه، في الوقت الذي لا يهيجون فيه، ولا يموجون حين يوصف أصحاب رسول الله ﷺ ﵃ بما لا يقبلون أن يوصف به زعماؤهم «المعصومون»!، ويحتمون بحرية الرأي في كل ما يخالفون به إجماع المسلمين، ويأبَوْن على مخالفيهم في الرأي هذه الحرية، يخطِّئون كبار المجتهدين من أئمة المسلمين ويجرِّحونهم بالظنون والأوهام، ويثورون لتخطئة

ساداتهم أو مواجهتهم بالحقائق الدامغة»اهـ[١] .

❑ ويرهق كثير من الكتاب عقولهم في تحديد هوية أولئك المتآمرين، وهذا لا مبرر له، إذ يكفينا أنهم «كارهون لما أنزل اللَّه»، فلا نبالي حينئذ أن يكونوا حقًّا صنائع اليهودية أو الصليبية أو الماسونية أو الشيوعية؛ لأن الكفر مهما تعددت ألوانه، فهو كفر، ينبغي محاربته واستئصاله، ودين الشيطان لا يعرف الجنسية.

❑ وهؤلاء الذين ما يزالون يتعامَوْن عن رؤية الواقع الصارخ الذي يؤكد أن هناك مؤامرة وتدبيرًا خفيًّا يستهدف القضاء على الإسلام ـ غافلون، مخدوعون بأصحاب القفازات الحريرية الذين هم «من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا».

إن من الغفلة أن نعمى عن أعداء ديننا، بل ونتخذهم أولياء من دون المؤمنين، وهم ـ في ذات الوقت ـ لا يدخرون وسعًا في تحطيم مقومات الأمة، وتنفيذ مخططات أعدائها:

بأبـي وأمي ضاعت الأحـلام ... أم ضـاعت الأذهـان والأفهـام
من حـاد عن دين النبي محمد ... أَلَهُ بأمر المسـلمين قيـام
إن لا تكن أسـيافهم مشهورة ... فينـا فتلك سـيوفهم أقـلام[٢]

❑ وإذا كنا بصدد الحديث عن المؤامرة على المرأة المسلمة كجزء من مشروع استعماري شامل لتغيير وجه الحياة في مصر، واقتلاع المجتمع الإسلامي من جذوره، فلا ريب يستوقفنا مواقف رضعاء ألبان الغرب والشرق

---

(١) «الإسلام والحضارة الغربية» للدكتور محمد محمد حسين ـ رحمه اللَّه ـ، ص(٤٧ ـ ٤٩) بتصرف.

(٢) «غذاء الألباب بشرح منظومة الآداب» لمحمد بن أحمد السفاريني (٢/ ١٤).

الذين غُسلَتْ أدمغتهم في دهاليز الكفر، وترعرعوا في كنف الإلحاد، وعادوا إلى بلادنا لترتفع على أكتافهم أعمدة الهيكل العلماني، من هنا كان لا بد من وقفات معهم تبين بالوثائق والأدلة موقفهم من الإسلام وعليه موقف الإسلام منهم.

ولئن كان هناك رجال وقفوا حياتهم على هدم الإسلام، فلا بد أن يكون مصيرهم الهدم، ومن عجيب أمر بعض السُّذَّجِ أنهم تأخذهم بأولئك الهدَّامين رأفةٌ في دين اللَّه، وينكرون على من يكشف كيدهم قائلين: «وما يدريك لعلهم تابوا! ففلان حج أو اعتمر، وفلان بنى مسجدًا، وفلان أعلن أنه يستمع إلى إذاعة القرآن الكريم»!.

❑ نقول: هذا فهم قاصر لمعنى التوبة في حق هؤلاء، فإن من شرط توبتهم أن يتوبوا عن مظالمهم، ويقلعوا عن غيهم، ويتبرأوا مما بدر منهم في حق دين الحق، ويندموا على ما بارزوا به الإسلام والمسلمين، ويعلنوا ذلك على الملأ.

وقد يقول قائل: «لعلهم تابوا، ولكن حيل بينهم وبين إعلان توبتهم».

❑ نقول: هذا محتمل، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ**﴾ [البروج: ١٠]، وقال عليه ﷺ: «.. **وإنما الأعمال بالخواتيم**»(١)، والخواتيم مُغَيَّبة، فلهذا كان من أصول أهل السنة عدمُ الحكم لُمعَيَّن بالجنة، ولا الحكم على معينٍ بالنار إلا بنص من الوحي، ولكن هذا لم يمنعهم من أن يُجْروا أحكام الإسلام على من كان يظهر الإسلام في الدنيا، وأحكام الكفر على من أظهره في الدنيا، وانشرح به صدره، ولم يمنعهم ذلك أيضًا من أن يُحَذِّروا من ضلال المُضِلِّين،

(١) قطعة من حديث رواه الشيخان ـ انظر «جامع الأصول» (١٠/ ٢٢٠ ـ ٢٢١).

وتلبيس الملحدين مع علمهم بأن الخواتيم مغيبة، إذ إن ذلك من واجبات الديانة.

وحينما نعرض الوثائق التاريخية التي تنطق بإدانة أولئك المتمسلمين الذين رفعوا عقيرتهم بالصدِّ عن سبيل اللَّه، فإن مقصودنا الأول هو تحذير المسلمين من ضلالهم، أما القطع بخاتمة شخص معين، أو الحكم عليه بجنة أو نار، فهذا لا يملكه إلا العزيز الغفار.

ومن هنا يتضح لك الجواب عما رمانا به أحد «عُبَّاد الصليب»، وقد أخذته الحمية وتدفقت من قلبه الغيرة على شخصيات تناولها البحث بالنقد، فكتب في (الأهرام) تحت عنوان: «تشويه العظماء»:

(إن محاولات هؤلاء المتخلفين وهجماتهم لم تقتصر على أعلامنا الأحياء بل امتدت لتشمل رُوَّادنا الراحلين، أي أن حقد المتخلفين لم يقف احترامًا للموت، بل استطاع أن يتجاوز حواجزه حتى ينفث سمومه هناك حيث رحاب اللَّه، وانهالت عليهم تهم الإلحاد والكفر والزندقة، وكأن هؤلاء المتخلفين قد ورثوا بابوات روما في العصور الوسطى المظلمة في منح صكوك الغفران لمن يحبونهم، وحجبها عمن يحقدون عليهم!! (قلت: أنت أدرى!!).

وقد آن الأوان ليعلم هؤلاء المتخلفون الجهلاء أن السلطة الوحيدة التي تملك حق اتهام الآخرين على وجه هذه الأرض هي السلطة القضائية، وذلك بناءً على قرائن وشواهد محددة، أما أن يتخيل جاهل متخلف أن في قدرته تحديدَ الذاهبين إلى الجنة، والساقطين في الجحيم، فإنه بهذا يتدخل في إرادة اللَّه سبحانه وتعالى) اهـ.

□ ولا أجد جوابًا عليه إلا أن أنقل قوله:

«ولكي ندرك خطورة ما يجري الآن، فلنا أن نتخيل حياتنا الثقافية

بدون طابور رُوَّادِنا العظامِ ابتداءً برفاعة الطهطاوي، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وقاسم أمين، وهدى شعراوي، ولطفي السيد، وطه حسين، . وسلامة موسى، ومحمد مندور، وانتهاءً بتوفيق الحكيم، ونجيب محفوظ، وزكي نجيب محمود، ولويس عوض، وأمينة السعيد، وعبدالرحمن الشرقاوي، وحسين فوزي، ويوسف إدريس، وأحمد بهاء الدين، وغيرهم ممن حملوا شعلة الثقافة المستنيرة عبر ما يزيد على قرن ونصف من الزمان»اهـ.

◘ ثم أتساءل: ما هو الذي يجمعك يا عابد الصلبان مع هؤلاء الرواد «العظام» سوى وحدة الهدف؟

إن وثائق الإدانة لهؤلاء الرواد العظام (!) تتزاحم أمامي الآن، كل منها يستبق ليحتل السطور القليلة في هذه المقدمة، ولكني أرجيء أغلبها، وأتخيَّر وثيقة واحدة، وهي عبارة مظلمة نطق بها يومًا أحد رُوَّادك العظام، وهو الذي أسماه أبوه (أحمد بهاء الدين) قال:

«لا بد من مواجهة الدعوات الإسلامية في أيامنا مواجهة شجاعة بعيداً عن اللف والدوران، وإن الإسلام كغيرة من الأديان يتضمن قيمًا خلقية يمكن أن تستمد كنوع من وازع الضمير، أما ما جاء فيه من أحكام وتشريعات دنيوية فقد كانت من قبيل ضرب المثل، ومن باب تنظيم حياة نزلت في مجتمع بدائي إلى حدٍّ كبير، وَمِنْ ثَمَّ فهي لا تلزم عصرنا ومجتمعنا»اهـ[1].

إن الإسلام دين اللَّه الحق لا يهزم أبدًا في معركة شريفة، ولا يهاب الصراع مع الباطل أيًّا كان، إذ:

«ليس الخطر الذي يهدد المجتمع الإسلامي ناشئًا عن هذا الصراع،

(١) انظر «الصحافة والأقلام المسمومة» للأستاذ أنور الجندي ص(٢١٤).

فالصراع بين الأصيل والدخيل سنة من سنن اللَّه العليم الحكيم، يضرب فيها الحق والباطل ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧] ليس هذا الصراع إذن مصدر خطر، بل إنه ربما يدعو إلى التفاؤل والاطمئنان، ولكن مصدر الخطر وعلامته هي أن يزول هذا الصراع، وأن يفقد الناس الإحساس بالفرق بين ما هو إسلامي وبين ما هو غربي، إن فقدان هذا الإحسان هو النذير بالخطر؛ لأنه يعني فقدان الإحساس بالذات، فالجماعات البشرية إنما تدرك ذاتها من طريقين معًا: من طريق وحدتها التي تكونها المفاهيم والتقاليد المشتركة، ومن طريق مخالفتها للآخرين التي تنشأ عن المغايرة والمفارقة، ولذلك كان الخطر الذي يتهدد هذه الوحدة يأتيها من طريقين: الشُّعوبية التي تفتتها، والعالَمية التي تُميِّعُها، فزوال الإحساس بالمغايرة والمفارقة هو هدم لأحد الركنين اللذين تقوم عليهما الشخصية، وهذا هو ما لا نريد أن يكون، نريد أن يظل هذا التمييز بين ما هو إسلامي وبين ما هو طارئ مستجلب ـ شرقيًّا أو غربيًّا ـ حيًّا في نفوس الأجيال الصاعدة والتالية، وهي أمانة تلقاها جيلنا عمن قبله، ولا بد أن يحملها إلى من يجيء بعده»[١، ٢].

* الشيخ يبيّن لنا حجم العلمانيات رائدات تحرير المرأة!!

□ يقول الشيخ محمد إسماعيل في «عودة الحجاب» (١/ ١٢٥ ـ ١٢٩):

«أمينة السعيد»:

تلميذة وفيه لـ «طه حسين»، ترأس تحرير مجلة (حواء)، (ومن خلالها تحرض نساءنا على النشوز، وفتياتنا على التهتك والانحلال)، وقد تواتر لدى

---

(١) «الإسلام والحضارة الغربية» ص(٥٩ ـ ٦٠).

(٢) «عودة الحجاب» للشيخ محمد إسماعيل ـ دار الصفوة.

الجميع أنها تهاجم الحجاب الإسلامي بكل جرأة، وهي ـ وإن كانت تلقفت الراية من «الزعيمات» السابقات ـ إلا أنها تفوقت على كل اللائي سبقنها في باب التجرد من الآداب والأخلاق الأساسية، إذ إنها لا تألو جهدًا في الصد عن سبيل اللَّه، والاستهزاء من شرعه عز وجل، حتى وصل بها الأمر إلى أن قالت: «كيف نخضع لفقهاء أربعة ولدوا في عصر الظلام ولدينا الميثاق؟»، وقالت: «إنني لا أطمئن على حقوق المرأة إلا إذا تساوت مع الرجل في الميراث»[١].

وهي المرأة التي أزعجتها ظاهرة «عودة الحجاب» إلى المجتمع المصري، فجردت قلمها المسموم لتواجه هذه الظاهرة (المقلقة)، ووصفت الحجاب بأنه (كفن ككفن الموتى)، فقد قالت في إحدى جولاتها ضد الحجاب:

«إن هذه الثياب الممجوجة قشرة سطحية لا تكفي وحدها لفتح أبواب الجنة أو اكتساب رضا اللَّه، فتيات يخرجن إلى الشارع والجامعات بملابس قبيحة المنظر يزعمن أنها «زي إسلامي» لم أجد ما يعطيني مبررًا منطقيًّا معقولاً لالتجاء فتيات على قدر مذكور من التعليم إلى لف أجسادهن من الرأس إلى القدمين بزيٍّ هو والكفن سواء»[٢] اهـ.

وقالت أيضًا مستنكرة: «هل من الإسلام أن ترتدي البنات في الجامعة ملابس تغطيهن تمامًا، وتجعلهن كالعفاريت.. وهل لا بد من تكفين البنات بالملابس وهن على قيد الحياة، حتى لا يرى منها شيء وهي تسير في الشارع؟»[٣] اهـ.

وقالت أيضًا: «عجبت لفتيات مثقفات! كيف يلبسن أكفان الموتى،

---

(١) السابق ص(٢٦٨ ـ ٢٦٩) نقلاً عن (المصور).
(٢) مجلة (حواء) تاريخ ١٨ نوفمبر ١٩٧٢م.
(٣) (المصور) ٢٢ يناير ١٩٨٢م ص(٧٥).

وهن على قيد الحياة؟!»[1] .

بل إنها تعتبر ظاهرة «عودة الحجاب» مشكلة، وترهق نفسها في البحث عن تبرير لهذه الظاهرة، فيهديها شيطانها إلى تبرير يشابه إلى حدٍّ كبير موقف المنافقين الذين كانوا يلمزون المُطَّوِّعين من المؤمنين في الصدقات، الذين لا يستطيعون أن يتصوروا إخلاص المؤمنين في طاعتهم لربهم، وصدقهم في الصبر على دينه، وامتثال أمره؛ لأنهم لم يألفوا الصدق، ولم يذوقوا الإخلاص، ومن هنا راحوا يطعنون في الغني المتصدق بأنه مراء، وفي الفقير بأنه أحوج إلى صدقته، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [التوبة: ٧٩].

تقول «أمينة السعيد»:

«الانفتاح أباح لبعض الفتيات الفرصة في ارتداء الأزياء الغالية، ومتابعة الموضات المختلفة مما تسبب عنه مشكلة اجتماعية ترتب عليها في نظري مشكلة الحجاب، وارتداء الملابس الإسلامية.. وهو في معظم أوقات ليس تدينًا، بل هربًا من مواجهة المقارنة الرهيبة في الجامعة بين الأزياء الباهظة الثمن المتنوعة، وبين البنت غير القادرة، وهي عندما تلبس ما يطلقون عليه الزي الإسلامي، تنقذ روحها من محنة مالية هي غير قادرة عليها»[2] اهـ.

وتفاخر (أمينة السعيد) بصفحات نضالها ضد الشريعة الإسلامية تحت ستار (تحرير المرأة)، فتقول: «اقتراحي بإجراء تلقيح صناعي لزوجة عقيم من زوجها أقام الدنيا وأقعدها، ومطالبتي بإلغاء المحاكم الشرعية كاد يدخلني

---

(١) نقلاً عن «الولاء والبراء في الإسلام» لمحمد بن سعيد بن سالم ص(٤٠٤).

(٢) (المصور) العدد رقم (٣١٣٩) ١٤ ربيع الأول ١٤٠٥هـ، ٧ ديسمبر ١٩٨٤م، ص(٧٤).

السجن، أما مهاجمتي لقانون الأحوال الشخصية فقد أثارت الدنيا من حولي، وجاءت مظاهرة إلى «دار الهلال» تهتف بسقوطي»[١] اهـ.

ولنعرض فيما يلي ـ إن شاء اللَّه ـ أنموذجًا من جولاتها ضد الحجاب والآداب الإسلامية في ردها على بعض الشيوخ مستنكرة عليه آراءه التي (أثارت القلق والأسف) على حد تعبيرها، ولن نتتبع شبهاتها بالرد والتعقيب؛ لأن فسادها يغني عن إفسادها، وصدق القائل:

لو كل كلبٍ عوي ألقمته حَجَرًا ... لأصبح الصخر مثقالاً بدينارِ

وهي تذكر أن أكثر ما أثار القلق في أقوال الشيخ الفاضل نقطتان:

أولاهما: الدعوة إلى إلزام الطالبات بما يسمونه «الزي الإسلامي»، وهو ما تفضل سيادته بتسميته الحجاب بحجة أنه دليل إسلامي رائع على الإيمان العميق والبعد عن الفتنة والإغراء.. إلخ، ثم ترتدي هذه المرأة (الثعلب) ثياب (الناسكين)، وتعظ الشيخ قائلة: «ما كان ينبغي على شيخٍ المفروض فيه ـ بحكم ثقافته ومكانته ـ أن يكون ضليعًا في الإسلام، أن يصدر عنه مثل هذا الكلام، ونحن نعرف جميعًا استنادًا إلى ما ورد بالقرآن الكريم ـ وهو دستورنا الديني الأول ـ أن الإسلام لم يحدد على الإطلاق زيًّا معينًا للمرأة المسلمة، ولم يقدم رسمًا كامل الأوصاف لا من حيث الشكل أو النوع أو اللون»، ثم تزعم أن: «المعنى الواضح من هذا الكلام المقدس أن الدين الحنيف لا يستهدف من ملابس المرأة سوى الوقار والاحتشام والبعد عن التبرج والابتذال، فكان أي ثوب تتوافر فيه هذه الاشتراطات هو زي إسلامي بمعنى الكلمة سواء كان مقتبسًا من الغرب أو الشرق أو الشمال أو الجنوب، أمَّا ما نراه اليوم شائعًا بين الفتيات والسيدات مما يسمونه «الزي الإسلامي»

---

(١) السابق.

فالإسلام منه براء؛ لأنه تقليد حرفي لزي الراهبات المسيحيات، والذي نعلمه جميعًا أن لا كهانة، ولا رهبانية في الإسلام»، ثم تستطرد تحت عنوان: (أزياء دخيلة)[1] فتقول: «والأدهى من ذلك: «المقنعات» وهن قلة من المتطرفات في إعلانٍ عن تدينهن، فقد ذهبن في ثيابهن إلى تحريم ما أحله اللَّه، فغطين وجوههن بأنسجة كثيفة ليس بها سوى خرمين صغيرين للاستعانة بها في النظر، ولم يكتفين بذلك، بل ذهبن في مبالغتهن إلى تغطية الخرمين الصغيرين بنظارات سوداء خوفًا من أن تتغلغل الأنظار من خلال الخرمين إلى حدقتي العينين، وهو كل ما يحتمل أن يظهر من هذا القناع العجيب الدخيل.

هذا بالطبع غير جائز في الإسلام، بدليل الفتوى التي أصدرها سيد الأئمة كلهم الإمام الأكبر الشيخ «محمد عبده»، وقد أورد فيها أن «المقنعات» لا ينبغي أن ترفع لهن قضية، أو تسمع لهن شهادة في المحاكم.. ولو كنا نساير روح الإسلام الأصيل ما سمحنا لهن بدخول الامتحانات العامة لسهولة تزييف الشخصية تحت هذا القناع العجيب».

وتشتد «غيرة» «أمينة السعيد» على الإسلام، و«يتدفق» حرصها على «مخالفة الكفار»، فتقول: «وما يقال عن الحجاب يسري أيضًا على ملابس الرجال، فمع عظيم إجلالي للعمامة والجبة والقفطان أعرف أنها ليست زيًّا إسلاميًّا أصيلاً، وإنما هي اقتباس من ملابس الأحبار اليهود في قديم الزمان».

---

(١) تعني بتلك الأزياء الدخيلة الجلباب والنقاب، وهي تعلم تمامًا أن ما عدا هذه الأزياء هو الدخيل الطارئ، وأن هذا الحجاب كان سائدًا في كل المجتمع المصري قبل ظهور دعاة تحرير المرأة، ولكنها تستغل جهل الجيل الحاضر بالماضي الذي عاصرته هي وأمثالها من الطاعنات في السن وتتحدث عن الحجاب وكأنه اختراع من اختراع «المتطرفات الجدد» على حد تعبيرها.

وتختم مقالتها الطويلة مستنكرة على الشيخ تصريحاته قائلة: «إنها عملية هدم للإسلام من أساسه، فاللَّهم ارحمنا، وارحم ديننا من شر أنفسنا إنه السميع المجيب»(١) اهـ، وصدقت، فإن ما تفعله حقًّا هو عملية هدم للإسلام من أساسه، وهي أولى بهذه الكلمة من غيرها، وصدق اللَّه العظيم: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ الآية [محمد: ٣٠].

◻ للَّه درك يا أبا الفرج: واللَّه إن كتابك «عودة الحجاب» لهو فتح من فتوح الإسلام وشجى في أعين أعدائه.

*** معركة الحجاب:**

وإذا أردنا أن نشرح دور السياسة في معركة الحجاب في مصر، فلا شك يقفز إلى أذهاننا الدور الذي لعبه «صديق إسرائيل» و«خادم أمريكا» و«حليف الشيطان» الذي تهكم بالحجاب علنًا ووصفه بأنه «خيمة»، وجرائم هذا المخلوق في حق الإسلام، ثم في حق وطنه كثيرة لا تكاد تخفى على أحد، وقد ختم حياته «النضالية» ضد أمة محمد ﷺ بتلك الإجراءات التعسفية، والحرب المسعورة ضد المحجبات عمومًا، والمنقبات خصوصًا، فكان رجاله يتعرضون للمنقبات في الطرقات، وكانت صحفه نارًا تصب حميمها على المنقبات، وفرض عليهن الخيار بين السفور وبين الفصل من وظائفهن، ولم تنج حتى النساء من حملة الاعتقالات الواسعة التي عمت البلاد، واصطف جنود الشرطة البواسل صامدين رابضين كالأسود على بوابات الجامعة ودور التعليم، للتصدي لأي طالبة منقبة تسول لها نفسها دخول الجامعة بهذا النقاب الساتر، وذلك الجلباب السابغ الذي وصفه بأنه «خيمة»: فرعونٌ حقيرٌ يرقد الآن في مَزْبلة التاريخ، وحسابه على اللَّه.

---

(١) من مقالة بعنوان «هذه دعاوى غير إسلامية» مجلة حواء.

بل هذه زوجة هذا الفرعون تدلي قبل أن تدور عليها دائرة السوء وهي في قمة غرورها ـ ولا أقول مجدها ـ بحديث إلى مجلة «ماري كلير» الفرنسية المتخصصة في شئون المرأة حول ما يتعلق بالمرأة الشرقية من عرف وتقاليد متوارثة كالحجاب وختان الفتيات[1] وجريمة الزنى، وذلك خلال أربعة أسئلة وجهتها الصحافية الفرنسية «كاتي برين» التي زارت مصر أخيرًا لإجراء هذا الحوار وكان السؤال الأول:

انتشرت عادة الحجاب بين الفتيات في مصر، فما رأي السيدة «جيهان السادات» في تلك الظاهرة؟

فأجابت: «إنني ضد الحجاب؛ لأن البنات المحجبات يخفن الأطفال بمنظرهن الشاذ، وقد قررت «بصفتي مدرسة بالجامعة» أن أطرد أي طالبة محجبة في محاضرتي، فسوف آخذها من يدها، وأقول لها: «مكانك الخارج»، وفي نظري فإن المسئولية تقع على عاتق أساتذة الجامعات، فهم سبب في انتشار هذه الظاهرة، فإذا قام أستاذ بطرد فتاة واحدة من محاضراته مرة واثنتين فسوف تقلع الفتيات عن ارتداء الحجاب.

وتستطرد قائلة: إن التحجب ليس بالشكل وبارتداء الأقنعة، فالإسلام لم يدع إلى ارتداء الحجاب، إنما تلك مسائل تفصيلية بعيدة عن جوهر الإسلام وعن مبادئه الأساسية، ثم تذكر في نهاية الحوار أنها تعمل ليل نهار حتى تحقق للمرأة المصرية بعض حقوقها، وأن أبرز ما أنجزته هو صدور قانون الأحوال الشخصية الجديد، ثم ذكرت أنها دائمًا «تعاكس» زوجها في طلباتها للمرأة، ولكنه يجيب بقوله: «إن هذه ليست هي اللحظة المناسبة»، وتقول: «ولكني أعاود، وألح عليه في طلباتي من أجل المرأة»[2] .

---

(١) انظر «الصحافة والأقلام المسمومة» ص(٧٢ ـ ٧٣).

(٢) ملحق جريدة (القبس) العدد (٢٦٢٥) تاريخ الإثنين ٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٠.

ويتضح من هذا الحديث أن ظاهرة «عودة الحجاب» كانت قد أخذت في الانتشار السريع، وكادت تفرض نفسها كواقع يكشف الحقيقة للمخدوعين والمخادعين على السواء، لو لا أن «الأكابر» بدأوا يبيتون «وأد» هذه «العودة» قبل أن يفلت الزمام، فبدأت الدوائر السياسية والصحافية تمهد للحملة المجنونة التي توجتها السلطة بمذبحة (سبتمبر ١٩٨١م).

* **المعركة مستمرة:**

أعداء الحق في كل عصر على وتيرة واحدة، وقلوبهم متشابهة فيما يرد عليها من الخواطر والشئون، وعلى المسلمة الصادقة أن توقن أن المعركة بين الحجاب والسفور، بين الحق والباطل، بين الإيمان والكفر، لا تنقطع، فإن التاريخ يعيد نفسه، وإن هذه سنة اللَّه في خلقه ﴿**وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً**﴾ [فاطر: ٤٣].

ألا إنما الأيام أبناء واحدٍ ... وهذي الليالي كلها أخـوات
فلا تطلبن من عند يومٍ ولا غدٍ ... خلافَ الذي مرت به السنـوات

* قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾(١) [التوبة: ٧٣].

● وعن كعب بن مالك مرفوعًا: «**اهجوا بالشعر، إن المؤمن يجاهد بنفسه وماله، والذي نفس محمد بيده كأنما تنضحوهم بالنبل**»(٢).

---

(١) قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: ﴿جاهد الكفار﴾ بالسيف ﴿والمنافقين﴾ بالحجة، ﴿واغلظ عليهم﴾ في الجهادين جميعًا، ولا تحابهم، وكل من وُقِفَ منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم الثابت فيه؛ يُجاهَدُ بالحجة، وتُستعملُ معه الغلظة ما أمكن» اهـ من «الكشاف» (١/ ٥١٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» وحسَّنه الألباني.

*** فيا كتائب الحق في كل مكان:**

جردوا أسنة العزائم والرد، واستعينوا على رد الباطل بالواحد الفرد، اكشفوا ما في مناهجهم من المؤاخذات، وبينوا ما فيها من الخطأ والغلطات، ليظهر جهل أعداء الحق وفساد أقوالهم للناظرين، ولا عدوان إلا على الظالمين.. فتاللَّه ما بارز جنودَ الحق قَطُّ قِرْنٌ إلا كسروا قَرْنَهُ، فقرع من ندمٍ سنَّه، ولا ناحرهم خصم إلا بشروه بسوء منقلبه وسدوا عليه طريق مذهبه لمهربه.

*** تصدي الشيخ المقدم في كتابه القيم «بل النقاب واجب» للمبتدع إسماعيل منصور صاحب كتاب «تذكير الأصحاب بتحريم النقاب»:**

◻ يقول سيدنا الشيخ محمد إسماعيل المقدم: «في حال تداعي حملات الغزو الفكري الداخلي والخارجي علينا من كل حدب وصوب، إلى غير ذلك مما يعيشه المسلمون في قالب «أزمة فكرية غثائية حادّة» أفقدتهم ـ إلا من عصم اللَّه توازنهم، وزلزلت كيانهم، وشوّهت أفكارهم، كُلٌّ بقدر ما علّ من أسبابها ونَهل، فصار الدَّخَل، وثار الدَّخَن، وضعفت البصيرة، ووجد أهل الأهواء والبدع مجالاً فسيحًا لنشر إفكهم، ونشر بدعهم، حتى أصبحت في كفِّ كل لاقط، فاستشرت في الآفاق، وامتدت من دعاتها الأعناق، وعاثوا في الأرض الفساد، وتجارت الأهواء بأقوام بعد أقوام، إلى آخر ذلك من الويلات التي يتقلّب المسلمون في حرارتها، ويتجرّعون مرارتها.

◻ وفي غمار ذلك كله تجسّدت الأدلة المادية التي قامت في ساحة المعاصرة على ما ذَرّ قرنه من الخوض في شريعة اللَّه بالباطل، وما تولّد عن ذلك من فتنٍ تغلي مراجلها، لذهاب العلماء، وقعود المتأهلين عن التحمل والبلاغ، وتولى ألسنتهم وأقلامهم يوم الزحف على كرامته:

فبقى الذين إذا يقولوا يكذبوا ومضى الذين إذا يقولوا يصدقوا

□ وإذا بسرب من المبتدعة يحاولون اقتحام بقايا العقبة لتكثيف الأميّة الدينية وزيادة غربة الإسلام بين أهله.

وإذا بواحد من هؤلاء وقد تشبّع بما لم يُعْطَ، وتزيًا بزيّ العلم بل الاجتهاد والتجديد، وهو عارٍ عن ذلك كله، وقد راج سوقه على بعض العوام، بما يلفّقه من الخيالات والأوهام، فلما رأى أنه لا مُعارض له من أولئك الطّغام، شأن الذي يتكلم بين المقابر بما شاء من الكلام، صَدّق نفسه، وتخيّل لذلك أنه من العلماء الأعلام، فرفع عقيرته بدعوى هي أوسع من الغبراء، وأكبر من أن تظلها الخضراء!

دعوى لو قالها قائل لعمر لهاجت شِرَّته، ولبادرت بالجواب دِرَّتُه..

دعوى لا تقوم على قَدَمي الحق، بل ولا على قَدَميْ باطل وحق..

دعوى مخترعة محدثة لم يُسبَق صاحبها إليها، ولا مُساعِد له من أهل العلم عليها.. دعوى فاسدة يغني فسادها عن إفسادها، وباطلة يغني بطلانها عن إبطالها.. دعوى كاسدة لا تستحق النظر فيها، فضلاً عن الاشتغال بالردّ عليها.. إنها دعوى.

[أن المحجبة المنقّبة آثمة عاصية مجرمة، مستحقة لعقاب اللَّه وغضبه، بسبب ارتدائها النقاب، وأن المتهتكة المتبرجة أفضل منها؛ لأنها أقل ابتلاءً، وأقرب إلى سواء السبيل!!](1) .

ولو كانت دعواه حبيسة الأوراق، رهينة الأدراج لهان الأمر، ولكان من الخطأ الردّ عليها، وتنبيه المسلمين إليها؛ لأنه يكون حينئذ إشهاراً لفكرة ماتت في مهدها، ولفتًا لأنظار المسلمين لينظروا في زيفها..

(١) «تذكير الأصحاب بتحريم النقاب» ص(٢٢٦ ـ ٢٢٧).

أما وقد نشرها وأذاعها، وادّعى أن أحدًا لا يستطيع هدمها، وفهم أن سكوت أهل العلم عنه ليس له من تفسير سوى أنهم برمتهم عاجزون عن دحض شبهاته، وكشف مفترياته[1]، شأنه في ذلك شأن «دونكيشوت» ذلك الرجل الأسباني الذي كان لا يجد مجالاتٍ لإثبات بطولته الفذّة سوى أن يتوجّه إلي «طواحين الهواء» يبارزها بسيفه، وأخيرًا ينتصر عليها، ويحطمها!!

وإذا ما خلا «الفَعَالُ» بأرض طلب الطَّعن وحده والنزالا

وقد أشار بعض الفضلاء بتعيّن التصدي لهذا الباهت المجازف، لكشف ما شَبَّه به من الكلام، وقد استخرت اللَّه تعالى في ذلك، وإني أسأله عز وجل أن يلهمني رشدي، وأن يعيذني من شر نفسي، هذا وأنا المقرّ بالتطفل على أهل الشأن، ولكن الضرورة ألجأتني وأمثالي إلى الكلام، كما قال أبو علي البصير:

لعَمْرُ أبيك ما نُسِبَ المُعَلّى إلى كرمٍ وفي الدنيا كريمُ
ولكن البلاد إذا اقْشَعَرّتْ وصَوّح نبتها رُعي الهشيمُ»[2]

◻ زادك اللَّه علوًّا بتواضعك. . بل أنت لها وأنت نبت الإسلام.

الإسلام الكريم. . ويأبى الزرع إلا طبيعته، ولقد أثمر غرسك في أمتك بساتين وأزاهير وعطر فوّاح يعبق الوادي أريجه الطيب، وكما قال ﷺ:

«لا يزال اللَّه يغرس في هذا الدين غرسًا يستعملهم فيه بطاعته إلى يوم القيامة».

---

(١) يقول الشيخ محمد إسماعيل عن إسماعيل منصور في كتابه «بل النقاب واجب» ص(٥) «بل بلغ اغتراره بإهمال العلماء إياه، وإعراضهم عنه أنه عدّ سكوتهم عنه إقرارًا لمذهبه الباطل، اسمعه وهو يقول في معرض الردّ على أحد مخالفيه: «هل كان يمكن أن يسكت علينا سائر علماء الأمة في المشارق والمغارب بعد نشر هذا الأمر وذيوعه؟؟ وبعد مرور حوالي العامين على ذلك على وجه التقريب؟؟» اهـ. من جريدة «النور» ٢ ربيع الآخر ١٤١١هـ.

(٢) «بل النقاب واجب» للشيخ محمد إسماعيل المقدم ص(٤ ـ ٦) دار العقيدة للتراث.

❏ وعلى يد الشيخ المبارك كأن «وأد» بنات أفكار المبتدع وبدعه في كتابه «تذكير الأصحاب بتحريم النقاب».

❏ يقول الشيخ محمد إسماعيل ـ حفظه اللَّه ـ:

«فقد أسفر الصبح لكل ذي عينين، ورُدّ الحق إلى نصابه، وبان خطأ الرجل من صوابه، لذا نقول:

قد أينعت الحقائق، وحان قطافها، ولقد صغا نجم الكاتب للأفول، وخرج ـ ولم يدخل قبلُ ـ من جملة العلماء الفحول؛ لأنه لبس رداء غيره، فصار عبرةً من العِبَر، وعَظَةً لمن ادَّكر، وأحسب أنه لا يَسَعُ كُل منصف إلا أن يشهد، ويقيم الشهادة للَّه: أن مثل هذا الكتاب لا يُصنّف في قوائم البحوث العلمية، ولا مكان له في درجاتها حتى ولا على أحطّها، فكيف وقد قام على التمويه، والكذب العلمي، وغير ذلك مما يتأبّى عليه الإنسان الكريم؟!

أما هذا الزبد الذي تضمّنه فعسى أن تبتلعه حنايا النسيان، وتلفّه طوايا الإهمال، فهذه سنة اللَّه التي لا تتبدّل، وهذه صحائف التاريخ قديمه وحديثه ناطقة بذلك، وإلاّ فأين «الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبدالرازق؟ وأين «في الشعر الجاهلي» لطه حسين؟

وأين «أضواء على السنّة المحمدية» لمحمود أبو ريّة؟

وعما قريب إن شاء اللَّه ستمضي القافلة قدمًا، وتطأ الأقزام، وتزيح المبتدعين من طريقها، ويومها ـ بإذن اللَّه ـ نضيف:

أين «السنّة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث»؟!

وأين «تذكير الأصحاب بتحريم النقاب»؟!

وأين.. وأين.. وأين؟!

وكما فشلت ترسانة الدعاية في مصر من قبل، ستفشل هذه المرة أيضًا بعون اللَّه وحده، بل سيكون فشلها في هذه المرة ساحقًا ماحقًا، بعد انكشاف أمرها؛ لأنها تسبح اليوم ضد تيار قويّ غلاب، ترعاه عناية اللَّه سبحانه ويحفه توفيقه، ويمده مدده الذي لا ينفد، وجنوده التي لا يعلمها إلا هو.

فيا طالب الأخرى ويا مبتغي الهدى ... ليسعد عند اللَّه في يوم يُسألُ
لعمري لهذا الحقُّ يعلو مناره ... عليك به إن الأباطيل تسفُلُ

◻ وإلى هنا: «كَلّ القلم من شدة الألم، وضاقت النفس من قوة الرَّفس.. فأرجو أن أكون أزحتُ الستار، وبيّنت العوار، ومن لم يستره الليل لا يستره النهار، ومن لم ير بالتوبة الجنة، فسيرى بالأبصار النار، والأمر للَّه الواحد القهّار»[١، ٢].

*** الشيخ المقدم نصير المرأة المسلمة وغراسه، وقاسم أمين وغسلينه وزقومه الدنيوي:**

كل إناء بما فيه ينضح.. وشجر التفاح لا يثمر إلا التفّاح وشجر الحنظل لا يثمر إلاّ مرًّا.

لقد قام شيخنا المقدم للَّه قومة صدق وحق، ودافع دفاع الميامين عن المرأة المسلمة وعفتها ونقابها وردّ أضابير العلمانيين أنصار قاسم أمين من روّاد الصالونات النسائية ومحافلهن ومراقصهن.. قاسم أمين أمين الذي بلغ به قحته وتبجحه أن قال: «ليس في الشريعة نص يوجب الحجاب، إنما هو عادة عرضت لهم من مخالطة بعض الأمم فاستحسنوها، وألبسوها لباس الدين، أما خوف الفتنة، فإنه يتعلّق بقلوب الخائفين من الرجال، وليس على النساء

(١) «بل النقاب واجب» ص(٢٢٨ ـ ٢٢٩).
(٢) انظر «القول الكريم الغالي» للشيخ أبي بكر الجزائري ـ حفظه اللَّه ـ ص(٦٢).

تقديره ولا هن مطالبات به».

◻ ثم يقول ساخرًا: «مستهزئًا بالسنة ليرضي وليّ نعمته الأميرة نازلي».

«ولماذا لا يُؤمر الرجال بالتبرقع خوفًا على النساء من الفتنة؟ هل المرأة أقوى عزيمة من الرجل وأقدر على ضبط النفس».

ولا نملك إلا أن نقول: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨].

لقد أخرجت دعوة محمد إسماعيل السلفية بجهده وجهد إخوانه وتلاميذه آلاف الطاهرات العفيفات القانتات المتبتلات الصائمات الذاكرات..

فما الذي أخرجته دعوة قاسم أمين:

- هدى شعراوي ابنة «محمد سلطان» الذي خان الثورة العرابية.. هدى شعراوي التي ألقت الحجاب «النقاب» على شاطئ الإسكندرية، هدى شعراوي التي طالبت بإزالة الفوارق الدينية بين الشعوب.

- ودرية شفيق التي أيدت الاحتلال الانجليزي لمصر، وكانت السفارتان الانكليزية والأمريكية تمولانها هي وحزبها «حزب بنت النيل».

- وأمينة السعيد التي تصف الحجاب بأنه «كفن ككفن الموتى» وتصف المحجبات بأنهن كالعفاريت.

- ونوال السعداوي، وإقبال بركة.

وكل حنظل وزقوم وغسلين دنيوي..

◻ ثمار قاسم أمين وحنظله تراه الآن على شواطئ البحار.. وفي دور الخيالة.. وفتيات الفيديو، وحفلات مارينا، والمراقص، وبنات الاستربيتز، وعبدة الشيطان، ثم تعال معي إلى جزاء دنيوي عجّله اللَّه لقاسم أمين ما ذكره الدكتور فهد بن عبدالرحمن الرومي - حفظه اللَّه - في كتابه القيم

«منهاج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» يقول:

«بقي.. وقفة.. وهمسة:

وقفة مع محمود عوض الذي أبدى دهشته وأسفه لتحوّل منزل قاسم أمين إلى «كباريه».. كباريه اسمه.. اسمه «الإريزونا!»[(١)]. وهمسة نهمسها في أذن محمود عوض هذا: ألا تستقي العبرة.. ألا تستوحي من هذا أن هذه «الدعوة» توصِّل إلى هذه «النتيجة»[(٢)].

◻ قسمة عادلة والجزاء من جنس العمل.. وأقول للشيخ محمد إسماعيل فيما سطرّته يداي حبًّا له في اللَّه:

يا زهر آمال البلاد وحبها	يا حادي الغرباء للأوطان
وسمي حبر وطب هدي نبينا	أعني البخاري العظيم الشان
يا ابن إسماعيل ويا بقية سلفنا	ارو الغليل بشيخنا الألباني
وانشر علوم السابقين وداونا	للَّه درك من فتى ربّاني
يا حسن «عود للحجاب» سَطَرته	من نبض قلبك في حُلى التبيان
لا تنسنا من طيب صالح دعوة	بظهرِ الغيوب لحبك العفّاني

* **المدافع عن الهوية الإسلامية:**

◻ يقول الشيخ محمد إسماعيل المقدم ـ حفظه اللَّه ـ تحت عنوان «هويتنا عقيدتنا»: «الهوية الإسلامية في المقام الأول انتماء للعقيدة، يترجم ظاهرًا في مظاهر دالة على الولاء لها، والالتزام بمقتضياتها، فالعقيدة

---

(١) «أفكار ضد الرصاص» لمحمود عوض ص(٥٧) ـ سلسلة اقرأ ـ دار المعارف بمصر أكتوبر ١٩٧٢م.

(٢) «منهاج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» ص(٧٧٢).

الإسلامية التوحيدية هي أهم الثوابت في هوية المسلم وشخصيته، وهي أشرف وأعلى وأسمى هوية يمكن أن يتصف بها إنسان، فهي انتماء إلى:

أكمل دين، وأشرف كتاب نزل على أشرف رسول إلى أشرف أمة، بأشرف لغة، بسفارة أشرف الملائكة، في أشرف بقاع الأرض، في أشرف شهور السنة، في أشرف لياليه وهي ليلة القدر، بأشرف شريعة وأقوم هدي.

وفي القرآن الكريم مدح وتعظيم لهذه الهوية، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

* وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾.

* وقال عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾.

* وقال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾.

* وقال جل جلاله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، ونحن لسنا منطقة (الشرق الأوسط) لكننا منطقة (الأمة الوسط)، وقال عز وجل في شرف هذه الهوية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، ثم ذكر حيثيات هذه الخيرية: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

□ أما اليهود: فأمة عنصرية؛ تؤمن بتفوق الجنس الإسرائيلي، ويصفون اللَّه تعالى بأنه (إله إسرائيل)، والأمم الأخرى (الجوييم) خُلقوا لخدمة اليهود، (ولذلك لا تبشير في اليهودية) قيل: يخافون أن يشاركهم الناس في الجنة!

فالمؤمنون الصادقون هم خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، فهذه مؤهلات الخيرية عند اللَّه تعالى، ومن ثم كان بعض المجاهدين الفلسطينيين يواجه «كاهنًا» بقوله: «نحن شعب اللَّه المختار».

إن الهوية الإسلامية انتماء إلى اللَّه عز وجل، وإلى رسول اللَّه ﷺ، وإلى عباد اللَّه الصالحين وأوليائه المتقين، من كانوا، ومتى كانوا، وأين كانوا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾، وقال عز وجل: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، وقال تبارك وتعالى على لسان المؤمنين: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾.

قوم تخللهم زهو بسيدهم ... والعبدُ يزهو على مقدار مولاهُ
تاهــوا به عمـن ســواه له ... يا حُسْنَ رؤيتهم في حسن ما تاهوا

وكل مسلم يقول في صلاته: «السلام علينا وعلى عباد اللَّه الصالحين»، ويقول الشاعر:

ومما زادني شرفًا وفخرًا ... وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك: «يا عبادي» ... وأن صيَّرتَ أحمدَ لي نبيًا[1]

❑ ويقول ـ رحمه اللَّه ـ: «فإذا نظرنا إلى مكائد الغرب ضد هويتنا

---

(١) «هويتنا أو الهاوية» للشيخ محمد إسماعيل المقدم ص(١٢ ـ ١٤) ـ دار الصفوة.

المسلمة لعلمنا أن هدفهم الأعلى هو طمس هويتنا، باستبدالها بأخرى أيًّا كانت، سواء هوية وثنية أو قومية، أو قطرية تفتتنا وتشتت شملنا؛ لأن الهدف هو الحيلولة دون أن يكون الإسلام عماد الحاضر والمستقبل، أو هوية عالمية تميع انتماءنا لديننا، المهم هو محو الهوية الإسلامية المتميزة، فصرنا كمن قيده عدوه، بعد أن جرده من سلاحه وانتزع أظفاره، وخلع أسنانه، ثم وضع الغُلَّ في عنقه، والقيد في معصمه وإذا به يشكر له هذا الصنيع، ويفخر بالغل، ويتباهى بالقيد ويعتز بأنه «عبد» لهذا السيد»[1].

أعداء الهوية في الداخل

﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾

إن تشويه الهوية وإضعافها عمل إجرامي تآمري، يرقى ـ بل ينحط ـ إلى مستوى الخيانة العظمى لأمة التوحيد، قال الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر السابق ـ رحمه اللَّه تعالى ـ : «إن البحث عن هوية أخرى للأمة الإسلامية خيانة كبرى، وجناية عظمى».

وقد لعن رسول اللَّه ﷺ من غير منار الأرض[2]، فكيف بمن يُغَيِّر هوية أمة، ويُضلها عن طريق النجاة؟

إن التاريخ المعاصر حافل بنماذج بشعة من ممسوخي الهوية، الذين كانوا «يُخْربون هويتهم بأيديهم»، فمنهم على سبيل المثال لا الحصر، وإلا فما زالت الشجرة الخبيثة تُخْرج نكدًا:

١ ـ مصطفى كمال أتاتورك: الذي مسخ هوية تركيا الإسلامية بالقهر، والذي قال: كثيرًا ما وددت لو كان في وسعي أن أقذف بجميع الأديان في

(١) المصدر السابق ص(٤٩ ـ ٥٠).

(٢) رواه مسلم في كتاب الأضاحي رقم (١٩٧٨).

البحر»، وهو الذي ألغى الخلافة، وعطل الشريعة، وألغى نص الدستور على أن الإسلام هو الدين الرسمي للبلاد، وألغى المحاكم الشرعية، والمدارس الدينية، والأوقاف، وألغى الحروف العربية واستبدلها باللاتينية، وكان يقول: «انتصرت على العدو وفتحت البلاد، هل أستطيع أن أنتصر على الشعب؟»".

ونشرت «الأهرام» بتاريخ ١٩٦٨/٢/١٥ وثيقة نقلتها عن جريدة «صنداي تايمز» تحت عنوان (كمال أتاتورك رشح سفير بريطانيا ليخلفه في رئاسة الجمهورية التركية)، قال الصحيفة: «إنه في نوفمبر ١٩٣٨م كان أتاتورك رئيس تركيا يرقد على فراش الموت، وكان يخشى أن لا يجد شخصًا يخلفه، قادرًا على استمرار العمل الذي بدأه، فاستدعى السفير البريطاني «بيرس لورين» إلى قصر الرئاسة في إستانبول، وعرض عليه أن يخلفه في منصب الرئيس، وبلباقة رفض السفير وأبرق إلى وزير خارجيته بما دار بينه وبين أتاتورك!».

٢ ـ **أغا أوغلي أحمد**: أحد غلاة الكماليين الأتراك، القائل: «إننا عزمنا على أن نأخذ كل ما عند الغاربيين حتى الالتهابات التي في رئيهم، والنجاسات التي في أمعائهم».

٣ـ **أحمد لطفي السيد**: خصم العروبة والوحدة الإسلامية، وصاحب شعار: «مصر للمصريين»، والنعرة الفرعونية، ويكفي في بيان عدائه للهوية الإسلامية أنه كان يصف نص الدستور على أن الدين الرسمي للدولة هو الإسلام بأنه: «النص المشئوم»!.

٤ ـ الرجل الذي قال في حقه شيخ الأزهر الأسبق العلاّمة «التونسي» محمد الخَضِر حسين ـ رحمه الله ـ: «وقد وصل ببعضهم الشغف بالانحطاط في هوى الأجانب، والانغماس في التشبه بهم أن اقترح في غير خجل قلب هيئة المساجد إلى هيئة كنائس، وتغيير الصلوات ذات القيام والركوع والسجود

إلى حال الصلوات التي تؤدى في الكنائس».

ثم علق - رحمه اللَّه - على ذلك الاقتراح بقوله: «وهذا الاقتراح شاهد على أن في الناس من يحمل تحت ناصيته جبينًا هو في حاجة إلى أن توضع فيه قطرة من الحياء».

٥ - **طه حسين**: عميد التغريب، وداعية التبعية المطلقة للغرب حتى في مفاسده وشروره، والقائل: «لو وقف الدين الإسلامي حاجزًا بيننا وبين فرعونيتنا لنبذناه».

وقد طالب «عميد التغريب»: «بأن نسير سيرة الأوروبيين، ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادًا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يُحب منها وما يكره، وما يُحمد وما يُعاب» اهـ.

فلا عجب أن قال المستشرق ماسينيون: (لو قرأنا كلام طه حسين لقلنا: «هذه بضاعتنا رُدَّت إلينا»).

٦ - **محمود عزمي**: الذي أعلن أن سبب مقته الحجاب مقتًا شديدًا: «هو اعتباره من أصل غير مصري، ودخوله إلى العادات المصرية عن طريق تحكم بعض الفاتحين الأجانب، فكان حنقي على أولئك الأجانب الفاتحين الإسلاميين يزيد».

والقائمة طويلة ستجد فيها: سلامة موسى، ولويس عوض، وجرجي زيدان، وفرج فودة، وحسين أحمد أمين، وزكي نجيب محمود، وغيرهم - لا كثَّر اللَّه سوادهم.

* * *

فرسان الدفاع عن الهوية

هم كُثرٌ والحمد لله ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ على رأسهم رجل كل العصور: شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ومن أراد أن يفهم قضية الهوية حق الفهم فليدرس كتابه الفذ: «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم»، ومنهم الأديب البارع مصطفى صادق الرافعي[١]، والدكتور محمد محمد حسين، والأديب العملاق محمود شاكر والشيخ أبو الحسن الندوي ـ رحمهم الله أجمعين ـ وسائر العلماء والمفكرين والدعاة في كافة بلاد العالم الإسلامي»[٢].

◻ ويقول ـ حفظه الله ـ: «لماذا تُقَدسُ الحرية الدينية لكل من هَبَّ وَدَبَّ، وفي نفس الوقت تُشَنُّ الحروب «الاستراتيجية» على المظاهر الإسلامية كاللحية والحجاب، حتى إنه لتعقد من أجلها برلمانات، وتصدر قرارات، وتثور أزمات، وتُجَيَّش الجيوش، وتُرابِطُ القوات، هذا ونحن أصحاب الدار، و:

كلُّ دارٍ أحَقُّ بالأهل إلا ... في رديء من المذاهب رِجْسِ
أحـرام على بلابله الدَّوْحُ ... حلالٌ للطيرِ من كل جنسٍ؟

لماذا تكافح العالمانية الدعيَّة الزنيمة التي لا تعرف شرف الخصومة، في سبيل طمس ووأد معالم وشعائر الهوية الإسلامية؟

أفكل هذا من أجل ما أسموه «قشوراً»؟ كلا، بل هم يدركون ما لهذه المظاهر من دلالة حضارية عميقة، ويدركون أنها رمز يتحدى محاولات التذويب والتمييع، ويصفع مؤامرة استلاب الهوية، كمقدمة للإذلال والاستعباد.

---

(١) ومعاركه ضد طه حسين يعلمها القاصي والداني.

(٢) «هويتنا أو الهاوية» ص(٥١ ـ ٥٧).

إن من يتخلى عن «القشرة الإسلامية» سيتغطى ـ ولا بد ـ بقشرة دخلية مغايرة لها، فلا بد لكل «لب» من «قشر» يصونه ويحميه، والسؤال الآن: لماذا يرفضون «قشرة» الإسلام، ويرحبون بقشرة غيره: فيأكلون بالشمال، ويحلقون اللِّحَى، ويُلبِسون النساء أزياء من لا خَلاَقَ لهن، ويلبسون القبعة، ويُدَخِّنون «البايب» والسيجار؟

إن تقسيم الدين إلى «قشر ولب» تقسيم غير مستساغ، بل هو محدث ودخيل على الفهم الصحيح للكتاب والسنة، ولم يعرفه سلفنا الصالح الذين كل الخير والنجاة في اتباعهم واقتفاء آثارهم ﴿**إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ**﴾ وهذه القسمة إلى قشر ولب، ظاهر وباطن ـ يتبعها المناداة بإهمال الظاهر احتجاجًا بصلاح الباطن ـ تلقى رواجًا عند المستهترين والمخدوعين، حينما يرون القوم يسمون المعاصي بغير اسمها.

وقسمة الدين إلى قشر ولب تؤثر في قلوب العوام أسوأ تأثير، وتورثهم الاستخفاف بالأحكام الظاهرة، وينتج عنها الإخلال بهذه الأمور التي سميت قشورًا، فلا تلتفت قلوبهم إليها، فتخلو من أضعف الإيمان ألا وهو الإنكار القلبي الذي هو فرض عين على كل مسلم تجاه المنكرات.

والتفريط في مُحَقَّرات الأعمال يؤدي إلى التفريط في عظائمها؛ لأن استمرار هذا التفريط يتحول مع الزمن إلى عادة تنتهي بصاحبها إلى قلة الاكتراث بأمور دينه، والتهاون بها.

ونحن إذا تسامحنا معهم في هذه القسمة إلى قشر ولب، فإننا نلفت أنظارهم إلى أن قياس أمور الدين على الثمار من حيث إن لكل منها قشرًا ولبًّا، وظاهرًا وباطنًا، لا يعني أن القشرة التي أوجدها اللَّه للثمرة خُلِقت عبثًا، حاشا وكلاَّ، بل لحكمة عظيمة وهي المحافظة على ما دونها وهو اللب نفسه، وهذا يَحمِلُنا على أن لا نستهين بالقشر من حيث كونُه حارسًا أمينًا

على اللب، وهكذا الشأن في أمور الدين الظاهرة»[1] .

*** هل ستعود إلى المسلمين هويتهم؟**

◻ يقول الشيخ محمد إسماعيل: «هذا السؤال يمكن صياغته بعبارة معادلة: هل سيعود إلى المسلمين مجدهم وسيادتهم؟ وذلك نظرًا للتلازم بين التسمك بالهوية وبين التمكين للدين.

الجواب: نعم، كما وعدنا اللَّه ورسوله ﷺ، وصدق اللَّهُ ورسولهُ، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾.

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «.. **ثم تكون خلافة على منهاج النبوة**».

* وقال اللَّه تعالى في صفة الذين سيسلطهم على اليهود إن عادوا إلى الإفساد في الأرض: ﴿**بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ**﴾، وأخبر ﷺ أن الهوية الإسلامية ستكون هي هوية الذين يقاتلون اليهود، حتى إن الحجر والشجر ليقول: «**يا مسلم يا عبداللَّه، هذا يهودي خلفي، تعال فاقتله**» الحديث، فالإسلام وعبادة اللَّه وحده هو مفتاح النصر والتمكين، أما شعارات الدجاجلة الذين بدلوا نعمة اللَّه كفرًا، والذين هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، فهؤلاء ستجرفهم سنة اللَّه ﴿**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ**﴾، فما هؤلاء الضالون المضلون من دعاة التغريب والقومية والعالمانية.. إلخ سوى «فقاقيع» سنحت لها الفرصة لتطفو على السطح، ثم تتلاشى كأن لم تكن، وسينتصر الإسلام رغم أنف الجميع.

إن العالم الإسلامي هو الآن الأجدر بالوصاية على المجتمع البشري،

---

(١) «هويتنا أو الهاوية» ص(٧٩ ـ ٨٣).

بعد انسحاب الأديان الأخرى من معترك الحياة، وبعد انهيار الشيوعية الملحدة، وإفلاس الغرب المادي من القيم الروحية السامية، والعالم الإسلامي له في المجد نسب عريق، وطريق عميق، وله حضور تاريخي متميز، ويملك مقومات الانطلاقة المستقبلية الجادة، إنه صاحب القوة الكبرى الكامنة التي يحسب لها الغرب ألف حساب ـ رغم ضعفه البادي ـ ومن أجل ذلك كان له الحظ الأوفر من مؤامرات تحطيم الهوية ومسخها، وفوق ذلك كله هو عالمٌ ـ إن عاد إلى هويته ـ فهو موصول بالسماء، مؤيد بالمدد الرباني الذي لا يضعه الغرب في حساباته، قال تعالى: ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ** ﴾.

ولنتأمل هذه «العبارة» التي نطق بها عدو لدود، ولكن لكونها توافق سنن الكون نقول: «صدق وهو كذوب»، فقد قصَّ الأستاذ يوسف العظم ـ رحمه اللَّه ـ أن وزير الحرب اليهودي «موشى ديّان» لقي في إحدى جولاته شابًّا مؤمنًا في مجموعة من الشباب في حيٍّ من أحياء قرية عربية باسلة، فصافحهم بخبث يهودي غادر، غير أن الشاب المؤمن أبى أن يصافحه، وقال له: «أنتم أعداء أمتنا، تحتلون أرضنا، وتسلبون حريتنا، ولكن يوم الخلاص منكم لا بد آتٍ بإذن اللَّه، لتتحقق نبوءة الرسول ﷺ: «**لتقاتلن اليهود، أنتم شرقي النهر وهم غربيّه**»، فابتسم «ديان» الماكر، وقال: «حقًّا! سيأتي يوم نخرج فيه من هذه الأرض، وهذه نبوءة نجد لها في كتبنا أصلاً.. ولكن متى؟» واستطرد اليهودي الخبيث قائلاً: «إذا قام فيكم شعب يعتز بتراثه، ويحترم دينه، ويقدر قيمه الحضارية.. وإذا قام فينا شعب يرفض تراثه، ويتنكر لتاريخه، عندها تقوم لكم قائمة وينتهي حكم إسرائيل».

فهل من معتبر..؟!»[١].

* يا ناطح الجبل العالي لتكلمه:

ولقدر الشيخ الجليل محمد إسماعيل، ولتعريته الدائمة لأعداء الهوية الإسلامية ولقيمة مؤلفاته «عودة الحجاب»، «أدلة تحريم حلق اللحية» «هويتنا أو الهاوية» «بدعة تقسيم الدين إلى قشر ولباب» ودروسه القيمة عن السلفية «السلفية لماذا؟» قامت جيوش العلمانيين وصحفهم السوداء التي تقطر سمًّا تهاجم الشيخ وتنعته روزاليوسف بنعوت هو أشد الناس بُعدًا عنها، وتصدى له الموتورون من الأقزام، وروّاد التنويريين من الشعراء والأدباء المارقين ولكنا نقول لهم، ما يفيد السحاب نبح الكلاب.. هو ملء السمع والبصر يحبه كل مسلم غيور.

ومن عجب أني أحنّ إليهمُ ... وأسأل شوقًا عنهمُ وهمُ معي
وتبكيهمُ عيني وهم في سوادها ... ويشكو النّوى قلبي وهم بين أضلعي

☐ نقول لهؤلاء الأقزام:

يا ناطح الجبل العالي لتُكلِمَه ... أشفقْ على الرأس لا تشفق على الجبلِ

* * *

---

(١) «هويتنا أو الهاوية» ص(٨٦ ـ ٨٩).

* المدرسة السلفية بالإسكندرية وأثرها المبارك في مصر:

أقولها خالصة لوجه اللَّه عز وجل لو أتيح لشيوخها فرصة الانتشار بمصر لصبغوا مصر كلها بالصبغة السلفية ولتخرّج على أيديهم كوادر علمية على درجة عالية من الكفاءة تسد ثغرًا من ثغور الدعوة إلى اللَّه.

ونخص بالذكر الشيخ أبا إدريس محمد عبدالفتاح، وشيخ الوعاظ وكبير المربين أستاذنا الحبيب العابد الورع طيب الذكر الشيخ الدكتور أحمد فريد، من تعلمنا الوعظ على يديه.. وأثر فينا نور وجهه وخشوعه وربّانا بلحظه قبل لفظه، وفضيلة الشيخ الدكتور سعيد عبدالعظيم وجهده الطيب المشكور على مدار سنين طويلة من الدعوة والنصح والتوجيه، والشيخ الدكتور أحمد حطيبة وأثره الطيب في باكوس.. وسل مسجد نور الإسلام فعنده الخبر العجيب.

وشقيق الروح مربي الرجال الداعية الفذّ الذي وضع اللَّه له القبول في أوساط الشباب وتخرج على يديه كوادر من المدرسين الذي أحاطوا بدقائق عقيدة السلف وللَّه ما أحلى غرسه فيهم.. وهذا من عاجل الجزاء له وعاجل البشرى للمؤمن.. ويشكر له جهده وعلو همته العجيبة في الدعوة إلى اللَّه عز وجل فضيلة الشيخ ياسر برهامي ـ حفظه اللَّه.

وأشهد اللَّه أنه من الرجال الذين تعرفهم في وقت المحن والشدائد فتحبهم، وتحب فيه سعة أفقه، وصبره على العبادة، ولين جانبه، ويشكر له دفاعه العظيم عن عقيدة السلف، وتحريره لمسائلها العلمية.

سيبدو لكم في مضمر القلب والحشا ... سيرة حب يوم تبدو السرائر

فاللَّهم بارك في جهودهم.. وعظّم أجرهم.. وبارك في دعوتهم وأبنائهم وأهليهم.

«وا إسلاماه»

ولكنّ الإسلام لا بواكي له

هذا زمن ينطق فيه الرويبضة من أقزام العلمانيين المحادين للَّه ورسوله الكارهين للإسلام من أمثال سعيد العشماوي إلى حسن حنفي ونصر حامد أبو زيد وسيد القمني وخليل عبدالكريم والجعلان على أشكالها تقع: أدونيس، وعبدالعزيز المقالح، وعبدالوهاب البيّاتي، ومحمود درويش، وصلاح عبدالصبور ونزار قباني وشيخة الإسلام إقبال بركة، وأمينة السعيد، ونوال السعداوي وأمر هؤلاء بالمعروف ونهيهم عن المنكر هو أشرف أنواع الجهاد، فهو جهاد الخاصة جهاد البيان واللسان، فما كل أحد من عوام المسلمين يستطيع دحض شبهاتهم القاتلة قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿**وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**﴾ أي بالقرآن وحججه وبيناته، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ**﴾ وجهاد المنافقين إنما يكون بالحجة واللسان.

أيشتم رب قد عبدناه ونسكت إنا إذًا لعبيد سوء!! أيتكلم صبيان العلمانية وعبيد الغرب الكاره للإسلام أصحاب كل قلم داعر وصحيفة لقيطة وتكمم الأفواه التالية لكتاب اللَّه، وتقيد الأيدي المتوضئة.

ذنبك أنك ما أذنبت وعارُك أنك ضد العار

لا بد من أن نرفع عقيرتنا للإسلام وبالإسلام عالية.

اصرخ لدينك في الطريق

اصرخ بجرحك في رءوس لا تفيق

قل إنه الطوفان يأكلنا.. ويطعم من بقايانا
كلاب الصيد والغربان والفئران في الزمن العقيم
قد يقول قائل: أنا مضطر لأن آكل خبزاً.
قل له: واصل الصوم.. ولا تفطر بجيفة
صم عن الدنيا.. واجعل فطرك الموت..

متى اشتد عطشك إلى ما تهوى فابسط أنامل الرجاء إلى من عنده الريّ الكامل وقل قد عيل صبر الطبع في سنيّة العجاف، فعجّل لي العام الذي فيه أُغاث وأعصرُ.

أكْلُ عيش؟؟
لم يمت حرٌّ من الجوع
ولم تأخذه إلا من «حياة العبد» خيفة
لا.. ولا من موضع الأقذار
يسترزق ذو الكف النظيفة
أكلُ عيش؟؟
كسب قوتٍ..
إنه العذر الذي تَعلِكُهُ المومِسُ
لو قيل لها كوني شريفة

*** للإسلام وبالإسلام نحيا:**

لإسلامي أعيش أنا ... لتوحيدي وذا ديني
نقشت حروفه تعلو ... على كل العناوين
بخط بارز يسمو ... على كل الميادين
لإسلامي ولو حتى ... إلى الجدران شدّوني

لإســـلامي ولو حتـى إلى النيـــران زفّوني
لإســلامي لإســلامي ولو في السوق باعوني
وثـــارات لإســلامي تعايــشـني تغـذّيني
تبث النـور في روحي وتنبض في شرايـيــني
وإســـلامي له عرقي له نبضي وتكويني
أنـــا ماذا أكون أنـــا بـــلا ربي بـــلا ديني
أنـــا ماذا أكون أنـــا أجيبوني أجيبوني؟؟

☐ لزامٌ علينا أن نُعَرِّي من تعرى من لباس الدين والتقوى وتعظيم حرمات اللَّه.

☐ لزامٌ علينا أن نرفع الغشاوة عن أعين المسلمين ليروا أعداءهم الذين تربوا على فتات موائد الاستشراق والشيوعية وأتوا إلينا بكل نبت نكد.. وحصائد ألسنتهم تظهر عفونة قلوبهم ﴿**قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**﴾.

☐ إنهم يهدمون الثوابت من دين اللَّه دون أي حياء، انظر إلى:

*** محمد سعيد العشماوي الذي تولّى كِبر الطعن في الإسلام وثوابته:**

فهو يرمي المسلمين الأوائل من الصحابة بل وعلى عهد الرسول أنهم بدّلوا دين الإسلام إلى صيغة حربية فيقول باللفظ:

«ويرى بعض المؤرخين أن الإسلام تشكّل في صيغة حربية عندما بدأت أول سرية للمسلمين على قوافل تجارة قريش فيما بين الشام ومكة، ويرى آخرون أن الاتجاه العسكري في الإسلام بدأ من غزوة خيبر».

ويقول عن عصر الصحابة ﷺ: «إن المسلم يحزن أن ينحدر المسلمون الأوائل إلى هذا المنقلب الذي غيّر من روح الإسلام وبدّل من صميم

الشريعة.. لقد صارت السلطة والغرض والورث والصدقة عقيدة غير العقيدة ودنيا بدل الدين، وشريعة عوضًا عن الشريعة.. وطفح على وجه الإسلام كل صراع.. فبثر بثورًا غائرة، ونشر بقعًا خبيثة»[١].

هذا الخبيث يزعم أن الصحابة ﷺ قد بدّلوا صميم الإسلام وغيّروا روحه، وقدموه في صورة شائهة منفرة طافحة بالدمامة والقبح والسوء.

*** العشماوي هو كاسمه:**

الذي قال عن القرآن: إن اتحاد نصه «قد ضيّع الإنسان المسلم، فجعله إنسان النص لا المعنى، إنسان النقل لا العقل، إنسان الحرف لا الروح.

وأنه لم يُطبَّق - في كل العصور الإسلامية - إلا كأمر شاذ، وعُملة نادرة، أو كمجرد نزوة، في ظرف استثنائي..

◻ وأن النص القرآني لا زالت به حتى الآن أخطاء نحوية ولغوية»[٢]!.

◻ ويكذب على الله سبحانه وتعالى وعلى رسوله فيقول: «إن القرآن نزل على المعاني وقصد إليها، وإذا كانت المعاني تقبل التعبير عنها بأكثر من لفظ فقد تضمّن التنزيل صياغتها في لفظ وأجاز النبي أن يعبر عنها بلفظ آخر يفيد معناه»[٣].

* ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ بل القرآن نزل بلفظ يحمل معنى فالإلهي فيه هو اللفظ والمعنى جميعًا، والأحرف السبعة

---

(١) «الخلافة الإسلامية» لمحمد سعيد العشماوي ص(١١٣ - ١١٥) - طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠.

(٢) انظر إلى «الخلافة الإسلامية» ص(١٤٧ - ١٤٨)، و«حصاد العقل» للعشماوي ص(٧٢، ٧٣).

(٣) «حصاد العقل» ص(٧٢) للعشماوي - طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢.

جميعها تنزيل ووحي من اللَّه.

□ وصورة الرسول ﷺ الذي قال عنه: «إنه صاحب دعوى».

فيقول: «بدأ النبي دعواه إلى الإسلام بمكة ٦١٠م»[١].

وهو كرجل قانون يعرف جيدًا الفرق بين «الدعوة» وبين «الادعاء» و«الدعوى» من الفعل: «ادّعى» وصاحبها «مُدَّع» فعامله اللَّه بما يستحق.

□ ويرى أن عقيدة العصمة هي أفكار إسرائيلية دخيلة.

فيقول: «دخلت فكرة عصمة الأنبياء.. إلى الفكر الإسلامي نقلاً عن الفكر المسيحي الذي يؤمن بأن المسيح أقنوم (صورة) للَّه، وأنه لذلك لا يمكن أن يُخطئ؛ لأنه معصوم بطبيعته من الوقوع في الخطأ»[٢].

□ ويوهم العشماوي القارئ بأن عند محمد رسول اللَّه وعيسى - صلوات اللَّه وسلامه عليهما ـ من الوحي ما كتماه عن الناس فيقول:

«لقد دهش بعض مستمعي السيد المسيح من تعاليمه، فعجب من دهشتهم، وقال له: إنه يكلمهم بالأرضيات (أي: في المعارف الدارجة) فما البال لو كلّمهم بالسماويات (أي: بالأسرار الكونية)!!.. وعن النبي ﷺ أنه قال: «**أوتيت القرآن ومثله معه**». ومفاد قول المسيح وقول النبي أن كلامنهما كان يعرف ما لم يستطع أن يقوله حتى لخاصة خاصته»[٣].

□ ويقول عن وثيقة دستور دولة المدينة التي وضعها رسول اللَّه ﷺ للدولة الجديدة بأنها «وثيقة شبه جاهلية وليست إسلامية، ولم تُشر إلى القرآن أو تعاليم الإسلام، ولم تنبن على ما فيهما من قيم وأحكام»[٤].

---

(١) «أصول الشريعة» لمحمد سعيد العشماوي ص(٥٦) طبعة القاهرة سنة ١٩٧٩م.

(٢) «أصول الشريعة» ص(١٤٣).

(٣) «أصول الشريعة» ص(١١).

(٤) «الخلافة الإسلامية» للعشماوي ص(٨٠).

وهذا افتراء غير مسبوق، وغير معقول وغير مقبول من العشماوي على رسول اللَّه ﷺ.

ويفتري على الرسول ﷺ بأنه كان يقضي بين الناس جريًا على سنة العرب في الجاهلية[1]، ولقد عارضت كثير من القبائل ما فرضه عليهم من إتاوة أو جزية أو خراج أو رشوة يسوءهم أداؤها، ويذلهم دفعها[2].

وصوّر رسول اللَّه ﷺ أنه كان يشجع شعر حسان بن ثابت «المقذع.. البذيء»[3].

وانظر إلى رأيه في «الصدّيق» رضي الله عنه وهو رأي لم يسبقه إليه زنديق.

فيقول: «بدأ فخلط بين حقوق النبي وحقوق الحكام[4].. فحدث زيوغ في الخلافة، وحيود في الحكم، يبدو جليًّا في اغتصاب حقوق النبي، واشتداد نزعة الغزو، وانتشار الجشع والفساد وظهور القبلية والطائفية»[5].

«أخذ من حقوق النبي ما ليس له، واغتصب من سلطات الرسول ما لا ينبغي أن يغتصبه، وأكره المؤمنين على ما ليس من الإسلام في شيء [يعني: إصرار أبي بكر رضي الله عنه على دفع الناس للزكاة، وعدم التفريق بينها وبين الصلاة].. وأنشأ في الواقع دينًا جديدًا غير دين النبي، فبدأ بذلك خطوات وضع أحكام دين جديد.. فكانت حروب الصدقة التي أعلنها أبو بكر،

(١) انظر إلى «الربا والفائدة في الإسلام» لمحمد سعيد العشماوي ص(١٩، ٤٣، ٤٤، ٤٩، ٧٢، ٩٨)، و«معالم الإسلام» للعشماوي ص(٢٥٤)، و«الإسلام السياسي» للعشماوي ص(١٨١)، و«الشريعة الإسلامية والقانون المصري» للعشماوي ص(٧٠).

(٢) «الخلافة الإسلامية» ص(١٠٢، ٨٦)، و«جوهر الإسلام» للعشماوي ص(٧، ٨).

(٣) «معالم الإسلام» للعشماوي ص(٢٦، ٢٧).

(٤) «الخلافة الإسلامية» ص(٨٦).

(٥) المرجع السابق ص(١٠٢).

وانتصر فيها رأيه وعمله، منحنى خطير في الخلافة، ومنعطفًا شديدًا غيّرها فور نشوئها، ومنقلبًا سيئًا انحدرت إليه عبر تاريخها»[١] .

❑ ويصف عمر بن الخطاب ﷺ «بالتشدّد والغلو»[٢] .

❑ ويصف ذا النورين عثمان بن عفان ﷺ «بالاستبداد» و«الاستعلاء» و«التعابث» و«التخابث» و«التحايل» كل ذلك في نص واحد[٣] .

❑ وقال عن علي كرم اللَّه وجهه أنه: «شخص مناور.. ورجل مداور شق عصا الطاعة على الجماعة، وبذر بذور الفتنة في الخلافة وشئون الحكم، وأراق دماء المسلمين في سبيل الملك والإمارة»[٤] .

ويقول عن الصحابة ﷺ: «وساعد لفظ «الخليفة».. وما قد يفيده من معنى وراثة كل الحقوق والالتزامات ـ على بلبلة الفهم، واضطراب التصرفات، وبقاء الغيوم في المحيط الإسلامي، فاضطربت موازينهم، واختلت معاييرهم، وخلطوا بين ما هو للَّه وما هو للناس، حتى انتشر ظلام دامس اختفت فيه الحقائق»[٥] .

❑ وقال عن الفقه الإسلامي: «إنه فقه الحيل، التي حرّمت الحلال، وتعدّت على مقام الجلالة ونزعت منازع المشركين عبدة الأوثان، واقتفت أثر الجهال أصحاب الأصنام»[٦] .

---

(١) «الخلافة الإسلامية» ص(٢٣٨، ٥٠، ١٠٢ ـ ١٠٥)، وانظر كذلك «أصول الشريعة» له ص(١٤٩ ـ ١٥٠)، و«حصاد العقل» ص(٧٩ ـ ٨٠).
(٢) «الربا والفائدة» ص(٥٣).
(٣) «معالم الإسلام» للعشماوي ص(١١٧).
(٤) «الخلافة الإسلامية» ص(١١٤، ١١٢).
(٥) «أصول الشريعة» للعشماوي ص(١٣٨، ١٤٩).
(٦) انظر إلى «الربا والفائدة في الإسلام» ص(٥٥، ٤٩).

«وهو فقه حروب ومجتمعات مضطربة، لا فقه سلام ومجتمعات مطمئنة»[١].

* ويقول عن الشريعة:

«إنها «رحمة.. وضمير» لا «قانون وتشريع».. فالدعوة إلى الحكم بشرع اللَّه وحده، هي دعوة إلى أفكار يهودية.

والقواعد والأحكام التشريعية في القرآن مؤقتة بأسباب نزولها، ليس لها إطلاق ولا استمرار.

وبوفاة الرسول ﷺ انتهى التنزيل، وانعدم الوحي.. وسكتت الشرعية الإلهية، وأصبحت الأحكام تاريخية، ليس لها أية قوة ملزمة، أو أي أثر فعّال، بما في ذلك: مبادئ وأحكام الشورى.. والميراث.. والحجاب، والحدود، حتى الخمر فهي غير محرمة في القرآن.. وحتى اللواط فلا عقوبة عليه في الإسلام»[٢].

◻ وأحمد عبدالمعطي حجازي الشاعر وأقواله طوام، ويكفيك ما قاله في جريدة الأهرام يوم الأربعاء ١٠/٧/٢٠٠٢ في مقاله الأسبوعي بعنوان «الإزار والرداء» وعرّج على قول اللَّه تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ وهو يرى كالعشماوي أن ألفاظ الآية ليس فيها ما يدل على أن تغطية المرأة شعرها واجب ديني؛ لأن الخمار هو الغطاء دون تحديد.

(١) «الخلافة الإسلامية» ص(٢٣٠).
(٢) انظر «الإسلام السياسي» للعشماوي ص(٣٩)، و«معالم الإسلام» ص(١١٦ ـ ١١٨، ١٢٤، ١٢٥).

❑ ونصر أبو زيد الذي يريد الناس أن يتعاملوا مع القرآن كنص أدبي وليس وحيًا إلهيًا بل يقول في آخر كتابه «وقد آن أوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر، لا من سلطة النصوص وحدها، بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان في عالمنا، علينا أن نقوم بهذا الآن وفورًا، قبل أن يجرفنا الطوفان»[١] .

وهو يريد زحزحة القرآن عن موكب حياة المسلمين، ويقول إن: «الاحتكام إلى كتاب اللَّه عز وجل لم يكن موجودًا إلا عندما ظهر الخوارج»[٢] .

❑ أدونيس: واسمه الحقيقي علي أحمد سعيد، قزمٌ تعملق، كان على النحلة النُصيرية المارقة، ثم تاب على يد إبليس منها، والتحق بالشيوعية وتسمَّى بأحد أسماء آلهة الفينيقيين (أدونيس) وانضم في مقتبل عمره إلى الحزب القومي السوري، وتأثر برئيس الحزب النصراني «أنطوان سعادة»، ثم مال إلى اليهودية بعد عمالة طويلة للماسونية.

ومن نماذج شعره الكفري العفن قوله:

كاهنة الأجيال قولي لنا شيئًا عن اللَّه الذي يولد..

قولي أفي عينيه ما يُعبد..

وقوله: مات إلهٌ، كان من هناك يهبط من جمجمة السماء.

وقوله: لا اللَّه أختار.. ولا الشيطان.. كلاهما جدار..

كلاهما يغلق لي عيني، هل أبدِّل الجدار بالجدار..

---

(١) «الإمام الشافعي، وتأسيس الأيدلوجية الوسطية» لنصر أبو زيد ص(١١٠).

(٢) المصدر السابق ص(٢١).

وقوله: اعبر اعبر.. فوق اللَّه والشيطان..

وقوله: يا أرضنا يا زوجة الإله والطغاة..

وقوله: نمضي ولا نصغي لذلك الإله.. تُقنا إلى ربٍّ جديدٍ سواه..

◻ وعبدالعزيز المقالح:

كاتب وشاعر يمني عَفِن، كان مديرًا لجامعة صنعاء وهو ذو فكر يساري.

ومن نماذج شعر الملحد قوله:

صار اللَّه رمادًا، صمتًا، رعبًا في كف الجلادين..

حقلاً ينبت سبحات وعمائم.. بين الرب.. الأغنية..

الثروة.. والرب القادم من هوليود..

كان اللَّه قديمًا حُبًّا.. كان سحابةً..

كان نهارًا.. في الليل أغنيةٌ..

◻ عبدالوهاب البيّاتي:

وعبدالوهاب البياتي شاعر عراقي ماركسي ومن شعره الكفري قوله:

اللَّه في مدينتي يبيعه اليهود..

اللَّه في مدينتي مشردٌ طريد..

أراده الغزاة أن يكون لهم أجيرًا شاعرًا قواد..

يخدع في قيثاره المذهب العباد..

لكنه أصيب بالجنون..

لأنه أراد أن يصون زنابق الحقول من جرادهم..

أراد أن يكون..

❑ محمود درويش:

وهو عضو الحزب الشيوعي الفلسطيني والمستشار الثقافي السابق لياسر عرفات.. وهذا الذي يُشار إليه بالبنان في المعارض الثقافية الكبيرة.. ويُمثل فلسطين!! أي والله.

❑ ومن شعره الكفري:

كل قاضٍ كان جزّارًا تدرّج في النبوءة والخطيئة..

وقوله: نامي فعين الله نائمة.. عنا وأسراب الشحارير[1].

ويقول في قصيدته «مديح الظلّ العالي»:

«يا خالقي في هذه الساعات من عدمٍ تجلّ... لعلّ لي ربًّا لأعبده لعلّ»

❑ ويقول في قصيدته «المطر الأول»:

في رذاذ المطر الناعم كانت شفتاها

وردة تنمو على جلدي.. وكانت مقلتاها

أفقًا يمتد من أمسي إلى مستقبلي

كانت الحلوة لي

كانت الحلوة تعويضًا عن القبر الذي ضم إلهًا

وأنا جئت إليها من وميض المنجل

والأهازيج التي تطلع من لحم أبي نارًا وآها

❑ ويقول في قصيدة (أهديها غزالاً):

وفي ليل رمادي رأينا الكوكب الفضي

(١) من قصيدته «الموت في الغابة».

ينقط ضوءه العسلي فوق نوافذ البيت
وقالت وهي حين تقول تدفعني إلى الصمت
تعال غداً لنزرعه مكان الشوك في الأرض
أبي من أجلها صلى وصام
وجاب أرض الهند والإغريق
إلها راكعًا لغبار رجليها
وجاع لأجلها في البيد
أجيالاً يشدّ النوق
وأقسم تحت عينيها يمين قناعة الخالق بالمخلوق
فدائي الربيع أنا
وعبدُ نعاسِ عينيها
وصُوفيٌّ الحصى والرمل والحجر
سأعبدهم لتلعب كالملاكِ
وظلّ رجليها على الدنيا
صلاة الأرض للمطرِ

□ صلاح عبدالصبور:

يقول هذا الهالك التالف الحائز على جائزة الدولة التقديرية!! في شعره الكفري العَفِن:

.. وفي الجحيم دحرجت روح فلان..
يا أيها الإله كم أنت قاسٍ مُوحش..

وقوله: والشيطان خالقنا ليجرح قدرة اللَّه العظيم..

وقوله: ملاحنا ينتف شعر الذقن في جنون..

يدعو إله النقمة المجنون..

أن يلين قلبه، ولا يلين..

وقوله: كان لي يومًا إله وملاذي كان بيته..

قال لي إن طريق الورد وعرٌ فارتقيته..

وقوله: حين أبصرت إلهي أسمر الجبهة وردي..

ورقصنا وإلهي للضحى خدًّا لخد..

ثم نمنا وإلهي بين أمواج وورد..

وقوله: وإلهي كان طفلاً.. وأنا طفلاً عبدته..

❑ أمل دنقل:

القائل في شعره الكفري:

المجد للشيطان معبود الرياح

مَن قال لا في وجه من قالوا نعم

❑ فدوى طوقان:

وهي شاعرة فلسطينية يبرأ منها الحجر والشجر في أرض الإسراء، ومن شعرها قولها في حق ربها وخالقها تقول في قصيدة لها بعنوان «مرثاة إلى نمر»:

وأنت يا من قيل عنه إنه هناك..

حان لطيفٌ بالعباد..

أين أنت لا أراك..

دعني أراك.. كي أقول إنه هناك..

❑ وقال راشد حسين في قصيدة له عن مصادرة اليهود لبعض أملاك العرب:

اللَّه أصبح غائبًا يا سـيدي صادر إذن حتى بساط المسجدِ

❑ نوال السعداوي:

المحادة للَّه ورسوله القائلة: كون الإله ذكرًا انحياز إلى الرجال ضد النساء.. هل بعد هذا ردة وزندقة.. هذه الطاعنة في كل ثوابت ديننا.

❑ وشيخة الإسلام إقبال بركة!!

التي تنكر فريضة الحجاب وتشن عليه الحرب الشعواء وتقول: إنه يرمز لعصر الرق والإماء ولا حاجة إليه في عصرنا!! وتكذب أساطين العلم وسادات المحدثين والمفسرين عاملها اللَّه بما تستحق وأخزاها في الدنيا قبل الآخرة..

*** يقول الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي عن أهل الإلحاد:**

«فأهل هذا المذهب أعظم الخلق مكابرة وإنكارًا لأظهر الأشياء وأوضحها، فمن أنكر اللَّه فبأي شيء يعترف ﴿**فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الجاثية: ٦]، وهؤلاء أبعد الناس عن عبودية اللَّه والإنابة إليه، وعن التخلق بالأخلاق الفاضلة التي تدعو إليها الشرائع، وتخضع لها العقول الصحيحة، ومع خلوّ قلوبهم من توحيد اللَّه والإيمان به وتوابع ذلك، فهم أجهل الناس وأقلهم بصيرة، ومعرفة بشريعة الإسلام وأصول الدين وفروعه، فتجدهم يكتبون ويتكلّمون ويدّعون لأنفسهم من العلم والمعرفة والثقافة واليقين ما لا يصل إليه أكابر العلماء، ولو طُلب من أحدهم أن يتكلم عن أصل من أصول الدين العظيمة التي لا يسع أحدًا جهله، أو على حكم من الأحكام في العبادات والمعاملات والأنكحة لظهر عجزه، ولم يصل إلى ما

وصل إليه كثير من صغار طلبة العلم الشرعي، فكيف يثق العاقل فضلاً عن المؤمن بأقوالهم عن الدين، فأقوالهم في مسائل الدين لا قيمة لها أصلاً، ولو سبرت حاصل ما عليه رؤساؤهم لرأيتهم قد اشتغلوا بشيء يسير من علوم العربية، وترددوا في قراءة الصحف التي على مشربهم، وتمرّنوا على الكلام الذي من جنس أساليب كثير من هذه الصحف الرديئة الساقطة، فظنوا بأنفسهم وظن بهم أتباعهم الاضطلاع بالمعارف والعلوم، فهذا أسمى ما يصلون إليه في العلم»[١] .

هذا النبت الشيطاني النكد لا يُسكت عليه أبدًا فهم جنود الشياطين الذين فاقوهم مكرًا ودهاء وكيدًا للإسلام وشعائره وعوام المسلمين الذين لا يفطنون لشبههم لقلة علمهم وضعفهم.

«أليس ضعف المسلمين في هذه الأوقات يوجب لأهل البصائر والنجدة منهم أن يكون جدّهم ونشاطهم وجهادهم الأكبر متضاعفًا ويقوموا بكل ما في وسعهم لينالوا المقامات الشامخة ولينجوا من الهوّة العميقة التي وقعوا فيها؟ أليس هذا من أفرض الفرائض وألزم اللازمات في هذه الحال؟»[٢] .

❑ وفرج فودة: هذا الذي سمّاه الزعيم «عادل إمام»: بالشهيد وبصديقه العزيز هذا الذي سال قلمه بالسم الزعاف على الإسلام والشريعة ثم ذهب إلى مزابل التاريخ.

*** الزنديق نزار قبّاني:**

إلى الأمة الغافلة النائمة نرسم بالصدق حقيقة هذا الزنديق الذي تباكي عليه المرتزقة الفرحون بقتل كل فضيلة وعفة ونشر كل رذيلة وخسيسة،

---

(١) «انتصار الحق» للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ص(١٤ ـ ١٥) ـ المكتبة السلفية.
(٢) المصدر السابق ص(٧).

وهمّهم الوحيد خفض دين اللَّه بكل وسيلة والصد عن سبيله ويأبى اللَّهُ إلا أن يتم نوره.

إلى أصحاب الأقلام الداعرة المستأجرين على حطام من الدنيا قليل، وهم عند ربهم من المجرمين الفاجرين، الذين سال مدادهم حزنًا على شهيد الشعراء!!، وشاعر الأمة العربية، وشاعر المرأة نزار.

أين أنتم من جراح أمتنا؟ أين أدبكم وشعركم لماذا لم يتغنّ على أطلال الأندلس المسلوبة؟ وعلى جبال كشمير المغصوبة؟ وعلى أشجار الفلبين الخضراء؟! وتلال أرتريا وبورما وسهولها؟ وأرض البوسنة وجراحها؟! أين كتاباتكم أيها الأدباء والكُتَّاب عن أرض الملاحم وأرض الأنبياء، أرض الإسراء التي ترزح تحت أيدي أحفاد القردة والخنازير يهود الغدر والخيانة؟ أين مداد أقلامكم؟ ما لي أراها قد جفّت، وأقلامكم قد تكسَّرت، عن كشف ما حلّ في أمتنا من منكرات وبدع في الدين قُدِّمت على دين اللَّه تعالى وشرعه، وانقاد إليها الناس أفواجًا إثر أفواج، وأسرابًا تتبعها أسراب!!!»[1].

سنفضحكم ونفضح نزاركم الذي تولّى كبره.. نزار وما أدراك ما نزار التكبر على الخالق.. نزار الاستهزاء بكل فضيلة وعفّة وبؤرة كل فساد وعفونة.. نزار الزندقة والإلحاد، ووجه الحداثة الكالح، ومستنقع الوثنية الآسن[2].

خنزير طبع في خليقة ناطق ... مستوّف بالكذب والبهتان

أيها الجبناء قولوا للناس ما تعلمون من شعر نزار.. قولوا لمن كان عنده

(١) «السيف البتار في نحر الشيطان نزار» لممدوح السهلي الحربي ص(٨٥) ـ دار المآثر بالمدينة.

(٢) مثله مثل عبداللَّه العروي المغربي، ومحمد الجابري المغربي، وعبدالعزيز المقالح وعبدالوهاب البياتي، وغيرهم وغيرهم.

مثقال ذرة من إيمان. . ماذا تقول في نزار القائل:

«من أين يأتي الشعر يا قرطاجة. .

واللَّه مات وعـــادت الأنصاب»[١] .

❑ والقائل:

(ماذا تشعرين الآن؟ هل ضيّعت إيمانك مثلي، بجميع الآلهة)[٢] .

❑ والقائل: «بلادي ترفض الحبَّا

بلادي تقتلُ الرب الذي أهدى لها الخصبا

بلادي لم يزرها الرب منذ اغتالت الرّبا[٣] .

❑ ويقول في «دفاتر فلسطينية» ص(١١٩):

«حين رأيت اللَّه. . في عمّان مذبوحًا

على أيدي رجال الباديـــة».

❑ ويقول في مجموعة «لا» في «خطاب شخصي إلى شهر حزيران» ص(١٢٤):

«أطلق على الماضي الرصاص

كن المسدس والجريمة. .

من بعد موت اللَّه، مشنوقًا على باب المدينة

لم تبق للصلوات قيمة

لم يبق للإيمان أو للكفر قيمة».

---

(١) «الأعمال الشعرية الكاملة» لنزار (٣/ ٦٣٧).

(٢) «الأعمال الكاملة» لنزار (٢/ ٣٣٨).

(٣) «يوميات امرأة لا مبالية» لنزار ص(٦٢٠).

☐ ويقول في مدح الكفر:

«يا طعم الثلج وطعم النار
ونكهة كفري ويقيني»[1] .

☐ ويقول:

«أريد البحث عن وطن..
جديد غير مسكون
ورب لا يطاردني
وأرض لا تعاديني»[2] .

☐ ويقول هذا الزنديق:

(لأنني أحبك، يحدث شيء غير عادي، في تقاليد السماء، يصبح الملائكة أحرارًا في ممارسة الحب، ويتزوَّج اللَّه حبيبته في السماء)[2] .

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴾ .

☐ ويقول هذا الملحد:

«إله في معابدنا نصلّيه ونبتهلُ
يغازلنا وحين يجوع يأكلنا
إله لا نقاومه يعذبنا ونحتمل
إله ما له عمر إله اسمه الرجل»[3] .

☐ ويقول: (اللَّه يفتش في خارطة الجنة عن لبنان)[4] .

---

(١) «الأعمال الشعرية الكاملة» (٢/٣٩).
(٢) «يوميات امرأة لا مبالية» ص(٥٩٧).
(٣) «الأعمال الشعرية الكاملة» (٢/٤٤٢).
(٤) المصدر السابق (١/٦٣١).

◻ ويقول: «القلب الإنساني قمقم رماه اللَّه على شاطئ هذه الأرض، وأعتقد أن اللَّه نفسه لا يعرف محتوى هذا القمقم، ولا جنسية العفاريت التي ستنطلق منه، والشعر واحد من هذه العفاريت»[1].

◻ ويقول: «كل كلمة شعرية تتحوّل في النهاية إلى طقس من طقوس العبادة والكشف والتجلي..

كل شيء يتحول إلى ديانة
حتى يصير الجنس دينا..

والغريب أنني أنظر دائمًا إلى شعري الجنسي بعين كاهن، وأفترش وجه حبيبتي كما يفترش المؤمن سجادة صلاة، أشعر كلما سافرت في جسد حبيبتي أني أشف وأتطهر وأدخل مملكة الخير والحق والوضوء.

وماذا يكون الشعر الصوفي سوى محاولة لإعطاء اللَّه مدلولاً جنسيًّا؟)[2].

◻ ويقول: «يكون اللَّه سعيدًا في حجرته القمرية»[3].

◻ ويقول: (حين وزّع اللَّه النساء على الرجال
وأعطاني إياك
شعرت أنه انحاز بصورة مكشوفة إليّ
وخالف كل الكتب السماوية التي ألّفها
فأعطاني النبيذ وأعطاهم الحنطة[4]

(١) المصدر السابق (٢/ ٣٢٣).
(٢) «أسئلة الشعر» لمنير العكش في مقابلة له مع نزار» ص(١٩٥).
(٣) المصدر السابق ص(١٩٦).
(٤) «مجموعة الأعمال الشعرية» (٢/ ١٨٨).

حين عرّفني اللَّه عليك ذهب إلى بيته

فاللَّه كما قالوا لي لا يستلم إلا رسائل الحب[١] .

❑ ويقول: (عمر حزني، مثل عمر اللَّه، أو عمر البحور)[٢] .

❑ ويقول: (فلا تسافري مرة أخرى

لأن اللَّه منذ رحلت دخل في نوبة بكاء عصبية

وأضرب عن الطعام)[٣] .

❑ ويقول: (لا اللَّه يأتينا ولا موزع البريد

منذ سنة العشرين حتى سنة السبعين)[٤] .

❑ ويقول: (ولماذا نكتب الشعر وقد نسى اللَّه الكلام العربي)[٥] .

❑ ويقول: (حين يصير الدمع في مدينة..

أكبر من مساحة الأجفان

يسقط كل شيء

الشمس والنجوم والجبال والوديان..

والليل والنهار والشطآن

واللَّه والإنسان)[٦] .

❑ ويقول: (لا تخجلي مني فهذي فرصتي

(١) «الأعمال الشعرية» (٢/ ٤٠٢).
(٢) «الأعمال الشعرية الكاملة» (١/ ٧٧٥).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٥٦٢).
(٤) المصدر السابق (٢/ ٦٤٨).
(٥) المصدر السابق (٢/ ٦٤٨).
(٦) «الأعمال السياسية» لنزار (٣/ ١٠٥).

لأكون ربًّا أو أكون رسولاً)[1] .

❑ ويقول: (وشجّعت نهديك.. فاستكبرا على اللّه.. حتى فلم يسجدا)[2] .

❑ ويقول: (في شكل وجهك أقرأ شكل الإله الجميل)[3] .

❑ ويقول عن فم حبيبته:

وكيف فكّرت بهذا الفم..

كم سنة ضيّعت في نحته

قل لي: ألم تتعب..؟ ألم تسأم؟»[4] .

❑ ويقول: (وطن بدون نوافذ..

هربت شوارعه.. مآذنه.. كنائسه..

وفرّ اللّه مذعوراً..

وفرّ جميع الأنبياء)[5] .

❑ وإلهه هواه فيقول:

(هو الهوى.. هو الهوى

الملك القدوس والآخرين القادر)[6] .

* * *

(١) «المجموعة الكاملة» (٢/ ٧٦١).
(٢) ديوان «قالت لي السمراء» لنزار ص(٤٥).
(٣) نفس المصدر ص(٥٥).
(٤) نفس المصدر ـ قصيدة «فم» ص(١٠٧).
(٥) قصيدة «هل تسمعين صهيل أحزاني» ص(١٨٨).
(٦) القصيدة السابقة ص(٦٣).

❑ ويقول:

(شكرًا من الأعماق..

يا من جئت من كتب العبادة والصلاة)[١] .

❑ ويقول: (يا إلهي: إن كنت ربًّا حقيقيًّا.. فدعنا عاشقينا)[٢] .

❑ ويقول: «شكرًا لحبك.. فهو مروحة.. وغمامة وردية..

وهو المفاجأة التي قدر حار فيها الأنبياء)[٣] .

❑ ويقول: (وكتبت شعرًا.. لا يشابه سحره..

إلا كلام اللَّه في التوراة)[٤] .

❑ ويقول: (أنا أرفض الإحسان من يدي خالقي)[٥] .

❑ ويقول: (قد كان ثغرك مرة ربي، فأصبح خادمي»[٦] .

❑ ويقول: (مارست ألف عبادة وعبادةٍ

فوجدت أفضلها عبادة ذاتي)[٧] .

❑ (أين غرور اللَّه من غروري)[٨] .

* * *

(١) «أشعار خارجة على القانون» ص(٢٥).
(٢) المصدر السابق ص(٦٥).
(٣) المصدر السابق ص(٢٧).
(٤) ديوانه «الرسم بالكلمات» ص(١٤).
(٥) المصدر السابق (٩٤).
(٦) المصدر السابق ص(١٣٥).
(٧) المصدر السابق ص(١٧).
(٨) «خطاب من حبيبتي» لنزار ص(٤٢٦).

◻ ويجعل امرأته رسولة بعد سجاح فيقول:

وتظل أجيالٌ من العشاق تقرأ عنك...
أيتها «المعلمة» الأصيلة!...
وسيعرف الأعراب يومًا...
أنهم قتلوا «الرسولة»!...

* الظاهرة النزارية:

◻ قال نقّادنا القدماء: «ما دخل على النساء شيء أفسد لهن من شعر عمر بن أبي ربيعة» فماذا عساهم يقولون في غزل نزار شاعر «الجنس».

وإذا كان هناك من ألّف كتابًا سماه «كافوريات المتنبي» فإن ما قاله نزار القباني من كُفريّاته في أثناء دواوينه يمكن دون ريب أن يُجمع في ديوان كامل يسمى «كُفريّات نزار القباني».

◻ يقول الأستاذ عبدالقدوس أبو صالح: «ولقد كان نزار من الدهاء بمعرفة عقلية الجماهير أو عقلية «القطيع» كما سمّاها دور كايم حتى استطاع أن يجمع حولة آلاف المعجبين بشعره إذ كان يضرب ويُرقص معجبيه على الأوتار الثلاثة: وتر الجنس ووتر الكفر، ووتر التطرف السياسي.

ويؤلف هذا الثالوث الرهيب ما نسميه بالظاهرة النزارية وهي ظاهرة جديرة بالدراسة والتحليل إذ هي مؤشر على دخول الأمة في التّيه، أو هي نتيجة لدخولها فيه، ولبعدها عن محجة الدين وصراطه المستقيم.

◻ وإذا كنا لا نعجب أن يُفرز تردّي العصر نزارًا وأشباه نزار، فإن العجب كل العجب لأولئك الذين مضوا يمجّدون مَن يكفر بالله ويطعن في أنبيائه، ألا يخشوا أن يخسف الله بهم الأرض... بل أن يُسلّط عليهم اليهود وأشباه اليهود»[1].

---

(١) «الظاهرة النزارية» مجلة الأدب الإسلامي ـ المجلد الثامن ـ العدد الثامن عشر (ص١).

* **مجابهة هذا الإلحاد والغزو الثقافي من أهم المهمات لحماية الإسلام:**

◻ قال الشيخ ابن باز ـ رحمه اللَّه ـ: «أما عن مجابهة الغزو المتمثل في الإذاعات والكتب والصحف والمجلات والأقلام التي ابتُليت بها المجتمعات الإسلامية في هذا العصر وأخذت تشغل أكثر أوقات المرء المسلم والمرأة المسلمة رغم ما تشتمل عليه في أكثر الأحيان من السم الزعاف والدعاية المضللة فهي من أهم المهمّات لحماية الإسلام والثقافة الإسلامية من مكائده وشره»(١).

◻ رحمك اللَّه يا إمام عصره:

وقفتَ على ثغر من الدين واسعٌ ... تدافع أصحـــاب الهوى وتجاهـــد
وكنت لأهل العلم أعذب مورد ... فمتَّ فجفَّتْ للعـــلوم مـــوارد

● نعم حماية الدين من أهم المهام، وقد قال رسول اللَّه ﷺ: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**»(٢).

◻ قال الإمام ابن القيم في كلامه عن رتب الأقلام:

«القلم الثاني عشر: القلم الجامع وهو الرد على المبطلين ورفع سنة المحققين وكشف أباطيل المبطلين على اختلاف أنواعها وأجناسها وبيان تناقضهم وتهافتهم وخروجهم عن الحق ودخولهم في الباطل، وهذا القلم في

---

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١/ ٣٩٢)، و«الشيخ ابن باز ومواقفه الثابتة» لأحمد الفريح ص(١٦) مكتبة الرشد، الكويت.

(٢) صحيح: أخرجه ابن عبدالبر في «التمهيد» (١/ ٥٨ ـ ٥٩)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ١٥٣)، والبيهقي (١٠/ ٢٠٩)، وصححه الإمام أحمد وابن عبدالبر، وصحح بعض طرقه الحافظ العلائي في «بغية الملتمس» (٣ ـ ٤).

الأقلام نظير الملوك في الأنام وأصحابه أهل الحجة الناصرون لما جاءت به الرسل، المحاربون لأعدائهم، وهم الداعون إلى اللَّه بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلون لمن خرج عن سبيله بأنواع الجدال، وأصحاب هذا القلم حرب لكل مبطل وعدو لكل مخالف للرسل، فهم في شأن وغيرهم من أصحاب الأقلام في شأن»[1] .

◻ ويرحم اللَّه شيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول: «فمن لم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لم يكن من شيوخ الدين ولا ممن يُقتدى بهم»[2] .

*** ولتستبين سبيل المجرمين:**

والحاجة إلى هذا مُلحَّة في هذه الأزمنة «فإن وطأة أهل الأهواء شديدة، وسبُلها متكاثرة، لكثرة المضلّين المفتونين، الرابضين بيننا المنطوين على رَشْحِ أصاب ضمائرهم، بآراء ساقطة يخزي بعضها بعضًا، من علمنة وحداثة، وإباحية، ودعوة إلى عصبيات عرقية شعوبية»[3] .

◻ قال ابن القيم عن معرفة سبيل المجرمين واجتنابها:

«والناس في هذا الموضع أربع فرق:

الفرقة الأولى: من استبان له سبيل المؤمنين، وسبيل المجرمين، على التفصيل، علمًا وعملاً، وهؤلاء أعلم الخلق.

الفرقة الثانية: من عَمِيت عنه السبيلان، من أشباه الأنعام، وهؤلاء بسبيل المجرمين أحضر ولها أسلك.

الفرقة الثالثة: من صرف عنايته إلى معرفة سبيل المؤمنين دون ضدّها،

---

(١) «التبيان في أقسام القرآن».

(٢) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥١٠).

(٣) «الرد على المخالف من أصول الإسلام» للشيخ بكر أبو زيد ص(٨).

فهو يعرف ضدها من حيث الجملة والمخالفة، وأن كل ما خالف سبيل المؤمنين فهو باطل، وإن لم يتصوّره على التفصيل، بل إذا سمع شيئًا مما خالف سبيل المؤمنين صرف سمعه عنه، ولم يشغل نفسه بفهمه ومعرفة وجه بطلانه.

الفرقة الرابعة: فرقة عرفت سبيل الشر والبدع والكفر مفصّلة، وسبيل المؤمنين مجملة، وهذا حال كثير ممن اعتنى بمقالات الأمم، ومقالات أهل البدع، فعرفها على التفصيل ولم يعرف ما جاء به الرسول ﷺ كذلك، بل عرفه معرفة مجملة، وإن تفصّلت له في بعض الأشياء.

والمقصود أن اللَّه سبحانه يُحب أن تُعرف سُبُل أعدائه لتُجتنب وتُبغَض، كما يحب أن تُعرف سبيل أوليائه لتُحبَّ وتُسلَك»[1].

◻ يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ مبيّنًا خطورة خطط وشُبَه المنافقين والمجرمين: «وإذا صادفت هذه العقول والأسماع والأبصار شبهات شيطانية، وخيالات فاسدة، وظنون كاذبة، جالتْ فيها وصالت، وقامت بها وقعدت، واتسع مجالها، وكثر بها قيلها وقالها، فملأت الأسماع من هذيانها، والأرض من دويانها.

وما أكثر المستجيبين لهؤلاء، والقابلين منهم، والقائمين بدعوتهم، والمحامين عن حوزتهم، والمقاتلين تحت ألويتهم، والمكثرين من سوادهم، ولعموم البليّة بهم، وضرر القلب بكلامهم، هتك اللَّه أستارهم في كتابه غاية الهتك، وكشف أسرارهم غاية الكشف، وبيّن علاماتهم، وأعمالهم، وأقوالهم»[2].

---

(١) «الفوائد» لابن القيم ص(٢٠٢) مختصراً.

(٢) «الوابل الصيب» لابن القيم ص(١١٢).

*** صاحب الحق المرّ: الشيخ محمد الغزالي البحر الهادر الجارف لزبالات فكر كل علماني وحداثي أو مستشرق فاجر:**

رحم اللَّه الشيخ محمد الغزالي فهو فارس هذا الميدان، ولن ينسى له الناس قلمه السيّال في الدفاع عن الإسلام وفضح أباطيل خصومه[1] ويكفي كتبه «دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين»، «الحق المر» و«معركة المصحف في العالم الإسلامي»، و«الإسلام والاستبداد السياسي» و«ظلام من الغرب» و«التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام».

❑ يقول ـ رحمه اللَّه ـ: «إن العالم الإسلامي يمرّ بفترة مشئومة من تاريخه الطويل وليست الصهيونية والصليبية أعدى أعدائه، إن أعداءه من صميم أرضه، إنهم بين ظهرانينا صنعهم الغزو الثقافي لينشئوا أمة لا خُلق لها ولا إنتاج، لا عقيدة ولا شريعة، لا تراث ولا مستقبل، إنهم يلبسون ثوبًا عربيًا على كيان أجنبي، ويوشك مع الأيام أن يخلعوا الثوب ويكشفوا المخبوء»[2].

*** كلام الشيخ محمد الغزالي الذي يفضح إلحاد نصر أبو زيد:**

تحت عنوان «نصر أبو زيد» في كتاب «الحق المر» (٥/ ٥٨ ـ ٥٩) يقول الشيخ الغزالي: «قد أدّى صديقنا الدكتور عبدالصبور شاهين واجبه على خير وجه حين اعترض طريق الدكتور نصر حامد وجماعته التي تريد تحت ستار العلم الترويج لأقبح صور الإلحاد.

---

(١) نحن نخالف الشيخ من الألف إلى الياء في كلامه عن «السلفية والسلفيين» وهذه كبوته، وموقفه من السنة وهو يمثل المدرسة العقلية الحديثة بكل كبواتها وطعنها في السنة، أما في مجال الرد على العلمانيين والمستشرقين والحاقدين على الإسلام فللَّه دره.

(٢) «الحق المر» للشيخ محمد الغزالي (٥/ ١٧١) ـ نهضة مصر.

يقول صديقنا الدكتور مصطفى محمود: «الخلاصة المفيدة لإنتاج الدكتور حامد أنه ينعي على الخطاب الديني، أو يعيب عليه أنه يرد كل شيء في العالم إلى اللَّه ومشيئته! وهذا الردّ ينفي الإنسان وينفي القوانين الطبيعية والاجتماعية».

ثم يقول بعد دفاع حار عن الماركسية «إن اللَّه تجلىّ في القرآن كما تجليّ من قبل في المسيح.. ولكن منذ نزل القرآن في كلمات عربية، أصبح بشريًا يجوز الطعن فيه، وتجوز مناقشته، ويجوز فيه ما يجوز على الكلام البشري من خطأ وصواب»!!! اهـ.

أقول: لا جديد في كلام الملاحدة الذين زاد لغطهم في هذه الأيام العجاف، إنه الهراء القديم وُضِع في ورقة مفضضة، وأُعطِي عنوانًا برّاقًا ثم دُفِع به في زحام المعركة بيننا وبين الغلاة كي يمر!!

إن الاستعمار العالمي نجح في تكوين فئات من الناس خربة الباطن مظلمة الروح حاقدة على اللَّه ورسوله، أو على الكتاب والسنة، أو على العقيدة والشريعة جميعًا، ومهما كثر الأعداء، وهاجمونا من جهات عدة فلا يجوز أن ننسى هؤلاء أو نتهاون معهم فإنهم خونة محتالون لا إيمان لهم ولاأمان».

*** عجبًا:**

تحت هذا العنوان كتب الشيخ محمد الغزالي:

«لم يضع الاستعمار أوقاته سدى عندما وطئت أقدامه دار الإسلام، لقد شرع لفوره يغيّر التشريع والتعليم والتربية والتقاليد ليصنع جوًّا يلائمه ومستقبلاً يطمئن إليه.

وها قد نضجت الأشواك التي بذرها، ورأينا ناسًا يفكرون بعقله

ويضربون بيده ويحاولون تغيير الأخلاق والعقائد وفق مشيئته..

والناظر عن قرب أو بعد يرى المثقفين قسمين، قسمًا لم يتغير للإسلام ولاؤه ولا انتماؤه وقسمًا آخر يعالن بكراهيته لشرائع الدين وشعائره، ورغبته في إسقاط ما بقى من رايات الإسلام في بلاده!!، كانوا قديمًا شيوعيين، ثم صاروا علمانيين. وتتغير الشارات التي يَبدون فيها وتبقى ضغائنهم على الإسلام وأمته ثابتة لا تزيدها الأيام إلا ضراوة وغلوًّا. وهم مع ضيقهم بالإسلام ومعالمه حراص على البقاء في دائرته! لماذا؟ حتى يؤدوا وظائفهم في تخريبه من الداخل، إن دودة «البلهارسيا» تريد أن تبقى داخل الجسم لتعوق نموَّه، وتنمِّي علله وتجرّه إلى الموت جرًّا، ولذلك رأينا هؤلاء المرتدين عن الإسلام يرفضون المعالنة بتركه ويحرصون على البقاء فيه!! لكنهم في الوقت نفسه لا يقيمون صلاة ولا يؤتون زكاة، ولا يُقرّون للَّه بسمع أو طاعة! إنهم يعرفون إسلامًا بلا نصوص ولا أركان، ويحاربون كل دعوة إلى الاحتكام إليه أو إحياء ما أمات الاستعمار من أمره..!!

واليوم وقد سقطت الشيوعية في كل أماكنها نجدهم يملكون أزمّة التوجيه ويفرضون إلحادهم صراحة أو التواء ويحاربون رموز الإسلام بكل ما لديهم من طاقة!

لقد بلغتْ الأمور مرحلة لا تتحمل هذا النفاق، ونحن نأبى كل الإباء أن يضرب الإسلام بأيد إسلامية، ولا مكان بعد اليوم للبس أو نفاق، إما أن تكونوا أيها الناس مع الإسلام باطنًا وظاهرًا، وإما أن تتركوه علانية وتكشفوا كفركم به! ويعجبني قول المثقّب من شعراء الأقدمين:

فإما أن تكون أخي بصدق ... فأعرف منك غثّي من سميني
وإما فاطرحني، واتّخذْني ... عدوًّا أتّقيك وتتقيني!

لا مكان بيننا اليوم لمرتدّ يكره الكتاب والسنة، ويصدم جماهير المؤمنين

ثم يزعم نفاقًا أنه مسلم! مسلم يحارب اللَّه ورسوله! ياللعجب. . »[1] .

*** يضاهئون قول من قبلهم!!**

* وصف اللَّه قرآنه الخاتم بقوله: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾.

◻ ويقول الدكتور أبو زيد: إن القرآن «منذ لحظة نزوله الأولى، أي مع قراءة النبي ﷺ له لحظة الوحي تحول من كونه نصًّا إلهيًّا وصار فهمًا إنسانيًّا»!!

كيف؟

يقول: «لأنه تحوّل من التنزيل إلى التأويل! فإن فهم النبي ﷺ للنص يمثل أولى مراحل حركة النص في تفاعله بالعقل البشري، ومن ثم فإن انطلاقنا الفكري يبدأ من حقيقة أن النصوص الدينية هي نصوص بشرية إنسانية لغة وثقافة. . ».

نقول: وهذا كلام في غاية الغثاثة والسقوط. .

كيف تنقطع صلة الكلام بمنزله عندما ينقله الرسول إلى غيره؟

جاء في سورة الزمر مثلاً: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الزمر: ١٠-١٢].

وتكررت كلمة «قل» في السياق خمس مرات!.

فما معنى ابتعاد النص عن اللَّه وتحويله إلى تراث بشري؟

---

(١) «الحق المر» (٥/ ٦٠).

* منذ قال اللَّه لنبيه في غار حراء ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] ظل القرآن ينزل ثلاثًا وعشرين سنة لم ينقطع إلا بالوفاة فلما تضايق الكافرون منه قالوا له: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ٥١].

فكيف تحول القرآن من الربانية إلى البشرية؟

كان الدكتور محمد أركون ـ اتباعًا لفلاسفة الغرب ـ يصف القرآن بأنه «النص» ويحاول سحب العصمة الإلهية عنه وقد اشتبكنا معه في ندوة بالجزائر خرج منها زاريا على نفسه.

ودكتورنا المصري نصر أبو زيد يتأثر بخطوات أركون، ويناصر الاستعمار الثقافي ويزعم أن القرآن بعد الوحي صار فهمًا لمحمد، وتراثًا بشريًّا عاديًّا!!

ونتساءل: هل أركون وأبو زيد ومن سبقهما ومن لحق بهما يمثلون أنفسهم في هذا التحامل على القرآن؟

كلا إن الذين قادوا الفكر الشيوعي المادي هم.. هم الذين يقودون الفكر العلماني الإلحادي.

وسنرى كيف أنهم سماسرة للاستعمار العالمي الكافر باللَّه والمرسلين.

وكيف يغضب بعضهم لبعض ويناصر بعضهم بعضًا..»[1].

* عتمة في العقل:

❑ يقول الشيخ الغزالي: «أسماء القرآن معروفة ونرفض اختراع اسم آخر له، ولكننا نستغرب من الذين أسموه «النص». لماذا لم يلتزموا به ويتفقهوا أحكامه؟ كما توحي الكلمة.

(١) المصدر السابق (٥/ ٦١ ـ ٦٢).

❑ يقول الدكتور أبو زيد: «إذا كان مبدأ تحكيم النصوص يؤدي إلى القضاء على استقلال العقل. إذ يتحول إلى تابع يقتات بالنص ويلوذ به ويحتمي، فإن هذا ما حدث في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية».

وما العمل والحالة هذه؟ يجب احترام الواقع وقبوله وإقصاء التمرد عليه.

❑ يقول الدكتور أبو زيد: «الواقع هو الأصل ولا سبيل لإهداره. ومن الواقع تكوَّن النص يعني القرآن!! ثم يؤكد الواقع أولاً والواقع ثانيًا والواقع أخيرًا. وإهدار الواقع لحساب نص ثابت جامد المعنى والدلالة يجعل كليهما أسطورة»!!

ويشرح الدكتور مراده فيقول: «إن الإسلام بدأ تحرير المرأة وأعطاها نصيبًا من الميراث لم تكن تناله فيجب المضي مع هذا الاتجاه، وتسوية المرأة بالرجل في الميراث احترامًا للواقع الجديد».

وعبارته هي: «ليس من المقبول أن يقف الاجتهاد إلى المدى الذي وقف عنده الوحي. وإلا انهارت دعوى صلاحيته لكل زمان ومكان».

يبدو أن الشارع وافاه الأجل قبل إنصاف المرأة بالمساواة الكاملة فلنكمل نحن ما قصر فيه!!

ويكرر الدكتور نفسه فيقول: «إن التمسك بالدلالات الحرفية للنصوص لا يتعارض مع مصلحة الجماعة فحسب ولكن يضر الكيان الوطني ضرراً بالغًا..».

ويغمز الدكتور أبو زيد قضية عموم الرسالة المحمدية ويتابع المستشرقين الذين زعموا أن محمداً بعث للعرب، ولكن النصر الذي أحرزه في جزيرة

العرب أغراه بالانطلاق إلى آفاق العالم والزعم بأنه للناس كافة، وقد أحصينا ـ في كتاب لنا ـ أن عموم الرسالة ورد في إحدى عشرة آية من القرآن الكريم[١] .

وأن هذه الآيات جميعًا نزلت في مكة قبل أن يحرز الرسول أي نصر على المشركين في معركة صغيرة أو كبيرة، بل إن قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [القلم: ٢].

نزل في سورة القلم وهي من أوائل الوحي النازل بمكة في السنة الأولى!

لكن سماسرة الاستشراق يتبعون سادتهم بعمى عجيب!

إن محمدًا جمع في شخصه وهداه سائر الأنبياء، ما يفرق بين أحد منهم، وليس ميراث محمد إلا ميراث الرسل كافة فالكفر به كفر بهم. ووثنية أعتى من سائر الوثنيات. .»[٢] .

*** هل تحرير فلسطين بالعلمانية!!**

❑ يقول الشيخ ـ رحمه الله ـ: «هل الانتماء إلى القرآن جريمة العصر. .

والانتماء إلى أي دين آخر سائغ مباح؟

إن قضية فلسطين قضية دينية شئنا أم أبينا، والمستوطنون اليهود قدموا إلى هذا القطر المنكوب وهم يصلّون لرب إسرائيل، ويتذاكرون وعوده في التوراة والتلمود أن يردَّهم إلى أرض إبراهيم، التي ورثوها عنه كما يزعمون. .

---

(١) انظر كتاب «دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين» للشيخ محمد الغزالي.
(٢) «الحق المر» (٥/ ٦٣ ـ ٦٤).

فما مكان العلمانية في هذا التفكير؟ وما معنى أن يكون العرب علمانيين كي يسمح لهم بالبقاء في هذه الأرض كلها أو بعضها؟؟

إن إبعاد الإسلام عن هذه القضية قضاء أبدي على فلسطين، ومخدِّر خطير، بل سم قاتل لمستقبلها كله! وقد أدركت أن الخطة الاستعمارية التي وضعت من قديم كانت تسعى إلى هذا الغرض، كان الحاج أمين الحسيني بعمامته التقليدية رمزاً للإسلام المكافح، وكنت قريبًا من الرجل فرأيت فيه استنارة العلماء وعزم المجاهدين، ورأيته يتحمل الهزائم بِجَلَد، ويرتب صفوفه بأمل، وكنت أزوره في مسكنه بمصر الجديدة أتدارس معه حاضر الإسلام ومستقبله. ثم فوجئت بإخراجه من القاهرة، واضطراره إلى سكنى بيروت، ونفث الدخان حول سيرته وكفاحه..

كانت الخطة قد رسمت ليكون تحرير فلسطين تحت راية علمانية لا إسلامية..

وبدأت سلسلة الهزائم، فقد خذلتنا الأرض، وحرمتنا السماء، ولم ننل شيئًا من أحد!!

إننا نطلب اليوم سلامًا في مقابل التنازل عن بعض فلسطين، وهم يطلبون استسلامًا على شروطهم هم..

وهذه أولى بركات العلمانية التي جُعلت عنوانًا لتحرير فلسطين!! لكن أمتنا الكبرى تأبى إلا الإسلام شكلاً وموضوعًا، ومن حقها أن تحيا بدينها وأن يعود اليهود من حيث جاءوا..»[1].

* ردة:

☐ قال الشيخ ـ رحمه الله ـ: «إن هناك حملة كبيرة على الإسلام

(١) المصدر السابق (٥/ ٨٤ ـ ٨٥).

فتفرست في وجوه الأعداء الجدد، فإذا هم شيوعيو الأمس القريب، الأسماء هي الأسماء وإن تغيرت العناوين، لقد سمّوا أنفسهم علمانيين، وزعموا أنهم أنصار الحرية الفردية والاجتماعية، وأنهم يريدون حرب الرجعية القديمة وتنوير الأذهان من المخلفات الدينية!!

والعلمانيون العرب يكنون ضغينة سوداء على الإسلام وحده، ربما قبل العلمانيون الألمان والطليان أن تحكمهم أحزاب تنتمي إلى المسيحية، وربما قبل العلمانيون اليهود أن تشدَّهم خيوط إلى التوراة، أما العلمانيون العرب فهم يمقتون الإسلام سرًّا وعلنًا ويرفضون كل صلة به!

هل هذا الإلحاد جديد عليهم؟ كلا، لقد كانوا شيوعيين يقولون: لا إله والحياة مادة، فلا حرج عليهم إذا استمر الكفر وبقيت الردّة واتسعت الحملة على القرآن والسنة، واتصل النشاط لتكفير الجماهير تحت عنوان التنوير..

إنني أحذّر من الرِّدّة الجديدة، إن كفرها صريح بالشريعة وماكر بالعقيدة، وضيقها بالقرآن نفسه ظاهر، وهي تستنجد بالحرية وقد علمت أنهم مذ وجدوا أعداؤها، وأن هدفهم الأول والأخير تمويت الإسلام»[1].

❑ ويقول ـ رحمه اللَّه ـ تحت عنوان «حميّة للإلحاد»:

لقد لاحظت أن العلمانيين داخل العالم الإسلامي ووراءه يحرضون أتباع الأديان الأخرى على الإسلام، ويختلقون لهم الأعذار، وربما نسبوا إلى المسلمين عدوانًا لم يعرفه اليهود ولا النصارى، وليس ذلك حبًّا للكنيسة ولكنه كره للمسجد..!

وفي تتبعي للمعارك الأدبية والاجتماعية وجدت العلمانيين ـ وجمهرتهم من الشوعيين المنافقين أو الصرحاء ـ يتنادون بين الحين والحين لضرب الإسلام

(١) المصدر السابق (٥/ ٩٢ ـ ٩٣).

في هذه المعركة أو تلك، وينصر بعضهم بعضًا إذا وجده مُحرجًا، بل قد ينصره لغير سبب حَمِيَّة للواء الإلحاد الذين يجتمعون تحته!

وقد رأيت أخيرًا مظاهرة لهم اشترك فيها عشرات من الأساتذة ردًا على ضير توهموا نزوله بواحد منهم!!

إن ذلك يجعلني ألفت نظر الإسلاميين إلى المستقبل القريب والبعيد لديننا المثخن بالجراح، إن خيرًا لهم أن يتقاربوا وأن يلمّوا شملهم فإن النذر المقبلة تؤذن بشر مستطير، إن أعداء الإسلام طامعون في القضاء عليه، وحاضرنا مليء بالخسائر فإذا لم نتلاق على كلمة سواء تلاقى أعداؤنا على رفاتنا.

◻ ويقول ـ رحمه اللَّه ـ: «كيف انتصر اليهود سنة ١٩٦٧م؟ وكيف استطاعوا خلال ساعات أن يوجهوا إلينا ضربة قاضية؟

إن قيادتنا كانت في غيبوبة! ما أعدت للحرب عُدَّة، وما وضعت لها خطة ففوجئنا بأن الجيش الذي هزم أوروبا في «حطين» وهزم آسيا في «عين جالوت» وشتت شمل الصليبيين والتتار في معركتين هائلتين فوجئنا بأن هذا الجيش يحاط به وينال منه وهو في الحقيقة مظلوم.

ما أشبه جمال عبدالناصر بصدام حسين هذا ذهب بجيشه لاحتلال الكويت وهذا ذهب لاحتلال اليمن!!

ما لكما ولليمن والكويت، ولماذا تركتما فلسطين نهبًا لليهود؟

ولما دارت الحرب لم نر للرجلين خططًا مدروسة، فلم يكن بد من الهزائم الموجعة»[1].

◻ ثم يقول عن «ذكريات حرب رمضان»:

---

(١) المصدر السابق (٥/١٠٨ ـ ١٠٩).

«كنا نرى إخواننا على ضفاف القناة مقطبي الجبين كاسفي البال غضابًا لما حلّ ببلادهم وسمعتهم، ولكن الإيمان صانع العجائب والاتصال بالدين فعل بنفوسهم فعل السحر فكانوا يتحركون وفي صدورهم شحنات من اليقين المضغوط حولّهم إلى جنّ عندما بدأت المعركة فهم يدوسون خط بارليف ببأس شديد ويجرون فوق الجدار الرملي كأنهم مدعوون إلى حفل ويهبطون بالردى على خصومهم فيملئونهم رعبًا وقنوطًا.

ويعلم الجنود أن الإفطار في رمضان جائز لهم، ولكن بعضهم أبى أن يفطر وقال: لعل فطوري يكون في الجنة!

وكانت الجبهة الممتدة على أربعين ميلاً تدوي بالتكبير وتقذف بالرهبة في قلوب العدو فما يرى أمامه إلا الاستسلام أو الموت. كان نداء اللَّه أكبر قد ألغي! ثم فرضته طبيعة الإيمان في شعبنا المؤمن.

إن أعداء اللَّه ورسوله كثيرون. ومنهم من يكره كلمة اللَّه أكبر أشد الكره، وهؤلاء من وراء الانهيار الملحوظ في الجبهة العربية اليوم، الجبهة التي لا تبالي بالمسجد الأقصى ولا بمصير ملايين اللاجئين»[٢] .

* * *

(١) المصدر السابق ص(١١٠).

(٢) المصدر السابق ص(١١١).

سماسرة الكفر

الاستعمار الثقافي أحرز انتصارات واسعة في العالم العربي وتكونت له عصابة من الكتاب ذوي القلوب الخربة تخدم أغراضه وتزين مقابحه وتحارب من حارب وتسالم من سالم، وأعضاء هذه العصابة من الصنف الذي قال اللَّه فيه: ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وقد تأملت في سيرتهم فرأيتهم يكرهون اللَّه كرهًا شديدًا ويشمئزّون من وحيه ويهشون لكل هجوم عليه ويصرون على تمويت شرائعه وتشجيع كل خارج عليها في الشرق أو في الغرب، ولو علموا بأن على سطح المريخ ملحدًا لأرسلوا إليه يؤيدونه.

إنني أعرف أن بالأرض كفاراً وأن بها مؤمنين وأن بها دعاة للخير ودعاة للشر، ولكني لم أعرف سمسرة للكفر أضرى من هذه السمسرة.

إنهم إذا وجدوا رجلاً تاب سارعوا إليه يقولون: كنت عاقلاً فما دهاك؟

وإذا وجدوا أحدًا شتم محمدًا سارعوا إلى كتاباته ينشرونها ويثنون عليها، وقد ضلت أخيرًا امرأة من البنغال واحتضنها الغرب الصليبي على عجل وطار إليها أولئك الكتاب العرب يشجعونها وينقلون هذرها إلينا بلا حياء، وكأنهم يقولون لأهل مصر: تعلموا من هذه العبقرية.

واستغربت من استماتة هذه العصابة الحقوده. في نشر رواية «أولاد حارتنا» برغم أنف صاحبها!

لقد قرأت ما كتبه نجيب محفوظ في السنوات الأخيرة، كانت كتابات واعية لعقل مجرب يبغي الخير لأمته، فإذا نفر من سماسرة الكفر يعلنون بأنهم سينشرون الرواية التي صدرت من خمس وثلاثين سنة، وقال لهم مؤلفها: إن الجو غير ملائم!

وقالوا هم: نريد نشرها! يظنون بذلك أنهم يكيدون للإسلام وينالون من سلطانه الروحي على الجماهير!

والعيب الأكبر ليس في هؤلاء المارقين، إنه في من مكّن لهم، وأكره الناس على قراءتهم وأعطاهم صدور الصحف السيارة يملأونها بالغثاء ويُنفِّسون عن ضغائنهم ضد الإسلام وأمته!

في لقاء عام قابلت واحدًا من هذه العصابة فرأيت في جيده قلادة من ذهب، فلم أستغرب أن يستنوق الجمل، لقد ألفت رؤية هذه النوق، وإنما استغربت أن تلقى الأمة زمامها لهذا الصنف الملتاث الذي لا يُرى أبدًا في مسجد وقد يُرى في إحدى الحانات يشرب الإثم ويستعد لكتابة مقال يفسد به الأجيال الجديدة، ويُجرِّئها على ترك الإسلام بعضه اليوم وكله غدًا»[١].

□ ويقول ـ رحمه الله ـ: «لقد رأيت شيوعيي العصر الماضي يختارون العلمانية عنوانًا جديدًا لهم.. ثم يهاجمون الإسلام بكل ما يقع في أيديهم من أسلحة.

أرأيت ما هو الإبداع عند هؤلاء الشيوعيين القدامى.

اكفر باللَّه تكن مبدعًا، حارب التعاليم والحدود الشرعية تكن مبدعًا، اجمع القمامات الفكرية من مواطن الزبالة في العالم أجمع وارم بها المجتمع الإسلامي تكن مبدعًا، هل عرفت الإبداع في منطق مفسدي الأوضاع؟!»[٢].

* * *

(١) «الحق المر» (٥/ ١٢٠ ـ ١٢١).

(٢) المصدر السابق (٥/ ١٢٣).

بتر الشريعة

في الصراع بين الإسلام والعلمانية يجب أن نحدّد الموقف ونضبط المفاهيم!

◻ قال لي رجل علماني: ماذا عليكم لو كسبتم الإيمان والأخلاق، وتركتم شئون التشريع والاقتصاد والاجتماع لأصحابها يعملون فيها وفق مقتضيات العقل الحر والزمان المتجدّد؟؟

إن بُعْد الدين عن السياسة واكتفاءه بالصفاء الروحي والسناء الخُلُقي أشرف له وأجدى عليه!!

قلت له: تريد بصراحة أن تقسم القرآن شطرين ترمي بشطر المعاملات في البحر، وتمنح الشطر الآخر حق البقاء!

فسكت قليلاً ثم قال: ذاك ما أريد تقريبًا!

قلت له: وهذا ما نراه نحن ضياعًا للشطرين جميعًا، وبقاء الأمة بلا عبادات ولا معاملات!

◻ إن الإسلام انقياد مطلق للَّه فيما أمر ونهى، وعلاقتنا بربنا تقوم على مبدأ السمع والطاعة، ونحن فهمنا هذا صراحة من قول اللَّه لنبيه: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء: ٦٥].

تصوَّر أن إبليس قال للَّه سأصطلح معك على أن تطرد آدم من الجنة، وسأخلفه فيها أسبح بحمدك وأقدس لك وأعفني من قضية السجود!

أيكون إبليس بهذا العرض قد تاب وأناب؟!

إنك يا صاحبي مخادع كبير حين تعزل الإسلام عن الشرائع والمعاملات

وحركات الحياة والأحياء ثم تقول له: إنك كسبت حظًا طائلاً!

هذا في الواقع حكم على الإيمان نفسه بالموت! عندما ينطلق الغناء في كل فجٍّ يقول للسامعين:

جئت، ولكن لا أدري من أين أتيت؟

ولقد وجدت قدَّامي طريقًا فمضيت؟

أيكون إبعاد الدين عن الفنِّ كسبًا للإيمان أو للإلحاد؟

وعندما يكون الزنا مباحًا بتراضي الطرفين أيكون إبعاد الدين عن التشريع كسبًا للإيمان أو للإلحاد؟ وعندما يظفر التراث اليهودي بحق الحياة ويرجع التراث الإسلامي بخفَّيْ حنين، أيكون إبعاد الإسلام عن السياسة كسبًا للإيمان أم للإلحاد؟

إن الزعم بأن الإسلام يبقى بعد عمليات البتر والتشويه التي تجريها العلمانية في كيانه هو من أبطل الباطل وأجرأ المفتريات، لن يبقى من الدين شيء ذو بال إذا قبلنا مبدأ الحذف والإلغاء لبعض تعاليمه، وقد حاول ذلك بنو إسرائيل قديمًا فقيل لهم:

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥].

إذا كان المسلمون يطلبون نصرًا في الدنيا وكسبًا في الأخرى فليحتقروا هذه الصيحات العلمانية وليستمسكوا بالدين كله وبذلك يفوزون بنصر مؤكد»[(١)] .

☐ وتحت عنوان: «السقوط من عين اللَّه» كتب الشيخ في كتابه «الحق المر» (٥/ ١٧٣): «إن إسرائيل لا تملّ من تكرار تشبثها بما نالت برًّا وبحرًا

(١) المصدر السابق (٥/ ١٥٢ ـ ١٥٣).

وجوًّا، والدول العظمى وافقت على سحب اتهامها بالعنصرية، ومن ثم فأنا أسائلكم.

هل سيظل الإسلام يعيش على هامش تفكيركم بينما تعيش اليهودية في سويداء قلوب أصحابها؟ إن اليهود يسجلون غيابهم يوم السبت لأن العمل فيه حرام، فهل تسجلون غيابكم يوم الجمعة لأداء صلاة في مسجد، أو نعتبركم مسافرين فتؤدون الصلاة في بيوتكم؟ إنكم أسقطتم الإسلام من حسابكم فليس غريبًا أن تسقطوا من عين اللَّه!!».

* **أمـة منحدرة:**

◻ يقول الشيخ الغزالي: «كانت العروبة في أحضان الإسلام تعني التربية والثقافة والشريعة والتراث فلما انسلخت عنه أو أريد لها أن تكون بديلاً عنه وُجدتْ شعوب معتلة الثقافة منحلة الأخلاق متسولة للقانون متنكّرة للتراث حتى صحَّ فيها قول محمود غنيم:

ويح العروبة كان الكون مسرحها! فأصبحت تتوارى في زواياه!!

وقد نظرت إلى إسرائيل بعد اشتباك سبعين سنة مع العرب فرأيت اليهود دولة قوية تحظى باعتراف الشرق والغرب ورأيت العرب زادوا على عشرين دولة تتنافس جميعًا على مرضاة إسرائيل! ورأيت اليهودية دينًا ودولة، أما الإسلام فلا يجوز أن تتكون باسمه هيئة ترفع راية الشريعة وتتشبث بمواريث الوحي!

وأعرف أن المسلمين يعانون من هزائم ثقيلة، وأن كفتهم طاشت بين الأمم.

ولكني لم أعرف منهزمًا يدعي البطولة، ويلبس شارة الزعامة ويرقب من الجماهير أن تهتف له كما يقع ذلك في أرجاء الأمة العربية! والعرب

بأسهم بينهم شديد، ولو أن نصف خسائرهم في الفتن الداخلية وُجِّه إلى عدوهم لاستردوا أكثر ما فقدوا.

❑ أليس من العجائب أن جيشًا لبنانيًّا لا يزال يقاتل العرب مع إسرائيل؟

❑ وقد استطاع بعض الرؤساء العرب أن يؤلف جيشًا لا بأس به، مزودًا بأسلحة حسنة وزعم أنه سيدخل به تل أبيب، فلما وقعت الواقعة دخل به الكويت وضلّ الطريق إلى تل أبيب!

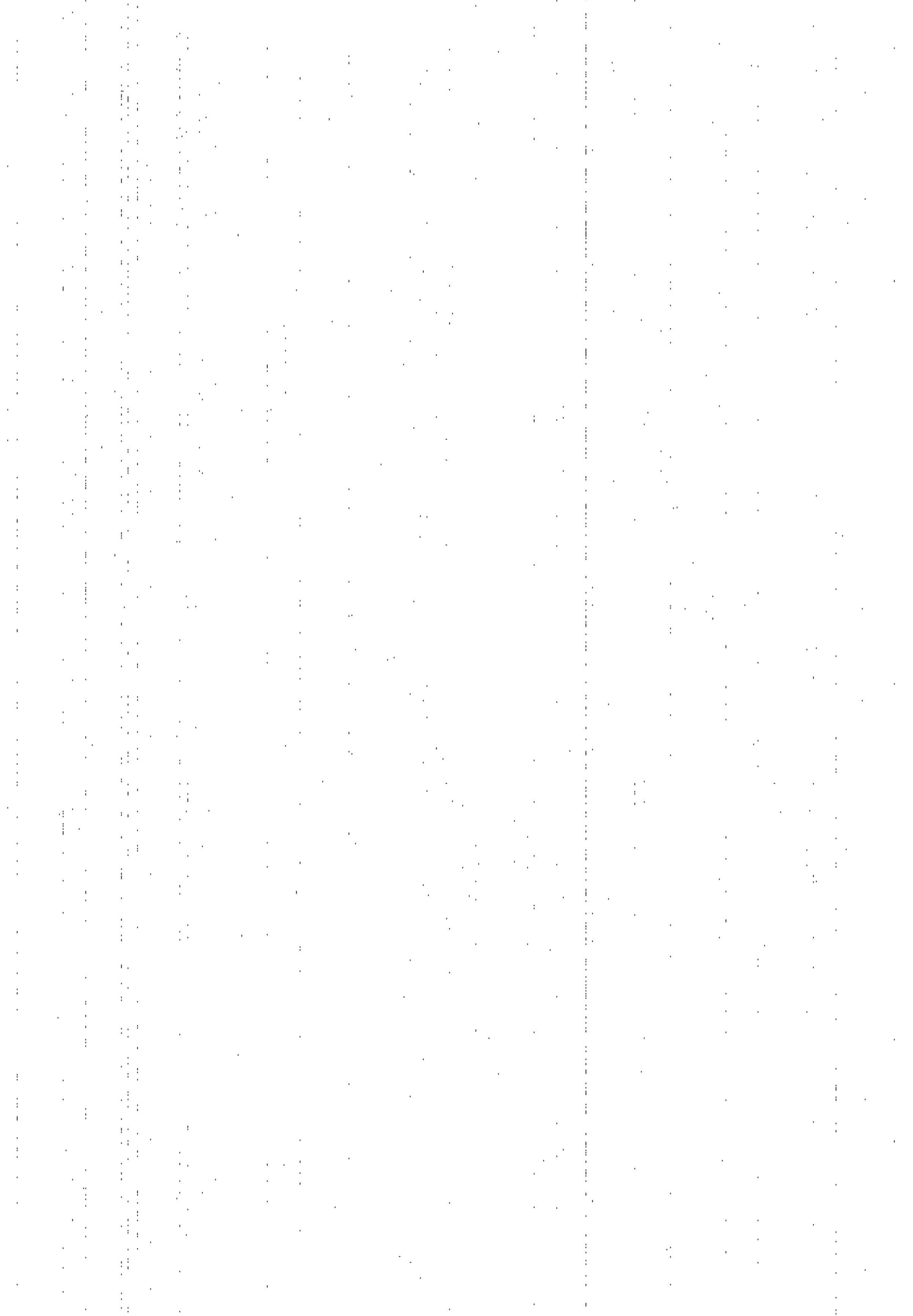
وبين العرب اليوم سباق إلى مصالحة إسرائيل والرضا بالهزيمة المذلة، وأول من سنّ هذه السنة الرئيس أنور السادات؛ لأنه ورث عن جمال عبدالناصر عروبة مقطوعة عن الإسلام مربوطة بقومية مجردة وجاهلية عمياء حرمته كل توفيق وأذاقته الموت قبل أن يحين أجله!

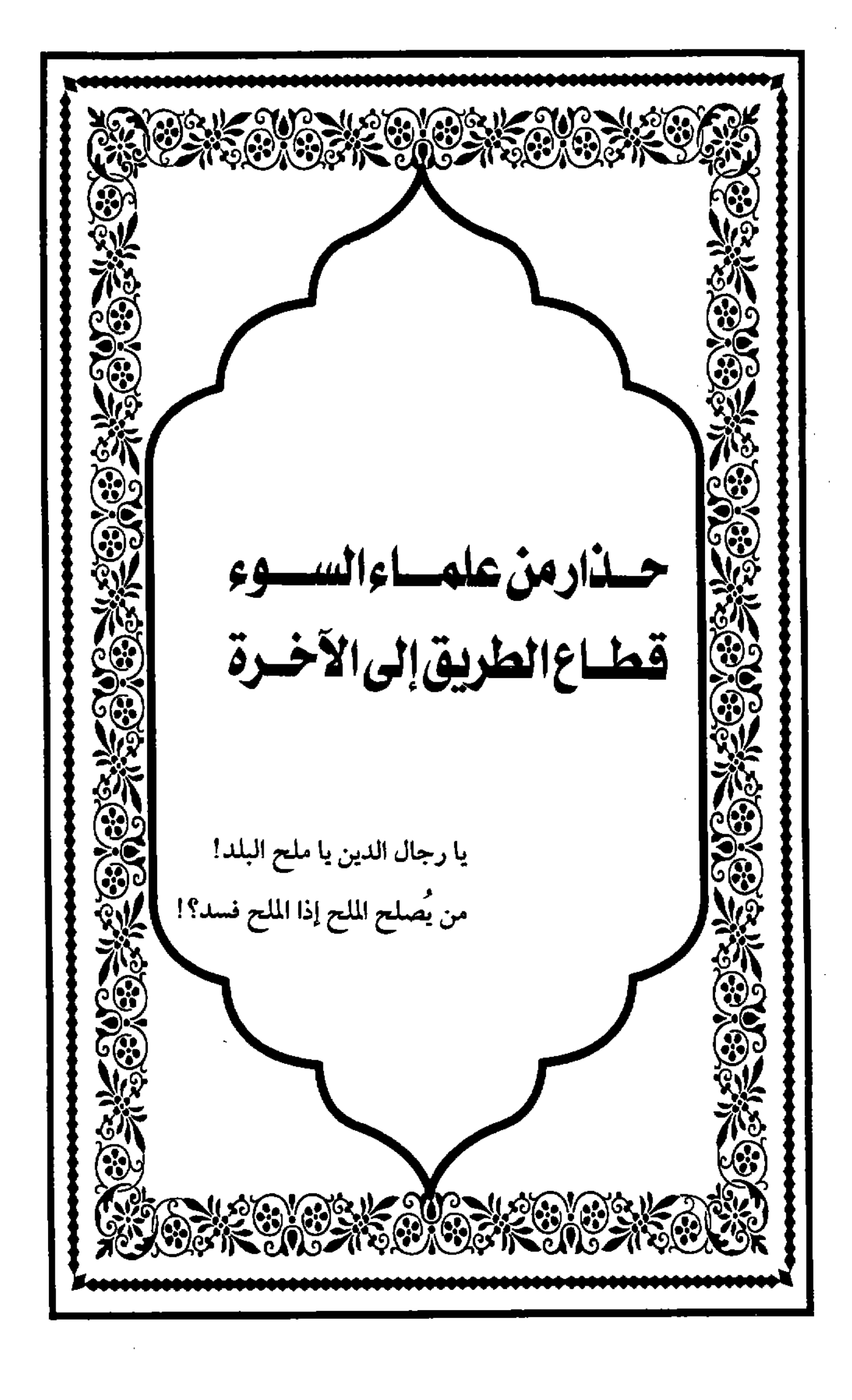
إنني أرمق أوضاع العرب السياسية فأشعر بغصَّة، وسيبقى العرب ينحدرون ما داموا يرفضون الإسلام تربية وثقافة وشريعة وفلسفة وشارة حياة ودعامة مجتمع، وسيبقى الصلف اليهودي يتورّم وتنفخ فيه الدول الكبرى ما بقى العرب زاهدين في الإسلام..

وسيبقى قادتنا أصحاب عضلات من حزق إلى أن يرجع الإيمان التائه إلى القلوب الفارغة وتعود الأخلاق إلى المسالك المعوجة»[1].

* * *

(١) «الحق المر» (٥/ ١٨٢).





حذار من علماء السوء
قطاع الطريق إلى الآخرة

يا رجال الدين يا ملح البلد!

من يُصلح الملح إذا الملح فسد؟!

حذار من علماء السوء قُطّاع الطريق إلى الآخرة

بعد أن طوّفنا بك في بساتين الربانيين وجمعنا لك من أزهاير الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من الصالحين حذار أن تخالف نهجهم وأن تسير على غير منوالهم فيكون العلم وبالاً عليك، فالعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه حلّ وإلا ارتحل.

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«غيرُ الدجّال أخْوَفُ على أمتي من الدجال الأئمة المُضِلُّون»**(١).

● وقال ﷺ: **«أكثر منافقي أمتي قُرَّاؤها»**(٢).

● وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: **«يُجاء بالرجل يوم القيامة، فيُلقَى في النار، فتندَلِق أقتابه، فيدور بها كما يدور الحمار برحاه، فتجتمع أهل النار عليه، فيقولون: يا فلان! ما شأنك؟ ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن الشر وآتيه»**(٣).

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» عن أبي ذر، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٩٨٩)، و«صحيح الجامع» رقم (٤٠٤١).

(٢) صحيح: رواه أحمد، والطبراني في «الكبير» والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمرو، وأحمد في «مسنده»، والطبراني في «الكبير» عن عقبة بن عامر، والطبراني في «الكبير» وابن عدي عن عصمة بن مالك، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٧٥٠)، و«صحيح الجامع» رقم (١٢١٤).

(٣) رواه البخاري ومسلم.

تندلق: تخرج من مكانها بسرعة.

الأقتاب: جمع قِتب: وهي الأمعاء. الرحى: الطاحون.

● وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يقول: «مررتُ ليلة أُسريَ بي بأقوام تُقْرَض شفاههم بمقاريض من نار، قلت: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ قال: خطباءَ أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون»(١).

● وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يقول: «اللَّهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجاب لها» رواه مسلم.

● وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: «لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه فيم عمل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه»(٢).

● وقال صلى الله عليه وسلم: «مثل الذي يُعلِّم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج، يُضيء للناس ويحرق نفسه»(٣).

● وعن أبي برزة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: «مثل الذي يُعلِّم الناس الخير وينسى نفسه، مثل الفتيلة، تُضيء على الناس، وتحرق نفسها»(٤).

□ قال الثوري ـ رحمه اللَّه ـ: «إنما يُتعلَّم العلمُ ليُتقى به اللَّه، وإنما

(١) رواه ابن أبي الدنيا ابن وابن حبان والبيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب». وزاد ابن أبي الدنيا والبيهقي في رواية لهما «ويقرءون كتاب اللَّه ولا يعملون به».

(٢) صحيح: رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

(٣) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن جندب بن عبداللَّه الأزدي، قال المنذري: وإسناده حسن إن شاء اللَّه، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب».

(٤) صحيح: رواه البزار قال المنذري: والطبراني في «الكبير» كما قال السيوطي والهيثمي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب».

فُضِّل العلم على غيره لأنه يُتقى به اللَّه». فإن لم يثمر العلم عملاً به فما هو بعلم، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

□ قال ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ: «يقول تعالى ذامًّا لليهود الذين أُعطوا التوراة وحُمِّلوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها، مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارًا، أي كمثل الحمار إذا حمل كتبًا لا يدري ما فيها فهو يحملها حملاً حسيًّا ولا يدري ما عليه، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه، حفظوه لفظًا ولم يتفهموه ولا عملوا بمقتضاه بل أولوه وحرفوه وبدلوه فهم أسوأ حالاً من الحمير؛ لأن الحمار لا فهم له، وهؤلاء قوم لهم فهوم لم يستعملوها»[1].

□ وقال القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ: ﴿حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾ أي: كُلِّفوا العمل بها، ضُرب مثلاً لليهود لما تركوا العمل بالتوراة ولم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ هي جمع سِفْر، وهو الكتاب الكبير؛ لأنه يُسفر عن المعنى إذا قُرئ. وفي هذا تنبيه من اللَّه تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلّم معانيه ويعلم ما فيه؛ لئلا يلحقه من الذمّ ما لحق هؤلاء ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ أي: لم يعملوا بها. شبههم والتوراة في أيديهم وهم لا يعملون بها بالحمار يحمل كتبًا وليس له إلا ثقل الحمل من غير فائدة»[2].

□ هذا خلاّد بن يزيد الأرقط ـ الذي قال عنه أبو زيد عمر بن شبة ـ: «كان من الجبال الرواسي نبلاً يأتي سفيان بن عيينة للعلم فانظر ماذا قال له سفيان:

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٦٤).

(٢) «تفسير القرطبي» ص(٦٥٧٣).

قال خلاّد: أتيت سفيان بن عيينة فقال: «إنما يأتي بك الجهل لا ابتغاء العلم، لو اقتصر جيرانك على علمك كفاهم، ثم كوّم كومة من بطحاء ثم شقّها بإصبعه ثم قال: هذا العلم أخذت نصفه، ثم جئت تبتغي النصف الباقي فلو قيل: أرأيت ما أخذت هل استعملته؟ فإذا صدقت قلت: لا، فيُقال لك: ما حاجتك إلى ما تزيد به نفسك وقْرًا على وقر! استعمل ما أخذت أولاً»[1].

◘ وقال وهيب بن الورد: مثل عالم السوء كمثل حجر دُفع في ساقية فلا هو يشرب من الماء، ولا هو يُخلّي عن الماء فيحيا به الشجر، ولو أن علماء السوء نصحوا للَّه في عباده فقالوا: يا عباد اللَّه اسمعوا ما نخبركم به عن نبيكم، وصالح سلفكم، فاعملوا به، ولا تنظروا إلى أعمالنا فإنا قوم مفتونون، كانوا قد نصحوا للَّه في عباده، ولكنهم يريدون أن يدْعُوا عباد اللَّه إلى أعمالهم القبيحة فيدخلوا معهم فيها»[2].

◘ وقال سفيان بن عيينة: «العلم إن لم ينفعك ضرّك».

◘ قال الخطيب: «يعني إن لم ينفعه بأن يعمل به، ضرّه بكونه حجّة عليه»[3].

◘ يا معشر العلماء اسمعوا: العالم ما لم ينفعه اللَّه بعلمه فهو من أول من تُسعَّر بهم النار يوم القيامة:

● عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن أوّل الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأُتي به، فعرّفه نعمه فعرفها، قال:** ما

---

(١) «اقتضاء العلم العمل» للخطيب البغدادي ص(٨٤).

(٢) المصدر السابق ص(٦٧).

(٣) المصدر السابق ص(٥٦).

عملت فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يُقال: فلان جريء، فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحِب على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجل تعلّم العلم وعلّمه، وقرأ القرآن، فأُتي به فعرّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلّمتُ العلم وعلّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت: ولكنك تعلّمت ليُقال: عالم، وقرأت القرآن ليُقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجل وسّع اللَّه عليه، وأعطاه من أصناف المال، فأُتي به، فعرّفه نعمه، فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيل تحب أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليُقال: هو جواد، فقد قيل: ثم أُمِر به فسُحِب على وجهه حتى أُلقي في النار»[1] .

◻ قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: كما أن خير الناس الأنبياء، فشرّ الناس من تشبّه بهم يوهم أنه منهم وليس منهم، فخير الناس بعدهم العلماء والشهداء والصدّيقون والمخلصون، وشرّ الناس من تشبّه بهم يوهم أنه منهم وليس منهم»[2] .

◻ رُوي عن علي ﷺ أنه قال: يا حملة العلم اعملوا به، فإنما العالم من علم ثم عمل ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تُخالف سريرتهم علانيتهم، ويُخالف عملهم علمهم، يقعدون حلقًا فيباهي بعضهم بعضًا حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى اللَّه عز وجل[3] .

(١) رواه مسلم والنسائي والترمذي وحسنه، وابن حبان في «صحيحه».
(٢) «الداء والدواء» ص(٣١).
(٣) «جامع بيان العلم» ص(٢٤٥).

وذكر مالك أنه بلغه عن القاسم بن محمد: أدركت الناس وما يُعجبهم القول، إنما يعجبهم العمل»[1].

▢ وقال الحسن ـ رحمه اللَّه ـ: اعتبروا الناس بأعمالهم ودعو أقوالهم، فإن اللَّه لم يدع قولاً إلا جعل عليه دليلاً من عمل يُصدِّقه أو يكذبه، فإذا سمعت قولاً حسنًا فرويدًا بصاحبه، فإن وافق قوله فعله فنعم ونَعْمَةَ عين»[2].

▢ قال الفضيل ـ رحمه اللَّه ـ: إنما يُراد من العلم العمل، والعلم دليل العمل».

*** من لم يعمل بعلمه فهو جاهل:**

من لم يثمر علمه عمله به فهو جاهل.. وهذا النوع من الجهل سماه ابن القيم «جهل العمل».

▢ قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ: «الجهل نوعان: عدم العلم بالحق النافع، وعدم العمل بموجبه ومقتضاه. فكلاهما جهل لغة وعرفًا وشرعًا وحقيقة.

* قال موسى: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧] لما قال له قومه: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً﴾ أي: من المستهزئين.

* وقال يوسف الصديق: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣] أي: من مرتكبي ما حرّمت عليهم.

* وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾، قال قتادة: أجمع أصحاب رسول اللَّه ﷺ أن كل ما عُصِي اللَّه به فهو جهالة. وقال غيره: أجمع الصحابة أن كل من عصى اللَّه فهو جاهل. وسمّي عدم

(١، ٢) «جامع بيان العلم» لابن عبدالبر ص(٢٤٥).

مراعاة العلم جهلاً، إما لأنه لم ينتفع به فنزّل منزلة الجهل. وإما لجهله بسوء ما تجنى عواقب فعله. فالفرار المذكور ـ أي منزلة الفرار من «منازل السائرين» ـ هو الفرار من الجهلين: من الجهل بالعلم إلى تحصيله، اعتقادًا ومعرفة وبصيرة في العلم. ومن «جهل العمل» إلى السعي النافع، والعمل الصالح قصدًا وسعيًا»(١).

▫ والخشية هي العلم، والقيام بحق العلم من العبادة هي العلم.

* قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩] فسمى التهجد علمًا.

▫ وقال ابن مسعود رضي الله عنه: كفى بخشية اللَّه علمًا، و«كفى بالاغترار به جهلاً».

▫ وقال رجل للشعبي: أيها العالم، فقال: إنما العالم مَن يخشى اللَّه.
وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ يقتضي أن كل من خشي اللَّه فهو عالم، ويقتضي أيضًا أن العالم من يخشى اللَّه.

«فإذا كان العلم يوجب الخشية الحاملة على فعل الحسنات، وترك السيئات، وكل عاص فهو جاهل ليس بتام العلم، تبيّن ما ذكرنا من أن أصل السيئات الجهل وعدم العلم»(٢).

▫ قال مجاهد: من عمل ذنبًا ـ من شيخ أو شاب ـ فهو بجهالة.
وقال: من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته. وقال أيضًا: هو إعطاء الجهل العمد. وقال مجاهد أيضًا: من عمل سوءًا خطأً، أو إثمًا

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٤٦٩).

(٢) «الحسنة والسيئة» لابن تيمية ص(٥٩).

عمدًا، فهو جاهل حتى ينزع منه.

◻ يا من حملت العلم بين جنبيْك أعلم أن كفر اليهود أصله من جهة عدم العمل بعلمهم، فهم يعلمون الحق ولا يتّبعونه قولاً أو عملاً، أوْ لا قولاً ولا عملاً، وكفر النصارى من جهة عملهم بلا علم، فهم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعة من اللَّه، ويقولون على اللَّه ما لا يعلمون. ولهذا كان السلف، كسفيان بن عيينة وغيره يقولون: «من فسد من علمائنا: ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عُبّادنا ففيه شبه من النصارى»(١).

* قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦].

◻ قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ: «شبّه سبحانه من آتاه كتابه، وعلّمه العلم الذي منعه غيره، فترك العمل به واتبع هواه، وآثر سخط اللَّه على رضاه، ودنياه على آخرته، والمخلوق على الخالق بالكلب الذي هو من أخسّ الحيوانات، وأوضعها قدرًا، وأخسها نفسًا، وهمته لا تتعدّى بطنه، وأشدها شرهًا وحرصًا، ومن حرصه: أنه لا يمشي إلا وخطمه في الأرض يتشمم، ويستروح حرصًا وشرهًا، ولا يزال يشمّ دبره دون سائر أجزاء جسمه، وإذا رميت إليه بحجر رجع إليه ليعضّه من فرط نهمته، وهو من أمهن الحيوانات وأحملها للهوان، وأرضاها بالدنايا. والجيف القذرة المروحة أحب إليه من اللحم، والعذرة أحب إليه من الحلوى، وإذا ظفر بميتة تكفى مائة كلب لم يدع كلبًا يتناول معه منها شيئًا إلاّ هرَّ عليه وقهره، لحرصه وبخله وشرهه.

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية ص(٥).

ومن عجيب أمره وحرصه: أنه إذا رأى ذا هيئة رثة وثياب دنيّة، وحال رزيّة نبحه، وحمل عليه كأنه يتصوّر مشاركته له، ومنازعته في قوته. وإذا رأى ذا هيئة حسنة وثياب جميلة ورياسة: وضع له خطمه بالأرض، وخضع له، ولم يرفع إليه رأسه.

وفي تشبيه من آثر الدنيا وعاجلها على اللَّه والدار الآخرة ـ مع وفور علمه ـ بالكلب في حال لهثه سرّ بديع، وهو أن هذا حاله ما ذكره اللَّه من انسلاخه من آياته واتباعه هواه، إنما كان لشدة لهفه على الدنيا، لانقطاع قلبه عن اللَّه والدار الآخرة، فهو شديد اللهف عليها، ولهفه نظير لهف الكلب الدائم في حال انزعاجه وتركه. واللهف واللهث شقيقان وأخوان في اللفظ والمعنى.

❑ قال ابن جريج[1]: الكلب منقطع الفؤاد، لا فؤاد له: إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث. فهو مثل الذي يترك الهدى، لا فؤاد له إنما فؤاده منقطع.

قلت: مراده بانقطاع فؤاده: أنه ليس له فؤاد يحمله على الصبر وترك اللهث وهكذا هذا الذي انسلخ من آيات اللَّه، لم يبق معه فؤاد يحمله على الصبر على الدنيا، وترك اللهف عليها، فهذا يلهث على الدنيا من قلة صبره عنها، وهذا يلهث من قلة صبره عن الماء، فالكلب من أقل الحيوانات صبرًا عن الماء، وإذا عطش أكل الثرى من العطش، وإذا كان فيه صبر على الجوع. وعلى كل حال فهو أشد الحيوانات لهثًا: يلهث قائمًا، وقاعدًا، وماشيًا، وواقفًا. وذلك لشدة حرصه، فحرارة الحرص في كبده تُوجب له دوام اللهث.

(١) انظر «الطبري» (٩/ ١٢٩).

فهكذا مشبهه: شدة الحرص وحرارة الشهوة في قلبه توجب له دوام اللهث فإن حملت عليه بالموعظة والنصيحة فهو يلهث، وإن تركته ولم تعظه فهو يلهث.

❑ قال مجاهد: ذلك مثل الذي أُوتي الكتاب ولم يعمل به.

❑ وقال ابن عباس: إن تحمل عليه الحكمة لم يحملها، وإن تتركه لم يهتد إلى خير، كالكلب إن كان رابضًا لهث، وإن طُرِد لهث.

❑ وقال الحسن: هو المنافق لا يثبت على الحق، دُعِي أو لم يدع، وُعظِ أم لم يوعظ. كالكلب يلهث طردًا وتركًا.

❑ وقال عطاء: ينبح إن حملت عليه أو لم تحمل عليه.

❑ وقال أبو محمد بن قتيبة[1] : «كل شيء يلهث فإنما يلهث من إعياء أو عطش أو علة إلا الكلب، فإنه يلهث في حال الكلال، وحال الراحة، وحال الصحة، وحال المرض والعطش». فضربه اللَّه لمن كذّب بآياته، وقال: إن وعظته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال. كالكلب إن طردته لهث، وإن تركته على حاله لهث.

* ونظيره قوله سبحانه: ﴿ **وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٩٣].

❑ وتأمل ما في هذا المثل من الحكم والمعاني:

فمنها قوله: ﴿ **آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا** ﴾ فأخبر سبحانه أنه هو الذي آتاه آياته، فإنها نعمة واللَّه هو الذي أنعم بها عليه، فأضافها إلى نفسه. ثم قال: ﴿ **فَانسَلَخَ مِنْهَا** ﴾ أي: خرج منها، كما تنسلخ الحية من جلدها، وفارقها فراق الجلد

---

(١) انظر «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ص(٣٦٩).

يُسلخ عن اللحم.

ولم يقل فسلخناه منها؛ لأنه هو الذي تسبّب إلى انسلاخه منها باتباعه هواه.

☐ ومنها: قوله سبحانه: ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: لحقه وأدركه، كما قال في قوم فرعون ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾، وكان محفوظًا محروسًا بآيات اللَّه محميّ الجانب بها من الشيطان لا ينال منه شيئًا إلا على غِرّة وخَطْفة. فلما انسلخ من آيات اللَّه ظفر به الشيطان ظفر الأسد بفريسته ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ العاملين بخلاف علمهم، الذين يعرفون الحق ويعملون بخلافه، كعلماء السوء.

☐ ومنها: أنه سبحانه قال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ فأخبر سبحانه أن الرفعة عنده ليست بمجرد العلم، فإنّ هذا كان من العلماء، وإنما هي اتباع الحق وإيثاره، وقصد مرضاه اللَّه، فإنّ هذا كان من أعلم أهل زمانه، ولم يرفعه اللَّه بعلمه، ولم ينفعه به. نعوذ باللَّه من علمٍ لا ينفع.

وأخبر سبحانه أنه هو الذي يرفع عبده إذا شاء بما آتاه من العلم، وإنْ لم يرفعه اللَّه فهو موضوع، لا يرفع أحدٌ به رأسًا. فإن الرب الخافض الرافع سبحانه خفضه ولم يرفعه. والمعنى: لو شئنا فضلناه وشرفناه ورفعنا قدره ومنزلته بالآيات التي آتيناه.

☐ قال ابن عباس ﵄: لو شئنا لرفعناه بعلمه.

☐ وقالت طائفة: الضمير في قوله: ﴿لَرَفَعْنَاهُ﴾ عائد على الكفر. والمعنى: لو شئنا لرفعنا عنه الكفر بما معه من آياتنا. قال مجاهد وعطاء: لرفعنا عنه الكفر بالإيمان وعصمناه. وهذا المعنى حق. والأول هو مراد الآية. وهذا من لوازم المراد.

وقد تقدم أن السلف كثيرًا ما ينبهون على لازم معنى الآية، فيظن الظان

أن ذلك هو المراد منها.

* وقوله: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ﴾ قال سعيد بن جبير: ركن إلى الأرض، وقال مجاهد: سكن، وقال مقاتل: رضي بالدنيا. وقال أبو عبيدة: لزمها وأبطأ.

والمخلد من الرجال هو الذي يبطئ في مشيته.

◻ وقال الزجاج: خلد وأخلد، وأصله من الخلود: وهو الدوام والبقاء. يُقال أخلد فلان بالمكان إذا أقام به.

* وقوله: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ قال الكلبي: اتبع مسافل الأمور، وترك معاليها.

◻ وقال أبو رَوْق[1] : اختار الدنيا على الآخرة. وقال عطاء: أراد الدنيا وأطاع شيطانه فإن قيل: الاستدراك بـ «لكن» يقتضي أن يثبت بعدها ما نفي قبلها، أو ينفي ما أثبت، كما تقول: لو شئت لأعطيته، لكني لم أعطه، ولو شئت لما فعلت كذا لكني فعلته، والاستدراك يقتضي: ولو شئنا لرفعناه بها ولكنا لم نشأ، أو لم نرفعه، فكيف استدرك بقوله: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ﴾ بعد قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾.

قيل: هذا من الكلام الملحوظ فيه جانب المعنى، المعدول فيه عن مراعاة الألفاظ إلى المعاني، وذلك أن مضمون قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ أنه لم يتعاط الأسباب التي تقتضي رفعه بالآيات: من إيثار اللَّه ومرضاته على هواه، ولكنه آثر الدنيا، وأخلد إلى الأرض واتبع هواه»[2] .

◻ قال القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ: «وهذا المثل في قول كثير من أهل العلم

(١) أبو روق، هو عطية بن الحارث، صدوق.
(٢) «إعلام الموقعين» (١/ ٢١٦).

بالتأويل عام في كلٍّ من أُوتي القرآن فلم يعمل به. وقيل: هو في كل منافق. والأول: أصح.

قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿**فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث**﴾، أي: إنْ تحمل عليه بدابتك أو برجلك يلهث أو تتركه يلهث. وكذلك من قرأ الكتاب ولا يعمل بما فيه. وقال غيره: هذ شر تمثيل؛ لأنه مثّله في أنه قد غلب عليه هواه حتى صار لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا بكلب لاهث أبدًا، حُمل عليه أو لم يُحمل عليه؛ فهو لا يملك لنفسه ترك اللَّهَثان.

وقيل: من أخلاق الكلب الوقوع بمن لم يخفه على جهة الابتداء بالجفاء، ثم تهدأ طائشته بنيل كلّ عوض خسيس. ضربه اللَّه مثلاً للذي قبل الرشوة في الدين حتى انسلخ من آيات ربه. فدلّت الآية لمن تدبّرها على ألا يغترّ أحد بعلمه ولا بعمله؛ إذ لا يدري بما يُختم له. ودلّت على منع أخذ الرشوة لإبطال حق أو تغييره. ودلّت على منع التقليد لعالم إلا بحجّة يبيّنها؛ لأن اللَّه تعالى أخبر أنه أعطى هذا آياته فانسلخ منها، فوجب أن يخاف مثل هذا على غيره وألا يُقبل منه إلا بحجة»[1] .

◘ قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ: هذا مَثَل عالم السوء الذي يعمل بخلاف علمه.

تأمل ما تضمّنته هذه الآية من ذمّه وذلك من وجوه:

أحدها: أنه ضلّ بعد العلم واختار الكفر على الإيمان عمدًا لا جهلاً.

وثانيها: أنه فارق الإيمان مفارقة من لا يعود إليه أبدًا، فإنه انسلخ من الآيات بالجملة كما تنسلخ الحية من قشرها، ولو بقي معه شيء لم ينسلخ منها.

(١) «تفسير القرطبي» ص(٢٧٥٩).

وثالثها: أن الشيطان أدركه ولحقه بحيث ظفر به وافترسه، ولهذا قال: ﴿**فأتبعه الشيطان**﴾ ولم يقل تبعه، فإن في معنى أتبعه أدركه ولحقه، وهو أبلغ من تبعه لفظًا ومعنى.

ورابعها: أنه غوي بعد الرشد، والغيّ: الضلال في العلم والقصد، وهو أخص بفساد القصد والعمل، كما أن الضلال أخصّ بفساد العلم والاعتقاد، فإذا أُفرد أحدهما دخل فيه الآخر، وإن اقترنا فالفرق ما ذُكِر.

وخامسها: أنه سبحانه لم يشأ أن يرفعه بالعلم فكان سبب هلاكه لأنه لم يرفع به فصار وبالاً عليه، فلو لم يكن عالمًا كان خيرًا له وأخفّ لعذابه.

وسادسها: أنه سبحانه أخبر عن خسّة همته وأنه اختار الأسفل الأدنى على الأشرف الأعلى.

وسابعها: أن اختياره للأدنى لم يكن عن خاطر وحديث نفس، ولكنه كان عن إخلاد إلى الأرض وميل بكليته إلى ما هناك، وأصل الإخلاء اللزوم على الدوام كأنه قيل: لزم الميل إلى الأرض. وعبّر عن ميله إلى الدنيا بإخلاده إلى الأرض، لأن الدنيا هي الأرض وما فيها يستخرج منها من الزينة والمتاع.

وثامنها: أنه رغب عن هداه، واتبع هواه، فجعل هواه إمامًا له يقتدي به ويتبعه.

وتاسعها: أنه شبه بالكلب الذي هو أخسّ الحيوانات همّة، وأسقطها نفسًا وأبخلها، وأشدها كلبًا، ولهذا سمي كلبًا.

وعاشرها: أنه شبّه لهثه على الدنيا وعدم صبره عنها وجزعه لفقدها وحرصه في تحصيلها بلهث الكلب في حالتي تركه والحمل عليه بالطرد، وهكذا.. هذا إن تُرِك فهو لهثان على الدنيا، وإن وُعِظ وزُجِر فهو كذلك

فاللهث لا يفارقه في كل حال كلهث الكلب.

◻ قال ابن قتيبة: كل شيء يلهث فإنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب، فإنه يلهث في حال الكلال وحال الراحة، وحال الريّ وحال العطش فضربه اللَّه مثلاً لهذا الكافر فقال: إن وعظته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال؛ كالكلب إن طردته لهث، وإن تركته في حاله لهث، وهذا التمثيل لم يقع بكل كلب وإنما وقع بالكلب اللاهث، وذلك أخسّ ما يكون وأشنعه»[1].

*** عالم السوء:**

وقفنا طويلاً أمام مثل عالم السوء الذي آتاه اللَّه آياته فانسلخ منها، وهو «مثل رهيب عجيب، وما تنفك ظلاله القاتمات تملأ النفس رهبة ووجلاً، وتدخل على القلب بالهمّ والحزن أن يصير إنسان إلى هذه الحال ـ أيُّ إنسان ـ ولكن الذي صار إليه رجل من أعلم أهل زمانه وكذلك يصير من هو على شاكلته انسلاخًا من آيات اللَّه، وإخلادًا إلى الأرض واتباعًا للهوى، ثُمَّ هو في الدنيا يقعد من الناس مَزْجَر الكلب، وفي الآخرة عذاب عظيم، وما ظلمهم اللَّه ولكن أنفسهم كانوا يظلمون؛ لأنهم كانوا في الدنيا يصرفون الناس عن اللَّه بسلوكهم وأعمالهم»[2].

*** تلبيس إبليس:**

◻ قال ابن الجوزي ـ رحمه اللَّه ـ: «إن أقوامًا علت هممهم فحصّلوا علوم الشرع من القرآن والحديث والفقه والأدب وغير ذلك، فأتاهم إبليس بخفيّ التلبيس فأراهم أنفسهم بعين عظيمة لما نالوا وأفادوا غيرهم؛ فمنهم من

---

(١) «الفوائد» لابن القيم (١٠٠ ـ ١٠٢).

(٢) «ذم الجهل» لمحمد بن سعيد بن رسلان ـ ص(١٥٧ ـ ١٥٨) ـ دار العلوم الإسلامية.

يستفزّه لطول عنائه في الطلب، فحسّن له اللذات، وقال له: إلى متى هذا التعب فأرح جوارحك من كلف التكاليف وأفسح لنفسك في مشتهاها؛ فإن وقعت في زلة فالعلم يدفع عنك العقوبة، وأورد عليه فضل العلماء.

فإنْ خُذِل هذا العبد وقَبِل هذا التلبيس يهلك، وإن وُفِّق فينبغي له أن يقول: جوابك من ثلاثة أوجه:

* **أحدها**: إنه إنما فُضِّل العلماء بالعمل ولولا العمل به ما كان له معنى، وإذا لم أعمل به كنتُ كمن لم يفهم المقصود به ويصير مثلى كمثل رجل جمع الطعام وأطعم الجياع ولم يأكل، فلم ينفعه ذلك من جوعه.

* **والثاني**: أن يعارضه بما ورد في ذمّ من لم يعمل بالعلم.

* **والثالث**: أن يذكر له عتاب من هلك من العلماء التاركين للعمل بالعلم، كإبليس وبلعام. ويكفي في ذم العالم إذا لم يعمل قوله تعالى: ﴿ **كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا** ﴾.

وقد لبّس إبليس على أقوام من المحكّمين في العلم والعمل من جهة أخرى، فحسّن لهم الكبر بالعلم والحسد للنظير والرياء لطلب الرياسة، فتارة يريهم أن هذا كالحق الواجب لهم. وتارة يقوّى حب ذلك عندهم فلا يتركونه مع علمهم بأنه خطأ.

وعلاج هذا لمن وفّق إدمان النظر في إثم الكبر والحسد والرياء، وإعلام النفس أن العلم لا يدفع شرّ هذه المكتسبات بل يُضاعف عذابها لتضاعف الحجة به.

ومن نظر في سير السلف من العلماء العاملين استقرّت نفسه فلم يتكبّر، ومن عرف اللّه لم يراءِ، ومن لاحظ جريان أقداره على مقتضى إرادته لم يحسد.

وقد يدخل إبليس على هؤلاء بشبهة ظريفة؛ فيقول طلبكم للرفعة ليس بتكبّر لأنكم نوّاب الشرع فإنكم تطلبون إعزاز الدين ودحض أهل البدع، وإطلاقكم الكلام في الحسّاد غضب للشرع؛ إذ الحسّاد قد ذمّوا من قام به، وما تظنّونه رياء فليس برياء؛ لأن من تخاشع منكم وتباكى اقتدى به الناس كما يقتدون بالطبيب إذا احتمى أكثر من اقتدائهم بقوله إذا وصف.

وكشف هذا التلبيس: أنه لو تكبّر متكبّر على غيرهم من جنسهم وصعد في المجلس فوقه، أو قال حاسد عنه شيئًا لم يغضب هذا العالم لذلك كغضبه لنفسه، وإن كان المذكور من نوّاب الشرع، فعُلم أنه إنما لم يغضب لنفسه بل للعلم.

وأما الرياء فلا عذر فيه لأحد ولا يصلح أن يُجعل طريقًا لدعاية الناس. وبعد هذا فالأعمال بالنيات، والناقد بصير. وكم من ساكت عن غيبة المسلمين، وإذا اغتيبوا عنده فرح قلبه، وهو آثم ذلك من ثلاثة وجوه:

* **أحدها**: الفرح فإنه حصل بوجود هذه المعصية من المغتاب.

* **والثاني**: لسروره بثلب المسلمين.

* **والثالث**: أنه لا ينكر.

وقد لبّس إبليس على الكاملين في العلوم فيسهرون ليلهم ويدأبون نهارهم في تصانيف العلوم ويريهم إبليس أن المقصود نشر الدين، ويكون مقصودهم الباطن؛ انتشار الذكر، وعلوّ الصيت والرياسة وطلب الرحلة من الآفاق إلى المصنِّف.

وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انتفع بمصنفاته الناس من غير تردد إليه، أو قُرِئَت على نظيره في العلم فرح بذلك إن كان مراده نشر العلم.

❑ قال بعض السلف: ما من علم علمته إلا أحببت أن يستفيده الناس

من غير أن يُنسب إليّ ـ قلت: هو الشافعي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ.

ومنهم من يفرح بكثرة الأتباع، ويُلَبِّس عليه إبليس بأن هذا الفرح لكثرة طلاّب العلم؛ وإنما مراده كثرة الأصحاب، واستطارة الذكر، ومن ذلك العُجب بكلامهم وعلمهم.

وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انقطع بعضهم إلى غيره ممن هو أعلم منه ثقل ذلك عليه، وما هذه صفة المخلص في التعليم؛ لأن مثل المخلص مثل الأطباء الذين يداوون المرضى للَّه سبحانه وتعالى؛ فإذا شُفي بعض المرض على يد طبيب منهم فرح الآخر.

● وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار ما منهم رجل يُسأل عن شيء إلاّ ودّ أن أخاه كفاه، ولا يحدِّث بحديث إلا ودّ أن أخاه كفاه.

وقد يتخلصّ العلماء الكاملون من تلبيسات إبليس الظاهرة، فيأتيهم بخفيّ من تلبيسه؛ بأن يقول له: ما لقيت مثلك، ما أعرفك بمداخلي ومخارجي؛ فإن سكن إلى هذا هلك بالعُجْب، وإن سلم من المسألة له سلم.

◘ وقد قال السري السقطي: لو أن رجلاً دخل بستانًا فيه من جميع ما خلق اللَّه عز وجل من الأشجار عليها من جميع ما خلق اللَّه عز وجل من الأطيار، فخاطبه كل طائر بلغته؛ وقال: السلام عليك يا وليّ اللَّه فسكنت نفسه إلى ذلك، كان في أيديها أسيرًا، واللَّه الهادي لا إله إلا هو»[1].

*** علماء السوء:**

◘ قال ابن الجوزي يصف بعض علماء السوء في عصره: «قدم علينا

---

(١) «تلبيس إبليس» ص(١٢٩).

بعض الفقهاء من بلاد الأعاجم وكان قاضيًا ببلده فرأيتُ على دابته الذهب ومعه أتوار[١] الفضة وأشياء كثيرة من المحرمات.

فقلت: أي شيء أفاد هذا العلمُ؟ بل واللَّه لقد كثرت عليه الحجج، وأكبر الأسباب قلّة علم هؤلاء بسيرة السلف وما كان عليه رسول اللَّه ﷺ ؛ إنهم يجهلون الجملة، ويتشاغلون بعلم الخلاف، ويقصدون التقدم بقشور المعرفة وليس يعنيهم سماع حديث ولا نظر في سير السلف، ويخالطون السلاطين فيحتاجون إلى التزيّي بزيهم، وربما خطر لهم أن هذا قريب، وإن لم يخطر لهم فالهوى غالب بلاصادّ، نعم، ربّما خطر لهم أن يقولوا: هذا يحتمل ويُغفر في جانب تشاغلنا بالعلم، ثم يرون العلماء يكرمونهم لنيل شيء من دنياهم، ولا ينكرون عليهم، ولقد رأيت من الذين ينتسبون إلى العلم من يستصحب المردان، ويشتري المماليك، وما كان يفعل هذا إلا من قد يئس من الآخرة. ورأيت من قدْ بلغ الثمانين من العلماء، وهو على هذه الحالة.

فاللَّه اللَّه يا من يريد حفظ دينه ويوقن بالآخرة، إيّاك والتأويلات الفاسدة، والأهواء الغالبة؛ فإنك إن ترخّصت بالدخول في بعضها جرّك الأمر إلى الباقي، وكم تقدر على الخروج لموضوع إلف الهوى فاقبل نصحى، واقنع بالكسرة، وابعد عن أرباب الدنيا؛ فإذا ضجّ الهوى فدَعْه ولا تُجبه. فالصبر الصبر على شظف العيش والبعد عن أرباب الهوى.. فما يتِّم دينٌ إلا بذلك. ومتى وقع الترخّص حمل إلى غيره، كالشاطئ إلى اللجة، وإنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، ووجه أصبحُ من وجه؛ وإنما هي أيام يسيرة»[٢].

---

(١) أتوار: جمع توْر وهو إزاء يُشرب فيه وقد يُتوضأ منه.

(٢) «صيد الخاطر» ص(٣٦٣).

*** علماء السوء قطاع الطريق إلى الجنة.. دعاة على أبواب جهنم:**

▣ قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ: «علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلّما قالت أقوالهم للناس: هلمّوا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقًّا كانوا أول المستجيبين له، فهم في هذه الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطّاع الطرق»[٢].

*** علماء السوء ممقوتون عند اللَّه:**

* ويكفي هؤلاء قول اللَّه عز وجل **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾** [الصف: ٢، ٣].

والمقت الذي يكبر عند اللَّه هو أكبر المقت وأشد البغض وأنكر النكر.. وهذا غاية التفظيع لأمر، وبخاصة في ضمير المؤمن، الذي يُنادى بإيمانه، والذي يناديه ربه الذي آمن به.

*** علماء السوء:**

▣ إنه ليس أشنع من خيانة المستأمَن، وليس أبشع من تفريط المستحفَظ، وليس أخس من تدليس المستشهَد.

▣ إن الخطأ الأكبر أن تنظم الحياة من حولك وتترك الفوضى في قلبك.

▣ يا ضيعة العمر إن نجا السامع وهلك المسموع، يا خيبة المسعى إن وصل التابع وانقطع المتبوع.

---

(١) «الفوائد» ص(٨١).

وَبَّخْتَ غيرك بالعمى فأفدته بصـرًا وأنت مُحَسِّنٌ لعماكَ
وفتيلة المصباح تحـرق نـفسـها وتُضيء للأعشى وأنت كذاكَ

◘ أو كما قال القائل:

وكنا نستطِبُّ إذا مرضنـا فصـار هلاكُنا بيد الطبيب

◘ قال الجُنيد: متى أردت أن تشرف بالعلم وتنسب إليه، وتكون من أهله قبل أن تُعطي العلم ماله عليك، احتجب عنك نوره، وبقي عليك رسمه وظهوره، ذلك العلم عليك لا لك، وذلك أن العلم يشير إلى استعماله، فإذا لم تستعمل العلم في مراتبه رحلت بركاته».

◘ يقول ابن الجوزي: «وجدت رأي نفسي في العلم حسنًا، فهي تقدمه على كل شيء وتعتقد الدليل، وتفضل ساعات التشاغل به على ساعات النوافل، وتقول: أقوى دليل لي على فضله على النوافل؛ أني رأيت كثيرًا ممن شغلتهم نوافل الصلاة والصوم عن نوافل العلم، قد عاد ذلك عليهم بالقدح في الأصول، فرأيتها في هذا الاتجاه على الجادة السليمة والرأي الصحيح.

إلاّ أني رأيتها واقفة مع صورة التشاغل بالعلم، فصِحْتُ بها: فما الذي أفادك العلم. أين الخوف؟ أين القلقُ؟ أين الحذر؟؟

أو ما سمعت بأخبار أخيار الأحبار في تعبّدهم واجتهادهم؟ أما كان الرسول ﷺ سيد الكلّ، ثم إنه قام حتى ورمت قدماه؟

أما كان أبو بكر رضي الله عنه شجيّ النشيج كثير البكاء؟

أما كان في خدّ عمر رضي الله عنه خطّان من آثار الدموع؟

أما كان عثمان رضي الله عنه يختم القرآن في ركعة؟

أما كان عليّ رضي الله عنه يبكي بالليل في محرابه حتى تخضلّ لحيته بالدموع؟

ويقول: يا دنيا غُرِّي غيري؟

أما كان الحسن البصري يحيا على قوة القلق؟

أما كان سعيد بن المسيب ملازمًا للمسجد لم تفته صلاة في جماعة أربعين سنة؟

أما صام الأسود بن يزيد حتى اخضرّ واصْفرّ؟

أما قالت بنت الربيع بن خيثم له: ما لي أرى الناس ينامون وأنت لا تنام؟ فقال: إن أباك يخاف عذاب البيات؟

أما كان أبو مسلم الخولاني يُعلِّق سوطًا في المسجد يؤدب به نفسه إذا فتر؟

أما صام يزيد الرقاشي أربعين سنة؟ وكان يقول: والهفاه سبقني العابدون وقُطِع بي؟

أما صام منصور بن المعتمر أربعين سنة؟؟

أما كان سفيان الثوري يبكي الدم من الخوف؟

أما كان إبراهيم بن أدهم يبول الدم من الخوف؟

أما تعلمين أخبار الأئمة الأربعة في زهدهم وتعبدهم؟ أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد؟

احذري من الإخلاد إلى صورة العلم مع ترك العمل به، فإنها حالة الكُسالى والزَّمْني.

وَخُذْ لك منك على مُهْلَةٍ ... ومُقبل عيشك لَمْ يُدْبِرِ
وَخَفْ هَجْمةً لا تُقيلُ العثا ... رَ وتَطْوي الورود على المصْدَرِ
ومثِّلْ لنفسِكَ أي الرَّعيـ ... ـلِ يضُمُّكَ في حَلْبَة المحشَرِ

* * *

وهل أفسد الدين إلا الملوك   وأحبـــار ســــوءٍ ورهبانهـــا

*** شيخ معمم في اللاذقية أيام الوحدة مع مصر يقول عن «المسابح المختلطة» أنها الجيل القوي الأمين الذي سيحرر فلسطين!! وكلمة حق من الشيخ محمد المجذوب:**

❑ يقول الأستاذ محمد المجذوب في كتابه «خواطر ومشاعر»:

«دأبت منذ ثلث قرن على خدمة الكلمة المسلمة، أمرًا بمعروف، أو نهيًا عن منكر، أو تذكيراً بحق، أو دعوة إلى خير.. حتى صار ذلك جزءًا لا يتجزأ من كياني، ولو كلفني ألوان البلاء من السجون والاعتداء، وحتى المحاربة في الرزق.. ومن هنا أصبح مثل هذا التعرض للمسئوليات، بالنسبة إليّ، خلقًا لا سبيل إلى تجاهله أو عصيانه، كائنة ما كانت عواقبه؛ لأن الموضوع ليس خاضعًا لمعايير الربح والخسار، بمقدار ما هو حافز نفسي يفرض سلطانه دون أن يكون لي بإزائه أي خيار.

ثم إني إلى ذلك من أعلم الناس بحساسية الأوضاع، التي لا يمكن أن تتسع لأي نقد، بعد أن استمر سلطان الحزبية الثورية، التي لا تتورع عن سحق أي بادرة من هذا النوع، لقد ظل دعاة هذه الحزبية عاجزين عن إطباق قبضتهم على عنق البلاد، على الرغم من كل المحاولات الزائفة التي هولوا بها على السذج، والحملات الإعلامية الرهيبة، التي شنوها على مخالفيهم من قادة الأكثريات الشعبية.. أما الآن، وبعد قيام الوحدة السياسية بين القطرين، التي وضعت في أيديهم أزمة البلد ـ ولو إلى حين ـ فقد حققوا كل ما فاتهم، حتى ليعلنون حربهم على النظام الإلهي نفسه كما حدث يوم وقف أحد وزرائهم يفتتح مشروع سد الرسين بقوله: بعد اليوم لن نحتاج إلى السماء..، ومع أن السماء قد ردت على ذلك التحدي الصبياني بحبس

الغيث عن الشام كلها، فلم تأذن لها بقطرة من الماء حتى تلك الساعة.. فإن قبضتهم لم تزل يشتد ضغطها على عنق البلاد، حتى بات من غير المتوقع أن يجرؤ إنسان على الإشارة إليها ولو همسًا، إلا أن يكون كارهًا لحياته، أو مفارقًا لعقله.

ثم.. من أين لي أن أنسى تلك التظاهرة الحكومية الكبرى التي افُتتح بها مسبح (الشاطئ الأزرق) في اللاذقية، أكبر تلك المذابح، إذ شارك فيها وزراء الإقليم، حتى الوزير الذي كان محسوبًا على الإسلاميين، ومعروفًا بالسلوك المحافظ.. وقد حشد لها فريق من السباحين والسباحات من القطرين.. وألقى فيهم معمَّم غير مجهول تلك الكلمة الرائعة، التي كان منها قوله: (في هذه المدارس - يريد المسابح - سيتخرج الجيل القوي الأمين الذي سيحرر فلسطين)!!

وطبيعي أن تعتبر تلك الحفلة يومئذٍ تعبير الدولة عن نظرتها الرسمية إلى مثل هذه المشاريع.. ولا سيما بعد إذاعة هاتيك الخطبة النفيسه، التي صفق لها كبار الشخصيات الرسمية والمدعوة، وحملتها وسائل الإعلام المقروء والمسموع والمنظور إلى كل مكان.. وكان من حق هذا أن يقفل بي كل رغبة للكلام في غير هذا الاتجاه.. لو كان لمثل فضولي أن ينتفع بمنطق الواقع فيلجأ إلى أضعف الإيمان.

وتذكرت أنني عضو منتخب في تشكيلة (الاتحاد القومي).. الذي كنا نتوقع أن يكون له مهمة أخرى غير التدريب على الاستقبال والتصفيق.. ولعل لهذه الصفة أثرها الأكبر في اندفاعتي - غير المعقولة - التي حركت لساني بكل ذلك التنديد المزعج.. إذ قلت لنفسي: ما جدوى انتخابنا وتنظيماتنا، إذا لم يكن لأحدنا الحق في أن يقول للمخطئ: إنك مخطئ!!.

ولم تذهب توقعاتي سدى.. فما إن انتهيت إلى مكتبي حتى طالعتني

تلك المفكرة غير السارة.. متوّجة بشعار (المباحث) وفيها دعوة (المدعو محمد المجذوب) إلى مواجهة المسئولين وبأسرع وقت ممكن!.

وكان ذلك عصر الخميس.. فخشيت أن أحجز هناك إلى يوم السبت، فقررت تجاهل الدعوة، وتأخرت المواجهة إلى صباح ذلك اليوم.

☐ وطال انتظاري في غرفة الكاتب.. وكان ذلك مألوفًا بالنسبة إلى كل مدعو للمباحث العامة؛ لأنه أشد إثارة لأوهامه، وأعمق تأثيرًا في أعصابه، ولا معنى للمباحث إذا هي تخلت عن هذا الطابع!.

وعلى مقربة من وقت الظهر جاء الآذن ليبلغني موعد المقابلة، فانطلقت خلفه إلى مكتب الرئيس.. فإذا عنده الضابط الذي تتناقل الألسن أخبار شدته على الذين يقذف بهم القدر إلى يديه..

واستكمالاً للفائدة المنشودة عرفني الرئيس ـ بعد رد التحية ـ شخصية مساعده قائلاً: إنه فلان.. وضغط على اسمه بصورة تسترعي الانتباه، وتظاهرت بالهدوء، أجبت بمثل المداعبة: يسرني أن ألقاكما معًا..

وافتتح الرئيس الحوار بهذا السؤال: لعل الرحلة كانت موفقة؟!..

ـ أتريد زيارتي لأهلي في طرطوس وبانياس؟..

ـ طبعًا.. فهل لك أن تحدثنا بما ألقيت على الناس هناك؟..

ـ عسى أن يكون المخبر أكثر تذكرًا مني لما قلت.. لأني لم أتحدث إلى الناس بشيء معدّ..

ـ لقد تكلمت عن المسابح.. وحذرت الناس شرها..

ـ المسابح المختلطة طبعًا!..

ـ هي لا غيرها..

ـ يظهر أن المخبر لم يكذبك. إلا إنه نسي أني لم أسمها مسابح بل مذابح..

ولم يطق كتمان دهشته، فنظر إليَّ فاغر الفم ثم قال: هكذا.. وفي دائرة حكومية تصرح بهذا!! ولم أجدني قادراً على التمويه فأجبت: تلك كلمة حق لا قيمة لها إن لم تقل.. واسمح لي أن أوجه مثلها إليكما أيضًا..

وصاح الرئيس وصاح معه المساعد الذي لم يحرك لسانه بغير هذه الكلمة «إلينا»؟!.

ـ نعم إليكما.. إنها نصيحة لا يسقط الواجب إلا بأدائها.. وهي أن تتجنبا تلك المذابح فلا تقرباها ولا سيما مع أهلكما..

وركز الرئيس مقعده باتجاهي وهو يقول: يظهر أنك لا تفكر بعواقب كلامك.. عليك أن تفهم أن هذه المسابح ليست إلا إحدى الوسائل المخططة لإخراج المرأة من قوقعتها.. تلك هي سياسة سيادته، ولا محيد عنها، أرجو أن تفهم هذا جيدًا.

وابتسمت بقدر ما يساعد الموقف، ثم أجبت: إن سيادته مسلم، وكثيراً ما يعلن تقديره للإسلام.. فلا يعقل أن يرضى بما يناقض دين اللّه..

وأراد الرجل أن يسد باب الجدل، فإذا هو يتحول إلى التلويح بالسلطة، وفي لهجة مشحونة بالوعيد يسأل: من كلفك إرسال هذا الكلام؟!.. وهل أنت موظف في قسم الإرشاد؟!..

ولم أجد مندوحة عن الاستسلام إلى حوافز الضمير فقلت: بلى.. إنني موظف وفي القسم نفسه..

قال: ومن الذي وظفك؟.. ومتى..

قلت: اسمح لي أن أسألك: باسم مَن أنت توجه إلي هذا التحقيق؟

وفي شموخ متعال أجاب: إنني أتكلم باسم سيادة الرئيس..

قلت: إذن فاعلم أن رئيسي أكبر من رئيسك.. إنه اللّه الذي ألزمني

هذه المهمة منذ آمنت به وبرسوله!..

وسادت القاعة لحظة صمت.. لم يلبث أن قطعه بقوله: إذن فاستعدَّ لمغادرة البلاد بأهلك وسنعد لكم الجوازات اللازمة..

وسألت بدوري: ولم هذا؟

قال: لأنك معارض لسياسة سيادة الرئيس.. ولا مقام في جمهوريتنا المتحدة لمن يرفض هذه السياسة!..

وكان علي أن أفكر جادًا وبسرعة في ذلك العرض الذي لم أكن بكاره له، فقد طالما تطلعت إلى الضرب في أرض اللَّه تطلع السجين إلى ما وراء الأسوار.. غير أني تخوفت أن يكون وراء العرض خطة للاستدراج.. فأجمعت على التظاهر برفضه، وبالصراحة نفسها قلت للرجل: إنني امرؤ ذو رسالة أعمل لها منذ ثلث قرن، ولا يزال أمامي الكثير لإتمامها، ومن أجل ذلك لا أريد مغادرة وطني في الوقت الحاضر.. غير أني أنصح لكم أن تدفعوا بمثل هذه الجوازات إلى جماعة (الهاشناق) فهم أحق بها من مثلي..

وكانت أخبار هذه الفئة من الأرمن لا تبرح جديدة على ألسنة الناس، بعد الذي أذاعته وسائل الإعلام عن مصادرة أجهزتها التجسسية، حتى من بعض المعابد التابعة لها!.. وكأنه وجد في إشارتي إليها ما استدعى وقف الحديث.. فأعلن انتهاء المقابلة دون أية نتيجة..

وعدت إلى البيت وفي نفسي أشتات التصورات، وما هي سوى أيام حتى تسلمت الأمر الصادر من السلطة المحلية بتسريحي من عملي في التدريس..

وفي المساء نفسه جاء لزيارتي محام صديق، جعل يعزيني ويذكرني بما لا ينبغي أن أغفله من الثقة برحمة اللَّه، وتكلم بعض أبنائي يَعِدون بأن يؤمنوا لي مثل راتبي الذي فقدته وفي اطمئنان غريب قلت لولدي: إنني

لشديد الأمل ألا يحوجني اللّه إلى معونتكم، وقلت لذلك الصديق: لقد أتيت ما أتيت نشدانا لمرضاة اللّه، وسترى يا صديقي أنه لن يغفلني..

❑ وكنت مدعوًّا لإلقاء بعض شعري في الحفلة التي يقيمها المجلس الثقافي بدمشق، فسافرت في اليوم التالي، وألقيت قصيدتي (ناقور القضاء) عن فلسطين واللاجئين.. ثم التقيت بوزير التعليم الإقليمي سيد يوسف، وقصصت عليه مشكلتي كاملة، فوجدت لديه إصغاء كريمًا، وكان على أهبة السفر إلى القاهرة فوعدني أخيرًا، وأنظرني إلى موعد رجوعه لدمشق، ولدى عودتي إلى الفندق وجدت خلاصة مكالمة هاتفية واردة من أهلي، تفيد أن فلانًا، وهو مدير ثانوية خاصة في حلب، قد أبرق يعرض عليّ عملاً يقارب ضعف مرتبي المقطوع.. فقلت في نفسي: إنها البادرة الأولى للفرج الرباني.

وعدت إلى اللاذقية ومن ثم إلى حلب، ولكني لم أكد أتم الاتفاق حتى فوجئ العالم بنبأ الانقلاب الذي أطاح بالكيان السياسي كله.. وإذا الوحدة التي خلقتها الظروف غير الطبيعية تتبخر خلال ساعات معدودة، ويخلفها نظام جديد.. وحكومة جديدة تولى وزير التعليم فيها صديق لي قديم..!.

ولم أتردد في استجابة الحافز الأول، فشخصت إلى دمشق واتصلت بالوزير الصديق، الذي أحاط بواقع مشكلتي، فكتب على بطاقة خاصة رسالة حاسمة إلى ذلك المسئول، الذي كان قد وجد في تسريحي فرصته الذهبية للانتقام وفيها يقول: إني آمر بإعادة فلان إلى عمله دون أي تأخير.

وعلى الرغم من محاولات المأمور تأخير التنفيذ، لم يجد مفرًا من إلغاء قراره الظالم، فاستردت مكاني المغصوب.. ثم رحت أتابع شريط الأحداث، فأرى بعيني إلى مصير الأربعة الذين تواطئوا علي وقد أصبح كل

منهم عبرة لكل ذي عين. . !

☐ وجاءني الصديق المحامي مرة ثانية ليقول: لا أدري بأي النصرين أهنئك. . بسقوط الذين بغوا عليك أو بعودة حقك إليك. . ؟

قلت: ولكن. . أنَّى للنصرين أن يخفا من أساي لانفصام القطرين. . ! وأطرق صديقي يفكر بما أثارته عبارتي في نفسه ثم أردف: لست واللَّه بأقل أسى لهذه النهاية. . ولكن. . لا تنسى يا صديقي أن الوحدة التي فقدناها ولدت ميتة منذ يومها الأول، لأنها لم تحمل روح صلاح الدين، ولهذا لم تظفر بالقرار المكين، ثم لم تعرف سبيلها إلى الشاطئ الأمين. . !(١).

* خبر عجيب عجيب!!!!

☐ يقول الدكتور محمد المجذوب: «سألت أحد طلابي في الجامعة إذا كان قد أتمّ زواجه الذي سبق أن أخبرني به.

فقال: لقد انفرط عقده قبل الدخول، ثم قص عليّ هذا الخبر العجيب الغريب، وخلاصته أن قاضي بلده قد حكم إلغاء عقده، إذ ثبت له أنه ينتمي إلى جماعة إسلامية معروفة، في حين أن زوجته تنتمي إلى إحدى الفرق الثورية. . والقاضي لا يرى تزويج مثلها لمثله؛ لأنه ليس لها بكفء!!»(٢).

☐ وفي جامع ابن أدهم بجبلة من الساحل السوري وقف مفت معروف يخطب المسلمين، وكانت الغيوم متلبدة بين المملكة السعودية ورئيس الوحدة الموؤدة، فجعل خطبته صورة من ترهات صوت العرب ومفترياتها على السعودية، ثم ختم خطبته برجاء للراغبين إلى الحج إلى بيت اللَّه أن يستنزلوا سخط اللَّه على رجال المملكة وهم متمسكون بستار الكعبة!.

---

(١) «خواطر ومشاعر» لمحمد المجذوب (ص١٣٢ ـ ١٣٦) ـ دار الاعتصام.

(٢) «مشكلات الجيل في ضوء الإسلام» (ص١١٧ ـ ١١٨).

وشاء اللَّه أن يجتمع بعض حجّاج جبلة ذلك العام حول الكعبة المشرفة فيقول أحدهم: لا تنسوا وصية الشيخ بالدعاء على القوم! وكادوا يفعلون لولا أن قيض اللَّه لهم من أقنعهم بفساد تلك الوصية!!»[1].

*** إن عالم السوء سماؤه مظلمة ليس فيها كواكب!!**

نظرته قصيرة وذوقه أعمى!

يتجول بلا هدف

الملّة أصبحت بأقواله متفرقة إلى أفراد!

وماذا يبقى من الأمة إن تفرق أفرادها أيدي سبا!

* فتوى للشيخ زكي بدر وفتوى للشيخ الأكبر على مذهب واعتقاد الخوارج:

◘ يقول زكي بدر: «أما الإخوان المسلمون؛ فهم ليسوا بمسلمين لكنهم أطلقوا على أنفسهم هذا اللقب ظلمًا وعدوانًا على الدين الإسلامي»[2]، ثم الأدهى من ذلك أن تابعه شيخ الأزهر!! حيث نقلت الصحف المصرية أنه وقعت مصادمات بين المسلمين والنصارى في إحدى قرى الصعيد وبدون معرفة دوافع هذه المصادمات وبدون معرفة من المخطئ ومن المصيب، أصدر شيخ الأزهر هذه الفتوى «مرتكبو أحداث العنف ليسوا بمسلمين!!».

◘ قال شيخ الأزهر: إن هؤلاء ممن يسمون بالمتطرفين لا يجب أن نسميهم هكذا فعن أي شيء تطرفوا وهم لا ينسبون إلى الإسلام أصلاً.. وكيف أنسبهم إلى الإسلام وهو العدل الإلهي الذي أوضح أنه من يقدم على

---

(١) المصدر السابق (ص١٢١).

(٢) «الوطن العربي» (تاريخ ٣/ ٢/ ١٩٨٩م).

جريمة القتل وعلى الإظلام والإفساد قد تخلى وقت ارتكابه الجريمة عن إسلامه لأن رسول اللَّه ﷺ يقول: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن ولا يقتل حين يقتل وهو مؤمن**» ولهذا أنه من الإنصاف أن نبحث لهؤلاء القتله عن صفة أو اسم آخر يناسب ما ارتكبوا من جرائم». جريدة الأخبار ١٣/ ٥/ ١٩٩٢م.

* حكم التكفير أشد من حكم الحرابه:

والغرابة أن شيخ الأزهر أصدر هذا الحكم الجائر دون معرفة أسبابه ودوافعه، ودون معرفة الظالم من المظلوم وبعد إصدار الفتوى والحكم بالتكفير تقول ـ الأخبار ـ وحول إمكانية حد الحرابة الإسلامي على مرتكبي أعمال العنف في قرية «صنبو».

◻ قال الإمام الأكبر: «يجب ألا نستبق الحوادث وهذا طبعي ومبدئي في الحكم على الأشياء قبل أن يتم توصيف الجريمة كما أنني لا أفترض تطبيق عقاب ما دامت الأمور ليست واضحة»، وقال: «لا تنسوا أنه حتى آلان لم تتضح أسباب ما حدث ونحن نقرأ كل يوم أسبابًا جديدة لما حدث واتهامات جديدة أيضًا» الأخبار ١٣/ ٥/ ١٩٩٢م ـ ونسي شيخ الأزهر أن إصدار حكم التكفير على المسلم بدون تثبت من وقوع الفعل أولاً وبدون دليل قطعي يفيد أن الفعل كفر مخرج من الملة وبدون إقامة الحجة على الفاعل أبشع وأبشع لما رواه البخاري عن أبي ذر الغفاري قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما رمى رجل رجلاً بالكفر أو الفسق إلا ارتدت عليه ما لم يكن صاحبه كذلك**».

* الرد على شيخ الأزهر وجماعة التكفير:

حقيقة.. أمر مؤسف أن تستدرج الحكومة شيخ الأزهر حتى ينخرط في مذهب الخوارج قديمًا وجماعة الهجرة والتكفير حديثًا فيفتي بأن ارتكاب

المعصية كفر يزيل وصف الإسلام عن مرتكبها!! مما يترتب عليه تكفير غالبية المسلمين قديمًا وحديثًا إذ لا يسلم من ارتكاب الكبائر إلا الأنبياء وصفوة أتباعهم، ولكن لكثرة المناقشة مع جماعة الهجرة والتكفير أصبحت الأدلة سهلة ويسيرة ولا يكلفنا الأمر إلا فتح كتاب من كتب العقائد ثم نبحث عن الفصل الذي يرد على الفرق الضالة، ثم نبحث عن باب الرد على «الخوارج» ثم ننتقي ما يكفينا من الأدلة الشرعية، ولكن قبل هذا لا بد أن ننظر في الحجة والبرهان الشرعي الذي استند إليه شيخ الأزهر وهو بعينه الذي كان يستدل به «جماعة التكفير» في تكفيرهم لعصاة المجتمعات الإسلامية من الزناة وشاربي الخمور والسارقين والقتلة وغيرهم.

* **دليل شيخ الأزهر:**

هو لا يزني الزاني حيث يزني وهو مؤمن - ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يقتل القاتل حين يقتل وهو مؤمن» وقبل الرد أيضًا نريد أن نوجه سؤالاً لشيخ الأزهر: وهو كالآتي: «على افتراض أن الشباب الإسلامي هو السبب في أحداث «صنبو» وأنه هو الظالم وأنه يقع تحت وعيد الحديث المذكور فهل ينطبق الكفر والخروج من الإسلام عليهم فقط، أم يشمل الأصناف المذكورين مع القاتلين وهم الزناة وشاربي الخمور والسارقين؟ فإن قال الشيخ نعم يشملهم لأن دليل تكفير القتلة شمل الباقي.

❑ نقول: إذن صارت غالبية مجتمعات المسلمين كلها كافرة!! لأن شرب الخمور والزنى والسرقة تقع باستمرار من هذه المجتمعات؛ فإن قال: إن الفتوى تقصد، وقت الفعل فقط.

❑ نقول: لا. . بل الفتوى كانت بعد وقوع الأحداث وقضت بارتفاع وصف الإسلام عنهم بل ووصف التطرف وبأنهم لم يكونوا مسلمين أصلاً،

والآن يكفينا الرد على مرتكبي جريمة الاقتتال لأنه يشمل باقي المذكورين في الحديث، فنقول وباللَّه التوفيق.

*** الاقتتال لا يخرج من الإسلام:**

أجمع صحابة رسول اللَّه والتابعون والأئمة الأربعة وغيرهم من جماهير السلف والخلف على أن الاقتتال لا يخرج المسلمين من إسلامهم، حتى ولو كانت جميع الأطراف مسلمة فضلاً عن كونها غير مسلمة، وقد قال تعالى: **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله..﴾** الآية.

□ قال ابن كثير: «فسمّاهم مؤمنين مع الاقتتال، وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت، خلاف ما يقول الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة»[1] ا. هـ[2].

*** من زيارة شيخ الأزهر لأندية الروتاري الماسونية:**

في كتاب «من شيخ أزهري إلى شيخ الأزهر.. الأزهر إلى أين؟!».

□ كتب الشيخ الدكتور عبدالودود شلبي إلى شيخ الأزهر:

«أتوقف معك عند قضيتين أثارتا الجدل، وأشعلتا في النفوس ثورة الألم والغضب.

أولى هاتين القضيتين زيارتك إلى أندية الروتاري فمن البديهيات أن ننأى بأنفسنا عن مواطن الشبهات.. والزعم بأن العبرة بما يقال من (كلام) لا

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير. (١/ ٢١١).

(٢) «الرأي والرأي الآخر في أسباب الخلاف بين الحكام وشباب الصحوة الإسلامية» (ص٥٤ ـ ٥٨) لعثمان القطعاني ـ دار الإيمان ـ الإسكندرية.

بالمكان غفلة وإفراط في حسن النية.

أذكر: أن صديقين ذهبا إلى إدارة الأزهر لتهنئتك بالمشيخة ومن العجيب والغريب معًا أنهما قدما إليك كتابًا يكشف عن مؤامرات الروتاري والماسونية، وفي يقيني أنك لم تقرأ هذا الكتاب ووصفت من اعترضوا على هذه الزيارة بأنهم جهلة وسفهاء!

لقد أوقعك (الروتاريون) في الفخ.. وحصلوا منك على ما لم يحصلوا عليه من قبل! بل جعلوا من زيارتك (إعلان براءة) و(فتوى شرعية) تبيح لهم التصرف بلا حذر والتغلغل في أعماق الشعب المصري بلا خوف! وهذا هو الهدف الحقيقي من دعوتهم لك.. وهذا هو (الفخ) الذي وقعتم فيه من غير قصد»[1].

*** شيخ الأزهر يقول عند موت أحد البطاركة: «لقد مات حبيب اللَّه وحبيب الشعب»!!!:**

❑ وقال الدكتور عبدالودود شلبي:

«عندما توفي أحد البطاركة قال شيخ الأزهر - في ذلك الوقت -: لقد مات حبيب اللَّه وحبيب الشعب»!!!

لو قال هذه الكلمة «مطران» أو «قمص» أو حتى «شماس» لتقبل الناس ذلك بالترحيب والرضا..

أما أن يقولها شيخ الأزهر فداهية من دواهي الدهر.. ومصيبة وقعت على رءوس المسلمين في مصر وفي خارج مصر.. ذلك لأن (المجاملة) بمثل هذا الكلام تجاوزت حدود الدين والعقل.. وألقت بالإسلام والمسلمين في

(١) من شيخ ازهري إلى شيخ الأزهر: «الأزهر إلى أين» (ص٣٥ - ٣٦) - دار الاعتصام للدكتور عبدالودود شلبي.

بحار من الريبة والشك!

ولم تمض سوى أيام قليلة حتى امتلأت مصر كلها بإشاعة تقول: إن شيخ الأزهر قد ارتد وتنصر!! ووصلت الإشاعة إلى الشيخ نفسه فبادر إلى كتابة مقال نشرته صحيفة الأهرام تحت عنوان: «إن الدين عند اللَّه الإسلام» واللَّه أكبر..!!»[١].

*** الدكتوراه الفخرية من الجامعة الإنجيلية «مركز الدراسات التنصيرية» لشيخ الأزهر لماذا؟:**

«ولأن الشيء بالشيء يذكر.. هل فكرت يا فضيلة الإمام وقبل سفرك إلى الولايات المتحدة، وذهابك إلى الجامعة الإنجيلية التي منحتك الدكتوراه الفخرية.

هل عرفت شيئًا عن هذه الجامعة؟

بل لماذا أُنشئت هذه الجامعة؟

هذه الجامعة هي مركز الدراسات التنصيرية.. أي الجامعة التي تعد وتؤهل المنصرين الذين يقومون بتنصير المسلمين في آسيا وفي أفريقيا!!

و«القس» الذي سافر معك، وحصل على نفس الشهادة.. هذا القس هو رئيس الكنيسة الإنجيلية التي تقوم بتنصير المسلمين هنا في مصر المحروسة!!

إن أسماء من ارتدوا على أيدي كهنة هذه الكنيسة معروف عند الجهات المختصة! وهذه الأسماء عندي إن شئت الاطلاع عليها.. بل إن أحد كهنة هذه الكنيسة حاول تنصير طالب أزهري ـ يعمل الآن إمامًا وخطيبًا ـ في

(١) المصدر السابق (ص٤٠ ـ ٤١).

إحدى محافظات الدلتا!

ألم تفكر يا فضيلة الإمام.. لماذا وجهت إليك هذه الدعوة؟ ولماذا منحت هذه الشهادة؟

إن هذه الشهادة لا تمنح أصلاً إلا لمن قدموا خدمات جليلة للكنيسة! ـ ومعاذ اللَّه ـ أن تخطر ببالنا هذه الخاطرة!.. ولكن حسن الظن يورط صاحبه أحيانًا في مزالق خطيرة!!

اطلب الملف الخاص بالكنيسة الإنجيلية أو كنيسة قصر الدوبارة من أمانة الدعوة.. هذا إذا كان الملف لا يزال موجودًا في مكانه بالأمانة العامة؟!!»[1].

* وا إسلاماه:

□ قال اللورد البريطاني المسلم «هيدلي»: لو كان للإسلام دعاة على مستوى الإسلام.. لدان معظم الناس في الغرب والشرق بالإسلام!!![2].

لقد وقف الأستاذ T.B. ARVENG (تي. بي. أرفنج) الأستاذ في جامعة (تنسى) (TENECY) الأمريكية، وقف يخاطب المسلمين في مدينة (جلاسجو) ببريطانيا منذ سنوات فماذا قال البروفسور (أيرفنج)؟

لقد قال: إنكم ـ أيها المسلمون ـ لن تستطيعوا ـ أن تنافسوا الدول الكبرى علميًا، أو اقتصاديًّا، أو عسكريًّا.. في الوقت الحاضر على الأقل، ولكنكم تستطيعون أن تجعلوا هذه الدول تجثو على ركبها أمامكم بالإسلام!!

أفيقوا من غفلتكم لقيمة هذا النور الذي تحملون.. والذي يتعطش إليه كل الناس في مختلف جنبات الأرض.. تعلموا الإسلام وطبقوه.. واحملوه لغيركم من البشر تتفتح أمامكم الدنيا.. ويدين لكم كل ذي سلطان..

(١) المصدر السابق (ص٤١ ـ ٤٢).
(٢) المصدر السابق (ص١١٣).

اعطوني أربعين شابًا ممن يفهمون هذا الدين فهمًا عميقًا.. ويطبقونه على حياتهم تطبيقًا عميقًا ويحسنون عرضه على الناس بأسلوب العصر.. وأنا أفتح بهم الأمريكتين[1] !!!

*** مَن يُصلح الملح إذا الملح فسد؟!**

◻ يقول الدكتور عبدالودود شلبي في كتابه «الأزهر إلى أين؟»[2] :

«وأسأل الشيخ الدكتور:

في عهد الرئيس الراحل (جمال عبدالناصر) صدر ميثاق العمل الوطني.. وهذا الميثاق كما هو معروف، وكما قال الرئيس: يعتمد (الاشتراكية العلمية) منهجًا للتحول الاجتماعي، والاشتراكية العلمية ـ كما هو معروف ـ هي الماركسية!!

وقد فرض تدريس هذا الميثاق على طلبة الأزهر، وسارع كبار شيوخه ـ في هذا الوقت ـ إلى الترحيب بهذا الميثاق كأنه وحي أنزل![3] .

*** الأزهر يعطي الدكتوراه الفخرية لأحمد سوكارنو المرتد عن الإسلام والصانع لدين «الفانشاسيلا»:**

وأعود لأسأل الشيخ الدكتور مرة ثانية:

هل تذكر رئيس أندونيسيا السابق (أحمد سوكارنو)؟ بالتأكيد تعرفه.

(سوكارنو) هذا صنع (دينًا جديدًا) للشعب الأندونيسي المسلم أطلق

---

(١) المصدر السابق (ص١٣٥)، وكتاب «قضية التخلف العلمي في العالم الإسلامي المعاصر» للدكتور زغلول النجار (ص١٣٧، ١٣٨) ـ كتاب الأمة.

(٢) (ص١٥٨).

(٣) انظر في هذا الموضوع: «الاشتراكية العربية» للدكتور محمد البهي ـ مطبعة الأزهر و«القيم الروحية في الميثاق» دكتور محمد بيصار.

عليه اسم (الفانشاسيلا) وكان دينًا يجمع بين الإسلام، والمسيحية، والشيوعية، والهندوكية!!!

وحين ثار الشعب الأندونيسي ضد هذه الهرطقة وهذا الكفر ملئت السجون بعشرات الألوف، وقُتل الكثيرون بأفواه البنادق.. ووضع الزعيم المسلم الدكتور محمد ناصر وإخوانه في قبو تحت الأرض!!

فماذا كان موقف الأزهر من سوكارنو؟

لقد منحه الأزهر درجة الدكتوراه الفخرية، وقال الأزهر في حيثيات منحه هذه الشهادة:

إن الأزهر باستقبال فخامتكم اليوم إنما يستقبل قائدًا عظيمًا من قواد حركات التحرر في البلاد الإسلامية، يستقبل زعيمًا تمرس في الكفاح من أجل حرية بلاده واستعذاب العذاب من أجل سيادة أمته، واستطاب السجن والنفى والمشاق في سبيل تكوين شعبه واستقلاله وحياته الكريمة!!

يستقبل الأزهر فخامتكم اليوم مسجلاً تاريخكم المجيد منذ نشأتكم، وفي شبابكم حتى وقتكم الحاضر.. وهو تاريخ مليء بالأحداث الكبرى، أحداث المجد والعظمة التي ترتبط بعظمة أمة إسلامية كبرى، ويفك أسرها من قيود الاستعمار الأجنبي، وبتمكين أبنائها من الحياة الإنسانية الكريمة، وهي حياة الإيمان، والحرية، والعلم والمعرفة، والعمل الصالح المثمر المعمر.

وقد أراد الأزهر أن يعبر عن تقديره لكفاحكم المجيد، فقرر مجلسه الأعلى في جلسته المنعقدة في السادس والعشرين من شوال سنة ١٣٧٩هـ الموافق الواحد والعشرين من أبريل سنة ١٩٦٠م، أن يمنح سيادتكم شهادة العالمية الفخرية من درجة أستاذ في الفلسفة، ليرى فيكم ابنًا من أبنائه، وعنصرًا من عناصره العاملة المجاهدة!!.

وقد كان لمنح الأزهر (سوكارنو) هذه الشهادة وقع الصاعقة على

مسلمي أندونيسيا.. بل على جميع المسلمين في الشرق الأوسط والشرق الأقصى!!»[(١)] .

*** وزير الأوقاف وشئون الأزهر يأمر بصلاة الغائب على «باتريس لومومبا» رئيس الكونغو وهو شيوعي قح:**

وأسأل مرة ثالثة الشيخ الدكتور:

في عهد وزير الأوقاف وشئون الأزهر الأسبق[(٢)] أقيمت صلاة الغائب على (باتريس لومومبا) رئيس جمهورية الكنغو الأسبق، وبأمر من الوزير الأزهري!

هل يعلم الشيخ الدكتور من كان لومومبا؟

(لومومبا) هذا كان شيوعيًا قحًا، ولأنه كان كذلك فقد خلد الاتحاد السوفيتي الهالك! ذكراه باطلاق اسمه على جامعة في موسكو!!

فكيف باللّه أقيمت الصلاة على ملحد.. بل كيف سكت الجميع في الأزهر، وفي الأوقاف ولم ينطق منهم أحد؟!!»[(٣)] .

*** نافق أحمد حسن الزيات جمال عبدالناصر وادّعى أن الوحدة الناصرية مع سوريا أفضل من الوحدة المحمدية!!!**

◻ وأسأل الشيخ الدكتور وللمرة الرابعة:

هل سمعت بما كتبه.. رئيس تحرير مجلة الأزهر.. لقد كتب يقول تحت عنوان (أمة التوحيد تتوحد)[(٤)] :

---

(١) «الأزهر إلى أين» (ص١٥٩ ـ ١٦٠).

(٢) كان هذا في الستينات.

(٣) «الأزهر إلى أين» (ص١٦٠).

(٤) في محرم ١٣٨٣هـ.

«إن الوحدة المحمدية كانت كلية عامة؛ لأنها قامت على العقيدة ولكن العقيدة مهما تدم قد تضعف أو تحول، وأن الوحدة الصلاحية كانت جزئية خاصة؛ لأنها قامت على السلطان، والسلطان يعتريه الوهن فيزول.

أما الوحدة الناصرية فباقية نامية؛ لأنها تقوم على الاشتراكية في الرزق.. والحرية في الرأي.. والديمقراطية في الحكم.. وهذه المقومات الثلاثة ضمان دائم للوحدة»!!

هل يصدق أحد صدور مثل هذا الكلام من مسلم؟

وهل يتصور عاقل أو حتى مجنون أن يكتب هذا في مجلة الأزهر؟

والأعجب من هذا كله.. أن الأزهر لم ينطق بكلمة أو يتحرك!!!

لقد ضج العالم الإسلامي من هول الصدمة، وانبرى العلماء والمفكرون يسفهون هذا المقال وصاحبه في جميع أنحاء الدنيا..

◻ يقول علامة المسلمين في الهند «أبو الحسن الندوي» في تعليقه على مقال رئيس تحرير مجلة الأزهر:

اجتمع فريق من الشباب والشعراء في فندق (الغرب) في لاهور مرة، وكان في الجماعة شباب شيوعيون في غاية من الذكاء وسلاطة اللسان، وتجاذبوا مع الأستاذ «اختر الشيراني» أطراف الحديث، وصاروا يتناقشون معه في موضوعات شتى.

وكان الأستاذ الشيراني قد شرب كأسين من الخمر، وقد فقد رشده وملكته نشوة الخمر، وأخذته رعشة في الجسم، وكان يتكلم كلامًا متقطعًا غير متزن، وكان معروفًا بالإعجاب الشديد بنفسه والتيه بها، وكان لا يعترف بغيره من الشعراء.

ولست أذكر اليوم جيدًا الموضوع الذي كان يدور البحث فيه، ولكن أذكر أنه قال: قد ظهر في المسلمين ثلاثة نوابغ عبقريين، أولهم: أبو الفضل[١].

والثاني: أسد اللّه خان غالب[٢]، والثالث: أبو الكلام أزاد[٣]، أما الشعراء المعاصرون فكان لا يعترف لأحد منهم بالمساواة أو المجاراة، وقد سأله الشباب الشيوعيون عن الشاعر الكبير (فيض أحمد فيض) فأعرض عن الجواب، وسألوه عن (شبير حسن جوش) الشاعر المعروف فقال: ليس بشاعر إنما هو ناظم.

وهكذا كان موقفه من جميع الشعراء المعاصرين، استخفاف أو إعراض، أو تبسم، أو تنكيت، ولما رأى الشباب أنه لا يعترف بقيمة حركة الأدب التقدمي لجأوا إلى موضوع آخر، لعله يثيره أو يحرك منه ساكنًا، فقالوا: يا سيدي.. ماذا يقول عن النبي الفلاني؟.. وكانت عيناه محمرتين، وأخذت الخمر فيه كل مأخذ، وكان لا يملك لسانه ولكنه أفاق وقال: ما هذا الهراء؟

لا تتحدثوا إلا عن الأدب والإنشاء والشعر والشعراء، فعطف عنان الكلام إلى أفلاطون، وقال: ما رأيك عن مكالماته؟ وسألوه عن أرسطو وسقراط، وكان نشيطًا للكلام فقال: أمة قد خلت.

حدثونا عن شخصياتنا وحاضرنا.. إن أولئك الفلاسفة لو كانوا في عصرنا لتتلمذوا علينا.. ما لنا ولأولئك حتى ندلي برأينا فيهم؟

❑ وانتهز شاب من هؤلاء الشباب الشيوعيين فرصة نشاطه ومرحه

---

(١) من وزراء الإمبراطور أكبر وصاحب «أكبر نامة» المأثرة العلمية في التاريخ وتخطيط البلاد.

(٢) شاعر أردو، يعتبر من أئمة الشعر الأردي، وصاحب مدرسة خاصة، كان في القرن الثالث عشر الهجري.

(٣) الأديب المعروف، رئيس المؤتمر الهندي الوطني الأسبق، ووزير المعارف في الهند سابقًا.

فقال: وما رأيك عن سيدنا محمد؟

وكأنما نزلت صاعقة وهبت عاصفة، فلم يكد الشاب يتم جملته حتى تناول الشاعر السكران كأس الزجاج وضربها على رأسه قائلاً:

يا قليل الأدب..! أنت توجه هذا السؤال الوقح إلى رجل مذنب معترف بشقائه.. ماذا تريد أن تسمع من فاسق؟ وكان جسمه يرتعد.. وانفجر باكيًا، وأجهش بالبكاء، وأقبل على الشاب الوقح يقول له في عنف وغضب:

كيف سولت لك نفسك يا خبيث أن تذكر هذا الاسم النزيه المقدس؟ كيف تجاسرت على ذلك يا قليل الأدب، يا قليل الحياء، لقد كان لكلامك مجال واسع.. فلماذا دخلت في هذا الحمى المقدس؟ تب إلى اللَّه من هذا السؤال الوقح.. إنني أعرف خبث باطنك جيدًا، وعرف الشر في وجهه وكأنه يريد أن يفتك بالشاب ويسطو به!!

أما الشاب فقد سقط في يديه، وغاب رشده، ولم يكن يقدّر أنه سيلقى هذه النتيجة الوخيمة، وأنه يوقظ في الشاعر هذا الليث الثائر، ويثير فيه هذه الشرارة الكامنة.. شرارة الإيمان والحنان، وشرارة الحمية والغيرة، فكان لا يعرفه إلا شاعر الهوى والشباب، وشاعر الغزل والغرام، وحاول أن يشغله عن هذا الحديث المثير، وأن يهدئ فيه هذه الثائرة، ولكنه لم ينجح، ولم تهدأ ثائرة (اختر) فأمر بإخراجه من المجلس، ثم قام بنفسه وبات طول الليل باكيًا يقول:

لقد بلغ هؤلاء الشباب الملحدون هذا الحد من الوقاحة والجراءة.. إنهم يريدون أن ينتزعوا منا آخر ما نعتز به ونعيش عليه من حب وولاء، وإخلاص ووفاء، إنني رجل مذنب، لا شك أعترف بذنبي، ولكن هؤلاء يحاولون أن نخلع ربقة الإسلام، ونخرج من حظيرة الإيمان، لا واللَّه، لا نرضى بذلك!!!

ولكن ـ وا أسفاه وا ويلاه ـ ما أبعد المسافة بين هذا الوفاء العجمي وهذه الغيرة الإيمانية الثائرة المضطرمة التي يمثلها شاعر لم يكن قط من أبناء العرب، ولم يتكلم مرة بلغة العرب، نشأ بعيدًا عن البيئة الدينية والعلمية والأزهر الشريف، عاش في مجالس الشرب ونوادي اللهو، وأوساط الشعر والأدب، وعرف بالاستهتار وخلع العذار.

ما أبعد المسافة بينه وبين أديب كبير.. رضع بلبان اللغة العربية وآدابها الإسلامية، واشتهر بمقالاته في السيرة النبوية والموضوعات الإسلامية، يرأس تحرير مجلة هي لسان حال الأزهر الشريف، مثابة العلم والعلماء ومعقل الدين الحنيف.

كيف يقرن الاسم الذي هو من أكرم الأسماء وأعزها عند المسلمين باسم حاكم مصر، ويقارن بينهما، ثم تبلغ به الوقاحة إلى أن يعلن رجحان «ناصر» في هذا الميزان، وأن الوحدة التي يتزعمها وحدة باقية نامية، أما الوحدة التي دعا إليها محمد ﷺ، فمعرضة للضعف والتحول.. يا ليته لم تلده أمه.. ويا ليتنا لم نعش لنسمع ذلك!!!»[١] .

* أرضعوا الأمة الرياء والنفاق:

إذا كان هذا حال من تصدر باسم الدين فكيف يكون حال بقية الناس..

❑ يقول محافظ أسيوط لعبدالناصر: «يا رب إنا نحبك ولكننا نحب جمالاً فما حيلتنا» فيُرقَّى في اليوم التالي محافظًا للقاهرة.

❑ ويقول مدير جامعة أسيوط لعبدالناصر في نفس الزيارة «إن كان الله

---

(١) لقد ضاعت الوحدة.. وضاعت بعدها القومية والاشتراكية، واحتلت أرض مصر، ثم مات «ناصر» نفسه.

شق البحر لموسى فقد أعطاك ما هو أكبر.. السد العالي» فرقى في اليوم التالي وزيراً للثقافة.

◻ وقال ناظر المدرسة التي تعلّم فيها السادات مادحًا له: «إن في خلق السموات والسادات (هكذا وأقسم بالله) لآيات لأولي الألباب.

*** وا إسلاماه وا إسلاماه...**

يا رجـــال الدين يا ملح البـلدْ   من يُصلح الملح إذا الملح فسد؟؟

*** يا علماء السوء:**

لِمَ تعرضون عن النور وهو الذي أضاء السموات والأرض.. أضاء القلوب وأضاء العقول.. كأنما تصرون أن تعيشوا حياتكم ظلامًا.. ظلامًا بغير نور

* **﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾**.

*** يا علماء السوء عودوا إلى الحق:**

◻ فعلى حدائه الحبيب يسير الركب ثابت الخطى محدد الغايات..

◻ وعلى شعاعه المضيء يتحدد الطريق.. فمحجة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

مع الحق..

نجد حلاوته في القلوب، ونعرف مكانه في حنايا الصدور.. أغلى من العمر، وأحلى من الحياة!

مع الحق..

والحق يعلو على البشر، ويعلو به البشر، ولكن لا يعلو عليه بشر..!

مع الحق . .

به حياة الروح، وفي سبيل ذهاب الروح. . ليبقى أشمّ من الرواسي، وأخلد ما علي الأرض. .

وللحق العاقبة، طال عمر الباطل أو قصر

* قال تعالى: ﴿**قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد**﴾.

* وقال تعالى: ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق**﴾»[1] .

*** وأخيــــراً:**

كم تعظ ولا تتّعظ؟ حتى متى؟ وإلى متى؟ تزجرُ ولا تزدجر؟ تصف الطريق للمدلجين، وتبقى مقيمًا مع المتحيرين الحائرين.

*** يا عالم السوء:**

فالذي بين جنبيك من العلم يذكّرك إن حضر قلبك. وإن غاب قلبك فمائة ألف واعظ لا يوصلون إليك موعظة.

غزلتُ لهم غزلاً دقيقًا فلم أجد لغزلي نسّاجًــا فكسّــرت مغزلي

* * *

(١) «عندما يحكم الطغاة» لعلي جريشة (ص٣١) دار الاعتصام.

صبراً جميلاً

إلى السائرينَ إلى اللّهِ على أسِنَّةِ الحِرَابِ وجمرِ النيران أُهدي هذهِ الخاطرة:

ولما رأتْ وجْهي وقد غاضَ[١] بِشرُه
تفيضُ دمــــوعُ الحزنِ من عينِـه بَحْــرا
ويَذْوِي[٢] به روضُ الأماني كأنَّما
رَوتْهُ شِغافُ[٣] القلبِ من قَيْظِها[٤] الجمــرا
وقد خَطَّ فيه الدَّمْـعُ أشباحَ لَوْعَةٍ
وأبدى مِنَ الأحــزانِ ما جنَّهُ[٥] الدَّهْرا
وغــارتْ مــآقي نــاظـريــهِ كهــائمٍ[٦]
غريبٍ عن الأوطانِ قدْ أنفدَ الصَّبرا
كأنَّ بحــارَ الحُزْنِ في هذه الدُّنــا
تَفَجَّرُ مِنْ حُزْنٍ لدى قَلْبِهِ قَرًّا[٧]
ولـمَّــا رأتْ قلبي تَـدَفَّــقَ حُزْنُــــهُ
تَدَفَّقَتِ الأحــزانُ مِنْ قَلْبِها حَرَّي[٨]

(١) غاض: الماء غيضًا: نزل في الأرض وغاب فيها والمراد ذَبُل الوجه.
(٢) يذوي: ذوى العود: ذَبُل ويَبِس وضَعُف.
(٣) شغاف: سُويداء القلب وحبَّته.
(٤) قيظ: القيظ شدة الحر.
(٥) جنَّه: أخفاه وستره.
(٦) هائم: هام: خرج على وجهه في الأرض لا يدري أين يتوجه.
(٧) قرًّا: أقام وسكن واطمأن.
(٨) حرَّى: عطشى (من الحزن).

هَلِ الحبُ إلا مهجةٌ تشتكي هنا
فتَذْوي بظهرِ الغيبِ أرواحُهــا طُرًّا[1]
وتبكي وما تدري لماذا وإنَّمـا
أجابَتْ بُكاءَ الحِبِّ إذ قلبُها أَدْرى
ولَمَّا رأتْ عَيْنَّي قالتْ دموعُها:
عَفَا عَنْكَ ربُّ الناس أسْلَكْتنا الوَعْرا
أما قلتُ: إنَّ الحَقَّ صعبٌ طريقُهُ
وإن بَناتِ الدربِ قَدْ أعيتِ الصَّبرا
نَبيتُ على رُعْبٍ ونَغْفُو على نَوى[2]
ونَصْحُو على قَيْدٍ وزِنْزانةٍ صُغرى
ونَحْيا على مَوْتٍ ونبقى على فنا[3]
نَخَافُ حَفيفَ[4] الرِّيحِ والنَّسْمَةَ السَّكرى
نُحِسُّ رَحيبَ الكونِ مِنْ هَوْل كيدِهِمْ
مَتَـاهَـةَ[5] أشْـبَاحٍ وزِنـزانة كُبْـرى
تَعَالَ نعيشُ العُمْـرَ أَمْنًـا وراحَـةً
نَعُبُّ[6] مِنَ الدُّنيـا وزِينَتِهـا السِّحْرَا

---

(١) طُرًّا: جميعًا.
(٢) نوى: فراق وبعد.
(٣) فنا: فناء.
(٤) حفيف: صوت الريح في أوراق الشجر.
(٥) متاهة: الصحراء لا علامة فيها يُهتدي بها.
(٦) نَعُبُّ: عبّ الماء: شربه بلا تنفس ولا مص.

ونَحْيا كما الأَطْيَار نشدوا بأَيْكِهَا
تَصُوغُ لنا الأَلْحَـانَ تَمْنحُنـا العِطْرَا
يَغُطُّ[١] لَدَيْها القَلْبُ مِلءَ جُفُونِـهِ
وينسى لَدَيْها الخوفَ والذُّلَّ والقَهْرَا
تعالَ نَعِيشُ الدِّينَ سِلْمًا كما الوَرى
على مَذْهَبِ الحُكَّامِ نَجْتَنِبُ الشَّرَّا
فتلكَ جَمـوعَ النَّاسِ تَحْيا حياتَها
وتَعْبُدُ رَبَّ النَّاسِ ما تعرِفُ الضُّرَّا
فهَبَّ نَسِيمُ البِشْرِ أَبْرَدَ مُهْجَتي
وفَجَّرَ مِنها بَسْمةً زانَتِ الثَّغْرَا
فقُلْتُ: أيا حَسْنَاءُ مَهْلاً فإِنَّهـا
دُمُـوعُ مُحِبٍّ تَرْقُبُ الفَتْحَ والنَّـصْرَا
وحُرْقَـةُ أَشْواقٍ إِلى رَبِّهـا تَهْفُو[٢]
فَمَا تَرْتَضِي الدُّنْيا كُنـوزاً ولا قصـرَا
وقَلْبُ مُحِبٍّ شَفَّهُ[٣] الوَجْدُ[٤] والجَوى[٥]
وهَلْ ثَمَّ صَبٌّ[٦] دُونَ مَحْبُوبِهِ يَبْرا

---

(١) يغط: غط في نومه غطيطًا: ردد النفس في خياشيمه بصوت مسموع «نام نومًا عميقًا».
(٢) تهفو: تحن وتشتاق.
(٣) شَفّه: ضمّره وجعله نحيلاً.
(٤) الوجد: شدة الشوق والحب.
(٥) الجوى: اشتد وجده من عشق أو حزن.
(٦) صب: الصب: حامل الصبابة: أي مرارة الشوق أو رقته «العاشق».

وكُلٌّ بَداءِ الحُبِّ مَيْتٌ فهَلْ تُسرى
بذَلْنا إلى الفِرْدَوْسِ أرواحَنا مَهْرا؟!!!
فذاكَ إلى الحسناءِ يهفُو فؤادُهُ
ويذرِفُ دمعَ القَلْبِ في حُبِّها ثَرًّا
وذاكَ إلى الجَنَّاتِ في الأرضِ قد هَفا
وذاكَ هَوى الألحانَ والخَزِّوالتِبْرا
وقلبٌ إلى الرَّحْمَنِ يسرى وَجيبُهُ[1]
يَخِفُّ[2] إليهِ الكونُ يَشْتاقُهُ المَسْرَى
فصبراً على اللأْوَاءِ[3] يا خودُ[4] إنَّنـا
على دربِ خيرِ الخَلْقِ لِلجنَّةِ الغَرَّا[5]
وإنْ طَالَ عَهْدُ الليلِ دَهْرًا فإنَّني
لأَسْتَعْذِبُ الظَّلْمَاءَ إذْ أَذْكُرُ الفَجْرَا
وأَذْكرُ وجْهَ الحِبِّ في حُلْكَةِ الدُّجى
فَأَغْزِلُ ثَوْبَ النُّورِ لِلَّيلَةِ الكُبْرى
فإنْ مَا رَأَيْتِ القَيْدَ أَدْمَى سَواعِدي
وأَلْهَبَ حَرُّ السَّوْطِ رِجْلَيَّ والظَّهْرا

(١) وجيبه: وجب القلب وجيبًا خفق واضطرب ورجف.
(٢) يخف: خف: أسرع في السير.
(٣) اللأواء: التعب والنصب.
(٤) خود: الشابة الناعمة الحسنة الخَلْق.
(٥) الغرا: الغراء: الكريمة الفعال الواضحة المحاسن.

فتلكَ خِضابُ غازَلَ الفجرَ حسنُها
وذلكَ نـورٌ يَقْدُمُ الزَّمَـنَ الحُـرَّا
فلا تَخْشَيِ الأغلالَ والسَّوْطَ والقَنـا
ولا تَخْشَى النيـرانَ والحَـرَّ والقُرَّا
فتلكَ سبيلُ اللَّهِ في كُلِّ بُقْعَـةٍ
تُقَاسِي لظى الأهـوالِ تَسْتَعْذِبُ الـمُـرَّا
ومَنْ رَامَ وَجْـهَ اللَّهِ دَرْبًا وغَايَـةً
أَعَدَّ لَـهُ الأَكْفَـانَ واسْـتَقْبَلَ القَبْـرَا
لنا الأمـنُ دونَ العالَمِينَ وإنْ زَوى
لنا الخلقُ ذاكَ الجـوَّ والبحـرَ والبـرَّا
فما غَضْبَـةُ الأَمْلاكِ إن يَّرْضَ ربُّنـا
وإنْ صـانَ رَبُّ العَرْشِ مَنْ يَمْلِكُ الضُّرَّا
تَعَالَىْ بنا نَأْوِي إلى ظِـلِّ أَيْكَةٍ
هُنَالِكَ حَيْثُ الرَّوْضِ يَحْتَضِنُ النَّهرَا
ونَبْنِي لَنَا كُوْخًا على هَـامِ رَبْـوَةٍ
كَسَتْهَا بَناتُ الرَّوْضِ أَزْهَارَها العِطْرَا
نعيشُ لديـهِ العُمْـرَ صَفْـواً وبَسْمَةً
ونحيـا لديهِ الزُّهْـدَ والرَّوْحَ والطُّهْرَا

---

(١) الخضاب: ما يخضب به من حنّاء ونحوه.
(٢) القُرّا: البرد.
(٣) زوى: زوى الشيء: طواه وجمعه.

ويحيَا لديـهِ القلبُ يَقْتـاتُ طَاعـةً
ويَرْشُفُ[١] ذِكْرَ اللَّهِ يَحْيا بِهِ العُمْرا
ويَسْرى إلى الرَّحْمنِ قَدْ خَفَّ رَحْلُهُ[٢]
فَيَأْتِي ديَـارَ الحِبِّ لَيْلاً وما أَسْرَى
وكَمْ قَدْ سَئِمْتُ الدَّرْبَ أَشْتَاقُ رَاحةً
- زَعَمْتُ - إذِ الأَجْسادُ لازَمَتِ الخَدْرا[٣]
ولكِنَّهـا الفِـرْدَوْسُ يَبْــدُو نَعِيمُــهَــا
فنَعْدُوا إلى الرَّحْمنِ نَجْتَـازُهَا[٤] صَخْـرَا
تعـالَىْ إلى الرَّحْمـــن نَرْجُوا جِـنَـانَـــهُ
عَلَى مَذْهَبِ المُخْتارِ أَحْرى بِهِ أَحْرَى

* * *

والحمدُ للَّهِ أوَّلاً وآخِراً
صباح الجمعة ٥ شعبان سنة ١٤٢٣هـ
١١ أكتوبر سنة ٢٠٠٢م

---

(١) يرشف: رشف الماء مصّه بشفتيه.
(٢) رحله: ما يوضع على ظهر البعير للركوب والمقصود: متاع الدنيا.
(٣) الخدرا: كل ما وارى من بيت ونحوه «ستر يُمد للمرأة في ناحية البيت».
(٤) نجتازها: جاز الموضع: سار فيه وسلكه وقطعه.


الأحاديث الضعيفة
والموضوعة

الأحاديث الضعيفة والموضوعة

١ ـ (ائت المعروف، واجتنب المنكر، وانظر ما يعجب أذنك أن يقول لك القوم إذا قمت من عندهم فأته، وانظر الذي تكره أن يقول لك القوم إذا قمت من عندهم فاجتنبه).

ضعيف: رواه البخاري في الأدب المفرد، وابن سعد، والبغوي في «معجمه» والبارودي في «المعرفة» والبيهقي في شعب الإيمان، عن حرملة بن عبدالله بن أوس وما له غيره.

☐ وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (١٤٨٩)، و«ضعيف الجامع» رقم (٢٣).

٢ ـ (إذا خفيت الخطيئة لا تضرّ إلا صاحبها، وإذا ظهرت فلم تغيّر ضرّت العامة).

موضوع: رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (١/٦٤)، والطبراني في «الأوسط» كما في «المجمع» (٢٦٨/٧) ورمز له بالحسن! وتعقّبه المناوي بقوله: «رمز لحسنه وهو غير صواب، فقد أعلّه الهيثمي وغيره بأن فيه مروان ابن سالم الغفاري متروك».

☐ قال الألباني: «وقال أبو عروبة الحراني: «كان يضع الحديث» وأشار الحافظ إلى هذا بقوله في «التقريب»: «متروك ورماه الساجي وغيره بالوضع».

انظر «ضعيف الجامع» رقم (٤٨٠)، و«السلسلة الضعيفة» رقم (١٦١٢).

٣ ـ (إذا ظهرت البدع، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فمن كان عنده علم

فلينشره، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزله اللَّه على محمد).

منكر: رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٥/ ٢٩٨/ ١) عن معاذ بن جبل مرفوعًا.

وفيه محمد بن عبدالرحمن بن رمل الدمشقي، ترجمه ابن عساكر، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً. وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٥٨٩)، و«الضعيفة» رقم (١٥٠٦).

٤ ـ (إذا ظهرت الفتن والبدع، وسُبَّ أصحابي، فليُظهر العالم علمه، فمن لم يفعل ذلك، فعليه لعنة اللَّه والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل اللَّه له صرفًا ولا عدلاً).

ضعيف: رواه ابن رزقويه في «جزء من حديثه» (ق٢/ ٢) قاله الألباني. وفيه محمد بن عبدالمجيد المفلوج قال الذهبي: «ضعّفه محمد بن غالب».

٥ ـ (إذا لعن آخرُ هذه الأمــة أولهـا، فمن كتم حديثًا، فقد كتم ما أنزل اللَّه).

ضعيف جدًّا: أخرجه ابن ماجه (٢٦٣) عن جابر، وفيه عبداللَّه بن السري ومدار الروايات كلها عليه وهو ضعيف. وضعّفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (١٥٠٧).

٦ ـ (إذا عظّمت أمتي الدنيا، نزعت منها هيبة الإسلام، وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حُرِمت بركة الوحي، وإذا تسابّتْ أمتي سقطت من عين اللَّه).

ضعيف: رواه الحكيم عن أبي هريرة، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٥٩٧)، و«السلسلة الضعيفة» رقم (٢٥٧٨).

٧ ـ (إذا عظمت أمتي الدينار والدرهم نزع منها هيبة الإسلام، وإذا تركوا الأمر بالمعروف حُرموا بركة الوحي).

ضعيف: انظر «الأحاديث التي لا أصل لها» للسبكي، و«كشف الخفاء» للعجلوني (٢٩٩).

٨ ـ (إذا عَلِم العامل فلم يعمل كان كالمصباح، يضيء للناس ويُحرِق نفسه).

موضوع: رواه ابن قانع في «معجمه» عن سليك الغطفاني، وحكم عليه بالوضع الألباني في «الضعيفة» رقم (٢٦٣٣)، و«ضعيف الجامع» رقم (٥٩٨) وتخريج «اقتضاء العلم العمل» (٦٩).

٩ ـ (أطول الناس جوعًا يوم القيامة أكثرهم شبعًا في الدنيا، وأطول الناس يوم القيامة صمتًا أكثرهم جشأ في الدنيا، وأبعد الناس من اللَّه يوم القيامة القاصّ الذي يخالف إلى غير ما يأمر به، وشرار أمتي من يلي القضاء، إن اشتبه عليه لم يشاور، وإن أصاب بطر، وإن غضب عنّف، وكاتب الشر كالعامل به).

انظر «ذخيرة الحفاظ» (٥٤٧).

١٠ ـ (إن التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس مؤمنًا بالقرآن ولا بي).

ضعيف: رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» عن زيد بن أرقم، وضعفه الألباني في «الضعيفة» رقم (٣١٤٥)، و«ضعيف الجامع» رقم (١٤٢٥).

١١ ـ (إن اللَّه لا يعذب العامة بعمل الخاصة، حتى تكون العامة تستطيع أن تغير على الخاصة، فإذا لم تغير العامة على الخاصة، عذّب اللَّه

العامة والخاصة).

ضعيف: رواه أحمد في «مسنده»، وابن عدي في «الكامل» عن عدي بن عميرة، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (١٦٧٥)، و«الضعيفة» (٣١١٠)، و«تحقيق المشكاة» (٥١٤٧).

١٢ - (إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق اللَّه وَدَعْ ما تصنع فإنه لا يحلّ لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب اللَّه قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: ﴿**لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم**﴾ إلى قوله: ﴿**فاسقون**﴾ ثم قال: كلاّ واللَّه لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطرًا ولتقصرنه على الحق قصرًا).

ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٣٣٦)، والترمذي (٢/ ١٧٥)، وابن ماجه (٤٠٠٦)، والطحاوي في «المشكل» (٢/ ٦١ - ٦٢)، وابن جرير في «التفسير» (٦/ ٣٠٥)، وأحمد في «المسند» (١/ ٣٩١) عن أبي عبيدة عن عبداللَّه بن مسعود به.

والحديث مداره على أبي عبيدة، وقد اضطرب الرواة عليه في إسناده على أربعة وجوه:

الأول: عنه عن أبيه عبداللَّه بن مسعود.

الثاني: عنه عن مسروق عن ابن مسعود.

الثالث: عنه مرسلاً.

الرابع: عنه عن أبي موسى.

والصواب من ذلك الوجه الأول، وهو منقطع، فأبو عبيدة لم يسمع

من أبيه عبدالله بن مسعود، فالانقطاع هو علة الحديث، وبه جزم الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «المسند» رقم (٣٧١٣). وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف أبي داود» (٩٣٢، ٩٣٣)، و«ضعيف الجامع» (١٨٢٢)، و«الضعيفة» (١١٠٥).

١٣ ـ (إن لله تعالى مجاهدين في الأرض أفضل من الشهداء، أحياء مرزوقين، يمشون على الأرض، يباهي الله بهم ملائكة السماء، وتزيّن لهم الجنة كما تزينت أم سلمة لرسول الله ﷺ؛ هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، والمحبون في الله، والمبغضون في الله، والذي نفسي بيده إن العبد منهم ليكون في الغرفة فوق الغرفات، فوق غرف الشهداء، للغرفة منها ثلاثمائة ألف باب، منها الياقوت والزمرد الأخضر، على كل باب نور، وإن الرجل منهم ليتزوج بثلاثمائة ألف حوراء، قاصرات الطرف عين، كلما التفت إلى واحدة منهن فنظر إليها تقول له: أتذكر يوم كذا وكذا أمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر؟ كلما نظر إلى واحدة منهن ذكرت له مقاماً أمر فيه بمعروف، ونهى فيه عن منكر).

لا أصل له: قال الشيخ الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٦٠٣): «لا أصل له. ذكره الغزالي (٢/ ٢٧٣) من حديث أبي ذر! وقال الحافظ العراقي في «تخريجه»: «لم أقف له على أصل، وهو منكر».

قلت: ولوائح الوضع عليه ظاهرة. والله أعلم».

١٤ ـ (إن مثل الفاسق في القوم كمثل قوم ركبوا سفينة في البحر، فاقتسموا، فصار لكل رجل منهم مكان، فعمد رجل منهم إلى مكانه يخرقه، فقالوا له: ما تريد إلاّ أن تهلكنا. قال: وفيم أنتم من مكاني، فإن تركوه، غرقوا، وغرق معهم، وإن أخذوا على يديه نجوا، ونجا معهم، فكذلك مثل الفاسق).

انظر «ذخيرة الحفاظ» (٢٠٠٠).

١٥ - (أوحى اللَّه إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها، قال: فقال: يا رب إن فيها عبدًا لم يعصك طرفة عين، قال: اقلبها عليه وعليهم، فإن وجهه لم يتمعر[1] فيّ ساعة قط).

ضعيف جدًّا: رواه ابن الأعرابي في «معجمه» (١/٩٩) عن جابر بن عبداللَّه مرفوعًا. قال الألباني في «السلسلة الضعيفة» ح رقم (١٩٠٤): «وهذا إسناد ضعيف جدًّا، عمار بن سيف أورده الذهبي في «الضعفاء» وقال: «قال الدارقطني وغيره: متروك».

وعبيد بن إسحاق العطار قال الذهبي أيضًا في «الضعفاء»: «ضعّفوه».

١٦ - (بحسب امرئ إذا رأى منكرًا لا يستطيع له غيرًا أن يعلم اللَّه من قلبه أنه له كاره).

ضعيف: رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/١/٢٥٤/٩٥١) و«التاريخ الصغير» (١٨٨)، والطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود مرفوعًا.

وفيه الربيع بن سهل بن الركين قال الذهبي في «الضعفاء»: ضعّفوه، ونقل المناوي عن الهيثمي أنه قال في إسناد الطبراني: «وفيه الربيع بن سهل وهو ضعيف».

□ قال الألباني: ومع ضعفه فقد خولف في رفعه، والصواب الوقف». وصحّ موقوفًا كما قال الألباني في «الضعيفة» رقم (١٦٦٩). وانظر «ضعيف الجامع» رقم (٢٣١٩).

١٧ - (بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحًّا

---

(١) يتغير.

مطاعًا، وهوى متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العوام، وإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل قبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم، قالوا: يا رسول اللَّه! أجر خمسين منهم؟ قال: لا بل أجر خمسين منكم».

ضعيف: رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان عن أبي ثعلبة الخشني، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٢٣٤٤)، و«تخريج المشكاة» رقم (٥١٤٤).

١٨ - (الجهاد أربع: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في مواطن الصبر، وشنآن الفاسق).

ضعيف: رواه أبو نعيم في «الحلية» عن علي، وضعّفه الألباني في «الضعيفة» رقم (٣٥١٣)، و«ضعيف الجامع» رقم (٢٦٧٢).

١٩ - (الجهاد أمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، والصدق في مواطن الصبر، وشنآن الفاسق، فمن أمر بالمعروف، شدّ عضد المؤمن، ومن نهى عن المنكر؛ أرغم بأنف الفاسق، ومن صدق في مواطن الصبر؛ فقد قضى ما عليه).

انظر «ذخيرة الحفاظ» (٢٦٤٧).

٢٠ - (خذوا على أيدي سفهائكم).

ضعيف: رواه الطبراني في «المعجم الكبير» عن النعمان بن بشير، وضعفه الألباني في «الضعيفة» رقم (٢٢٨٣)، و«ضعيف الجامع» رقم (٢٨٢٠).

٢١ - (دخل عليّ رسول اللَّه ﷺ فعرفتُ في وجهه أن حفزه شيء،

فتوضأ ثم خرج فلم يكلم أحدًا فدنوت من الحجرات فسمعته يقول: يا أيها الناس إن اللَّه عز وجل يقول: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر من قبل أن تدعوني فلا أجيبكم وتسألوني فلا أعطيكم وتستنصروني فلا أنصركم).

ضعيف: انظر «الأحاديث القدسية الضعيفة والموضوعة» لأحمد العيسوي.

٢٢ - (سُئل متى نترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؟ قال: إذا ظهر فيكم ما ظهر في بني إسرائيل قبلكم، قالوا: وما ذاك يا رسول اللَّه؟ قال: إذا ظهر الإدهان في خياركم، والفاحشة في شراركم، وتحوّل الملك في صغاركم، والفقه في رذالكم).

انظر «ذخيرة الحفاظ» رقم (٤٩٤٦).

٢٣ - (على كل ميسم من الإنسان صلاة، فقال رجل من القوم: هذا شديد ومن يطيق هذا؟ قال: أمر بالمعروف ونهي عن المنكر صلاة، وإن حملاً عن الضعيف صلاة، وإن كل خطوة يخطوها أحدكم إلى صلاة صلاة).

ضعيف: أخرجه أبو يعلى في «مسنده»، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٤٩٧)، وأبو الحسن محمد بن محمد البزاز البغدادي في «جزء من حديثه» وابن مردويه في «ثلاثة مجالس من الأمالي» عن ابن عباس مرفوعًا قاله الألباني في «الضعيفة» رقم (١٠٧٦).

وفيه سماك وروايته عن عكرمة مضطربة كما قال الحافظ في «التقريب». وضعفه الألباني في «الضعيفة» رقم (١٠٧٦).

٢٤ - (غشيتكم السكرتان: حب العيش، وحب الجهل، فعند ذلك لا تأمرون بالمعروف، ولا تنهون عن المنكر، والقائمون بالكتاب والسنة كالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار).

موضوع: رواه أبو نعيم في «الحلية» عن عائشة، وأشار السيوطي إلى ضعفه، وحكم عليه بالوضع الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٣٩١٤)، و«الضعيفة» رقم (٣٩٥٩).

٢٥ - (قيل: يا رسول اللَّه! متى نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم من قبلكم. قلنا: يا رسول اللَّه! وما ظهر في الأمم قبلنا؟ قال: الملك في صغاركم، والفاحشة في كباركم، والعلم في رذالتكم. قال زيد: تفسير معنى قول النبي ﷺ: «والعلم في رذالتكم إذا كان العلم في الفسّاق).

ضعيف: انظر ضعيف ابن ماجه (٨٧٠)، و«تكميل النفع بما لم يثبت به وقف ولا رفع» لمحمد عمرو عبداللطيف (٢٥).

٢٦ - (كل كلام ابن آدم عليه، لا له، إلا أمر بمعروف، أو نهي عن المنكر، أو ذكر اللَّه تعالى).

ضعيف: رواه البخاري في «التاريخ»، والترمذي (٦٦١٢) وابن ماجه (٢/ ٢٧٤)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥)، وابن أبي الدنيا، وأبو يعلى في «مسنده» (٤/ ١٧٠١)، وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند»، والقضاعي في «مسند الشهاب»، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٣١٦ هند) والخطيب في «التاريخ» عن أم حبيبة زوج النبي ﷺ مرفوعًا به وفي الحديث: أم صالح وهي مجهولة العين، فهذه علة، والأخرى علي بن خنيس، ومدار الحديث بجميع رواياته عليه وهو ضعيف.

وضعّفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (١٣٦٦).

ورواية ابن ماجه بلفظ (كلام ابن آدم عليه لا له، إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذكر اللَّه عز وجل). انظر «ضعيف ابن ماجه» (٨٦١).

٢٧ ـ (كلام ابن آدم كله عليه لا له؛ إلا أمرًا بمعروف، أو نهيًا عن منكر، أو ذكر اللَّه عز وجل).

ضعيف: رواه الترمذي، وابن ماجه، والبيهقي في «الشعب» عن أم حبيبة وضعفه الألباني في «ضعيف الترمذي» (٤٢٤)، و«ضعيف الجامع» (٤٢٨٣).

٢٨ ـ (لا يحقرن أحدكم نفسه. قالوا: يا رسول اللَّه كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: يرى أمرًا للَّه عليه فيه مقال ثم لا يقول فيه، فيلقى اللَّه وقد أضاع ذلك فيقول اللَّه: ما منعك أن تقول فيه؟ فيقول: خشيت الناس فيقول: فإياي كنت أحق أن تخشى).

ضعيف: رواه أحمد وابن ماجه عن أبي سعيد، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٦٣٣٢)، و«ضعيف ابن ماجه» (٨٦٨).

٢٩ ـ (لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطن اللَّه عليكم شراركم، فيدعو خياركم فلا يُستجاب لهم).

ضعيف: أخرجه الخطيب في «التاريخ» (١٣/ ٩٢) عن أبي هريرة مرفوعًا به.

❑ وقال الخطيب: «قال الدارقطني: تفرّد به محمود بن محمد أبي يزيد الظفري الأنصاري عن أيوب بن النجار عن يحيى بن أبي كثير، ومحمود لم يكن بالقوي».

❑ قال الشيخ الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٤٢٩٨): «وللحديث علة أخرى؛ وهي الانقطاع؛ فقد ذكروا عن أيوب بن النجار أنه قال: «لم أسمع من يحيى بن أبي كثير إلا حديثًا واحداً: احتج آدم وموسى».

❑ والحديث قال الهيثمي (٧/ ٢٦٦): «رواه الطبراني في «الأوسط» والبزار (٣٣٠٦)، وفيه حبان بن علي؛ وهو متروك، وقد وثقه ابن معين في

رواية، وضعفه في غيرها».

٣٠ - (لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي، فنهتهم علماؤهم، فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم، وواكلوهم، وشاربوهم؛ ضرب اللَّه قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، لا والذي نفسي بيده، حتى تأطروهم على الحق أطْرًا).

ضعيف: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي عن ابن مسعود، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٤٧٧٣)، و«تخريج المشكاة» (٥١٤٨).

٣١ - (ليؤتين برجال يوم القيامة ليسوا بأنبياء، ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء بمنازلهم من اللَّه، يكونون على منابر من نور، قالوا: ومن هم يا رسول اللَّه؟ قال: هم الذين يحببون اللَّه إلى الناس، ويحببون الناس إلى اللَّه قال: يأمرونهم بالمعروف، وينهون عن المنكر؛ فإذا أطاعوه، أحبهم اللَّه عز وجل).

ضعيف: ورواه محمد بن طاهر المقدسي في «ذخيرة الحفاظ» (٤٦٣٨) عن واقد البصري عن أنس. قال عبداللَّه بن أبي داود: واقد لم يسمع من أنس، وقد روى عنه الكبار مثل محمد بن عجلان وغيره. وقال البخاري: لم يصح حديثه.

انظر «الكامل» لابن عدي (٧/ ٢٥٥٤).

٣٢ - (ما بعث اللَّه من نبي إلاّ كان من أمته حواري من أصحابه يستنون بسنته، ويأخذون بهديه، ثم يخلف بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، من أنكر عليهم بيده فهو مؤمن، ومن أنكر عليهم بلسانه؛ فهو مؤمن، ومن أنكر عليهم بقلبه فهو مؤمن، وذاك أضعف الإيمان).

ضعيف: أخرجه محمد بن طاهر المقدسي في «ذخيرة الحفاظ» (٤٧٧١) عن أبي رافع.

وفيه عبّاد بن كثير الرملي قال البخاري: فيه نظر، ووثقه يحيى بن معين، انظر «الكامل» لابن عدي (٤/ ١٦٤٣).

٣٣ ـ (ما من صدقة أحب إلى اللَّه من قول الحق).

ضعيف جدًّا: أخرجه البيهقي (٢/ ٤٥٣/ ٢) عن أبي هريرة مرفوعًا. وفيه إبراهيم بن يزيد الخوزي؛ متروك الحديث.

٣٤ ـ (ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي، وهم أمنع منه فيدهنون عليه، ولا يغيرون إلا عمهم اللَّه بعقاب).

ضعيف: أخرجه المقدسي في «ذخيرة الحفاظ» (٤٩١١) عن جرير. وفيه سعد ابن مسلمة الأموي: ضعيف. انظر «الكامل» (٣/ ١٢١٦).

٣٥ ـ (مروا بالمعروف وإن لم تفعلوه، وانهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله).

ضعيف جدًّا: رواه الطبراني في «الأوسط» عن أنس. وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٣١٧) عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ «مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، وإن لم تنتهوا عنه»، وقال: «هذا من حديث العلاء بن المسيب بهذا الإسناد غير محفوظ». ورواه ابن أبي الدنيا في «الأمر بالمعروف» (٥٤/ ١) والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٤٣٦/ ١ و٧٥٧٠) ـ ط وزاد «... وإن لم تعملوا به كله». وفيه طلحة بن عمرو متروك الحديث، وأشار البيهقي إلى تضعيفه. والحديث ضعفه الألباني في «الضعيفة» (٢٢٨٢)، و«ضعيف الجامع» (٥٢٥٩).

٣٦ - (مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، وإن لم تنتهوا عنه).

ضعيف: مر تضعيفه.

٣٧ - (مقام أحدكم في الدنيا يتكلم بكلمة الحق، يردّ به باطلاً، أو يحقّ بها حقًّا أفضل من هجرة معي).

ضعيف: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٠٤١) بلفظ «المقام» عن عصمة بن مالك وقال المقدسي في «خيرة الحفاظ» (٧ ـ ٥): رواه الفضل بن مختار عن عبيد اللَّه بن موهب عن عصمة ولا يتابع الخطمي عليه.

٣٨ - (من أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، فهو خليفة اللَّه في أرضه، وخليفة كتابه، وخليفة رسوله ﷺ).

ضعيف: أورده ابن عدي في «الكامل» (٦/ ١٠٤)، والذهبي في «الميزان» (٣/ ٤٠٠) وقال المقدسي في «ذخيرة الحفاظ» (٧٣/ ٥): رواه كادح بن أحمد عن عبداللَّه بن لهيعة، عن ابن أبي حبيب، عن مسلم بن جابر الصدفي، عن عبادة وهذا غير محفوظ، ولا يتابع عليه.

٣٩ - (من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف).

ضعيف جدًّا: أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٩٩/ ٧٦٠٣) عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده.

وإسناده ضعيف جدًّا مسلسل بالضعفاء قاله الشيخ الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٠٩٧).

فيه: المثنى بن الصباح؛ قال الحافظ: ضعيف، اختلط بآخرة.

وفيه زافر بن سليمان الأيادي؛ قال الحافظ: صدوق كثير الأوهام.

وسلم بن ميمون الخواص شديد الضعف قال أبو حاتم: لا يُكتب

حديثه. وعزاه السيوطي في «الجامع الكبير» (١/٢٢٨/٢) للديلمي فقط.

وللحديث إسناد آخر ذكره ابن وضاح القرطبي في «البدع والنهي عنها» ص(٩٢) عن أبي نزار القرشي.

📖 قال الألباني: وهذا إسناد مظلم: أبو نزار لم أعرفه. وإسحاق بن مالك الحضرمي قال الأزدي ضعيف.

انظر «ضعيف الجامع» رقم (٥٤٨٤).

٤٠ ـ (من حضر معصية فكرهها، فكأنما غاب عنها، ومن غاب عنها، فأحبها فكأنما حضرها).

ضعيف: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٦٨٦) وعزاه السيوطي للبيهقي في «الشعب» (٧/ ٢٦٦).

قال في «ذخيرة الحفاظ» (٥٢٦١): رواه يحيى بن أبي سليمان عن المقبري عن أبي هريرة.

ويحيى قال البخاري: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ليس بالقوي «الميزان» (٤/ ٣٨٣).

٤١ ـ (من حضر معصية فكرهها، فكأنما غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها، فكأنه حضرها).

ضعيف: رواه ابن حبان في «الثقات» (٢/ ٣٠٣) عن أبي هريرة مرفوعًا وفيه يحيى بن أبي سليمان وقد مرّ ذكره. وأخرجه الهروى في ذم الكلام (٢/ ٣٩/ ١٠٠٢) وابن أبي الدنيا في «الأمر بالمعروف».

٤٢ ـ (يا أيها الناس! مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا اللَّه؛ فلا يستجيب لكم، وقبل أن تستغفروه؛ فلا يغفر لكم، إن الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر لا يدفع رزقًا، ولا يقرّب أجلاً، وإن الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لعنهم اللَّه على لسان أنبيائهم ثم عُمّوا بالبلاء).

ضعيف: أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢/ ٢١٧/ ١٣٨٩)، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٨٧)، والأصبهاني في «الترغيب» (١/ ١٥٧/ ٢٩٩) عن ابن عمر مرفوعًا.

وأشار المنذري (٣/ ١٧١) إلى ضعفه. وقال الهيثمي (٧/ ٢٦٦) فيه من لم أعرفهم. وفيه إسحاق بن إبراهيم الرازي قال الشيخ الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٠٩٢): لم أجد له ترجمه وضعّف الحديث من أجل هذا.

٤٣ - (خير الناس أتقاهم للرب، وأوصلهم للرحم، وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر).

ضعيف: رواه أحمد (٦/ ٤٣١ - ٤٣٢)، وابن أبي الدنيا في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (٢/ ٥٤)، والبيهقي في «الزهد» (٢/ ١٠٠٧) عن درة بنت أبي لهب مرفوعًا.

❑ قال الشيخ الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٠٩٣): وهذا إسناد ضعيف، وفيه ثلاث علل:-

الأولى: زوج درة لم أعرفه.

الثانية: عبداللَّه بن عميرة، وهو الكوفي مجهول.

الثالثة: شريك، وهو ابن عبداللَّه القاضي، وهو ضعيف لسوء حفظه.

تنبيه: زاد أحمد في أوله: «أقرؤهم».

٤٤ - (إذا أراد اللَّه بعبد خيرًا؛ جعل له واعظًا من نفسه يأمره وينهاه).

ضعيف: أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» ص(٩٣ ـ زهر الفردوس) عن أم سلمة مرفوعًا.

وفيه القاسم بن أبي صالح وفيه كلام.

٤٥ ـ (يا رسول اللَّه! هل من جهاد غير قتال المشركين؟ قال: نعم يا أبا بكر، إن للَّه مجاهدين في الأرض أفضل الشهداء.. هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر).

موضوع: انظر «الموضوعات في الإحياء أو الاعتبار في حمل الأسفار» (١١٨).

باب: النهي عن مخالطة العلماء للأمراء

٤٦ ـ (إذا رأيت العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم أنه لص).

ضعيف: رواه الديلمي في «مسند الفردوس» عن أبي هريرة، وضعّفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٥٢٦)، و«ضعيف الجامع» رقم (٥٠٠).

٤٧ ـ (إذا رأيت القارئ يلوذ بالسلطان فاعلم أنه لص، وإذا رأيته يلوذ بالأغنياء فاعلم أنه مراء، وإياك أن تخدع فيُقال لك: تشفع وتدرأ عن مظلوم، أو ترد مظلمة، فإن هذه خدعة إبليس، اتخذها فجّار القرّاء سلّمًا).

ضعيف: انظر «الأسرار المرفوعة» (٢٧)، و«كشف الخفاء» (٢٣٣).

٤٨ ـ (إذا قرأ الرجل القرآن، وتفقه في الدين، ثم أتى باب السلطان تملقًا إليه، وطمعًا لما في يده؛ خاض بقدر خطاه في نار جهنم).

ضعيف: رواه الديلمي (١/ ١/ ٧٠) وأبو الشيخ عن معاذ بن جبل مرفوعًا.

❑ وفي إسناده ثلاث علل:

الأولى: الانقطاع بين مكحول ومعاذ؛ فإنه لم يسمع منه.

الثانية: أبو بكر الفلسطيني لا يُعرف.

الثالثة: فيه إبراهيم بن رستم أورده الذهبي في «الضعفاء»، وقال: قال ابن عدي: منكر الحديث. «قاله الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٢١٩١). وانظر «ضعيف الجامع» رقم (٦٢٩).

٤٩ - (إن اللَّه يحب الأمراء إذا خالطوا العلماء، ويمقت العلماء إذا خالطوا الأمراء؛ لأن العلماء إذا خالطوا الأمراء رغبوا في الدنيا وإذا خالطهم الأمراء رغبوا في الآخرة).

ضعيف: «كشف الخفاء» للعجلوني (٢٨٢٧).

٥٠ - (إن أناسًا من أمتي سيتفقهون في الدين، ويقرءون القرآن، ويقولون: نأتي الأمراء فنصيب من دنياهم، ونعتزلهم بديننا، ولا يكون ذلك، كما لا يجتنى من القتاد إلا الشوك، كذلك لا يجُتني من قربهم إلا).

قال محمد بن الصباح: كأنه يعني الخطايا.

ضعيف: أخرجه ابن ماجه (٢٥٥) عن ابن عباس مرفوعًا.

وفيه عبيداللَّه بن المغيرة بن أبي بردة، قال الذهبي: «تفرّد عنه أبو شيبة يحيى بن عبدالرحمن الكندي» ومعنى هذا أنه مجهول.

ضعّفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (١٢٥٠)، و«ضعيف الجامع» (١٨١٨)، و«ضعيف ابن ماجه» (٥١).

٥١ - (سيكون قوم بعدي من أمتي يقرءون القرآن ويتفقهون في الدين، يأتيهم الشيطان فيقول: لو أتيتم السلطان فأصلح من دنياكم واعتزلتموهم بدينكم، ولا يكون ذلك كما لا يجتنى من القتاد إلا الشوك كذلك لا يجتني من قربهم إلا الخطايا).

ضعيف: رواه ابن عساكر عن ابن عباس مرفوعًا، وضعفه الألباني في «الضعيفة» رقم (٢٦٢٥)، و«ضعيف الجامع» رقم (٣٣١٣).

٥٢ - (شرار العلماء الذين يأتون الأمراء، وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء).

لا أصل له: انظر «تذكرة الموضوعات» (٢٤)، و«الأحاديث التي لا أصل لها في كتاب الإحياء» للسبكي (٢٩٠)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (٩١١).

٥٣ - (شرار أمتي العلماء الذين يأتون الأمراء، وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء).

ضعيف: انظر «كشف الخفاء» (٢٥٣٥).

٥٤ - (العلماء أمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان ويُداخلوا الدنيا، فإذا خالطوا السلطان وداخلوا الدنيا فقد خانوا الرسل فاحذروهم).

ضعيف: رواه الحسن بن سفيان، والبيهقي في «السنن» عن أنس مرفوعًا. وضعّفه الألباني في «الضعيفة» رقم (٢٦٧٠)، و«ضعيف الجامع» رقم (٣٨٨٣).

٥٥ - (العلماء أمناء الرسل على العباد ما لم يخالطوا السلطان ويدخلوا في الدنيا فإذا دخلوا في الدنيا وخالطوا السلطان فقد خانوا الرسل فاعتزلوهم).

موضوع: انظر تنزيه الشريعة المرفوعة (١/ ٢٦٧)، و«اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» (١/ ٢١٩)، و«الموضوعات» (١/ ٢٦٣).

٥٦ - (العلماء أمناء الرسل على عباد اللَّه ما لم يخالطوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم).

موضوع: انظر «الفوائد المجموعة» للشوكاني (٩١١)، و«تذكرة الموضوعات» (٢٤).

٥٧ ـ (العلماء أمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان ويدخلوا في الدنيا فإذا فعلوا ذلك فاعتزلوهم).

موضوع: انظر «ترتيب الموضوعات» (١٦٨).

٥٨ ـ (الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا. قيل: يا رسول اللَّه وما دخولهم في الدنيا؟ قال: اتباع السلطان، فإذا فعلوا ذلك، فاحذروهم على أديانكم).

ضعيف: رواه أبو عبداللَّه الضبي في «المجلس الخمسون» من «الأمالي» عن علي مرفوعًا.

□ قال الألباني في «الضعيفة» رقم (٢٠٣٤)، وهذا إسناد ضعيف مظلم؛ موسى بن إسماعيل وأبوه وجده لم أعرفهم، وقد ذكره السخاوي في «المقاصد الحسنة» (٧٤٦/٣٠٠) من رواية العسكري عن علي مرفوعًا وقال: وهو ضعيف السند. وقد روي الحديث عن أنس وغيره مختصرًا ومطولاً» اهـ.

انظر «ضعيف الجامع» رقم (٤٠٣٢)، و«كشف الخفاء» (١٨٣٨)، و«تذكرة الموضوعات» (٢٥)، و«أسنى المطالب» (٩٧٨).

٥٩ ـ (ما من عالم أتى صاحب سلطان طوعًا إلا كان شريكه في كل لون يُعذَّب به في نار جهنم).

ضعيف: أخرجه الديلمي (٤/ ٢٥)، والحاكم في «تاريخه» عن معاذ بن جبل مرفوعًا، وفيه أبو بكر الفلسطيني لا يعرف، وإبراهيم بن رستم مختلف فيه، ومكحول لم يسمع من معاذ».

وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٥١٩٣)، و«الضعيفة» رقم (٤٤٨٨). وانظر «المقاصد الحسنة» (٩٨٣)، و«تذكرة الموضوعات» (٢٥).

*** باب الإنكار على الأمراء:**

٦٠ - (إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له: إنك ظالم، فقد تُودِّع منهم).

ضعيف: أخرجه أحمد (١٦٣/٢ و١٨٩ - ١٩٠)، والحاكم (٩٦/٤ - ٩٧) والطبراني في «الكبير» وابن عدي في «الكامل» عن عبداللّه بن عمرو مرفوعًا.

❑ قال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ولكن أعله البيهقي بكونه منقطعًا.

❑ قال المناوي في «الفيض»: «لكن تعقبه البيهقي نفسه بأنه منقطع حيث قال: محمد بن مسلم هو أبو الزبير المكي، ولم يسمع من ابن عمرو» وبه أعله ابن عدي، والألباني في «الضعيفة» رقم (١٢٦٤).

وررواه الطبراني في «الأوسط» عن جابر مرفوعًا. وقال المناوي في «فيض القدير»: «وفيه سيف بن هارون ضعّفه النسائي والدارقطني».

وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٥٠١).

٦١ - (إذا رأيتم أمتي تهاب الظالم أن تقول له: إنك أنت ظالم، فقد تُودِّع منهم).

ضعيف: أخرجه أحمد (٦٥٢٠)، والحاكم عن عبداللّه بن عمرو مرفوعًا.

وأبو الزبير لم يسمع من ابن عمرو.

٦٢ - (أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر وأمير جائر).

ضعيف: رواه الخطيب عن أبي سعيد مرفوعًا. وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (١٠٠٣). وهو في «الصحيح» دون قوله: «وأمير جائر».

٦٣ ـ (أفضل شهداء أمتي رجل قام إلى إمام جائر، فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك، فذلك الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر).

لا أصل له: انظر «الأحاديث التي لا أصل لها في الإحياء» (٣٢١)، و«موضوعات الإحياء» (١١٩).

٦٤ ـ (أفضل الجهاد من قال كلمة الحق عند سلطان جائر).

ضعيف: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٨٦١)، وقال المقدسي في «ذخيرة الحفاظ» (١١٦٣) رواه حزور أبو غالب عن أبي أمامة. وأبو غالب ضعّفه النسائي.

٦٥ ـ (إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أو أمير جائر).

ضعيف: انظر «المقاصد الحسنة» (١٣٦).

٦٦ ـ (أي الشهداء أكرم على اللَّه؟ قال: «رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فإن لم يقتله فإن القلم لا يجري عليه بعد ذلك وإن عاش ما عاش).

لا أصل له: انظر «الأحاديث التي لا أصل لها في الإحياء» (٣٢١).

٦٧ ـ (ستكون عليكم أمراء من بعدي، يأمرونكم بما لا تعرفون، ويعملون بما تنكرون، فليس أولئك عليكم بأئمة).

ضعيف: رواه الطبراني في «الكبير» عن عبادة بن الصامت مرفوعًا به،

وضعّفه المناوي في «فيض القدير»، والألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٣٢٥٦).

٦٨ - (ستكون عليكم أئمة يملكون أرزاقكم، يحدّثونكم فيكذبونكم، ويعملون فيسيئون العمل، لا يرضون منكم حتى تحسنوا قبيحهم، وتصدقوا كذبهم، فأعطوهم الحق ما رضوا به، فإذا تجاوزوا فمن قُتِل على ذلك فهو شهيد).

ضعيف: رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي سلالة الأسلمي مرفوعًا، وضعفه المناوي في «فيض القدير»، والألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٣٢٥٥).

٦٩ - (سيلي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون، وينكرون ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصى اللَّه، فلا تعتلوا بربكم).

ضعيف: أخرجه الحاكم (٣/ ٣٥٧)، وعبداللَّه بن أحمد في «زوائد المسند» عن عبادة بن الصامت مرفوعًا.

وفيه مسلم بن خالد فيه ضعف من قبل حفظه.

ورواه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٢٥) وفيه إسماعيل بن عياش ضعيف في روايته عن غير الشاميين وهذه منها.

ورواه العقيلي في «الضعفاء» عن عبداللَّه بن عمرو بن العاص مرفوعًا.

وفيه عبدالعزيز بن عبيداللَّه بن حمزة بن صهيب ضعّفه العقيلي.

وقال العقيلي: «أما هذا اللفظ: «فلا تعتلوا» فلا يحفظ إلا في هذا الحديث».

ووقع في «المستدرك» وتلخيصه: «فلا تعتبوا»، وفي «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٢٦) «فلا تقبلوا» وفي «الجامع الكبير»: «فلا تضلوا»، ولعل الصواب فيها: «الوجه الأول». انظر «السلسلة الضعيفة» رقم (١٣٥٣).

٧٠ ـ (سيليكم أمراء يفسدون، وما يصلح اللَّه بهم أكثر، فمن عمل منهم بطاعة اللَّه فله الأجر، وعليكم الشكر، ومن عمل منهم بمعصية اللَّه فعليه الوزر، وعليكم الصبر).

ضعيف: رواه البيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن مسعود، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٣٣١٤)، و«السلسلة الضعيفة» رقم (١٣٥٢).

٧١ ـ (لا ينبغي لامرئ أن يشهد مقامًا فيه مقال حق إلا تكلم به فإنه لم يقدّم أجله، ولم يحرمه رزقًا هو له).

«ذخيرة الحفاظ» (٦٣٨٩).

٧٢ ـ (من أراد أن ينصح السلطان، فلا يبدأ علانية، ولكن يأخذ بثوبه، وليخل به؛ فإن قبل منه فذاك، وإلاّ كان قد أدّى الحق الذي عليه).

ضعيف: رواه ابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٣٩٣) عن عياض بن غنم مرفوعًا وفيه صدقة بن عبداللَّه السمين ضعيف. . انظر «ذخيرة الحفاظ» (٥١٠١).

٧٣ ـ (من أرعب صاحب بدعة ملأ اللَّه قلبه يُمنًا وإيمانًا، ومن انتهر صاحب بدعة أمّنه اللَّه من الفزع الأكبر، ومن أهان صاحب بدعة رفعه اللَّه في الجنة درجة، ومن لان له إذا لقيه تبشَّا فقد استخف بما أنزل اللَّه على محمد).

موضوع: انظر «اللالئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» (١/ ٢٥١).

٧٤ ـ (ما ظهر أهل بدعة قط؛ إلا أظهر اللَّه فيهم حجته على لسان من شاء من خلقه).

ضعيف جدًّا: أخرجه الديلمي (٤/ ٣٦) عن ابن عباس مرفوعًا.

وفيه سليم بن مسلم جهمي خبيث قال النسائي: متروك الحديث. والحديث ضعفه جداً الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٤٤٥٨).

* **فصل: الابتعاد عن السلاطين:**

٧٥ - (اتقوا أبواب السلاطين وحواشيها، فإن أقرب الناس من السلطان وحواشيها أبعدهم من اللَّه، ومن آثر سلطانًا على اللَّه جعل اللَّه الفتنة في قلبه ظاهرة وباطنة، وأذهب عنه الورع، وتركه حيران).

موضوع: رواه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٤٢)، والديلمي في «المسند» عن ابن عمر مرفوعًا.

وفيه عنبسة بن عبدالرحمن القرشي متهم بالكذب، فهو آفة الحديث.

قاله الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (١٦٩٨)، وحكم عليه بالوضع. انظر «ضعيف الجامع» رقم (١١١).

٧٦ - (ثلاث لا يركن إليها: الدنيا، والسلطان، والمرأة).

لا أصل له: انظر إلى «الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث» (١٠٢)، و«الأسرار المرفوعة» (١٥٠)، و«اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع» (١٥٧)، و«المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» (٩٩).

٧٧ - (سيكون بعدي أمراء، تعرفون، وتنكرون، فمن فارقهم نجا، ومن اعتزلهم سلم، ومن خالطهم هلك).

ضعيف: رواه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٥٩٢) عن ابن عباس مرفوعًا. وفيه هياج بن بسطام الحنظلي الهروي قال المقدسي في «ذخيرة الحفاظ» (٣٢٧٥): ليس بشيء.

٧٨ - (سيكون بعدي سلاطين، الفتن على أبوابهم كمبارك الإبل، لا

يُعطون أحدًا شيئًا إلا أخذوا من دينه مثله).

ضعيف جدًّا: أخرجه الحاكم (٣/ ٦٣٣ ـ ٦٣٤)، والطبراني في «الكبير» عن عبداللَّه بن الحارث بن جزء مرفوعًا به.

وفيه حسان بن غالب وهو متروك قاله الذهبي في «الميزان» وساق له الحافظ في «اللسان» حديثين آخرين، ونقل عن الدارقطني أنه قال: «إنهما حديثان موضوعان»، وقال الهيثمي (٥/ ٢٤٦): متروك وفيه ابن لهيعة: ضعيف. قاله الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٣٧٢٠)، و«ضعيف الجامع» رقم (٣٣٠٦).

٧٩ ـ (سيكون في آخر الزمان أمراء جورة فمن خاف سجنهم وسيفهم وسوطهم فلا يأمرهم ولا ينهاهم).

موضوع: انظر «تنزيه الشريعة» (٢/ ٢٣٢)، و«ذيل اللآلئ» (١٣٥)، و«تذكرة الموضوعات» (١٨٣)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (٦٢٧).

٨٠ ـ (سيكون في آخر الزمان علماء يرغّبون الناس في الآخرة ولا يرغبون، ويزهّدون الناس في الدنيا ولا يزهدون، وينبسطون عند الكبراء، وينقبضون عند الفقراء، وينهون عن غشيان الأمراء ولا ينتهون، أولئك الجبّارون أعداء الرحمن).

موضوع: رواه الدارمي في «مسند الفردوس» عن ابن عباس مرفوعًا، وفيه نوح بن أبي مريم. كذّاب وضاع.

انظر «تنزيه الشريعة» (١/ ٢٧٣)، و«تذكرة الموضوعات» (٢٦)، و«ذيل اللآلئ» (٣٦).

٨١ ـ (قال اللَّه عز وجل لأيوب: تدري ما كان جرمك إليّ حتى

ابتليتك، قال: لا يارب، قال: لأنك دخلت على فرعون فأدهنت بكلمتين).

موضوع: رواه ابن النّجار عن عقبة بن عامر مرفوعًا.

قال في «تنزيه الشريعة» (١/ ٢٤٧): وفيه الكديمي. انظر «تذكرة الموضوعات» (١٨٣)، و«ذيل اللآلئ» (١٨).

٨٢ ـ (لست أخاف على أمتي غوغاء تقتلهم، ولا عدوًّا يجتاحهم، ولكني أخاف على أمتي أئمة مضلّين، إن أطاعوهم فتنوهم، وإن عصوهم قتلوهم).

ضعيف: رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة مرفوعًا، وضعّفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٣٩)، والألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٤٦٧١).

٨٣ ـ (ما ازداد أحد من السلطان قربًا إلا ازداد من اللَّه بعدًا).

انظر «تذكرة الموضوعات» (٢٥).

٨٤ ـ (ما ازداد رجل من السلطان قربًا إلا ازداد من اللَّه بعدًا، ولا كثرت أتباعه إلا كثرت شياطينه، ولا كثر ماله إلا اشتد حسابه).

ضعيف: رواه هناد عن عبيد بن عمير مرسلاً، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٤٩٩٥). والحسن بن مسلم لم يدرك عُبيد بن عمير.

٨٥ ـ (ما ازداد عبد من السلطان دخولاً إلا ازداد من اللَّه بعدًا).

ضعيف: رواه أبو بكر الشافعي في «مسند موسى بن جعفر بن محمد الهاشمي» وفيه موسى بن إبراهيم المروزي وهو متروك.

وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٤٤١٨).

٨٦ ـ (من سوّد اسمه مع إمام جائر كان قرينه في النار).

منكر: رواه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٧٢١) وقال في «ذخيرة الحفاظ» (٥٣٦٧): رواه عمر بن عمرو العسقلاني عن عمر بن صبح، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبدالله.

وهذا عن الأعمش بهذا الإسناد منكر، وعمر بن صبح ضعيف، إلا أن البلاء من العسقلاني هذا».

٨٧ ـ (من مشى لإمام جائر في حاجة جعله اللَّه قرينه يوم القيامة، فإن دله على باب ظلم جعله اللَّه قرين هامان يوم القيامة).

ضعيف: رواه ابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٥٤) عن ابن عباس مرفوعًا.

والحديث ليس يرويه غير أيوب بن سويد وهو ضعيف انظر «ميزان الاعتدال» للذهبي (١/ ٢٨٨).

٨٨ ـ (من سوّد مع قوم فهو منهم، ومن روّع مسلمًا لرضا سلطان جيء به يوم القيامة معه).

ضعيف: رواه الخطيب في «التاريخ» عن أنس مرفوعًا، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٥٦٣٦)، و«السلسلة الضعيفة» رقم (٥٦٣٦).

٨٩ ـ (ومن لزم السلطان افتتن وما ازداد عبد من السلطان دنوًّا، إلا ازداد من اللَّه بعدًا).

ضعيف: انظر «ضعيف أبي داود» (٦١٢).

٩٠ ـ (يعذب اللَّه يوم القيامة ستة نفر بستة أشياء: الأمراء بالجور، والعلماء بالحسد، والعرب بالعصبية، والدهاقين بالكبر، وأهل الرساتيق

بالجهالة، والتجار بالخيانة، وستة يدخلون بستة: الأمراء بالمعروف، والعلماء بالنصيحة، والعرب بالتواضع، والدهاقين بالألفة، والتجار بالصدق، وأهل الرساتيق بالسلامة).

ضعيف: انظر «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» (١٥٦٥).

*** التحذير من العلماء الفسّاق:**

٩١ - (أخاف على أمتي ثلاثًا: زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، والتكذيب بالقدر).

ضعيف: رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي الدرداء، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٢٢٠).

٩٢ - (إذا كان يوم القيامة يدعى بفسقة العلماء فيؤمر بهم إلى النار قبل عبدة الأوثان، ثم ينادي مناد: ليس من علم كمن لم يعمل).

ضعيف: انظر «الجامع المصنف مما في الميزان من حديث الراوي المضعف» (١٨١) لعبدالعزيز الصديق الغماري، و«اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» للسيوطي (١/ ٢٢٤).

٩٣ - (إن أبغض الخلق إلى اللّه تعالى العالم يزور العمال).

موضوع: رواه ابن لال عن أبي هريرة مرفوعًا. وحكم عليه بالوضع الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (١٣٥٧)، و«الضعيفة» رقم (٢٩٦٢).

٩٤ - (إن أهون الخلق على اللّه العالم يزور العمّال).

ضعيف: رواه الحافظ أبو الفتيان الدهستاني في كتاب «التحذير من علماء

السوء» عن أبي هريرة مرفوعًا، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (١٨٤١).

٩٥-(إن في جهنم رحى يطحن علماء السوء طحنًا).

ضعيف: رواه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٢٦٢) عن أنس مرفوعًا. رواه سويد بن عبدالعزيز عن حميد عن أنس.

وهذا يرويه عن سويد: هشام، وعن هشام: عبدالعزيز بن حيان وليس هذا في كتاب هشام بن عمار، عن سويد، ولعلّ البلاء فيه من عبدالعزيز. انظر «ذخيرة الحفاظ» (١٩٥٠)، و«الجامع المصنف» (١٨٣).

٩٦- (الزبانية إلى فسقة حملة القرآن أسرع منهم إلى عبدة الأوثان، فيقولون: يُبدأ بنا قبل عبده الأوثان؟ فيُقال لهم: ليس من يعلم كمن لا يعلم).

وقد ورد بلفظ: «للزبانية.. فيقولون: يا رب بُدئ بنا.. يا رب سُورع إلينا».

ضعيف: أخرجه الطبراني في «الكبير»، وأبو نعيم في «الحلية» عن أنس مرفوعًا، وضعّفه الألباني في «الضعيفة» رقم (٢٥٨٨)، و«ضعيف الجامع» رقم (٣١٨٩).

٩٧-(شر الناس شرار العلماء).

ضعيف: رواه ابن عدي (١٠١/ ٢) عن معاذ بن جبل مرفوعًا. وفيه حفص ابن عمر الأُبُلي: كذبه أبو حاتم، ورواه البزار وفيه الخليل بن مرة ضعّفه الجمهور. ضعفه الألباني في «الضعيفة» رقم (١٤١٨).

٩٨-(شر الناس علماء السوء).

لا أصل له: انظر «الأحاديث التي لا أصل لها في «الإحياء» للسبكي (٣٥٥).

٩٩ - (شرار الناس، شرار العلماء في الناس).

رواه البزار عن معاذ، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٣٨١)، و«الضعيفة» رقم (١٤١٨).

١٠٠ - (علماء السوء جسور جهنم).

ضعيف: انظر «كشف الخفاء» (١٧٤٣).

١٠١ - (هلاك أمتي عالم فاجر، وجاهل عاقل، وشر الشرار شرار العلماء، وخير الخيار خيار العلماء).

لا أصل له: انظر «الأحاديث التي لا أصل لها في «الإحياء» (٢٨٩).

١٠٢ - (هلاك أمتي عالم فاجر، وشر الشرار شرار العلماء).

موضوع: انظر «موضوعات الإحياء» (١٥).

١٠٣ - (هلاك أمتي: عالم فاجر، وعابد جاهل، وشرار الشرار شرار العلماء، وخير الخيار خيار العلماء).

موضوع: انظر «الفوائد المجموعة» للشوكاني (٩٠٩)، و«تذكرة الموضوعات» (٢٤).

١٠٤ - (ويل لأمتي من علماء السوء).

ضعيف: أخرجه الحاكم في «تاريخه» عن أنس، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٦١٣٩).

١٠٥ - (ويل لأمتي من علماء السوء، يتخذون هذا العلم تجارة يتبعونها

من أمراء زمانهم ربحًا لأنفسهم، لا أربح اللَّه تجارتهم).

ضعيف: أخرجه الديلمي (٤/ ١٣٤) عن أنس مرفوعًا.

وفيه صالح بن نوح، قال الألباني في «الضعيفة» رقم (٥٢٣٥) لم أعرفه، وأحمد بن محمد بن أحمد العدل تغيّر بآخره، فهو علة الحديث أو شيخه.

١٠٦ - (يدخل فسقة حملة القرآن النار قبل عبدة الأوثان بألفي عام).

موضوع: انظر «اللآلئ المصنوعة» (١/ ٢٢٥).

*** ذم من لا يعمل بعلمه:**

١٠٧ - (إذا تعلّم الناس العلم وتركوا العمل، وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب، وتقاطعوا في الأرحام، لعنهم اللَّه عند ذلك فأصمّهم وأعمى أبصارهم).

لا أصل له: انظر «الأحاديث التي لا أصل لها في «الإحياء» للسبكي (٢٨٩).

١٠٨ - (إذا علم العامل فلم يعمل كان كالمصباح؛ يضيء للناس ويحرق نفسه).

موضوع: أخرجه ابن قانع في «معجمه» عن سليك الغطفاني مرفوعًا وحكم عليه بالوضع الألباني في «الضعيفة» رقم (٢٦٣٣)، و«ضعيف الجامع» رقم (٥٩٨).

١٠٩ - (أشد الناس عذابًا يوم القيامة، عالم لم ينفعه علمه).

ضعيف جدًّا: رواه الطبراني في «الصغير»، وابن عدي في «الكامل»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي هريرة مرفوعًا. وضعّفه الألباني في

«ضعيف الجامع» رقم (٨٦٨)، و«الضعيفة» رقم (١٦٣٤).

١١٠ - (اطلع قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فقالوا: بم دخلتم النار وإنما دخلنا الجنة بتعليمكم؟ قالوا: إنا كنا نأمركم ولا نفعل).

ضعيف: انظر «القصاص والمذكرين» (٥٦).

١١١ - (إن المؤمن إذا تعلم بابًا من العلم عمل به أو لم يعمل كان أفضل من أن يصلي ألف ركعة تطوعًا).

ضعيف: أخرجه «ابن لال» عن ابن عمر مرفوعًا، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (١٧٦٨)، و«الضعيفة» رقم (٣١٣٩).

١١٢ - (إن أناسًا من أهل الجنة يتطلعون إلى أناس من أهل النار، فيقولون: بم دخلتم النار؟ فواللَّه ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم؟ فيقولون: إنا كنا نقول ولا نفعل).

ضعيف جدًّا: رواه الطبراني في «الأوسط» (٩٧) وعنه ابن عساكر عن الوليد ابن عقبة مرفوعًا. وفيه أبو بكر الداهري متروك وقال الهيثمي (٧/ ٢٧٦) «أبو بكر الداهري ضعيف جدًّا»، وأشار المنذري في «الترغيب» (٣/ ١٧٤) إلى تضعيفه.

١١٣ - (أيتها الأمة إني لا أخاف عليكم فيما لا تعلمون، ولكن انظروا كيف تعملون فيما تعلمون).

ضعيف جدًّا: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٣٢ - ١٣٣) عن أبي هريرة مرفوعًا. وفيه يحيى بن عبداللَّه بن موهب المدني. قال الألباني في «الضعيفة» (٣٣٦٥): هو متروك. وأبوه عبداللَّه بن عبداللَّه بن موهب لا يعرف؛ كما قال الذهبي. وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٢٢١٦).

١١٤ ـ (تعلموا ما شئتم أن تعلموا، فلن ينفعكم اللّٰه حتى تعملوا بما تعلمون).

ضعيف: رواه ابن عدي في «الكامل»، والخطيب في «التاريخ» وابن عساكر عن أبي الدرداء، وضعّفه الألباني في «الضعيفة» (٣٤٠٧)، و«ضعيف الجامع» (٢٤٥٣).

١١٥ ـ (تعلموا من العلم ما شئتم، فواللّٰه لا تُؤجروا بجمع العلم حتى تعملوا).

ضعيف: رواه أبو الحسن ابن الأخرم المديني في «أماليه» عن أنس، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٢٤٥٥)، و«الضعيفة» (٣٤٠٧).

١١٦ ـ (طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدل عنها إلى البدعة).

ضعيف: انظر «كشف الخفاء» (١٦٧٦).

١١٧ ـ (العالم والعلم والعمل في الجنة، فإذا لم يعمل العالم بما يعلم، كان العلم والعمل في الجنة، وكان العالم في النار).

موضوع: رواه الديلمي في «مسند الفردوس» عن أبي هريرة مرفوعًا. وحكم عليه بالوضع الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٣٨٣٩).

١١٨ ـ (العلم الذي لا يُعمل به كالكنز الذي لا ينفق منه أتعب صاحبه نفسه في جمعه ثم لم يصل إلى نفعه).

ضعيف: انظر «الجامع المصنف» (٢٣٩).

١١٩ ـ (كل علم وبال على صاحبه إلا من عمل به).

ضعيف: انظر «كشف الخفاء» (١٩٨٠).

١٢٠ - (كنا نتدارس من العلم في مسجد قباء، إذ خرج علينا رسول اللَّه ﷺ، فقال: تعلموا ما شئتم أن تعلموا، فلن يأجركم اللَّه حتى تعملوا).

لا أصل له: انظر «الأحاديث التي لا أصل لها في «الإحياء» للسبكي (٢٨٩).

١٢١ - (كيف أنت يا عويمر إذا قيل لك يوم القيامة: أعلمت أم جهلت؟ فإن قلتَ: علمت، قيل لك: فماذا عملت فيما علمت؟ وإن قلت: جهلت، قيل لك: فما كان عذرك فيما جهلت، ألا تعلمت؟!).

ضعيف: أخرجه ابن عساكر عن أبي الدرداء مرفوعًا، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٤٢٨٨)، و«الضعيفة» رقم (٤١٥٧).

١٢٢ - (لا يكون المرء عالمًا حتى يكون بعلمه عاملاً).

لا أصل له: انظر «الأحاديث التي لا أصل لها في «الإحياء» (٢٨٩)، و«تذكرة الموضوعات» (٢٤).

١٢٣ - (من عمل بما علم ورّثه اللَّه علم ما لم يعلم).

انظر: تذكرة الموضوعات (٢٠)، «الأحاديث التي لا أصل لها في «الإحيـــاء» (٢٩٠)، و«الضعيـفة» (٤٢٢)، و«الفوائـــد المجموعة» (٨٩٤)، و«كشف الخفاء» (٢٥٤٢).

١٢٤ - (ويل لمن لا يعلم ولو شاء اللَّه لعلّمه واحد من الويل، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع من الويل).

ضعيف: رواه سعيد بن منصور في «سننه» عن جبلة مرسلاً، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٦١٤٦).

١٢٥ ـ (ويل لمن لا يعلم، وويل لمن علم ثم لا يعمل).

ضعيف: رواه أبو نعيم في «الحلية» عن حذيفة، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٦١٤٧).

١٢٦ ـ (خذوا العطاء ما دام عطاء، فإذا صار رشوة في الدين فلا تأخذوه ولستم بتاركيه، يمنعكم الفقر والحاجة، ألا إن رحى الإسلام دائرة، فدوروا مع الكتاب حيث دار، ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان، فلا تفارقوا الكتاب، ألا إنه سيكون عليكم أمراء يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم، إن عصيتموهم قتلوكم، وإن أطعتموهم أضلوكم»، قالوا: يا رسول اللَّه كيف نصنع؟ قال: «كما صنع أصحاب عيسى بن مريم نُشِروا بالمناشير، وحُمِلوا على الخشب، موت في طاعة اللَّه خير من حياة في معصية اللَّه).

رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٩٠)، وفي «الصغير» (١/ ٢٦٤) وفي مسند الشاميين عن معاذ بن جبل. قال في «المجمع» (٥/ ٢٢٨، ٢٣٨٦)، ويزيد بن مرثد لم يسمع من معاذ، والوضين بن عطاء وثقه ابن حبان وضعفه جماعة».

* * *

* وختامًا:

اللَّهم كن أنيسي في وحشتي، ومقيل عثرتي، وغافر زلتي، وقابل توبتي، ومجيب دعوتي، ووليّ عصمتي، ومغني فاقتي، لا تقطعني عنك، ولا تُبعدني منك.

اللَّهم اجعلنا ممن اصطفيته لقربك وولايتك، وأخلصته لودّك ومحبتك وشوّقته إلى لقائك، ورضّيته بقضائك، وحبوته برضاك، وخصصته بمعرفتك، وأهّلته لعبادتك.

اللَّهم متعنا بالنظر إلى وجهك في الفردوس الأعلى، وبوِّئنا مقعد الصدق في جوارك، وفرّغ قلوبنا لمحبتك، وألهمنا ذكرك، وأوزعنا شكرك، واشغلنا بطاعتك، واقطع عنا كل شيء يقطعنا عنك.

اللَّهم يا وليّ الإسلام وأهله مَسّكنا بالإسلام.

اللَّهم اجعلنا من الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر واجعلنا للمتقين إمامًا.

اللَّهم ورث همي فيك منتهى أملي.

واحفظني بالإسلام قائمًا، واحفظني بالإسلام قاعدًا، واحفظني بالإسلام راقدًا، ولا تشمت بي عدوًا حاسدًا.

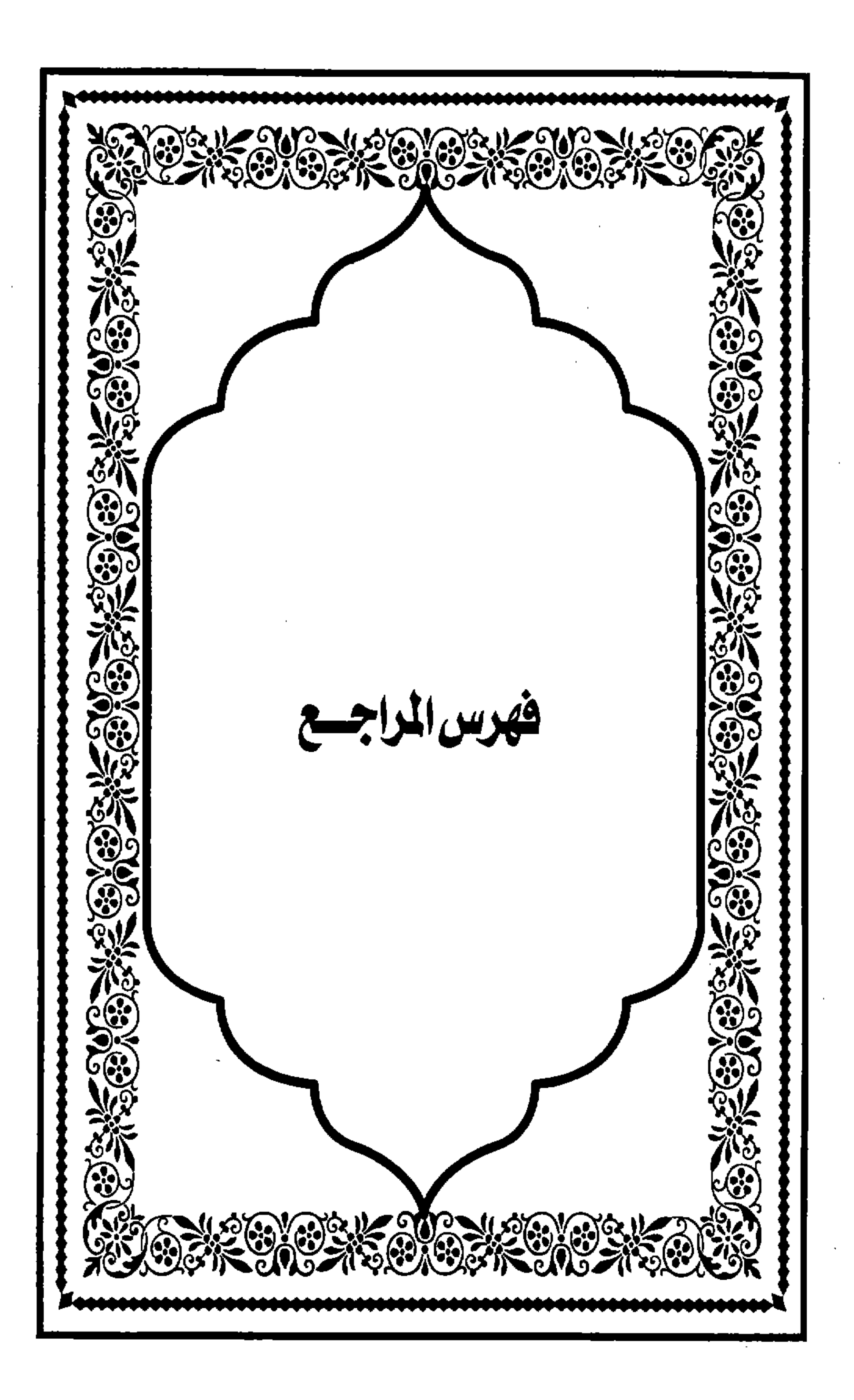
اللَّهم إني أسألك لذة العيش بعد الموت وحسن النظر إلى وجهك الكريم.

وأسألك باسمك الأعظم أن تمنّ عليّ بأفضل الشهادة في سبيلك يا ودود يا كريم يا أرحم الراحمين.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

كتبه سيد بن حسين العفاني

مصر ـ محافظة بني سويف ـ بني عفان ـ ص.ب ١٢٣


فهرس المراجـع

﴿أ﴾ التفسير وعلوم القرآن

١ ـ «تفسير الطبري» لابن جرير الطبري ـ طبع دار المعارف.

٢ ـ «تفسير القرطبي» للقرطبي ـ كتاب الشعب.

٣ ـ «تفسير ابن كثير» للإمام ابن كثير ـ مكتبة أولاد الشيخ.

٤ ـ «التفسير الكبير» للفخر الرازي ـ دار الغد العربي.

٥ ـ «أحكام القرآن» لابن العربي.

٦ ـ «فتح القدير» للشوكاني.

٧ ـ «روح المعاني» للألوسي ـ طبع دار الفكر.

٨ ـ «تفسير المنار» لمحمد رشيد رضا.

٩ ـ «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» للنيسابوري.

١٠ ـ «التحرير والتنوير» للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ـ الدار التونسية للنشر.

١١ ـ «تفسير جزء عم» للشيخ محمد عبده.

١٢ ـ «تفسير المراغي» لأحمد مصطفى المراغي.

١٣ ـ «المصحف المفسر» لمحمد فريد وجدي.

١٤ ـ «تفسير القرآن الكريم» للشيخ محمود شلتوت.

١٥ ـ الجواهر في تفسير القرآن الكريم» لطنطاوي جوهري.

١٦ ـ «تفسير البغوي» للإمام البغوي.

١٧ ـ «محاسن التأويل» للقاسمي ـ مكتبة عيسى الحلبي.

١٨ ـ «في ظلال القرآن» لسيد قطب ـ دار الشروق.

١٩ ـ «المورد العذب الزلال في الرد على الظلال» للشيخ الدويش.

٢٠ ـ «التفسير والمفسرون» للدكتور محمد حسين الذهبي ـ مكتبة وهبة.

٢١ ـ «الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم» للدكتور محمد حسين الذهبي.

٢٢ ـ «منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» للدكتور فهد الرومي ـ مؤسسة الرسالة.

٢٣ ـ «تنبيهات في الرد على الصابوني» للشيخ ابن باز ـ نشر دار الإفتاء.

٢٤ ـ «نحو منهج لتفسير القرآن» لمحمد الصادق عرجون.

٢٥ ـ «مذاهب التفسير الإسلامي» لجولد زيهر.

٢٦ ـ «التفهيمات الإلهية» للدهلوي.

٢٧ ـ «مجموعات الكلمات» للشيخ عبدالعزيز الدهلوي.

٢٨ ـ «كلمات طيبات» للدهلوي.

٢٩ ـ «طبقات المفسرين» للداودي.

٣٠ ـ «تصويبات في فهم بعض الآيات» للدكتور صلاح الخالدي ـ دار القلم ـ دمشق.

٣١ ـ «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة الدينوري.

٣٢ ـ «الفوز الكبير» للدهلوي ـ المكتبة المحمدية.

٣٣ ـ «أضواء البيان» للشنقيطي ـ مكتبة ابن تيمية.

٣٤ ـ «الكشاف» للزمخشري.

٣٥ ـ «البحر المحيط» لأبي حيان الأندلسي.

﴿ب﴾ السنة وعلوم الحديث

٣٦ ـ «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» للحافظ ابن حجر العسقلاني ـ طبعة السلفية.

٣٧ ـ «شرح مسلم للنووي» للإمام النووي ـ دار الشعب.

٣٨ ـ «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم».

٣٩ ـ «إكمال المعلم شرح صحيح مسلم» لأبي عبدالله الأبيّ.

٤٠ ـ «عارضة الأحوذي شرح سنن الترمذي» للمباركفوري.

٤١ ـ «سنن أبي داود».

٤٢ ـ «عون المعبود شرح سنن أبي داود» للطيب أبادي.

٤٣ ـ «سنن النسائي».

٤٤ ـ «سنن ابن ماجه» تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.

٤٥ ـ «مسند الإمام أحمد بن حنبل».

٤٦ ـ «صحيح ابن خزيمة» ـ المكتب الإسلامي.

٤٧ ـ «السنن الكبرى» للإمام البيهقي.

٤٨ ـ «شعب الإيمان» للإمام البيهقي.

٤٩ ـ «سنن الدارمي».

٥٠ ـ «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» مؤسسة الرسالة.

٥١ ـ «المستدرك على الصحيحين» للحاكم النيسابوري.

٥٢ ـ «مشكاة المصابيح» للخطيب التبريزي ـ تحقيق الشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي.

٥٣ ـ «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» لملاّ على القاري.

٥٤ ـ «صحيح الجامع» للألباني ـ المكتب الإسلامي.

٥٥ ـ «ضعيف الجامع» للألباني ـ المكتب الإسلامي.

٥٦ ـ «سلسلة الأحاديث الصحيحة» ـ المكتب الإسلامي.

٥٧ ـ «سلسلة الأحاديث الضعيفة» ـ المكتب الإسلامي.

٥٨ ـ «صحيح الترغيب والترهيب» للألباني.

٥٩ ـ «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» للحافظ الهيثمي.

٦٠ ـ «مسند البزار».

٦١ ـ «مسند الفردوس» للديلمي.

٦٢ ـ «المختارة» للضياء المقدسي.

٦٣ ـ «المصنف» لعبدالرزاق الصنعاني ـ المكتب الإسلامي.

٦٤ ـ «موطأ الإمام مالك» للإمام مالك بن أنس.

٦٥ ـ «تنزية الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة» للكتاني.

٦٦ ـ «الفوائد المجموعة» للإمام الشوكاني.

٦٧ ـ «كشف الخفاء ومزيل الإلباس» للعجلوني.

٦٨ ـ «مشكل الآثار» للطحاوي.

٦٩ ـ «الكنى» للدولابي.

٧٠ ـ «ميزان الاعتدال» للحافظ الذهبي.

٧١ ـ «لسان الميزان» للحافظ ابن حجر العسقلاني.

٧٢ ـ «تهذيب التهذيب» للحافظ ابن حجر العسقلاني.

٧٣ ـ «مسند الحميدي» للحميدي.

٧٤ ـ «نظم المتناثر في الحديث المتواتر» لمحمد الكتاني.

٧٥ ـ «المقاصد الحسنة» للسخاوي.

٧٦ ـ «تقريب التهذيب» لابن حجر.

٧٧ ـ «تذكرة الحفاظ» للذهبي.

٧٨ ـ «الجرح والتعديل» للشيخ جمال الدين القاسمي.

٧٩ ـ «طبقات المحدثين بأصبهان» لأبي الشيخ ابن حبان.

٨٠ ـ «دراسات في الحديث» للدكتور محمد مصطفى الأعظمي.

٨١ ـ «مسند أبي يعلى».

٨٢ ـ «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم الرازي.

٨٣ ـ «الكفاية» للخطيب البغدادي.

٨٤ ـ «الضعفاء» للبرذعي.

٨٥ ـ «موضح أوهام الجمع» للخطيب البغدادي.

٨٦ ـ «فيض القدير» للمناوي.

٨٧ ـ «إرواء الغليل» للشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي.

٨٨ ـ «نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية» للحافظ الزيلعي.

٨٩ ـ «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي.

٩٠ ـ «تهذيب الكمال» للمزي.

٩١ ـ «الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة للشيخ عبدالرحمن المعلمي ـ المكتب الإسلامي.

٩٢ ـ «التنكيل لما ورد في تأنيب الكوثري من الأباطيل» للمعلمي اليماني ـ دار الكتب السلفية.

٩٣ ـ «قواعد في علوم الحديث» للتهانوي.

٩٤ ـ «الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها» السيد صالح أبو بكر.

٩٥ ـ «الرد القويم على المجرم الأثيم» للتويجري.

٩٦ ـ «تخريج أحاديث الكشاف».

٩٧ ـ «ذخيرة الحفاظ» لمحمد بن طاهر المقدسي.

٩٨ ـ «الكامل» لابن عدي.

٩٩ ـ «الأحاديث القدسية الضعيفة والموضوعة» لأحمد العيسوي.

١٠٠ ـ «شرح السنة» للبغوي ـ المكتب الإسلامي.

١٠١ ـ «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» لمصطفى السباعي.

١٠٢ ـ «موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي» لمحمد إسماعيل السلفي.

١٠٣ ـ «موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية» للأمين الصادق الأمين ـ مكتبة الرشد.

١٠٤ ـ «السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث» للشيخ محمد الغزالي ـ دار الشروق.

١٠٥ ـ «أضواء على السنة» لأبي رية.

١٠٦ ـ «شبهات وشطحات منكري السنة» لأبي إسلام أحمد عبدالله ـ بيت الحكمة.

١٠٧ ـ السنة باعتبارها مصدراً من مصادر التشريع» لمحمود صالح شريح.

١٠٨ ـ «مفهوم التجديد بين السنة النبوية وأدعياء التجديد» لمحمود الطحان ـ دار التراث.

١٠٩ ـ «جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة» للفريوائي ـ السلفية بالهند.

١١٠ ـ «العواصم والقواصم» لابن الوزير الصنعاني.

١١١ ـ «الأنساب» للسمعاني.

١١٢ ـ «المعيار لعلم الغزالي في كتابه السنة النبوية» للشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ.

١١٣ ـ «الترغيب والترهيب» للمنذري.

١١٤ ـ «المعجم الكبير» للطبراني ـ تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي.

١١٥ ـ «الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث».

١١٦ ـ «جامع الأصول» لابن الأثير.

١١٧ ـ «المصنف» لابن أبي شيبة.

﴿جـ﴾ العقيدة

١١٨ ـ «منهاج السنة النبوية» لابن تيمية.

١١٩ ـ «مجموع فتاوى ابن تيمية».

١٢٠ ـ «الصارم المسلول على شاتم الرسول» لابن تيمية.

١٢١ ـ اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية.

١٢٢ ـ «السنة» لعبدالله بن أحمد بن حنبل.
١٢٣ ـ «التسعينية» لابن تيمية.
١٢٤ ـ «نقض المنطق» لابن تيمية.
١٢٥ ـ «السنة» لابن أبي عاصم.
١٢٦ ـ «دلائل النبوة» للبيهقي.
١٢٧ ـ «عقيدة السلف أصحاب الحديث» للصابوني.
١٢٨ ـ «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي.
١٢٩ ـ «الحجة في بيان المحجة» لقوّام السنة إسماعيل الأصبهاني ـ دار الراية.
١٣٠ ـ «الشريعة» للآجري.
١٣١ ـ «الاعتصام» للشاطبي.
١٣٢ ـ «ايثار الحق على الخلق» للسيد مرتضى اليماني ـ مطبعة الآداب والمؤيد.
١٣٣ ـ «البدع والنهي عنها» لابن وضاح القرطبي ـ دار الصفا.
١٣٤ ـ «الرد على البكري» لابن تيمية.
١٣٥ ـ «الرسائل الأصفهانية» لابن تيمية.
١٣٦ ـ «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية.
١٣٧ ـ «الرد على الأخنائي» لابن تيمية.
١٣٨ ـ «الإبانة» لابن بطة.
١٣٩ ـ «الصواعق المرسلة» لابن القيم.
١٤٠ ـ «شفاء العليل» لابن القيم.

١٤١ ـ «النونية الشافية الكافية في الانتصار للفرقة الناجية» لابن القيم.

١٤٢ ـ «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني.

١٤٣ ـ «الرد على الرافضة» لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب.

١٤٤ ـ «فضائح الباطنية» للغزالي.

١٤٥ ـ «التحف في مذهب السلف» للشوكاني.

١٤٦ ـ التحفة الاثنا عشرية» للشيخ عبدالعزيز الدهلوي.

١٤٧ ـ «النهاية في الفتن والملاحم» لابن كثير.

١٤٨ ـ «مختصر التحفة الاثنا عشرية» للألوسي ـ المكتبة السلفية بمصر.

١٤٩ ـ «خلق أفعال العباد» للبخاري.

١٥٠ ـ «الفرق بين الفرق» لعبدالقاهر البغدادي.

١٥١ ـ «الفصل» لابن حزم.

١٥٢ ـ «رسالة التوحيد» للشيخ محمد عبده.

١٥٣ ـ «التصريح بما تواتر في نزول المسيح» للكشميري.

١٥٤ ـ «السنة» للخلال.

١٥٥ ـ «الشيعة والتشيع» لإحسان إلهي ظهير.

١٥٦ ـ «الشيعة والسنة» لإحسان إلهي ظهير.

١٥٧ ـ «الشيعة وأهل البيت» لإحسان إلهي ظهير.

١٥٨ ـ «الشيعة والقرآن» لإحسان إلهي ظهير.

١٥٩ ـ «القاديانية» لإحسان إلهي ظهير.

١٦٠ ـ «البهائية» لإحسان إلهي ظهير.
١٦١ ـ «الإسماعيلية» لإحسان إلهي ظهير.
١٦٢ ـ «الرد الكافي على مغالطات الدكتور علي عبدالواحد وافي» لإحسان إلهي ظهير.
١٦٣ ـ «موقف الخميني من الشيعة والتشيع» لمحمود سعد ناصح.
١٦٤ ـ «أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية» للدكتور ناصر القفاري.
١٦٥ ـ «وجاء دور المجوس» للدكتور عبدالله الغريب.
١٦٦ ـ «الشيعة والسنة ضجة مفتعلة» ـ دار المختار الإسلامي ـ دار الاعتصام.
١٦٧ ـ «أصول الكافي» للكليني.
١٦٨ ـ «من لا يحضره الفقيه» لابن بابوية القمي.
١٦٩ ـ «مناظرة بين الإسلام والمسيحية» طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
١٧٠ ـ «الرد على ابن النغريلة اليهودي» تحقيق د. إحسان عباس ـ نشر مكتبة دار العروبة.
١٧١ ـ «ذيل الملل والنحل» لمحمد سيد الكيلاني.
١٧٢ ـ «أحكام الردة والمرتدين» للدكتور محمود مزروعة.
١٧٣ ـ «شرح السنة» للبربهاري ـ مكتبة الغرباء بالمدينة.
١٧٤ ـ «تلبيس إبليس» لابن الجوزي.
١٧٥ ـ «منهج الأشاعرة في العقيدة» لسفر الحوالي.

١٧٦ ـ «ظاهرة الإرجاء» لسفر الحوالي.
١٧٧ ـ «الرد العلمي على ظاهرة الإرجاء» للدكتور ياسر برهامي ـ تحت الطبع.
١٧٨ ـ «العصريون» ليوسف كمال.
١٧٩ ـ «العقلانيون أفراخ المعتزلة العصريون» لعلي حسن عبدالحميد ـ مكتبة الغرباء الأثرية.
١٨٠ ـ «اليسار الإسلامي خنجر في ظهر الإسلام» للأستاذ عبدالسلام بسيوني ـ مكتبة الأقصى قطر.
١٨١ ـ «إجماع العلماء على الهجر والتحذير من أهل الأهواء» لخالد ابن ضحوي الظفيري ـ دار المنهاج.
١٨٢ ـ «موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين» لشيخ الإسلام مصطفى صبري.
١٨٣ ـ «الصارم المسلول على الترابي شاتم الرسول» لأحمد بن مالك.
١٨٤ ـ «الماسونية» لأحمد عبدالغفور.
١٨٥ ـ «الإمام الشاطبي عقيدته وموقفه من البدع وأهلها» ـ لعبدالرحمن آدم علي ـ مكتبة الرشد.
١٨٦ ـ «النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة» للشيخ مصطفى صبري.
١٨٧ ـ «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية» للدكتور شمس الدين الأفغاني ـ دار الصميعي.
١٨٨ ـ «العقيدة في اللّٰه» للشيخ عمر الأشقر ـ طبع دار النفائس.

١٨٩ ـ «الصراط المستقيم» للسيد أحمد بن عرفان الشهيد.
١٩٠ ـ «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية» ـ لصلاح الدين مقبول ـ دار ابن الأثير ـ الكويت.
١٩١ ـ «شطحات الصوفية» للدكتور عبدالرحمن بدوي.
١٩٢ ـ «الإنسان الكامل» للجيلي تحقيق عبدالرحمن بدوي.
١٩٣ ـ «الطواسين» للحلاج.
١٩٤ ـ «فصوص الحكم» لابن عربي ـ طبعة الحلبي.
١٩٥ ـ «الطبقات الكبرى» لعبدالوهاب الشعراني ـ طبعة صبيح.
١٩٦ ـ «هذه هي الصوفية» لعبدالرحمن الوكيل ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١٩٧ ـ «صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان» للسهسواني.
١٩٨ ـ حكم هيئة كبار العلماء في كتاب «الإسلام وأصول الحكم».
١٩٩ ـ «الخنجر المسموم الذي طُعِن به المسلمون» لأنور الجندي.
٢٠٠ ـ «الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين» ـ تحقيق سليمان دنيا.
٢٠١ ـ «الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبدالرازق.
٢٠٢ ـ «الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغرّاء» ليوسف النبهاني.
٢٠٣ ـ «فكر جارودي بين المادية والإسلام» لعادل التل ـ دار البينة.
٢٠٤ ـ «الإسلام» لروجيه جارودي ـ ترجمة دلال محمد طاهر.
٢٠٥ ـ «الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها» لجارودي.

٢٠٦ ـ «المشكلة الدينية» لمحسن الميلي تقديم جارودي.
٢٠٧ ـ «ودين اللّه واحد على ألسنة جميع الرسل» لمحمود أبو رية.
٢٠٨ ـ «إلى أين يتجه الإسلام» للمستشرق جب.
٢٠٩ ـ «الوهابيون والحجاز» لمحمد رشيد رضا.
٢١٠ ـ «براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة».
٢١١ ـ «شرح الصدور بتحريم رفع القبور» للشوكاني.
٢١٢ ـ «الدواء العاجل في دفع العدو الصائل» للشوكاني.
٢١٣ ـ «كشف الشبهات عن المشتبهات» للشوكاني.
٢١٤ ـ «قطر الولي على حديث الولي» أو «ولاية اللّه الطريق إليها» للشوكاني ـ دار الكتب الحديثة.
٢١٥ ـ «الماتريدية» للدكتور شمس الدين الأفغاني ـ مكتبة الصديق.
٢١٦ ـ «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» للألوسي.
٢١٧ ـ «الغارة على العالم الإسلامي» ترجمة محب الدين الخطيب ـ المكتبة السلفية.
٢١٨ ـ «ظاهرة اليسار الإسلامي» لمحسن الميلي.
٢١٩ ـ «ذرائعية العلمانيين» لحسن محمد الغزواني.
٢٢٠ ـ «رواية وليمة لأعشاب البحر في ميزان الإسلام والعقل والأدب» للدكتور جابر قميحة ـ دار الاعتصام.
٢٢١ ـ «الإسلام والعصر» لعبدالعزيز كامل.
٢٢٢ ـ «السنة والشيعة» لمحمد رشيد رضا.
٢٢٣ ـ «صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول» لأبي الحسن الندوي.

٢٢٤ ـ «نهج الخميني في الفكر الإسلامي» لبشار عودة ـ دار عمار.
٢٢٥ ـ «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض.
٢٢٦ ـ «الحكومة الإسلامية» للخميني.
٢٢٧ ـ «مصباح الهداية» للخميني.
٢٢٨ ـ «تحرير الوسيلة» للخميني.
٢٢٩ ـ «در ثمين» للقادياني.
٢٣٠ ـ «براهين أحمدية» للقادياني.
٢٣١ ـ «تذكرة الشهادتين» للقادياني.
٢٣٢ ـ «ما الفرق في آدم والمسيح الموعود» للقادياني.
٢٣٣ ـ «بديع الزمان النورسي» ـ لإحسان قاسم الصالحي ـ دار المختار الإسلامي.
٢٣٤ ـ «تاريخ الغزو الفكري والتغريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين» لأنور الجندي ـ دار الاعتصام.
٢٣٥ ـ «نشأة التصوف الإسلامي» للدكتور إبراهيم بسيوني ـ دار المعارف.
٢٣٦ ـ «أحمد ديدات بين الإنجيل والقرآن» كتاب المختار الإسلامي.
٢٣٧ ـ «مناظرة العصر» ترجمة علي الجوهري ـ دار الفضيلة.
٢٣٨ ـ «غاية الأماني في الرد على النبهاني» للألوسي.
٢٣٩ ـ «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي ـ المكتب الإسلامي.
٢٤٠ ـ «مجموعة رسائل الشيخ أحمد بن عتيق».

٢٤١ ـ «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» جمع عبدالرحمن بن محمد ابن قاسم.

٢٤٢ ـ «شرح الواسطية» لابن عثيمين ـ دار ابن الجوزي.

٢٤٣ ـ «بغية المرتاد» لابن تيمية.

٢٤٤ ـ «العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم» لربيع المدخلي.

٢٤٥ ـ «منهج الأنبياء في الدعوة إلى اللَّه» لربيع المدخلي.

٢٤٦ ـ «رد الجواب على مَن طلب مني عدم طبع الكتاب» لمحمد بن علي الصومعي ـ دار الآثار.

٢٤٧ ـ «الرد الشرعي المعقول على المتصل المجهول» لأحمد بن يحيي النجمي المطبوع مع رد الجواب.

٢٤٨ ـ «تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي» للبقاعي.

٢٤٩ ـ «الإبداع في مضار الابتداع» للشيخ علي محفوظ ـ دار الاعتصام.

٢٥٠ ـ «الولاء والبراء» للقحطاني.

﴿ د ﴾ الفقه وأصول الفقه

٢٥١ ـ «مسائل الإمام أحمد» لصالح بن الإمام أحمد.

٢٥٢ ـ «الفقية والمتفقه» للخطيب البغدادي.

٢٥٣ ـ «الأم» للشافعي.

٢٥٤ ـ «إعلام الموقعين» لابن القيم.

٢٥٥ ـ «سبل السلام» للصنعاني.

٢٥٦ ـ «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» للشيخ ابن باز.

٢٥٧ ـ «مجموع فتاوى ورسائل» فضيلة الشيخ ابن عثيمين.
٢٥٨ ـ «الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم.
٢٥٩ ـ «فتاوى الإمام الشاطبي».
٢٦٠ ـ «الفتاوى» للشيخ محمود شلتوت.
٢٦١ ـ «الطرق الحكمية» لابن القيم.
٢٦٢ ـ «الموافقات» للشاطبي.
٢٦٣ ـ «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» للخلال.
٢٦٤ ـ «مختصر الفتاوي المصرية».
٢٦٥ ـ «المغني» لابن قدامة المقدسي.
٢٦٦ ـ «المبسوط» للسرخسي.
٢٦٧ ـ «مراتب الإجماع» لابن حزم.
٢٦٨ ـ «معالم القربة في أحكام الحسبة».
٢٦٩ ـ «الحسبة» لابن تيمية.
٢٧٠ ـ «كتاب الخراج» للإمام أبي يوسف.
٢٧١ ـ «إصلاح المساجد من البدع والعوائد» لجمال الدين القاسمي.
٢٧٢ ـ «الاستئناس في تصحيح أنكحة الناس» لجمال الدين القاسمي.
٢٧٣ ـ «تجديد أصول الفقه» لحسن الترابي ـ الدار السعودية للنشر.
٢٧٤ ـ «أحكام أهل الذمة» لابن القيم.
٢٧٥ ـ «فتاوى السيد رشيد رضا».
٢٧٦ ـ «الانتقاء» لابن عبدالبر.
٢٧٧ ـ «الفروق» للقرافي.

٢٧٨ ـ «السيل الجرار» للشوكاني.
٢٧٩ ـ «منهاج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» لفاروق السامرائي ـ طبع دار الوفاء.
٢٨٠ ـ «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» للدكتور ياسر برهامي ـ دار العقيدة.
٢٨١ ـ «روضة الطالبين» للإمام النووي.
٢٨٢ ـ «بل النقاب واجب» للشيخ محمد إسماعيل المقدم.
٢٨٣ ـ «تذكير الأصحاب بتحريم النقاب» لإسماعيل منصور.

﴿ر﴾ تاريخ وسير وتراجم

٢٨٤ ـ «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي.
٢٨٥ ـ «تاريخ دمشق» لابن عساكر.
٢٨٦ ـ «وفيات الأعيان» لابن خلكان.
٢٨٧ ـ «مرآة الجنان» لليافعي.
٢٨٨ ـ «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة».
٢٨٩ ـ «نفح الطيب» للمقري التلمساني.
٢٩٠ ـ «تاريخ قضاة الأندلس» لأبي الحسن النباهي الأندلسي ـ دار الكتب العلمية.
٢٩١ ـ «عيون الروضتين في أخبار الدولتين» لأبي شامة ـ مؤسسة الرسالة.
٢٩٢ ـ «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» للشيخ عبدالرازق البيطار.

٢٩٣ ـ «تاريخ هندوستان».

٢٩٤ ـ «تاريخ الهند» للشيخ ذكاء اللَّه.

٢٩٥ ـ «المنتظم» لسبط ابن الجوزي.

٢٩٦ ـ «فوات الوفيات» لابن شاكر الكتبي.

٢٩٧ ـ «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» لابن حجر العسقلاني.

٢٩٨ ـ «الضوء اللامع» للسخاوي.

٢٩٩ ـ «الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة» لنجم الدين الغزي.

٣٠٠ ـ «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» للشيخ فضل اللَّه المحبي.

٣٠١ ـ «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» للشيخ محمد خليل المرادي.

٣٠٢ ـ «تاريخ الجبرتي» للجبرتي.

٣٠٣ ـ «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» للشوكاني.

٣٠٤ ـ «عيون الأخبار» لابن قتيبة الدينوري.

٣٠٥ ـ «أخبار قضاة مصر» للكندي.

٣٠٦ ـ «ولاة مصر وقضاتها».

٣٠٧ ـ «العثمانيون في التاريخ والحضارة» للدكتور محمد حرب ـ دار القلم ـ دمشق.

٣٠٨ ـ «الرسائل السياسية» للإمام الدهلوي.

٣٠٩ ـ «شرح السير الكبير».

٣١٠ ـ «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام

مالك» للقاضي عياض ـ طبع وزارة الأوقاف المغربية.

٣١١ ـ «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني.

٣١٢ ـ «سير أعلام النبلاء» للحافظ الذهبي ـ مؤسسة الرسالة.

٣١٣ ـ «مرآة الزمان».

٣١٤ ـ «طبقات الشافعية» للسبكي.

٣١٥ ـ «رفع الإصر عن قضاة مصر» للحافظ ابن حجر العسقلاني.

٣١٦ ـ «الأعلام» للزركلي.

٣١٧ ـ «تاريخ الطبري» لابن جرير الطبري.

٣١٨ ـ «الكامل في التاريخ» لابن الأثير.

٣١٩ ـ «البداية والنهاية» لابن كثير.

٣٢٠ ـ «حياة الصحابة» للكاندهلوي.

٣٢١ ـ «طبقات الحنابلة» لأبي يعلى ـ دار المعرفة.

٣٢٢ ـ «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب ـ دار المعرفة.

٣٢٣ ـ «المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد».

٣٢٤ ـ «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» للفاسي.

٣٢٥ ـ «الطبقات الكبرى» لابن سعد.

٣٢٦ ـ «المعرفة والتاريخ» للفسوي.

٣٢٧ ـ «مناقب عمر بن عبدالعزيز» لابن الجوزي.

٣٢٨ ـ «صفة الصفوة» لابن الجوزي.

٣٢٩ ـ «القصاص والمذكرون» لابن الجوزي.

٣٣٠ ـ «إنباه الرواة» للقفطي.

٣٣١ ـ «صفحات مضيئة من حياة السابقين» لإبراهيم العلي ـ دار القلم.

٣٣٢ ـ «الإمام ابن تيمية» لأبي الحسن الندوي ـ دار القلم بالكويت.

٣٣٣ ـ «الإمام الدهلوي» لأبي الحسن الندوي ـ دار القلم بالكويت.

٣٣٤ ـ «الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف» للدهلوي.

٣٣٥ ـ «الإمام السرهندي» لأبي الحسن الندوي ـ دار القلم بالكويت.

٣٣٦ ـ «حركة الانطلاق الفكري وجهود الشاه ولي اللّٰه في التجديد» لمحمد إسماعيل السلفي.

٣٣٧ ـ «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» المسمى «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر» للسيد عبدالحي الحسني الندوي ـ دار ابن حزم.

٣٣٨ ـ «محمد الفاتح» للدكتور سالم الرشيدي ـ الإرشاد ـ جدة.

٣٣٩ ـ «سليمان الحلبي الشهيد البطل» لخالد الجر ـ دار القلم ـ دمشق.

٣٤٠ ـ «الشهيد محمد كريم» للأستاذ عبدالعزيز حافظ دنيا.

٣٤١ ـ «محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة» للخراشي ـ دار الجواب.

٣٤٢ ـ «محاسن المساعي في مناقب الإمام الأوزاعي» لشكيب أرسلان ـ مكتبة دار الحياة ـ بيروت.

٣٤٣ ـ «عبدالرحمن الناصر» لبسام العسيلي.

٣٤٤ ـ «سيرة عمر مكرم» لمحمد فريد أبو حديد.

٣٤٥ ـ «علماء ومفكرون عرفتهم» لمحمد المجذوب ـ دار الاعتصام.

٣٤٦ ـ «مصلح اليمن محمد بن إسماعيل الصنعاني».

٣٤٧ ـ «العز بن عبدالسلام» للأستاذ رضوان الندوي.

٣٤٨ ـ «مذكرات محب الدين الخطيب» لمحب الدين الخطيب.

٣٤٩ ـ «جمال الدين القاسمي وعصره» لظافر جمال الدين القاسمي.

٣٥٠ ـ «ابن قيم الجوزية» للدكتور بكر أبو زيد.

٣٥١ ـ «رشيد رضا» للدكتور أحمد العدوي.

٣٥٢ ـ «رجال من التاريخ» لعلي الطنطاوي.

٣٥٣ ـ «تنوير البصائر من سيرة الشيخ طاهر» لمحمد سعيد الباني.

٣٥٤ ـ «كنوز الأجداد » لمحمد كرد علي ـ دار الفكر ـ دمشق.

٣٥٥ ـ «محاضرات عن محمد كرد علي» لشفيق جيري ـ مؤسسة الرسالة.

٣٥٦ ـ «حياة الألباني وآثاره» لمحمد إبراهيم الشيباني ـ الدار السلفية ـ بالكويت.

٣٥٧ ـ «رشيد رضا» للدكتور أحمد عبده الشرباصي ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ مصر.

٣٥٨ ـ «ضيامانة» لعزت أفندي الدارندلي ـ الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٩م.

٣٥٩ ـ «الحسن البصري» لابن الجوزي.

٣٦٠ ـ «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي.

٣٦١ ـ «صفحات مطوية من حياة سلطان العلماء» لسليم الهلالي ـ دار ابن الجوزي.

٣٦٢ ـ «تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين» لابن العطار.

٣٦٣ ـ «ترجمة شيخ الإسلام النووي» للحافظ السخاوي ـ طبع جمعية النشر والتأليف بالأزهر.

٣٦٤ ـ «الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية» للبزار.

٣٦٥ ـ «العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية» لابن عبدالهادي ـ مكتبة المؤيد.

٣٦٦ ـ «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» للسخاوي ـ دار ابن حزم.

٣٦٧ ـ «أبو زرعة الرازي وجهودة في خدمة السنة النبوية».

٣٦٨ ـ «سير السلف الصالحين لقوام السنة».

٣٦٩ ـ «مناقب مالك» للزواوي.

٣٧٠ ـ «الإصابة في تمييز الصحابة» للحافظ ابن حجر.

٣٧١ ـ «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية» لمحمد بهجة البيطار.

٣٧٢ ـ «ابن تيمية» لمحمد يوسف موسى.

٣٧٣ ـ «ابن تيمية بطل الإصلاح الديني» لمحمود مهدي الاستانبولي.

٣٧٤ ـ «حقبة من التاريخ» لعثمان الخموس.

٣٧٥ ـ «معرفة القرّاء الكبار» للذهبي.

٣٧٦ ـ «مفكرون وأدباء» لأنور الجندي.

٣٧٧ ـ «الشيخ طاهر الجزائري رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث» لحازم زكريا ـ دار القلم دمشق.

٣٧٨ ـ «جمال الدين القاسمي» للدكتور نزار أباظة ـ دار القلم ـ دمشق.

٣٧٩ ـ «شيخ الشام جمال الدين القاسمي» لمحمد مهدي الاستانبولي ـ المكتب الإسلامي.

٣٨٠ ـ «الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين» لمحمد محمود عبدالله ـ دار ابن حزم.

٣٨١ ـ «قيام دولة المرابطين» للدكتور حسن أحمد محمود ـ دار الفكر العربية.

٣٨٢ ـ «السلفية وأعلامها في موريتانيا» للشيخ الطيب بن عمر بن الحسين ـ دار ابن حزم.

٣٨٣ ـ «الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب» لابن فرحون ـ دار الكتب العلمية.

٣٨٤ ـ «تاريخ ابن الوردي».

٣٨٥ ـ «جمال الدين الأفغاني» لعبدالرحمن الرافعي.

٣٨٦ ـ «تاريخ الماسونية» لجورجي زيدان.

٣٨٧ ـ «نابغة الشرق السيد جمال الدين الأفغاني» لسعيد الأفغاني.

٣٨٨ ـ «جمال الدين الأفغاني» لمحمود أبو رية.

٣٨٩ ـ «مذكرات السلطان عبدالحميد» ترجمة محمد حرب عبدالحميد.

٣٩٠ ـ «جمال الدين الأفغاني» لعبدالقادر المغربي.

٣٩١ ـ «التاريخ السري لاحتلال انجلترا مصر» للمستر بلنت.

٣٩٢ ـ «تراجم الأعلام المعاصرين» لأنور الجندي.

٣٩٣ ـ «المجددون في الإسلام» لعبدالمتعال الصعيدي.

٣٩٤ ـ «زعماء الإصلاح في العصر الحديث» لأحمد أمين.

٣٩٥ ـ «الشيخ ابن باز ومواقفه الثابتة» لأحمد الفريح.

٣٩٦ ـ «إمام العصر الإمام العلامة ابن باز» للدكتور ناصر بن مسفر الزهراني ـ مؤسسة الجريسي.

٣٩٧ ـ «الدر الثمين في ترجمة فقيد الأمة العلامة ابن عثيمين» لوليد أحمد الزبيري.

٣٩٨ ـ «صفحات من حياة الفقيد العالم الزاهد ابن عثيمين» للدكتور عبدالله محمد الطيار.

٣٩٩ ـ «ابن عثيمين الإمام الزاهد» للدكتور ناصر بن مسفر الزهراني ـ دار ابن الجوزي.

٤٠٠ ـ «صفحات مشرقة» لحمود المطر.

٤٠١ ـ «مناقب الشافعي» للبيهقي.

٤٠٢ ـ «توالي التأسيس في مناقب الشافعي محمد بن إدريس» لابن حجر العسقلاني.

٤٠٣ ـ «مجتمع يثرب» لخليل عبدالكريم ـ دار سينا ـ القاهرة.

٤٠٤ ـ «مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» لابن الجوزي.

٤٠٥ ـ «جارودي من الإلحاد إلى الإيمان» لرامي كلاوي.

٤٠٦ ـ «عقبة بن نافع الفهري» لمحمود شيت خطاب.

٤٠٧ ـ «اللواء الركن محمود شيت خطاب المجاهد الذي يحمل سيفه في كتبه» لعبدالله محمود ـ دار القلم دمشق.

٤٠٨ ـ «الأيام الحاسمة قبل معركة المصير» لمحمود شيت خطاب.

٤٠٩ ـ «أبو الحسن الندوي كاتبًا ومفكرًا» لنذر الحفيظ الندوي الأزهري.

٤١٠ ـ «أبو الحسن علي الحسني الندوي» لمحمد اجتباء الندوي ـ دار القلم ـ دمشق.

٤١١ ـ «رجل من أمة التوحيد أسلم على يديه ٤٠٠٠ من الأجانب» لعبداللطيف الجوهري ـ دار الصحوة.

٤١٢ ـ «عالم أزهري حر في مواجهة السلطان الجائر بقلمه وقلبه ولسانه» للشيخ محمود عبدالوهاب فايد ـ دار الاعتصام.

٤١٣ ـ «تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب» لحسين خلف.

٤١٤ ـ «حياة محمد» لمحمد حسين هيكل.

٤١٥ ـ «دراسات في السيرة النبوية» لمحمد سرور بن نايف ـ دار الأرقم.

٤١٦ ـ «إحسان إلهي ظهير ـ الجهاد والعلم من الحياة إلى الممات» لمحمد بن إبراهيم الشيباني ـ مكتبة ابن تيمية ـ الكويت.

٤١٧ ـ «شذرات الذهب».

٤١٨ ـ «الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوربا» للدكتور محمد عبداللطيف هريدي.

٤١٩ ـ «الثورة البائسة» لموسى الموسوي.

٤٢٠ ـ «المذكرات» لمحمد كرد علي ـ مطبعة الترقي.

٤٢١ ـ «الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام» لعبداللّه التل.

٤٢٢ ـ «تاريخ الخلفاء» للسيوطي.

٤٢٣ ـ «الأستاذ أبو الحسن الندوي ـ الوجه الآخر» لصلاح الدين مقبول أحمد.

٤٢٤ ـ «المعيار المعرب والجامع المغرب» للونشرين ـ دار الغرب الإسلامي.

٤٢٥ ـ «أخبار قضاة مصر» لمحمد بن يوسف الكندي.

٤٢٦ ـ «الشيخ محمد بن عبدالوهاب» لابن حجر آل بوطامي.

٤٢٧ ـ «الإسلاميون وتركيا العلمانية» لهدى درويش.

٤٢٨ ـ «سعيد النورسي».

٤٢٩ ـ «لويس عوض الأسطورة والحقيقة» لحلمي القاعود ـ دار الاعتصام.

٤٣٠ ـ «حياة الرافعي» لمحمد سعيد العريان.

٤٣١ ـ «مصطفى صادق الرافعي» للدكتور محمد رجب البيومي سلسلة أعلام العرب ـ دار القلم ـ دمشق.

٤٣٢ ـ «تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند» لمسعود الندوي.

٤٣٣ ـ «فاتح القسطنطينية محمد الفاتح» للدكتور علي محمد الصلابي ـ دار الإيمان.

٤٣٤ ـ «تاريخ الأستاذ الإمام» لمحمد رشيد رضا.

٤٣٥ ـ «العبر» لابن خلدون.

٤٣٦ ـ «السعوديون والحل الإسلامي».

٤٣٧ ـ «حسن المحاضرة» للسيوطي.

٤٣٨ ـ «حسن البنا» لأنور الجندي ـ دار القلم ـ دمشق.

٤٣٩ ـ «حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه» لجابر رزق.

٤٤٠ ـ «ترجمة أبي عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي» للشيخ مقبل الوادعي ـ دار الآثار بصنعاء.

٤٤١ ـ «الإمامة والسياسة».

٤٤٢ ـ «العقد الفريد» لابن عبد ربه.

٤٤٣ ـ «سيد قطب» لصلاح الدين الخالدي ـ دار القلم دمشق.

٤٤٤ ـ «قضاة الأندلس» المكتب التجاري للطباعة والنشر ـ لبنان.

٤٤٥ ـ «الرد الوافر» لابن ناصر الدين الدمشقي ـ المكتب الإسلامي.

٤٤٦ ـ «طريق الهجرتين» لابن القيم ـ المكتبة السلفية.

٤٤٧ ـ «مدارج السالكين» لابن القيم ـ مطبعة أنصار السنة المحمدية.

٤٤٨ ـ «مفتاح دار السعادة» لابن القيم.

٤٤٩ ـ «إغاثة اللهفان» لابن القيم.

٤٥٠ ـ «بدائع الفوائد» لابن القيم.

٤٥١ ـ «إيقاظ همم أولى الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار» لصالح الفلاني.

٤٥٢ ـ «طريق النصر» لمحمود شيت خطاب.

٤٥٣ ـ «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» لأبي الحسن الندوي ـ دار القلم ـ دمشق.

٤٥٤ ـ «نحو التربية الإسلامية الحرة» لأبي الحسن الندوي.

٤٥٥ ـ «إلى الإسلام من جديد» للندوي ـ دار القلم ـ دمشق.

٤٥٦ ـ «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية» لأبي الحسن الندوي.

٤٥٧ ـ «في مسيرة الحياة» لأبي الحسن الندوي.

٤٥٨ ـ «فضائل الجهاد» المسمى «مشارق الأنوار» لابن النحاس.

٤٥٩ ـ «ربانية لا رهبانية» لأبي الحسن الندوي.

٤٦٠ ـ «الدعوة إلى الإسلام» لأرنلد.

٤٦١ ـ «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبدالبر.

٤٦٢ ـ «كتمان الحق بين تفريط العلماء ومسئولية الأمراء» للشيخ محمد فهمي عبدالوهاب ـ دار الاعتصام.

٤٦٣ ـ «عودة الحجاب» للشيخ محمد إسماعيل المقدم ـ دار الصفوة.

٤٦٤ ـ «مرآة النساء».

٤٦٥ ـ «جولة في رياض العلماء» للدكتور عمر الأشقر ـ دار النفائس ـ مكتبة الفلاح.

٤٦٦ ـ «أعداء الحل الإسلامي» للدكتور يوسف القرضاوي ـ مكتبة وهبة.

٤٦٧ ـ «القصاص» لابن الجوزي.

٤٦٨ ـ «حجة اللّٰه البالغة» للدهلوي.

٤٦٩ ـ «إذا هبت ريح الإيمان» لأبي الحسن الندوي ـ دار القلم ـ الكويت ومؤسسة الرسالة.

٤٧٠ ـ «الزهد» لابن المبارك.

٤٧١ ـ «الفوائد» لابن القيم ـ تحقيق محمد عيون.

٤٧٢ ـ «الوابل الصيب من الكلم الطيب» لابن القيم.

٤٧٣ ـ «إحياء علوم الدين» للغزالي.

٤٧٤ ـ «تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين» لابن النحاس الدمشقي - دار الكتب العلمية.

٤٧٥ ـ «الآداب الشرعية» لابن مفلح.

٤٧٦ ـ «استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس» لابن رجب الحنبلي ـ المكتب الإسلامي.

٤٧٧ ـ «فصول من السياسة الشرعية في الدعوة إلى اللَّه» للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق.

٤٧٨ ـ «العلماء وأمانة الكلمة» لمحمد سرور بن نايف ـ دار الأرقم.

٤٧٩ ـ «تلبيس إبليس» لابن الجوزي ـ دار الفكر.

٤٨٠ ـ «العزلة والخلطة» للقاضي أبي الحسن الجرجاني.

٤٨١ ـ «الإسلام بين العلماء والحكام».

٤٨٢ ـ «جامع العلوم والحكم» لابن رجب.

٤٨٣ ـ «الاستقامة» لابن تيمية.

٤٨٤ ـ «المصباح المضيء» لابن الجوزي.

٤٨٥ ـ «الآمرون بالمعروف في الإسلام» للمنجد.

٤٨٦ ـ «المحاسن والمساوئ» للبيهقي.

٤٨٧ ـ «سراج الملوك» للطرطوشي.

٤٨٨ ـ «مختصر منهاج القاصدين».

٤٨٩ ـ «علماء في وجه الطغيان» لمحمد رجب البيومي هدية مجلة الأزهر.

٤٩٠ ـ «من أخلاق العلماء» للأستاذ محمد سليمان.

٤٩١ ـ «تربية الأولاد في الإسلام» لعبدالله ناصح علوان.

٤٩٢ ـ «التصوف الإسلامي» لزكي مبارك.

٤٩٣ ـ «في ميزان الإسلام» للدكتور محمد رجب البيومي.

٤٩٤ ـ «عفوًا يا فضيلة الإمام الدكتور» لمحمد عبدالله السمان.

٤٩٥ ـ «كلمة الحق للشيخ أحمد محمد شاكر» ـ مكتبة السنة.

٤٩٦ ـ «الحرية في الإسلام» للشيخ محمد الخضر الحسين ـ دار الاعتصام.

٤٩٧ ـ «أبجد العلوم» لصديق حسن خان.

٤٩٨ ـ «البطولة والفداء عند الصوفية» لأسعد الخطيب.

٤٩٩ ـ «رسائل الشيخ محمد المعصوم».

٥٠٠ ـ «الفرق بين النصيحة والتعيير» لابن رجب الحنبلي.

٥٠١ ـ «لباب الآداب للأمير أسامة بن منقذ».

٥٠٢ ـ «كتاب العلم» لابن عثيمين ـ طبع دار الثريا.

٥٠٣ ـ «الوحي المحمدي» للشيخ رشيد رضا.

٥٠٤ ـ «المقابلة بين الهدى والضلال» للشيخ عبد الرزاق حمزة.

٥٠٥ ـ «خصائص التصور الإسلامي» لسيد قطب ـ دار الشروق.

٥٠٦ ـ «على أطلال المذهب المادي» لمحمد فريد وجدي ـ دائرة معارف القرن العشرين.

٥٠٧ ـ «إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان» للشيخ مرعي الحنبلي ـ دار عمار.

٥٠٨ ـ «تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من دلائل»

للشوكاني - دار ابن حزم.
٥٠٩ - «الوصايا» لأحمد الرافعي - مكتبة مدبولي - القاهرة.
٥١٠ - «النهر الماد من البحر» لأبي حيان الأندلسي.
٥١١ - «الرسالة القشيرية» لعبدالكريم القشيري.
٥١٢ - «الحسنة والسيئة» لابن تيمية.
٥١٣ - «الداء والدواء» لابن القيم.
٥١٤ - «اقتضاء العلم العمل» للخطيب البغدادي - المكتب الإسلامي.
٥١٥ - «غذاء الألباب بشرح منظومة الآداب» لمحمد بن أحمد السفاريني.
٥١٦ - «ذم الجهل» لمحمد سعيد رسلان - دار العلوم الإسلامية.
٥١٧ - «حراسة الفضيلة» للدكتور بكر أبو زيد - سلسلة الدعوة والإرشاد.
٥١٨ - «الذكريات» للشيخ علي الطنطاوي.
٥١٩ - «صيد الخاطر» لابن الجوزي.
٥٢٠ - «الضياء اللامع من الخطب الجوامع» لابن عثيمين.
٥٢١ - «رسائل النور» لسعيد النورسي.
٥٢٢ - «نزهة الناظرين» لعبيدالضرير.
٥٢٣ - «التبر المسبوك».

﴿ص﴾ فكر وغزو فكري

٥٢٤ - «الدين والفن» لحسن الترابي.
٥٢٥ - «خاطرات جمال الدين الأفغاني» لمحمد المخزومي.

٥٢٦ ـ «القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة» لمحمد أحمد خلف اللَّه.

٥٢٧ ـ «الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار» لمحمد عطية خميس.

٥٢٨ ـ «بلايا بوزا» لمحمد الجنبيهي.

٥٢٩ ـ «الخطاب العربي المعاصر» لفرج فودة.

٥٣٠ ـ «الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي» لسامي عزيز.

٥٣١ ـ «من قتل فرج فودة» للدكتور عبدالغفار عبدالعزيز ـ دار الإعلام الدولي.

٥٣٢ ـ «الحقيقة الغائبة» لفرج فودة.

٥٣٣ ـ «حوار حول قضايا إسلامية» لفرج فودة.

٥٣٤ ـ «الطائفية إلى أين» لفرج فودة.

٥٣٥ ـ «النذير» لفرج فودة.

٥٣٦ ـ «قبل السقوط» لفرج فودة.

٥٣٧ ـ «للَّه يا زمري» لكريمان حمزة.

٥٣٨ ـ «التراث والتجديد» لحسن حنفي.

٥٣٩ ـ «قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر» لحسن حنفي.

٥٤٠ ـ «غزو من الداخل» لجمال سلطان ـ دار الوطن.

٥٤١ ـ «تجديد الفكر الإسلامي» لمحمد عمارة.

٥٤٢ ـ «تيارات اليقظة الإسلامية» لمحمد عمارة

٥٤٣ ـ «جولة في فكر محمد أركون».

٥٤٤ ـ «الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني» لمحمد عمارة ـ المؤسسة

العربية للدراسات والنشر ـ بيروت.

٥٤٥ ـ «حوار لا مواجهة» لأحمد كمال أبو المجد.

٥٤٦ ـ «تيارات اليقظة الإسلامية» لمحمد عمارة.

٥٤٧ ـ «نظرة جديدة إلى التراث» لمحمد عمارة.

٥٤٨ ـ «مسلمون ثوار» لمحمد عمارة.

٥٤٩ ـ «أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي» لعلي جريشة ـ محمد الزيبق.

٥٥٠ ـ «الفكر الإسلامي المعاصر» لغاري التوبة.

٥٥١ ـ «الأعمال الكاملة لمحمد عبده» لمحمد عمارة.

٥٥٢ ـ «ضحى الإسلام» لأحمد أمين.

٥٥٣ ـ «دليل المسلم الحزين» لحسين أحمد أمين.

٥٥٤ ـ «إسلام آخر زمن» لمنذر الأسعد ـ دار المعراج.

٥٥٥ ـ «موقف القرآن من حجاب المرأة المسلمة» لحسين أحمد أمين.

٥٥٦ ـ «اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار» لأنور الجندي ـ دار الاعتصام.

٥٥٧ ـ «تجديد الفكر الإسلامي» لحسن الترابي ـ الدار السعودية للنشر.

٥٥٨ ـ «أبي آدم» لعبدالصبور شاهين.

٥٥٩ ـ «أبي آدم ـ قصة الخليقة بين الخيال الجامح والتأويل المرفوض» للدكتور عبدالعظيم المطعني ـ مكتبة وهبة.

٥٦٠ ـ «الإسلام والحضارة الغربية» للدكتور محمد محمد حسين ـ مؤسسة الرسالة.

٥٦١ ـ «حصوننا مهددة من الداخل» للدكتور محمد محمد حسين ـ دار الرسالة السعودية.
٥٦٢ ـ «مفكرون وأدباء» لأنور الجندي.
٥٦٣ ـ «الإسلام في النظرية والتطبيق» لمريم جميلة.
٥٦٤ ـ «التفسير السياسي للإسلام» لأبي الحسن الندوي.
٥٦٥ ـ «تسليط الأضواء على ما وقع في الجهاد من أخطاء» لقادة الجماعة الإسلامية ـ مكتبة دار التراث الإسلامي.
٥٦٦ ـ «في الشعر الجاهلي» لطه حسين.
٥٦٧ ـ «الفن القصصي في القران» لمحمد أحمد خلف اللَّه.
٥٦٨ ـ «الصحافة والأقلام المسمومة» لأنور الجندي ـ دار الاعتصام.
٥٦٩ ـ «تحت راية القرآن» لمصطفى صادق الرافعي.
٥٧٠ ـ «معركة الشعر الجاهلي بين الرافعي وطه حسين» للدكتور إبراهيم عوض.
٥٧١ ـ «الحديقة» لمحب الدين الخطيب.
٥٧٢ ـ «الطريق إلى ثقافتنا» لمحمود محمد شاكر.
٥٧٣ ـ «المتنبي» لمحمود محمد شاكر.
٥٧٤ ـ «أباطيل وأسمار» لمحمود محمد شاكر.
٥٧٥ ـ «تجديد الفكر العربي» للدكتور زكي نجيب محمود.
٥٧٦ ـ «الفكر الإسلامي قراءة علمية» لمحمد أركون.
٥٧٧ ـ «الإخوان المسلمون رؤية من الداخل» للأستاذ محمود عبدالحليم ـ دار الدعوة بالإسكندرية.

٥٧٨ ـ «المسلمون والقبط» لمحمد رشيد رضا.
٥٧٩ ـ «الجماعات الإسلامية في فكر رشيد رضا» لخالد فوزي آل حمزة ـ مؤسسة قرطبة.
٥٨٠ ـ «مذكرات الدعوة والداعية» للشيخ حسن البنا.
٥٨١ ـ «اختلاف الأمة» لرشيد رضا ـ طبع المنار.
٥٨٢ ـ «الإخوان المسلمون» لريتشارد ميتشل ترجمة د. محمود أبو السعود.
٥٨٣ ـ «المدرسة الإسلامية على طريق اللَّه ومنهج القرآن» للأستاذ أنور الجندي ـ دار الاعتصام.
٥٨٤ ـ «جيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام» لأنور الجندي ـ دار الاعتصام.
٥٨٥ ـ «طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام» أنور الجندي ـ دار الاعتصام.
٥٨٦ ـ «الوجه الآخر لطه حسين من مذكرات السيدة سوزان «معك» لأنور الجندي ـ دار الاعتصام.
٥٨٧ ـ «محاكمة فكر طه حسين» لأنور الجندي ـ دار الاعتصام.
٥٨٨ ـ «رجال اختلف فيهم الرأي» لأنور الجندي ـ دار الاعتصام.
٥٨٩ ـ «قافلة الإخوان» لعباس السيسي.
٥٩٠ ـ «الطريق إلى الجماعة الأم».
٥٩١ ـ «القول الكريم الغالي».
٥٩٢ ـ «هويتنا أو الهاوية» لمحمد إسماعيل المقدم ـ دار الصفوة.

٥٩٣ ـ «أفكار ضد الرصاص» لمحمود عوض ـ سلسلة اقرأ ـ دار المعارف.

٥٩٤ ـ «المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية تاريخها ومخاطرها» للدكتور بكر أبو زيد دار العاصمة.

٥٩٥ ـ «لماذا أعدموني» لسيد قطب.

٥٩٦ ـ «من هنا نعلم» للشيخ محمد الغزالي.

٥٩٧ ـ «واقعنا المعاصر» لمحمد قطب ـ دار الشروق.

﴿ ط ﴾ أدب وشعر

٥٩٨ ـ «النظرات» للمنفلوطي.

٥٩٩ ـ «من وحي القلم» لمصطفى صادق الرافعي.

٦٠٠ ـ «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» للدكتور محمد محمد حسين ـ مكتبة الآداب.

٦٠١ ـ «فتح الخالق في مدائح الخلائق» «شعر» لابن الوزير الصنعاني ـ المطبعة السلفية.

٦٠٢ ـ «المعجم الوسيط».

٦٠٣ ـ «الأدب العربي المعاصر في سورية» لسامي الكيالي.

٦٠٤ ـ «أسرار البلاغة» لعبدالقاهر الجرجاني ـ مطبعة المدني.

٦٠٥ ـ «ديوان ولي الدين يكن» مطبعة المقتطف.

٦٠٦ ـ «ديوان حافظ إبراهيم».

٦٠٧ ـ «ديوان أحمد محرم».

٦٠٨ ـ «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير.

﴿ مجلات ودوريات وصحف ﴾

٦٠٩ ـ «مجلة البحوث العلمية» ـ دار الافتاء بالسعودية.

٦١٠ ـ «جريدة الأحرار».

٦١١ ـ «جريدة الأهرام».

٦١٢ ـ «مجلة المجتمع».

٦١٣ ـ «مجلة التوحيد».

٦١٤ ـ «مجلة الجندي المسلم».

٦١٥ ـ «جريدة المدينة».

٦١٦ ـ «جريدة البلاد».

٦١٧ ـ «الجريدة الاقتصادية».

٦١٨ ـ «جريدة الجزيرة».

٦١٩ ـ «جريدة عكاظ».

٦٢٠ ـ «جريدة الرياض».

٦٢١ ـ «مجلة الدعوة».

٦٢٢ ـ «مجلة الأزهر».

٦٢٣ ـ «مجلة المنار».

٦٢٤ ـ «مجلة المصور».

٦٢٥ ـ «مجلة حواء».

٦٢٦ ـ «جريدة القبس».

٦٢٧ ـ «مجلة لواء الإسلام».

٦٢٨ ـ «مجلة الإصلاح الخليجية».

٦٢٩ ـ «مجلة الثقافة».

٦٣٠ ـ «مجلة المنهال الحجازية».

٦٣١ ـ «مجلة المسلمون الدولية» بلندن.

٦٣٢ ـ «جريدة عرب نيوز» السعودية.

٦٣٣ ـ «جريدة الشعب».

٦٣٤ ـ «مجلة البيان».

٦٣٥ ـ «مجلة الفكر العربي المعاصر».

٦٣٩ ـ «مجلة منار الإسلام».

٦٤٠ ـ «جريدة الأهالي» القاهرية.

٦٤١ ـ «مجلة الرسالة».

٦٤٢ ـ «جريدة السياسة» الأسبوعية.

٦٤٣ ـ «جريدة الصحافة» الخرطوم.

٦٤٤ ـ «مجلة العربي» الكويتية.

٦٤٥ ـ «مجلة الفكر الإسلامي» بيروت.

٦٤٦ ـ «مجلة الأنباء» الكويتية.

٦٤٧ ـ «مجلة الهلال».

٦٤٨ ـ «مجلة الأدب الإسلامي».

﴿ل﴾ متفرقات وأشرطة

٦٤٩ ـ شريط كاسيت «خطبة العيد» للشيخ محمد جميل غازي سنة ١٤٠٦ هـ.

٦٥٠ ـ شريط «١٠٠ فائدة من الإمام ابن عثيمين» للشيخ المنجد.

٦٥١ ـ شريط «معالم في حياة فقيد المسلمين ابن عثيمين».

٦٥٢ ـ شريط «وداعًا العثيمين».

٦٥٤ ـ شريط «ربانيون على فراش الموت».

* * *



فهرس الموضوعات

الموضـــوع الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضــــوع الصفحة

الموضـــوع الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

الصفحة	الموضوع

تم الجزء السادس وانتهى الكتاب بحمد اللَّه.

* * *

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف: ٤٣٠٧٥٢٦٠-٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة